

قام الطالب السيد محمد الشريف الشبزي بسرف باجراي  
بالتصحيحات المطلوبة

د. جواد علي رصاص  
د. محمد السيد  
د. محمد السيد  
د. محمد السيد  
توقيع الطالب  
١٤١٠/٩/٥  
١٤١٠/٩/٥  
١٤١٠/٩/٥  
١٤١٠/٩/٥

المجلس الأعلى للدراسات  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



# الدكتور محمد الشريف الشبزي

## أحمد محمد بن عبد الملك

(١٠١-١٠٥ هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير  
في التاريخ الإسلامي

١٠٢٨٤٧



إعداد الطالب  
محمد السيد الشبزي الشبزي  
إشراف  
الدكتور الدكتور أحمد السيد  
الجزء الأول  
١٤١٠ هـ



١٤٠٠ هـ  
بسم الله

عليه  
ننوكل و به  
لسر و يعين  
سر

بسم الله الرحمن الرحيم

### ملخص الرسالة

### الدولة الاموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

تبرز أهمية الموضوع - على الرغم من قمر خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) - في أنه لم يسبق دراسته من قبل ، وفي مجيء عهده بعد عهد عمر بن عبد العزيز الذي يعتبر عهده ذروة في جبين الدولة الاموية ، ولاعتبار بعض الباحثين أن عهد يزيد يمثل فترة حاسمة في تاريخ الدولة الاموية ، وأنه كان بداية النهاية لها .

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ستة فصول ومقدمة وتمهيد . في المقدمة بينت أهمية الموضوع وخطته ، وفي التمهيد عرضت في ايجاز لاحوال الدولة الاموية مطلع القرن الثاني الهجري ، أما الفصل الاول فقد خصص لدراسة سيرة الخليفة يزيد ، والفصل الثاني لدراسة الحركات الداخلية في عهده ، وفي الفصل الثالث درست مرسومه المتعلق باهل الذمة والقاضي بتكسير الاصنام والتماثيل والملبان وازالة المور وهدم الكنائس المستحدثة ، وعولج في الفصل الرابع الفتوحات في عهده ، وكان موضوع الفصل الخامس سياسته الادارية والمالية في ضوء السياسة الادارية والمالية لسلفه عمر بن عبد العزيز ، ودرست في الفصل السادس مسيرة الحياة العلمية في عهده .

- وفي الخاتمة ابرزت اهم النتائج وتتلخص فيما يلي :
- (١) أن سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك لم تكن على تلك الهيئة السيئة التي صورت بها في كثير من المصادر ، وأن سيرته الذاتية لم يكن لها أثر سلبي ملموس في تصريفه لشئون الحكم .
  - (٢) نجاحه في القضاء على الحركات الداخلية التي شهد عهده الكثير منها .
  - (٣) استمرار الفتوحات في عهده ، حيث واصل الجهاد في ارض الروم وبلاد الفال ، كما افلح في التمدد للاعداء وحماية حدوده في بلاد ماوراء النهر وارمينية .
  - (٤) تجاوز أهمية مرسومه الخاص باهل الذمة حدود دولته ، عندما تآثر به الامبراطور البيزنطي ليو الايسوري ، فانتفج نفي السياسة في الدولة البيزنطية ، والتي أدت الى قيام الحركة اللايقونية (حركة تحريم عبادة المور) .
  - (٥) اتضح أن يزيد لم ينكث كل اصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وإنما خالفه في بعض الاجراءات المالية والادارية ، وأن عهده شهد الكثير من المنجزات والاصلاحات والتنظيمات .
  - (٦) تطور وتنامى الحياة العلمية في عهده ، وبخاصة العلوم الدينية ، وكذلك الادب ، والكتابة التاريخية ، فكان عهده استمرارا لعمر القوة من عمر الدولة الاموية .

عميد كلية الشريعة

المشرف

المطالع

عبد الله بن حسين الشنبري الشريف د. احمد السيد دراج د. سليمان بن وائل التويجري

مشکر و عرفان



## شكر وعرفان

حمدا لك اللهم على نعمائك وشكرا ، نحمدك ان جعلتنا  
لادم فكرمتنا وفعلتنا وهديتنا لاسلام ، وجعلتنا من امة محمد  
عليه الصلاة والسلام ، خير امة اخرجت للناس .  
ولك الشناء ان جعلتني من طلاب العلم ، فوفقت واعنت  
ويسرت ، فلك الحمد كما اثنيت على نفسك .

واتباعا لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي  
قال : "لم يشكر الله من لم يشكر الناس" <sup>(١)</sup> ، فاني اشكر كل  
صانع معروف ، واعترف بجميل اولى الفضل ، وادعوك ربى ان  
تشيب كل من كان سببا قيما اسبغته علينا من النعم .

واخص بالشكر والعرفان استاذى الدكتور احمد السيد  
دراج ، الذى كان له بعد الله ، الفضل فى اخراج هذا البحث  
بالصورة التى ظهر بها ، والذى ماقتى، يعلمنى مناهج البحث  
العلمى الجاد ، مانحا اياى علمه وتوجيهه وجهده ، محيطنى  
برعايته واهتمامه .

فما انفكيت آخذ عنه ، واستنير بآرائه ، فوجدت عطاء  
ثرا ، ومعينا لاينضب ، جزاه الله عنا خير الجزاء .  
واخيرا دعوة صادقة لوالدى - رحمه الله - الذى اخذ  
بيدى فى بداية حياتى الدراسية ، وحثنى على طلب العلم ،  
وسلوك طريقه ، اسكنه الله فسيح جناته ، وجعل ذلك فى  
موازين اعماله . والحمد لله رب العالمين .

---

(١) روى الحديث ابو هريرة رضى الله عنه ، انظر/مسند  
الامام احمد ، ٢٤٦/٣ - سنن ابى داود مع شرح عون  
المعبود ، ١٦٥/١٣ - جامع الترمذى بشرح تحفة الاحوذى ،  
٨٧/٦ .

المقدمة

## المقدمة

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان مالم يعلم ،  
والملاة والسلام على من بعث فينا ليُعلمنا الكتاب والحكمة ،  
نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه اجمعين ، ومن سار على نهجهم  
واتبع هداهم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فهذا موضوع رسالة ماجستير فى التاريخ  
الإسلامي ، بعنوان (الدولة الأموية فى عهد الخليفة يزيد بن  
عبد الملك " ١٠١ - ١٠٥هـ ) .

ومن المعلوم أنّ اختيار الموضوعات العلمية الجامعية  
يقوم على أسس يأتى فى مقدمتها ، أهمية الموضوع وجدته .  
والحق أنّ عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، له أهميته  
البالغة ، فهو جزءٌ من العصر الأمويّ ، الذى هو فى امسّ  
الحاجة إلى دراساتٍ علميةٍ جديدةٍ ، تقوم على أسس البحث  
العلمي وتطبق مناهجه ، لإعطاء صورةٍ ناصعة ، لايشوبها الكدر  
لتاريخ ذلك العصر ، وإنما لتقديم صورةٍ واضحة ، هى أقرب  
ما تكون إلى المحقّة والحقيقة ، وإنّ شأها شيءٌ من الكدر ،  
فالتاريخ البشريّ ، هو تاريخٌ لحياتٍ أممٍ وأفرادٍ ، فيهم  
الخير والشر ، والمواب والخطأ ، وهو رصدٌ لحفاراتٍ تزدهر  
وتضمحل ، ولها جوانبٌ مشرقةٌ كما لها جوانبٌ أخرى مظلمة .

وإنّ مما يؤكد أهمية دراسة تاريخ العصر الأمويّ ، هو  
معرفةنا بأنّ ماوصل إلينا من تاريخه ، لم يُكتب إلا فى العصر  
العباسيّ ، وهذا ماأدى إلى تحويه بعض الحقائق ، من إخفاءٍ  
لبعض محامده ، وتقليلٍ من شأن منجزاته ، وإبرازٍ وتضخيمٍ

لسلبياته ، وهذا لايعنى عدم وجود مؤرخين ، كانوا بمنأى عن  
 العوى فى كتاباتهم عن تاريخ بنى امية ، فهناك من التحزم  
 الحق فيما دَوَّنَ ، ومنهم مَنْ جمعَ وقَيَّدَ مابلغَ علمه عن تاريخ  
 ذلك العصر ، حسنه وسينه ، لثته وسمينه . وهذا مستندُ قولنا  
 فى حاجة تاريخ ذلك العصر ، بل والعصور الإسلامية الاولى  
 جميعها ، إلى دراسات علمية جديدة ، ولعمل الدراسات  
 الجامعية تقوم بهذا الدور ، وهى بلاشك اقدر الدراسات على  
 ذلك ، إذا ما توخى الحق ، وتجنبَت العوى ، ووعت المسئولية  
 وادركت الهدف . بل إنها ستكون خطوة فى طريق إمادة كتابة  
 التاريخ الإسلامى ، الذى لايعنى بحالٍ من الاحوال ، نكت  
 التاريخ القديم ، واختلاق تاريخ جديد ، او تصفيته من كل  
 شائبة ، بل تمحيه ذلك التاريخ بدراسات جديدة ، تقوم على  
 اسس ومناهج علمية ، غايتها الحقيقة ، ولاغير الحقيقة .  
 فيكفى امة الإسلام أن تجلو حقائق تاريخها المجيد ، فى  
 حقائقه من السموة والمجد والرفعة ، ما فيه فخرها وعزها ،  
 كيف لا ، وهو تاريخ امة تشريعها وجوهر حضارتها ، دين الإسلام  
 ورائد تاريخها رسول السلام ، صلى الله عليه وسلم .

اما الاهمية الثانية لعهد الخليفة يزيد بن عبد الملك  
 فتأتى من كونه جاء بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز  
 ( ٩٩ - ١٠١هـ ) ، الذى قام بدور مميز فى إصلاح احوال الدولة  
 الاموية من جميع الجوانب ، والعودة بالخلافة إلى سيرة  
 الخلفاء الراشدين - وسنبين اهم إصلاحاته ومعالم سياسته فى  
 التمهيد - وتكمن هذه الاهمية فى قول عدد من المؤرخين ، بأن  
 يزيد بن عبد الملك ، نكت إصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وعمد

إلى كل ما منعه عمرُ مما لم يوافق هواه فردّه .  
وتحتلُّ أهمية هذا الجانب أيضًا ، فيما قيلَ عن شخصية  
الخليفة يزيدَ ، وطقنُ بعضِ المؤرخينَ عليه في دينه ، واتهامه  
بالفسق والفجور ، والقولِ بحبه اللهو والملذات ، من شرب ،  
ونساء ، ولغناء ، وانصرافه عن القيام بمسئوليات الحكم إلى  
ذلك ، مما أدى إلى شياعِ أثرِ جهودِ الخليفة عمرَ ، وفسادِ  
أحوالِ الدولة .

كما أنَّ مجيئه بعدَ عمرَ ، مع ما بين شخصيتي الرجلين من  
تفاوتٍ واختلافٍ ، واستحوادِ عمرَ وعصره على اهتمامِ المؤرخينَ ،  
لما تمَّ فيه من خيرٍ وإصلاحٍ ، وعودةٍ إلى سيرةِ الراشدينَ ،  
وتطبيقِ شرعِ ربِّ العالمينَ ، الذي إليه تطمئنُّ النفوسُ ، لقيامِ  
الحقِّ والعدلِ به وعليه ، جعلَ عهدَ يزيدَ يتوارى في ظلالِ عمرَ  
وعهده .

وتلك المقولاتُ على ما فيها من باطلٍ ومبالغٍ ، فإنَّ فيها  
بعضَ الحقِّ وليس الحقُّ كلُّه - وهذا سيتضحُ من خلالِ دراستنا  
لسيرةِ يزيدَ ، ومناقشتنا الجدية لسياساته ومنجزاتِ وأحداثِ  
عهده من جميعِ الجوانبِ - ومع ذلك فقد اتخذها بعضُ المؤرخينَ  
مرتكزاً للقولِ بأنَّ عهدَ يزيدَ ، يعتبرُ من أدقِّ مراحلِ العصرِ  
الأمويِّ ، لأنه يمثلُ بدايةَ النهايةِ للدولةِ الأموية ، ولأنَّ  
عواملَ النعفِ والانحيارِ أخذتُ تنسجُ خيوطها حولَ جسمِ الدولةِ ،  
على يدِ هذا الخليفة .

ومن هنا جاءَ دورنا في تحقيقِ مدى صحة هذه الأقوالِ ،  
وتسليطِ الأنوارِ على تلك الفترة من عمرِ بني أمية وذلك من  
خلالِ دراسةِ عهدِ يزيدَ وسيرته ، عرماً وتحليلاً ، مناقشةً

ومقارنـة ، استنباطـا واستنتاجـا ، وهو عمل هـمنا الاول فـيه معرفة احوال الدولة الاموية فـى عهـد هذا الخليفة . اما سيرته ، وإن عرّفنا لها فـى شـئ من الإيجاز فإنّ الذى يهـمنا من دراستها فـى المقام الاول ، هو مدى اثرها على الدولة ، وسياسات حاكمها ، وجلاء بعض الحقائق حولها .

ولن نستعجل القول بما توصلنا إليه من هذه الدراسة ، فبيانـه فـى ثناياها ، ومجمـله فـى نتائجها ، لكن من المستحب ان نشير إلى انّ يزيد لم يكن بـذلك الصورة السيئة التى رسمها له بعض المؤرخين ، من القدماء والمحدثين ، وانّ فـى عهده من المنجزات والاحداث ، ما هو جدير بالدراسة ، وحقيق بالبحث . وانّ الدراسة الجدية لعهدـه وسيرته ، وإن كشفت عن حقيقة جانب مما ذكر حوله ، فإنّ ذلك لم يؤثـر بشكل ملموس على الدولة فـى عهده ، بل إنّ الدولة فـى عهده استمرت فـى مسيرتها وحققّت عددا كبيرا من الإنجازات ، وعاشت فـى وحدة ونمو ، ونجح الخليفة يزيد إبتـان عهدـه فـى درء الاخطار الداخلية والخارجية ، وحفظ حدودها ، ومان بيفتها ، وحـمى دينها واهلها .

إنّ دور الباحث ومبعث فخره كما يقول استاذى الجليل الدكتور احمد السيد دراج ، ليس فـى التعرف لعمور الازدهار ، وشخصيات المشاهير من رجال التاريخ ، بل يكون فـى بحث ما يكون احوج إلى الدراسة من الموضوعات البكر ، والفترات المعقدة ، والشخصيات المغمورة ، إذا ما كانت تمثل مراحل دقيقة ، وتجلو حقائق مبهمـة ، وتمحـج بعض المفاهيم التاريخية .

والحق أنَّ العناء والجهد في مثل هذه الموضوعات اشدُّ وأعظم ، والمصاعب أكثر وأكبر ، لما يواجه الباحث من ندرة المعلومات ، واضطراب الأقوال ، وغموض الحقائق ، وقلة الدراسات المساعدة والموجهة .

إنَّ عهدَ الخليفة يزيد بن عبد الملك ، يمثل هذه النوعية من الدراسات ، وتنبثق عليه دواعي البحث التي اشرنا إليها ، كما أنَّ هناك سبباً آخرًا اسهم في اختيار هذا الموضوع ، وهو أنَّ هذا العهد لم يُدرَس من قبل في دراسة علمية جامعية ، ولا كتاب علمي مستقل ، حسب ما وصل إلى علمنا فقد تَقَمَّيْتُ ما استطعتُ الرسائل الجامعية التي تناولت العصر الأموي ، فوجدتُ أنَّها قد تعرَّضتُ لجلَّ الخلفاء الأمويين وعهودهم بل إنَّ بعضهم كُتِبَ فيه أكثر من رسالة وكتاب علمي ، كما وية رضى الله عنه ، وعبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . وتبيَّن لي من خلال هذا الاستقراء ، عدم وجود أيِّ دراسة جامعية عن عهد يزيد أو شخصه . كما حاولتُ معرفة إذا ما كان قد أُلِّفَ حوله كتاب علمي غير جامعي ، يخدم الموضوع ويغنى البحث ، فتعقبتُ قوائم المراجع الملحقة بكتب التاريخ الإسلامي ، وبالأخص ما يتعلق بالعصر الأموي ، وبحثتُ في معارض مكتبات جامعة أمّ القرى ، وجامعة الملك عبد العزيز ، ومعظم الجامعات العربية ، وسالتُ أهل العلم وطلابه المتخصصين في التاريخ الإسلامي ، فاتَّضح لي أنَّه لم يُؤلَّفَ أيُّ رسالة جامعية أو كتاب علمي ، عن يزيد بن عبد الملك ، أو عهده .

وعلى أساس أهمية هذا العهد ، ودواعي البحث في هذه الفترة ، جاء اختيارنا دراسة الدولة الأموية في عهد يزيد

ابن عبد الملك ، موضوعا لهذه الرسالة .  
وقد قام بناؤها ، واستقرت خطتها ، بعد الدراسة وجمع  
المعلومات ، والتصور الاسوي والاصح ، وفقّ التبويد التالي :  
هذه المقدمة ، وعرض لاهم المصادر والمراجع ، وتمهيد<sup>٦</sup> ، وستة  
فصول ، وخاتمة .

وقد حوت المقدمة كبيان أهمية موضوع الرسالة ، ودواعي  
اختياره ، ثم دراسة نقدية لاهم المصادر والمراجع .  
أما التمهيد فهو تحت عنوان : عرض موجز لحالة الدولة  
الاموية مطلع القرن الثاني الهجري ، بينّا فيه ماوصلت إليه  
هذه الدولة من تطور ونماء ، وماحققت من منجزات قبل عهد  
الخليفة يزيد ، في عرض عام وموجز ، وبشكل يوضح كيف اضحت  
مورة الدولة في نهاية القرن الاول ، ثم عرّفنا بعد ذلك لاهم  
معالم عهد عمر بن عبد العزيز ، وأهم سياساته ، لكون عهده  
( ٩٩ - ١٠١هـ ) جاء في نهاية القرن الاول من الهجرة ، وبداية  
الثاني . فكان خلفة الوصل بين إنجاز الماضين من خلفاء بني  
امية ، ويزيد بن عبد الملك ، ومن تبعه من الخلفاء  
الامويين .

وتكمن أهمية عرض سياسات عمر بن عبد العزيز ، ايها ،  
لأنه قام بإصلاح كثير من احوال الدولة الاموية ، وتصحيح بعض  
اوضاعها ، وسياسات بعض خلفائها وفقا للنهج الإسلامي .  
وتزداد أهمية هذا العرض الموجز لمعالم سياسته ، لأننا  
سنكون امام مواقف مختلفة للخليفة يزيد ، من سياسات عمر  
وإصلاحاته - كما اشرنا إلى هذا في المقدمة سالفا ، وهو  
ماساناقشه في كل موطن يرد ذكر ذلك فيه ، خلال هذه



الدراسة - ومن الجدير ذكره ، أنَّ ما سنعرِّفه من معالم سياسات عمرٍ خلال التمهيد ، لا يغنيانا عن ذكر تفاصيل بعض تلك السياسات والإصلاحات والمنجزات ، ومناقشتها ، في ثنايا هذه الرسالة ، مقارنةً وتحقيقًا ، أو توفيقًا وتمحيصًا ، وذلك عند ذكر مواقف الخليفة يزيد بن عبد الملك منها ، سواءً كان موافقًا أو مخالفًا لها .

أما الفصل الأول من الرسالة فقد خصَّصناه لدراسة سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقد تناولنا فيها بشكل موجزٍ نسبه ، وحياته قبل الخلافة وبعدها ، عارضين للمعدي له بالخلافة وتوليها ، وما حول ذلك من الأخبار . وقد ركزنا اهتمامنا على شخصية يزيد والعوامل المؤثرة فيها ، وما قيل عنها ، ماله وما عليها ، وأخيرًا الخروج بصورة أقرب ما تكون إلى الوضوح ، تمكُّنًا من معرفة مدى أثر تلك الشخصية على الدولة الأموية .

والفصل الثاني من الرسالة تناول الأحداث الداخلية للدولة الأموية في عهد يزيد ، وينقسم إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : تحدثنا فيه عن حركة يزيد بن المهدي ،

وقد قدمناها ، لأهميتها حدثًا ، وأسبقيتها زمنًا ، وهو مبحثٌ كبيرٌ فاق بقية مباحث الفصل الأخرى حجمًا ، وذلك راجعٌ لأهمية هذه الحركة التي كادت أن تطيحَ بالحكم الأمويِّ ، ولوفرة المعلومات عنها ، فقد اهتم المؤرخون بها ، حتى إنَّ مادتها في بعض المصادر ، قد طغت على ما ذكرنا عن بقية أحداث عهد يزيد مجتمعةً . وهذا ما أدى إلى طغيان هذا المبحث على المباحث التي تناولت الحركات الأخرى ، مع أنَّ من تلك

الحركات مالا يقل أهمية وخطراً عن حركة ابن المطلب ، وذلك راجع إلى شح كثير من المصادر بالمعلومات عن تلك الحركات ، بل إن بعض المصادر أغفل ذكر بعضها أو كلها تماماً .

أما المبحث الثاني : فعرضنا فيه لحركات الخوارج زمن يزيد ، وكانت أربع هي : حركة شوب ، وحركة مسعود العبدى ، وحركة مصعب الوالبي ، وحركة عقبان . واطرها الحركة الأولى وقد أوردنا أحداثها ، وناقشنا بعض الحقائق المختلفة عليها عارضين لممارسة الخليفة الأسلوب السلمي بجانب العسكري ، في القضاء عليها .

والمبحث الثالث : تحدثنا فيه عن حركة شيريم اليهودي في بلاد الشام ، وهدفها وأحداثها وأثر الفكر اليهودي في قيامها مع مانع به أهل الذمة من رعاية وأمن في حيا الدولة الإسلامية .

ومثلها حركة بلاي ، التي مثلت محتوى المبحث الرابع ، وماحبها من نصارى الأندلس ، كونه أول قوة من المتمردين النصاري ضد الحكم الإسلامي . وتمثلت خطورتها وأهميتها ، في كونها نواة المقاومة النصرانية للوجود الإسلامي في الأندلس وأساس الممالك النصرانية التي قامت هناك ، وتمكنت من إخراج المسلمين من تلك البلاد على مدى ثمانية قرون . وهذا مادعانا لاستعراض الحركة من أولها حتى موت صاحبها وأثارها مركزين على دور عمال يزيد على الأندلس في مقاومتها ومحاولة القضاء عليها . وإن أصعب ماواجهنا في دراستها ، اختلاف المصادر والمراجع على التاريخ لقيامها ، وتطورها ، فعملنا على دراسة النصوص ومقارنتها ، وترجيح ما رأيناه أقرب إلى الحق .

أما المبحث الخامس والآخر من هذا الفصل ، فقد احتوى على الحديث عن حركة نمرانية أخرى ، قامت في الأندلس أيضا ، وكانت بقيادة أخيل بن غيطشة ، وكان هدفها استعادة مملكة القوط التي كان يحكمها أبوه قبل لذريق .

وفصل ثالث : اختص بالحديث عن مرسوم الخليفة يزيد القاسي بتحطيم الأبنام ، وكسر الملبان ، ومحو الصور ، وإزالة التماثيل ، وهدم الكنائس المستحدثة . وهو مرسوم بالغ الأهمية ، افلح جل المؤرخين ذكره ، وجهل الكثير أمره وتكمن أهميته ليس في آثاره ونتائجه الداخلية ، ولكن في صداه خارجيا ، وبالأخص في الدولة البيزنطية وخلال مناقشة هذا المرسوم ، عرضنا لبعض حقوق أهل الذمة ، وما مولحوا عليه ، وحكم التحويل في الإسلام ، وأسباب هذا المرسوم ونتائجه ، وآثاره داخليا وخارجيا .

ورابع الفصول ، كان تحت عنوان : الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة يزيد ، بيننا فيه نشاط الفتوحات في عهده ، ورفع راية الجهاد الإسلامي في كل الجبهات ، ويتكون من أربعة مباحث .

الأول منها عن الفتوحات فيما وراء النهر ، وقد عرضنا فيه إلى جهود عمال يزيد على خراسان في إخماد تمرد الصفد في ذلك الإقليم ، وإعادة السيطرة الإسلامية على تلك البقاع . وقد برز سعيد العرشي كقائد فذ ، أعاد السيادة الإسلامية على كل البلاد التي فتحها قتيبة بن مسلم في مارواء والنهر .

والمبحث الثاني ، تناول الفتوحات في أرمينية ، وقد تعرضنا فيه إلى تحرك الخزر على تلك الجبهة ، وغزو الممالك

الإسلامية هناك ، وتمدّي المسلمين لذلك ، وبرز الجراحُ الحكيُّ عاملُ يزيدَ على ذلك الإقليم ، كقائدٍ مقتدرٍ ، تمدى للاعداءِ ، واعداءَ هيبةَ المسلمين في قلوبهم .

أما المبحثُ الثالثُ ، فكان عن الفتوح في ارضِ الرومِ ، براً أو بحراً . عارفين فيه للموانئ والشواطئ وتغيرِ نظامها في عهده ، والحملة البحرية وخامة في الحوضِ الأوسط والغربي للبحرِ المتوسطِ عن طريقِ اسطولِ افريقية ، وبقاءِ زمامِ المبادرةِ بأيدي المسلمين في حربهم مع الرومِ .

أما المبحثُ الرابعُ ، فكان عن الفتوحات في بلادِ الفُلالِ وقد شهدَ عهدُ يزيدٍ حملةً من أشهرِ الحملاتِ الإسلامية في تلك البقاعِ ، وهي حملةُ السمحِ بنِ مالكِ البخلانيِّ ، والإعدادِ لحملةٍ تاليةٍ قادها عنبسةُ بنُ سحيمِ الكلبيِّ في أولِ خلافةِ هشامِ ، مواملاً الفتوحَ في تلك البلادِ . وقد حرصنا على تحقيقِ تاريخيّهما ، لمعرفة في أيِّ عهدٍ تمَّ قيامُ واحداثٍ كلّ منهما ، ثم عرّفنا لأحداثِ الأولى بالتفصيلِ ، وعالجنا أخبارها وأبرزتُ نتائجها ، وكذلك عرّفنا للآخرى بإيجازٍ ، مبيناً سببَ فشلِ الحملاتِ الإسلامية في تلك البلادِ من أحداثٍ فتحٍ شاملٍ ودائمٍ .

ومن أهمِّ فصولِ هذه الدراسة ، الفصلُ الخامسُ ، الذي اشتملَ على سياسةِ الخليفةِ يزيدِ الإدارية والمالية ، وفيه تعرفنا على كثيرٍ من سماتِ التنظيمِ الماليِّ والإداريّ في ذلك العصرِ ، وماوملَ إليه من تطورٍ وضبطٍ ودقةٍ .

وينقسمُ هذا الفصلُ إلى مبحثين :

المبحثُ الأولُ عن السياسةِ الإدارية ، ويتفرّعُ إلى عددٍ من النقاطِ ، الأولى : عما قيلَ عن سياسةِ يزيدِ الإدارية ، وموقفه



من سياسة عمر في هذا المجال ، وحقيقة ذلك ومناقشته في ضوء  
حقائق عصره ونماذج سياسته ، والعلوم أخيراً إلى معالم  
وسمات سياسته الإدارية . والنقطة الثانية : عن رجال الإدارة  
في عاصمة الدولة دمشق . أما النقاط من الثالثة وحتى  
العاشرة ، فقد عرفت فيها لذكر عماله على أقاليم الدولة  
الإسلامية كلها . وقد تناولت بالدراسة ولاية كلٍّ منهم  
والتاريخ لها وإيرادهم وفق الترتيب الزمني ، والتحقيق في  
الغرائب الروايات حول اسمائهم وتاريخ ولاياتهم وترتيبهم .  
إلى جانب ما توفر لدينا من معلومات حول سياساتهم في إدارة  
تلك الأقاليم ومنجزاتهم الإدارية ، من أعمال استحدثوها ، أو  
أنظمة طوروها ، أو فساد إداري أصحوه . كوضع الديوان  
الرابع لأهل ممر ، وتنظيم الحكومة الإسلامية في سبتمانيا  
بجنوب بلاد الفال وغير ذلك ، وتطوير بعض الأنظمة الإدارية  
والمالية ، وضبطها ، والتصرف على شكل العيكل الإداري من  
تلك المعلومات مجتمعة ، وما استحدثت من وظائف ألزم التطور  
واتساع الدولة إنشائها ، وإلقاء الانواء على وظائف كانت  
شبه مجهولة من قبل . كإهتمام بوظيفة المرزبان في خراسان ،  
والتعريف بوظيفة الخابوت في ممر . كما أشرنا إلى جهودهم  
في نشر الدين والعلم والأمن ، وتعمير البلاد .

أما المبحث الثاني من الفصل الخامس ، ففي سياسته  
المالية ، ويتكون من عددٍ من النقاط ، أولها : عما قيل عن  
سياسته المالية ، ومدى صحة ذلك وسمتها الحقيقية ، وبعض  
مظاهرها . عارفين لبعض أوامره في هذا الشأن ، وبعض مظاهر  
التنظيم المالي والضبط ، كتجويد العملة ، وضبط المكاييل

والمسوازين ، وتطور استخدام السفاح . اما النقطة الثانية  
 فعن الجزية ، ومناقشة القول بإعادة فرضها من قبله على من  
 اسلم ، عارفين لمدى صحة القول بفرضها على من اسلم من قبل  
 ورفعها عنهم من قبل عمر بن عبد العزيز ، كما تعرضنا  
 لفرضها على رجال الكنيسة ، وخاصة في مصر ، وناقشنا ذلك .  
 وكذلك ماكان مفروضا على ثمارى النجرائية ، وقبرص ، وغير  
 ذلك في هذا المدي . اما النقطة الثالثة ، فعن الخراج ،  
 وموقف يزيد من سياسات عمر الخراجية ، والعمل على ضبطه  
 وتنظيمه وزيادته ، كمنح السواد ، عارفين لاسباب ذلك وآثاره  
 وفرض فريضة الخراج على املاك الكنائس والاساقفة ، وغيره مما  
 ذكر في هذا الجانب .

ونقطة رابعة : كان مدار الحديث فيها عن الضرائب ،  
 وماعاد يزيد فرضه منها بعد ان رفعه عمر . وقد عرفت خلال  
 ذلك لمناقشة بعض الاقوال ، مستقصيا الحقيقة ، متطرقا لكل  
 انواع الضرائب التى اخبر عن فرضها وفي اى الاقاليم والاسباب  
 الداعية لذلك .

اما العطاء ، فكان موضوع النقطة الخامسة ، وذكرنا فيه  
 تسغيره من قبل يزيد لخدمة الدولة ، واثار شخصيته فيه .  
 وخامسة ، عن الإقطاع ، وسياسة يزيد في هذا المدي ،  
 وتوجيهه لخدمة اغراض الحكومة ومكافاة رجالها المخلصين .  
 اما الفصل السادس والاخير من هذه الرسالة ، فقد درسنا  
 فيه اهم مظاهر الحياة العلمية في الدولة الاموية في عهد  
 يزيد بن عبد الملك . وينقسم الى اربعة مباحث .

المبحث الأول عن العلوم الدينية ، ويتفرع إلى أربع نقاط ، الأولى : عن القراءات ، والثانية عن التفسير ، والثالثة عن الحديث ، والرابعة عن الفقه .

أما المبحث الثاني ، فمن الأدب ، مقدمين باهتمام يزيد بالأدب ورعاية أهله ، عارفين لأهم فنون الأدب آنذاك ، وهي الشعر والخطابة ، والكتابة ، ذاكرين القمص والوعظ .

أما المبحث الثالث : فتناول بالدراسة الكتابة التاريخية ، من حيث ما وصلت إليه آنذاك من تطور ، وأشهر رجالها ، ونحاجهم ، وأشر ذلك في مستقبل الكتابة التاريخية .

وأخيرا المبحث الرابع ، عن بعض مظاهر النشاط العلمي في ذلك العهد .

ولقد اعتمدت بشكل كبير في هذا الفصل على تراجم رجال كل علم وفن ، لما وجدته في ثناياها من قيم المعلومات التي اعانتنا على رصد ما وصلت إليه تلك الفنون من تطور ونماء في ذلك العهد ، وإبراز دور رجالها ، جهودهم ، ونحاجهم ، وأشارهم ، بشكل يمكن من تصور واضح لتلك الجوانب .

وأخيرا اتممت هذه الرسالة بخاتمة عن أهم نتائج هذه الدراسة وما توصلنا إليه من حقائق ومفاهيم .

## دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع

طبيعة الموضوع تحدد اساليب معالجته ، ونوعيات مصادره ونحن بمقدور دراسة عامة عن الدولة الاموية في هذا العهد ، تناولنا من خلالها سيرة الخليفة وسياسته ، والحركات الداخلية والفتوحات الخارجية ، والسياسة الادارية والمالية ونظمها ، كما خصصنا مظاهر الحياة العلمية بجانب من هذه الاطروحة .

وهذا مادعانا الى العودة الى عدد وافر من المصادر والمراجع ، ونوعيات مختلفة منها ، فاخذنا عن مصادر التاريخ العامة ، وكتب العمال ، ولجانا لكتب الفتوح والاموال ، والمعاجم ، وتراجم الرجال ، وغير ذلك ، والغاية تغطية مجالات البحث واخرائها .

ومن اهم تلك المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث : كتاب الخراج لابن يوسف ( ١١٣ - ١٨٢هـ ) ، وهو يعقوب ابن ابراهيم بن حبيب الانماري ، ولد ونشأ بالكوفة ، وتعلم بها ، وكان من ابرز تلاميذ ابي حنيفة ، وقد عرف بالفقه مع علمه بالتفسير والمغازي وايام العرب والحديث . قال عنه احمد بن حنبل : صدوق . وقد تقلد القضاء لثلاثة من خلفاء بني العباس ، وهو اول من دعى بقاضي القضاة .

اما مصنفاته فعدة ، منها هذا الكتاب ، وهو اشهر واقدم ماوصل اليها من المصنفات المالية . وقد الفه بناء على رغبة هارون الرشيد في ان يضع له كتابا عن جباية



الاموال . فدونه في مقدمة وستة وثلاثين فصلا ، مقسمة على اساس الموضوعات ، وبميغة السؤال والجواب ، تناول فيها موارد بيت المال ، وطرق جبايتها ، واحكامها ، وماعومل به اهل البلاد المفتوحة ، وحقوقهم ، مالهم وماعليهم ، وقد ناقش آراء الفقهاء حول ذلك ، ومايذهبى للسلطان فعله ، في أسلوب علمى رصين ، ملتزم بالاسناد آخذ بتعدد الروايات ، جامع بين الدراسة الفقهية والاحداث التاريخية ، فقد كان في استطراده كثير من الاخبار والحقائق التاريخية القيمة .

وقد افدنا منه في الفصل الرابع عند دراستنا للسياسة المالية ، وبخاصة الخراج والجزية ، والفرائب والقطائع ، وغيرها ، كما افدنا منه في حقوق اهل الذمة واحكامهم ، وبعض ماصولحوا عليه ، عند مناقشتنا لذلك خلال مرسوم الخليفة يزيد في الفصل الثالث ، وقد وجدنا لديه معلومات وحقائق متميزة ، وآراء فقهية حول بعض القضايا التي عرفنا لها .

والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الهاشمي ، وقيل : الزهرى بالولاء ( ١٦٨ - ٢٣٠هـ ) المعروف بكاتب الواقدي ، ولد بالبصرة ومات ببغداد ، وارتحل الى مكة والمدينة ، وتلقى العلم على مايقارب الخمسين شيخا من علماء هذه المدن ، واخيرا لازم الواقدي ببغداد ، مما كان سببا في لقبه ، وقريئة لابن النديم في قوله : ان ابن سعد الف كتبه من تصنيفات الواقدي .

وقد شملت دراساته القرآن والحديث والفقه والانساب والتاريخ وعلم الرجال واللفة والنحو ، ثم تصدر للتدريس ،

وعنى بالتأليف ، فكان كتابه هذا أهم مؤلفاته وأشهرها .  
وقد صدره بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم فى مجلدين ، ثم  
عرض لتراجم الصحابة والتابعين ، ثم لتراجم النساء ، على  
أساس الطبقات . وقد نشر هذا الكتاب فى تسعة مجلدات ،  
التاسع منها للفهارس ، بعناية وتحقيق المستشرق سخاو  
وعاونه فيه آخرون ، وطبع فى ليدن فيما بين سنة ١٩٠٤م وسنة  
١٩١٧م . كما طبع عدة طبعات أخرى . وقد سقطت بعض طبقاته ،  
فحققها أخيرا بعض الباحثين : الباحث زياد محمد منصور ،  
والباحث محمد بن صامل المسلمى ، والباحث عبد العزيز بن عبد  
الله السلومى .<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>

وقد تميز أسلوبه بسوق الخبر عن مجموعة من العرويات ،  
مع ذكر الاسانيد مجموعة ، وان قل استعماله للاسانيد فى  
الاجزاء الاخيرة ، وبخاصة لتراجم القميرة . كما تميز  
برواية السيرة فى قمة مترابطة ، ونقد الروايات احيانا ،  
والاشارة الى وظائف صاحب الترجمة ، وورود بعض الحقائق  
التاريخية وبخاصة العسكرية ، والعلمية والاجتماعية ، فى  
شلايا تفعيلات الترجمة .

وتتمثل افادتنا منه فى كثير من المعلومات والتراجم  
المتناثرة فى معظم الفصول ، ولاتعود اهميته بالنسبة لنا فى

- 
- (١) حقق طبقة تابعى المدينة ومن بعدهم (من ربع الطبقة  
الثالثة الى منتصف الطبقة السادسة) وكان عمله موضوع  
رسالة دكتوراه بعنوان : الطبقات الكبرى القسم المتمم  
دراسة وتاريخ ، (مطبوع) ، طبعة الجامعة الاسلامية ،  
بالمدينة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٢) حقق طبقة صفار الصحابة ، وعمله موضوع رسالة دكتوراه  
قدم لجامعة أم القرى ونوقش عام ١٤١٠هـ .
- (٣) حقق طبقة من أسلم عام الفتح ومن بعدهم ، وعمله موضوع  
رسالة دكتوراه ، قدم لجامعة أم القرى ، ولم يناقش  
حتى الآن .

غزارة المادة العلمية التي استقيناها منه ، فانها قليلة ، ولكنها قيمة بحكم انه اول كتاب وصل اليها من كتب الطبقات والتراجم ، وتركزت افادتنا من طبقة التابعين ، حيث ترجمنا لبعض الاعلام عنها ، واكتسبنا مما حوته من معلومات وحقائق . وتاريخ خليفة بن خياط ، لخليفة بن خياط العمفرى (١٦٠ - ٢٤٠هـ) بصرى من بيت علم ودين ، ألف عدة كتب . وصل اليها منها ، كتاب الطبقات ، والكتاب الذى نحن بصدده الحديث عنه . وقد تميز أسلوبه ومنهجه فى هذا الكتاب ، باتباع طريقة الحوليات ، وذكر سند الروايات ، وتعدد المرويات حول الحدث الواحد ، مع عدم الاكثار من ذلك ، والابتعاد كثيرا عن الجمع بين المتناقض منها ، وايراد ذلك فى ايجاز كبير .

ويعد تاريخ ابن خياط من أهم الكتب التاريخية التى اعتمدنا عليها وافدنا منها ، فهو من أقدم المصادر التى بين أيدينا ، ومصدرا لكثير ممن جاء بعده ، فقد كان ثقة المحدثين ، لذا قدمنا قوله على كثير غيره . وبرزت افادتنا منه فى الفصل الثانى والرابع والخامس . إذ تحدث عن حركة ابن المهلب ، ولعل ذلك لأهميتها ، لكنه أغفل معظم حركات الخوارج . كما تحدث عن الفتوح وتميز عن غيره من المصادر المشرقية ، بالحديث عنها فى معظم الجبهات ، وبالأخص فى البحر المتوسط عن طريق اسطول افريقية ، لكنه أغفل الفتوح فى بلاد الغال ، كما وجدنا عظيم الفائدة من القوائم التى ديل بها عمر كل خليفة ، والتى حوت ذكر عماله على الاقاليم وموظفيه على الدواوين ومرافق الدولة المختلفة . حيث

اعتمدنا عليها فى العمل الخاص بالسياسة المالية والادارية خصوصا أنه اوردهم مرتبين حسب توليهم تلك الاعمال .

وكتاب فتوح البلدان ، لاحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩هـ) قيل : أنه فارسى الاصل ، كان من رجال البلاط العباسى ، نشأ ببغداد ، أخذ العلم على عدد من الشيوخ ، وجمع الكثير عن طريق الرحلة فى طلب العلم ، الى كثير من البلدان الاسلامية . وكان أحد النقلة عن الفارسية ، وله عدد من المؤلفات اشهرها ، هذا الكتاب وانساب الاشراف .

وقد تميز أسلوب البلاذرى ومنهجه فى فتوح البلدان ، بتقسيم الكتاب على اساس الموضوعات ، مع المحافظة على الترتيب الزمنى فى عرض الفتوح ، وتتبع جهود المسلمين فى فتح الاقليم الذى يتحدث عنه حتى زمنه ، مع ذكر كثير من الاخبار المتعلقة بذلك الاقليم ، كالتعريف به اسما وموقعا وتاريخا ومكانا ومدنا وانهارا ، وغير ذلك . كما ضمن الكتاب كثير من الموضوعات المالية والادارية والثقافية والعمرانية ، كالتعرض لعمود الملح والجزية والخراج وتمصير الامصار ، والدواوين وتعريبها وضرب العملة والكتابة ، وغير ذلك . كما اشتمل على بعض الآراء الفقهية ، والمعلومات القيمة فى ثنايا استطراده . وقد اتبع طريقة الاسناد فى بعض اخباره ، لكنه يروى عن مجاهيل احيانا ، كما لجأ الى تعدد الروايات حول الخبر الواحد ، لكنه لا يجمع بين المتناقضات كثيرا ، واهيانا نجده ناقدا لبعض ماورده من مرويات ، منسقا وممفيا لما جمع واورد .

وافدنا من هذا الكتاب عن امر الفتوح فائدة عظيمة ،

فهو كتاب عظيم الاهمية لتاريخ الفتح ، وان كانت عن فترة البحث قليلة وموجزة ، ونالت اقاليم المشرق اكثر اهتماماته بينما قل حديثه عن الاقاليم الشمالية ، والمغرب الاسلامى ، والغفل الحديث عن الفتح فى بلاد الغال ، كما قدم لنا معلومات ادارية ومالية قيمة ، اعتمدنا عليها فى الفصل الخامس .

وكذلك اخذنا عن كتابه انساب الاشراف ، ولكن ليس كثيرا اذ ان فترة البحث لايشتمل عليها ماطبع من اجزائه ، مما تيسر لنا الاطلاع عليه منه ، اما المخطوط ، فما وجد من اجزائه بالجامعة ، فان خطها ردىء ، فعاقنا من الافادة منها الا نورا يسيرا .

وتاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ، ولد بمدينة آمل من طبرستان ، وتعلم بها ، ثم رحل فى طلب العلم الى الرى وبغداد والبصرة وواسط والكوفة والشام ومصر ، فاخذ عن علمائها ، حتى انتهت اليه الرئاسة فى التفسير والفقه والتاريخ ، وكان عالما جامعا ، واخيرا استقر ببغداد ، وتفرغ للدرس والتأليف . فمضى عددا من الكتب ، ندين له منها بكتابين من اهم كتب الثقافة الاسلامية وهى التفسير والتاريخ .

ويهمنا كتابه عن تاريخ الامم والملوك (ويسمى تاريخ الرسل والملوك) ، الذى بلغ من خلاله الطبرى بالتدوين التاريخى ، نهاية عمر التكوين والنشأة ، وكان كتابه من اهم مصادر التاريخ الاسلامى ، بل والممول عليه فى تاريخ القرون الثلاثة الاولى . وتاريخ الطبرى عالمى عام وشامل ،

بداهه بمبدأ الخلق ، وانتهى بعصره ، وينقسم الى قسمين :  
الاول ، عن تاريخ ما قبل الاسلام واورده على اساس الموضوعات  
والثاني ، عما بعد الاسلام واورده على اساس السنين .

وقد تنوعت مصادره ، وسار في تدوينه على طريقة  
المحدثين ، بذكر الاسناد ، مع تعدد الروايات حول الحدث  
الواحد ، لكنه عمل على تقديم اقوى الروايات سنداً ، ثم  
الروايات المعززة لها ، ثم ايراد ما عداها من الروايات ،  
وان كان مخالفاً لها ، او غير معقولاً . وقد حاول انتقاء  
مادته وتمييزها ، وان لم يصرح بنقد او ترجيح ، ولعل  
اسلوبه هذا اعانه على ان يكون محايداً ، بعيداً عن الهوى .  
وقد بين منهجه في مقدمته ، واوضح عدم التزامه بالمحيط او  
الراجع ، وايراد الروايات المختلفة ، وان ما لمع هو  
مسئولية الراوي ، وليس هو .

وقد افدنا منه في بحثنا عظيم الفائدة ، فكان رفيقنا  
في كثير من فصوله ، وقدم لنا معلومات غزيرة ، كان بها على  
راس المصادر التي اعتمدنا عليها ، وتركزت الافادة منه من  
الجزئين السادس والسابع ، وتبين من خلالها فيما يخص فترة  
البحث ، اهتمامه باحداث المشرق الاسلامي ، بينما قلت  
معلوماته عن الحجاز واليمن والشام والاقاليم الشمالية  
كأرمينية وآسيا الصغرى ، وكذلك مصر وافريقية ، أما الاندلس  
وبلاد الغال فاهمل ذكر احداثها .

ومع شمول هذا الكتاب ، الا انه اغفل بعض الحركات  
الداخلية ، ذاكرة اهمها في المشرق الاسلامي ، كحركة ابن  
المهلب ، وشوذب الخارجي . وصرف همه للحديث عن الامور

السياسية والمشاكل الداخلية وان لم يخل كتابه من اللمحات الحبارية . وكان يذيل اخبار كل سنة بذكر الاحداث الموجزة ، فمنها الحديث عن الولاة والقضاة ، وقد افدنا منها في ذكر عماله ومعرفة بعض التنظيمات الادارية والمالية وهيكل الادارة .

ومن اهم مصادر هذا البحث ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ، على بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩) - ٥٧٢هـ) ، كان من اسرة معروفة بالعلم والدين ، فطلب العلم منذ صغره ، ورحل من اجله الى كثير من البلدان الاسلامية ، ثم عاد الى دمشق ، فجلس للحديث حوالي اربعين سنة . واثناء ذلك اشتغل بالتدوين ، فكتب عددا من الكتب ، كان منها انجازه الكبير ، وهو تاليف تاريخ دمشق في ثمانين مجلدا ، الذي صرف في جمع مادته وتدوينه مايزيد على ثلاثين سنة . وقد كان شاملا لتاريخ دمشق فضائلها وخطتها وعمارتها ورجالها ، بل ويتسع نطاق دمشق عنده الى الشام احيانا ، حين يتطرق الى الترجمة لرجال بعض مدنها كميدا وحلب وغيرها . وقد قسم مادة كتابه حسب الموضوعات ، ثم الترجمة لاعلام دمشق وفق الترتيب الابجدي ، ولم يطبع منه الا الجزء الاول وبعض الثاني والعاشر ، والباقي مخطوط . وقد تعددت مصادره ، واتبع طريقة المحدثين ، بذكر السند مهما طال او تعدد . وجمع بين الروايات المختلفة ، وهو كالطبري همه الجمع مع اهمال النقد وان كان قد عمد الى التدليل بالحديث والقول المأثور على مااورده . وقد ظهر على كتاباته التعصب لدمشق والرفع من شأنها وجمع فضائلها وان كانت غير صحيحة

ولا يقرها العقل . ومع ذلك فقد حفظ لنا مؤلفه هذا ، ما احتوت عليه كثير من المصادر التي فقدت ، وعلم مشائخ ذهبوا أو ذهب ما ألفوا .

وقد أفدنا منه فى النواحى المالية والعمرائية ، أما السياسية فقليلة ، لأن المطبوع لا يغطى فترة البحث ، كما أن اطلاعنا على صورة المخطوط التى نشرت ، أظهرت قلة تعرفه للأحداث السياسية من خلال تراجم الاعلام ، كترجمته ليزيد بن عبد الملك الذى نحن بمصد دراسة عهده . ومع ذلك لم نعدم الفائدة المتميزة ، من مصدر هذا شأنه ، ومؤرخ هو أحد قمم التاريخ الإسلامى .

وكتاب سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد لابن الجوزى جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ) ومأخذه من مشهورى المؤلفين والحفاظ والوعاظ ، يعد واحدا من بلمة نقر فى التاريخ الإسلامى . والف فى فروع العلم المختلفة ، منها (٩٢) كتابا فى التاريخ والجغرافيا والرجال . ومجموع آثاره (٤٠٢) كتابا ، بين مخطوط ومطبوع . ويهمننا الكتاب الذى نحن بمصدده ، وأفدنا منه فى بحثنا ، وهو واحد من كتبه فى مناقب بعض المشاهير ، ويعد من أوسع وأشمل الكتب التى حوت أخبار عمر . لكن الغالب عليه الاهتمام بسيرة عمر لأحداث دولته . وهو مع ذلك يقدم معلومات جيدة ومتميزة ، عن سياسته المالية والإدارية ، فأفدنا منه فى الحديث عن سياسة عمر بن عبد العزيز المالية والإدارية ، وإصلاحاته العامة ، ومناقشة سياسة يزيد بن عبد الملك فى ضوء ذلك وموقفه من تلك السياسات فى الفصل الخامس



وقد أورد مادة كتابه على أساس الموضوعات ، أما أسلوبه  
فتميز بذكر السند على طريقة المحدثين ، وإيراد عدد من  
الروايات المختلفة عن الخبر الواحد ، مع اغفال النقد أو  
الترجيح .

أما كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزرى ، عز  
الدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى ( ٥٥٥ - ٦٣٠هـ )  
فيعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامى ، وصاحبه من أبرز  
المؤرخين المسلمين بعد الطبرى ، ومؤلفاته التاريخية تبرر  
ذلك . وقد ولد ابن الأثير بجزيرة ابن عمر على نهر الفرات ،  
ونشأ بالمومل مع أبيه فى كنف الأمراء الزنكيين ، فتعلم على  
علمائها ، ورحل فى طلب العلم الى بعض بلدان المسلمين ،  
فبرع فى التأليف التاريخى ، ومن أشهر مدونات هذا الكتاب  
الذى نحن بمعد الحديث عنه ، والذى يتكون من ( ١٢ ) مجلدا ،  
وهو كتاب تاريخ عالمى عام وشامل ، بدأ بمبدأ الخلق وانتهى  
به الى عصره . وقد اتبع فيه النظام الحولى ، واعطاء  
الأحداث العامة خلال ذلك عناوين خاصة بها ، وأحيانا يستطرد  
فى تتبع الخبر وان خرج بذلك عن النطاق الزمنى لتلك السنة  
أما الأحداث الصغيرة فخصها بموجز فى نهاية أخبار كل سنة ،  
عارفا لذكر الظواهر الجوية والأرضية .

وهو فى عرض مادته محافظ على التوازن  
بينها موجز أياها ، ناقد لبعضها ، ومقدم ما ارتفعه من  
الروايات ، وان شك فيها أو رد الرواية الأخرى ، وحرك الحكم  
للقرارى ، وقليل ما يفعل ذلك وترك طريقة المحدثين ، فقدم  
رواياته بدون سند . ومع ذلك وقع فيما نقد فيه غيره ، من

ايراد هــ من الاساطير والخرافات والمبالغات ، وخاصة عن تاريخ ما قبل الاسلام والسيرة ، لكنه كان اكثر اتزاناً وجدية وشأناً في التاريخ الاسلامى بعد السيرة ، وهو ما نقل عنه المؤرخون ، واعطى كتابه تلك القيمة . ولاغربة في ذلك ، فقد اعتمد ابن الاثير على من سبقه وخاصة الطبرى ، الذى نقل عنه كثيراً ، بل انه في بعض الاحيان ينقل عنه حرفياً ، ولم يزد دوره من محض ومرجح لبعض ماورده ، او مضيفاً اليه ما عند غيره .

وابن الاثير لم يخل من الهوى كمؤرخ ، ومن ذلك تحامله على صلاح الدين الايوبى ، بحكم علاقته الطيبة بآل زنكى ، وان كان ذلك لا ينقص قيمة كتابه .

ولقد افدنا من هذا الكتاب كثيراً ، ورافقنا في عدد من فصول هذا البحث ، لشموله ، وغزارة مادته . وقد تميز لدينا بما قدم من جديد ، وما انفرد به من غيره ، وبخاصة في ذكر بعض حركات الخوارج التى لم نجدها عند غيره كابن خياط والطبرى ، كما قدم معلومات وحقائق جيدة عن الفتوح ، وقدم ايضاحات عن اخبارها في الشرق وفي ارمينية وارض الروم ، لانجدها عند غيره وتميز بها عن سبقه ، ومع حرصه على التوازن ، لم نجد له كبير اهتمام ، باحداث المغرب الاسلامى وجزيرة العرب والسند ، وان لم يعملها تماماً .

اما الاخبار الحفارية ، فلم يوليها اهتمامه ، وكذلك النظم المالية والادارية ، وان اكتسبنا بعض المعلومات الادارية ، من خلال ذكره لتولية العمال وبعض اخبارهم . ومن مصادر هذا البحث الهامة ، كتاب البداية والنهاية

لابن كثير ، أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي (ت ٧٧٤هـ) ، ولد بدمشق وتعلم بها ، ثم رحل في طلب العلم الى بغداد ومصر ، وتعلم على ابن تيمية والذهبي ، فحاز الكثير من العلوم والمعارف ، فاشتهر بالفقه والحديث والتفسير ، بالإضافة الى العلم بالتاريخ والسير . وله في تلك الميادين عدد من المصنفات ، يهمنها منها كتاب البداية والنهاية ، الذي يعد من أهم مصادر التاريخ الاسلامي ، وهو كتاب عام وشامل ، بداه مؤلفه بذكر بدء الخليقة ، حتى سنة وفاته ، كما تحدث عن الآخرة وعلامات القيامة ، ووعظ ديني بمخافة الله ورجاء رحمته . وقد عد بهذا الكتاب ومصنفاته الأخرى ، مع كبار المؤرخين ، كالطبري وابن الأثير .

وقد قدم مادته على طريقة الحوليات ، مستفيدا من تاخر عمره ، وتحقق العلوم فيه ، وتوفر التواريخ المدونة ، فجمع مادة غزيرة ، أورد أصح الروايات منها ، حيث عمل على التثبت من الأخبار ونقد الأسانيد . وإن كان قد عد الروايات أحيانا . ولم يكتف بنقد الأسانيد والتثبت من الروايات وذكر أصحها . بل كان يصدر أحكامه ، ويدحض بعض أقوال المؤرخين السابقين ويردها كخبرثة الخليفة يزيد ، والرد على من طعن في دينه . وحرس في كل ذلك على توزيع جهده واهتماماته ، زمنا وموضوعا ، وإن كان قد أغفل بعض الأقاليم كالاندلس وبلاد الغال والسند والحملات البحرية .

ومما زاد أهمية كتابه ذكر وفيات كل سنة ، مع الترجمة لأعلامها ، وقد نال علماء الدين جل اهتمامه ، فاسهب في

الحديث عنهم ، واستطرد في ذكر اخبارهم وشيء من علومهم ، ومع ان ذلك مغل بالفكرة والتسلسل المنطقي ، الا انه ساعد على احتواء تلك التراجم على معلومات تاريخية وعلمية وإدارية ، جيدة ، أفدنا منها في الفصل السادس المتعلق بجوانب الحياة العلمية ، وكذلك في الفصول التي اعتمدنا على هذا الكتاب فيها كثيرا .

ومن المصادر الهامة التي أثرت هذا البحث ، وبخاصة الفصل السادس المتعلق بالحياة العلمية ، معنفان من كتب الطبقات والتراجم ، استخرجت من ثنايا مباحثه من تراجم للأعلام كثيرا من المعلومات والحقائق ، وبخاصة من تراجم علماء الدين ، فأفدنا منها عند دراسة العلوم الدينية خاصة وغيرها . كما اعتمدنا عليهما في الترجمة لرجال تلك العلوم وبعض الأعلام الآخرين . وأولهما :

سير أعلام النبلاء للذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز ( ٦٧٣ - ٧٤٨هـ ) ، تركمانى الأصل ، من أسرة تميمية بالولاء ، ولد بدمشق ، ومات بها ، رحل في طلب العلم إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية ، وتركزت دراسته على العلوم الدينية والتاريخ واللغة والأدب ، وبعد ان حظى بنصيب وافر من العلوم ، اهتم بتدوين معنفاته الكثيرة والكبيرة التي تقارب المئة ، واشتغل إلى جانب ذلك بتدريس الحديث في أمهات دور الحديث بدمشق والتي كان يتولى مشيختها ، وقد برزت مكانته العلمية في الحديث والتاريخ والنقد . وكان مفهوم التاريخ عنده يتصل اتصالا وثيقا بالحديث النبوى الشريف وعلومه ، وظهر ذلك في عنايته بكتب

التراجم التى قامت عليها شهرته كمؤرخ .

أما كتابه هذا، فيتكون من (١٤) مجلدا، الأولين منهما عن السيرة النبوية ، والخلفاء الراشدين . وقد نظمته على الطبقات وخمسه بذكر الاعلام ، وأغفل المشاهير والمغمورين ، وشمل به الاعلام من كل الفئات ، وإن كان قد آثر المحدثين . وقد تميز أسلوبه فى فن الترجمة ، بحسن المياغة والعرض ، ناقدًا للمترجمين مبينًا أحوالهم ، حاكما عليهم ، مقوما لهم ناقدًا مصادره ومؤلفيها . وقد اعتمد الاسناد ونقده كما نقد المتنون ، بعيدا عن الهوى ، وضمن تلك التراجم كثيرا من علوم أصحابها وجهودهم وآثارهم ، فحوت بذلك علما عظيما .

كما أفدنا من بعض كتبه التاريخية الأخرى ، وهى تاريخ الاسلام . وهو مصنف ضخيم ، وقد لمسنا موافقة الذهبى فيما أورده فيه من مادة علمية ، بعض ما عند ابن خياط والطبرى وابن الأثير . وكذلك كتابيه دول الاسلام ، والعبر فى خبر من غبر . والأخيران ليسا كسابقيهما ، وإن لم نعدم الفائدة منهما .

أما الكتاب الثانى من كتب الطبقات ، فهو تهذيب التهذيب لابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى الأمل ، والمصرى المولد والنشأة (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) . تلقى العلم فى مصر ، وبلاد الحجاز والشام واليمن واهتم بالحديث خاصة ، وعلوم الدين عامة واللغة ، وانتهت اليه الرحلة والرياسة والحفظ فى الحديث ، وانكب على التأليف ، فبلغت كتبه نحو (٢٨٢) مصنفا ، وتولى القضاء ، واشتغل بالتدريس ، والفتوى ، وبلغ مجده العلمى آخر حياته

وشهد جنازته السلطان والخليفة والاكابر وعامة الناس .  
وان كان ابن حجر من اقطاب الحديث والعلوم الدينية ،  
فهو مؤرخ فذ له تراث تاريخي قيم ، ومن كتبه التاريخية ،  
انباء الفمر بانباء الفمر ، والدرر الكامنة في اعيان  
المنة الكامنة ، ورفع الاصر عن قضاة مصر ، والاصابة في  
تمهيز الصحابة ، وقد افدنا من الاخير ، وغيرها .

والكتاب الذي نحن بمده وان كان مؤلف ديني في الرجال  
وهو اختصار لكتاب تهذيب الكمال في اسماء الرجال للعزى ،  
مع زيادات تبلغ ثلث الملخص . وبديهي ان يتبع طريقة  
المحدثين في الاسناد ، كما ذهب الى تعدد الروايات ، ونقدها  
وامدار الاحكام ، وابداء الراى . لكن الذهبي فاقه في حسن  
صياغة الترجمة وسلاسة عرضها .

وقد استقينا منه مادة علمية جيدة حول جهود العلماء  
في خدمة العلوم الدينية وبعض اخبارهم وآثارهم ، والترجمة  
لأعلامهم ، سواء كان ذلك في الفصل السادس او غيره واكتساب  
بعض المعلومات الادارية او المالية او العسكرية وغيرها ،  
فقد يورد في ترجمة الرجل شيئا عن وظائفه او جهاده . مما  
افادنا في اكثر من فصل ومنحى .

واعتمد البحث الى جانب المصادر على عدد كبير من  
المراجع الحديثة العربية والمعرية ، منها الكتاب العلمى ،  
ومنها الرسالة الجامعية ، مطبوعة او غير مطبوعة ، ومن  
أهمها :

تاريخ بنى أمية لنبيه عاقل ، وقد عرض لتاريخ الدولة  
منذ الاحداث التى ادت الى انتقال الحكم لبنى أمية ، حتى

سقوط دولتهم ، وقد عرض لاحداث الدولة وفق عهود خلفائها ، عارضا لسياساتهم ومنجزاتهم والتنظيم المالى والادارى والفتوح والحركات . وقد اهتم بالخطوط العريضة والاحداث العامة ، فى دراسة علمية شاملة ، قامت على التحليل والاستنباط والاستنتاج وابداء الراى وتفنيد التهم والوصول الى حقائق ومفاهيم جديدة . ومن مناقشاته دحض بعض ما اتهم به الخليفة يزيد ، ومناقشة بعض اقوال المؤرخين القديمة حول سقوط الدولة الاموية . ويعاب عليه عدم توثيق كثير من معلوماته ، واهمال تتبع الاحداث وان كان قد بين ذلك فى منهجه .

وكتاب فجر الاندلس لحسين مؤنس . من افضل ما كتب عن تاريخ الاندلس فى عصر الولاة ، وهى دراسة مستفيضة لتلك الحقبة ، اتسمت بالشمول والعمق ، وتطبيق المنهج العلمى فى دراسة النصوص ، فى محاولة من المؤلف للوصول الى حقائق الامور . وقد ادى به ذلك الى استقراء النصوص المختلفة ومقابلتها ومناقشتها والوصول الى ارجح الاقوال ، معتمدا على الكتب العربية والاجنبية ومقابلة ماورد فيها من النصوص وقد خدمنا فى التعرف على السياسة المالية والادارية فى فترة البحث وجهود العمال ، والفتوح فى بلاد الغال ، وقد قدم دراسة مستفيضة عن حركة بلأى وحركة اخيلا ، وبقدر اعتمادنا عليه واتفاقنا معه فى كثير من الامور فقد كان لنا عليه بعض الملاحظات ، ابديناها فى نطاق الحديث عن تلك النقاط .

ومن المراجع التى خدمت البحث فى دراسة احوال افريقية

والمغرب ، رسالة الماجستير التى أعدتها فاطمة رضوان تحت عنوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، وهى لم تطبع .

وكتاب ممر فى فجر الاسلام لسيدة كاشف . وهو رسالة جامعية فى الاصل ، اتسم بالشمول والعمق وتناول الامور السياسية والعسكرية والادارية والحضارية والعلمية فى عصر الولاة . وقد ظهر عليه اثر الاعتماد على عدد من المصادر المتنوعة وحسن العرض والمناقشة الجادة الموصلة الى حقائق وآراء جديدة ، افدنا منها فيما يخص اخبار ذلك الاقليم .

ومن المراجع العامة كتاب "الامويون والبيزنطيون" لابراهيم العدوى ، وقد شملت الدراسة الحديث عن البيت الاموى قبل الاسلام وبعده ، ودولة بنى امية ، ومنجزات خلفائها ، والفتوح بآرض الروم ، بل وفى المشرق والمغرب ، والعلاقات مع الدولة البيزنطية . واهم دراساته العمل الخامس المتعلق بالتجاوب الحضارى بين الدولتين وفيه عرض لادارة والعمارة والاتصال الثقافى والسياسى ، والافادة منه جيدة ، وان كانت قليلة .

ومن المراجع العامة فى دراسة التاريخ الاموى فى الاقاليم الشمالية والعلاقات مع الروم ، كتاب الحدود الاسلامية البيزنطية لفتحى عثمان ، ودراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربى للشام حتى نهاية العصر العباسى الاول لهاشم اسماعيل الجاسم (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، ودراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية لحسنين محمد ربيع ، ودراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية لوسام عبد العزيز فرج وغيرها .



أما فى الناحية الادارية والمالية ، فيأتى كتاب النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية لفرج محمد الهولى وهى (رسالة ماجستير مطبوعة) ، ومرجعا مميذا فى هذا المجال .

أما عن الناحية العلمية والتدوين ، فكتاب الحياة العلمية فى الشام لخليل داود الزرو (رسالة ماجستير مطبوعة) ، والحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى لسعد موسى (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، وتوثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى لرفعت فوزى عبد المطلب (رسالة جامعية مطبوعة) ، والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب (ماجستير مطبوعة) ، وغيرها من الكتب كفجر الاسلام لاحمد أمين ومالا يقل أهمية عما ذكرنا .

أما البحوث فنكتفى بذكر اثنين منهما ، الاول :

حول انهيار الدولة الاموية دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) ، لعماد الدين خليل ، وهو بحث جيد ، الا أن مؤلفه الذى دون كتاب ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، كان مبهورا بشخصية الخليفة الزاهد ، متأثرا بفقدان كثير من املاحاته بعد مماته ، مما جعل دراسته ليزيد مقارنة بعمر ، متأثرة بميله الى عمر ، مما دفعه الى التحامل على يزيد واهمال منجزات عمره .

والثانى للمشرق فازيليف ، وعنوانه :

(THE ICONOCLASTIC EDICT OF THE CALIPH YAZID 11, A.D.721)

وهو عن مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك الخاص

بمحرم المور ، والحق انه دراسة مميزة افدنا منها ، حيث  
جمع فيه ماورد حول هذا المرسوم فى المصادر المعربة  
الاسلامية والقبطية ، فضلا عن المصادر اليونانية والسريانية  
والارمنية واللاتينية والمراجع المسيحية الحديثة ، وقد  
ناقشنا بعض ماورد فيه خلال دراستنا لذلك المرسوم فى الفصل  
الثالث .

وسيجد القارئ فى نهاية هذا البحث ، كتابا كاملا  
بالمصادر ، والمراجع العربية والمعرية ، والبحوث التى  
رجعنا اليها فى كتابة هذه الرسالة .

واخيرا ، نسال الله تعالى ان يمدنا بعونه ، ويرزقنا  
توفيقه ، وان يلهمنا الرشاد والصواب ، ويجنبنا الزلل  
والغوى ، انه ولى ذلك والقادر عليه .

الطالب

عبدالله بن حسين الشنبرى الشريف

مكة المكرمة

جمادى الاولى ١٤١٠هـ

# العميد

عرض موجز لأحوال الدولة الأموية  
مطلع القرن الثاني الهجري

## التمهيد

عرض موجز لأحوال الدولة الأموية

مطلع القرن الثانى الهجرى

كانت الدولة الإسلامية مطلع القرن الثانى الهجرى ، قد اكتملت مقوماتها ، وتميزت شخصيتها عما عداها ، وبلغت شأوا بعيدا من السعة والقوة والتطور والنماء . إذ تراءت أطرافها وضمت حدودها مساحة كبيرة من المعمورة آنذاك . وأصبحت من القوة ما جعلها ممالة الحدود ، مهابة الجانب ، مقاتلة فى سبيل الله لامقابلة . ولا ارانى اعدو الحقيقة اذا ما قلت انها اصبحت اكبر دولة ، واعظم قوة ، واكرم امة .

كما تطورت التنظيمات الادارية والمالية والعسكرية تمشيا مع التطور العام للدولة ، وخطا المسلمون خطوات حثيثة نحو التقدم العلمى ، وبخاصة فى العلوم النظرية ، والعمران ، والزراعة ، والصناعة . وصبغوا مظاهر حضارتهم بمبغة الاسلام ، وجعلوا اللغة الرسمية لغة القرآن ، معتمدين على موروثات الامة ، آخذين بما عند الآخرين ، مما يناسب الدين الاسلامى ودولته .

ولاشك ان الفضل فى كثير من المنجزات التى حققتها دولة الاسلام حتى ذلك الوقت ، يعود للخلفاء الامويين ، وينسب الى دولتهم . وسنعرض فيما يلى هذا القول لمعالم الدولة الاموية واهم منجزاتها حتى مطلع القرن الثانى الهجرى ، لتصبح مورثها جلية امام اعيننا ، ونحن نتناول بالدراسة عهد يزيد ابن عبد الملك ، الذى جاء ث خلافته مطلع ذلك القرن .

ان من المتفق عليه ان اعظم انجازات الدولة الاموية ،  
 هي تلك الفتوحات الكبرى التى شهدتها ذلك العصر ، حيث بلغت  
 الدولة الاسلامية على اثرها ، اقصى اتساع لها - تقريبا - ،  
 اذ لم يكد ينقضى القرن الاول (قرن الفتوح العظمى) ، حتى وصل  
 المجاهدون المسلمون فى دولة بنى امية ، براية الاسلام حتى  
 حدود الصين شرقا ، والمحيط الاطلسى غربا ، وبحر خوارزم  
 وبحر الخزر شمالا ، والمحيط الهندى وصحراء افريقية الكبرى  
 جنوبا .

لقد كان القيام بالدعوة الى الله ونشر دينه القويم ،  
 وحرية العقيدة وحماية اهلها . الهدف الاسمى لدولة الاسلام  
 منذ نشأتها . فبعد ان اقام الرسول صلى الله عليه وسلم  
 الدولة الاسلامية ، وتم له فتح جزيرة العرب ، وكان قد دعا  
 رؤساء القوى المجاورة للاسلام ، فلم يستجيبوا ، كانت غزوة  
 مؤتة (سنة ٨هـ) فى زمنه ، الخطوة الاولى فى تحقيق ذلك  
 الهدف ، والقيام بالفتح خارج نطاق جزيرة العرب . ثم توالى  
 الفتوح بعد وفاته عليه السلام ، امتدادا لما بدأه ،  
 وتحقيقا لغايات الفتح واهدافه ، وقياما بمسئوليات الدولة  
 وواجب الحكام المسلمين ، فتم للمسلمين فى عصر الخلفاء  
 الراشدين القضاء على دولة الفرس ، وفتح ممالكها من  
 العراق وحتى خراسان وسجستان شرقا ، وفتح الشام حتى جبال  
 طوروس والجزيرة وارمينية شمالا ، وفتح مصر حتى بلاد النوبة  
 جنوبا ، هذا بالإضافة الى محاولات فتح افريقية التى لم

(١)

تتمخض من فتح تام ودائم لها .

وفى العصر الأموى ، استأنف المسلمون فتوحاتهم ، وحمل الخلفاء الأمويون وعمالهم وقوادهم راية الجهاد الاسلامى ، فى حركة فتح كبرى ، بدت باعادة السيادة الاسلامية على بعض المناطق التى تمردت على سلطان المسلمين كخراسان وارمينية مستغلة الفتن الداخلية التى عاشتها الدولة الاسلامية ، واواخر عصر الراشدين واول العصر الأموى . وبلغت أوجها فى عهد الوليد بن عبد الملك ، ففتح من الناحية الشرقية بلاد السند والبنجاب على يد محمد بن القاسم الثقفى ، الذى وجه الى تلك البلاد من قبل الحجاج الثقفى ، عامل الخليفة الوليد بن عبد الملك على العراق والمشرق ، حيث سقطت على يده مدنها واقاليماها كالبديبل ، والعاصمة راور والبيرون والملتان والكيرج حتى ومل كشمير ، وقد قتل ملك السند داهر ونظم السند لدولة الاسلام ، ونشر الاسلام بين اهلها . وبتوجيه (٢)

(١) عن حركة الفتوح الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين انظر / البلاذرى : فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه رفوان محمد رفوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - الواقدي : فتوح الشام ، بيروت ، دار الجيل - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب وأخبارها ، تحقيق محمد مبيع ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر - ابن اعثم : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ - شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الاول ، دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٢م - محمد فرج : الفتح العربى للعراق وفارس ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - أحمد عادل كمال : الطريق الى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - أحمد عادل كمال : الطريق الى دمشق (فتح الشام) ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٢) عن فتوح المسلمين فى بلاد السند ، انظر / فوزى محمد عبده ساعاتى : انتشار الاسلام فى بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الأموى ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم =

من هذا العامل وفى خلافة الوليد أيضا ، قام قتيبة بن مسلم الباهلى بفتح بلاد ماوراء النهر ولهما للدولة الإسلامية .  
 (١)  
 إذ تمكن من فتح مدنها واقاليهما ، كبخارى وسمرقند والصغد وفرغانة والشاش وغيرها . وسار الى الصين فاتحا ، فصالحه ملكها ، فكان ذلك أقصى مدى وصلتته الفتوح الإسلامية شرقا .  
 كما عمل قتيبة على اجتثاث الوثنية من تلك البلاد ، فحطم الأصنام ، ودعى الى الاسلام ، الا ان دخول اهالى تلك البلاد فى الاسلام كان بطيئا ، وولاءهم سطحيًا ، لذلك كثيرا ما سئرى فى بقية العصر الأموى تمردهم ، وخروجهم على سلطان المسلمين كلما حانت لهم الفرص .

كما فتح على يد يزيد بن المهلب ، كل من جرجان وطبرستان وقوهستان ، فى خلافة سليمان بن عبد الملك .  
 (٢)

أما الفتح شمالا ، فقد عمل الأمويون على تثبيت سلطان المسلمين فى أرمينية ، التى لم تخضع للمسلمين خضوعا تاما

- = الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م  
 موسى السميوى : محمد بن القاسم وفتح بلاد السند ، رسالة جامعية ، جامعة الامام محمد بن سعود .  
 (١) لم يكن قتيبة أول من عبر نهر جيحون الى بلاد ماوراء النهر فاتحا ، لكن الفتح لم يأخذ شكلا منتظما ، ويتم فى تلك البلاد الا على يد هذا القائد . انظر عن فتوحاته / ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ١٠٥ / ٤ - ١٤٢ - راضى عبد الله عبد الحليم : دراسات فى تاريخ خراسان فى العصر الأموى ، الاندلس للاعلام والنشر ، مطبعة جامعة القاهرة ، والكتاب الجامعى ، ١٩٨٧م ، ص ٣٥-٤٣ - نبیه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٠٢-٢٠٥-٢٤٠ .  
 (٢) عن فتوح يزيد بن المهلب لهذه الاقاليم ، انظر : نبیه عاقل : نفس المرجع ، ص ١٥١-١٥٣ - راضى عبد الله عبد الحليم : نفس المرجع ، ص ٤٥-٤٩ .

ودائما ، مثلما حدث في بعض الاقاليم الاخرى ، كالشام ومصر وغيرهما ، والتي اصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة الاسلامية ، حيث ظلت ارمينية منطقة صراع سياسى وعسكرى ، بين المسلمين والامراء المحليين من الارمن من ناحية ، وبين المسلمين والقوى المجاورة من الروم والخزر والقبائل القوقازية من ناحية اخرى . وقد ساعد على ديمومة هذا الصراع ، وعدم استقرار الفتح ما عاشته الدولة من فتن واضطرابات كاحداث الفتنة الكبرى ، وكذلك الاحداث التى تعرضت لها الدولة الاموية بعد وفاة يزيد بن معاوية ، وكادت تقضى عليها حتى نجح عبد الملك بن مروان ، فى القضاء على ابن الزبير والسيطرة على الاوضاع ، وبسط نفوذ الدولة الاموية على كامل الامصار الاسلامية من جديد ، الى جانب حدة مراس الشعب الارمنى ، وبأس اهله ، وقسوة طبيعة ارضه ، وانقسام امرائه على انفسهم ، فاذا والى فريق دولة الاسلام ، مال الفريق الآخر للروم ، او حالف الخزر . وهذا ما ساعد الارمن على الانتفاض كلما حانت لهم الفرصة ، واستغل الاعداء تلك الظروف لاشغال المسلمين بالجبهة الارمينية . وقد تمكن الامويون فى فترات الاستقرار السياسى داخل الدولة الاسلامية ، من بسط نفوذهم على تلك المنطقة ، وضمها لدولتهم ، وقد اعطوا للامراء المحليين ، نوعا من الحكم الذاتى على اقاليمهم ، وهؤلاء يخضعون للوالى المسلم على ارمينية .<sup>(١)</sup>

(١) عن ارمينية انظر / مابر محمد دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس الهجرى ، الناشر دار النهضة العربية ، مصر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٢٠-٤٩ .



أما الفتح في أرض الروم فقد استلزم أمرين ، الأول : تأمين الفتوح الأولى في البلاد التي كانت تابعة للدولة البيزنطية ، باتخاذ عدد من وسائل الحماية والدفاع ، تمثلت في بناء وتحصين الثغور البحرية والبرية ، وبناء الأربطة والمناظر ، وتزويدها بالرجال ، وشحنها بالميرة والسلاح .

الأمر الثاني : استمرارية الجهاد ومواصلة الفتح في أرض الروم برا وبحرا . وذلك عن طريق غزوات برية موسمية ، على أملاك الروم في آسيا الصغرى ، وحملات بحرية مستمرة على الجزر البيزنطية في البحر المتوسط ، والتعاون مع الحملات البرية في غزواتها على معاقل الروم في آسيا الصغرى ، أو الحملات الكبرى على القسطنطينية . وقد تحقق على أثرها ، الاستيلاء على بعض المدن والثغور البيزنطية في آسيا الصغرى وعدد من جزر البحر المتوسط . وكان أعظم الحروب التي خاضها الأمويون ضد البيزنطيين ، هي تلك الحملات الثلاث التي وجهوها لفتح مدينة القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية . وان (١) لم تنجح هذه الحملات ، فانها شكلت تهديدا اسلاميا للدولة البيزنطية ، وجعلت زمام المبادرة وكفة التفوق العسكري في ذلك العصر للمسلمين . (٢)

وباتجاه الغرب ، أتم الأمويون فتح افريقية ، وذلك بعد جهود عسكرية كبيرة قادها عدد من القادة على مراحل متتالية

(١) قامت في عهد معاوية بن أبي سفيان الحملة الأولى سنة ٤٩هـ ، والثانية سنة ٥٤هـ ، أما الحملة الثالثة فقد حدثت في عهد سليمان بن عبد الملك ٩٨هـ . عن هذه الحملات انظر/عمر سليمان العقيلي : خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ص ١٠٨ وما بعدها - ابراهيم أحمد العدوي : الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٦٢-١٧٨ ، ٢١٢-٢٢٣ .

(٢) عن الفتوح في أرض الروم ، وأساليب المسلمين الدفاعية والهجومية ، ولمعلومات أشمل وأوسع ، انظر / هاشم اسماعيل الجاسم : دراسات تاريخية وعسكرية عن الثغور البيزنطية والعربية منذ الفتح العربي للشام حتى نهاية العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ص ٨٠-٩٦ ، ١٠٢-١٤٥ - ابراهيم العدوي : الأمويون والبيزنطيون .

وهم معاوية بن حديج ، وعقبة بن نافع الفهري ، وابو المهاجر دينار ، وعقبة للمرة الثانية ، وزهير بن قيس البلوي ، وحسان بن النعمان ، وآخرهم موسى بن نصير ، الذي فتح الله على يديه أيضا ، هو وقائده طارق بن زياد اقليم الاندلس .<sup>(٢)</sup> وتشير مجموعة من المراجع ، الى أن موسى اجتاز جبال البركات (البرنيه) ، فاتحا بلاد الغال ، وأن ذلك كان تنفيذا لمشروعه الرامى الى فتح أوروبا من ناحية الغرب ، واسقاط كرسى المسيحية فى روما ، وفتح القسطنطينية عن طريق البحر من غربها ، بعد أن أعجز المسلمون فتحها بحرا من الناحية الشرقية ، ومن ثم الالتفاف شرقا عن طريق آسيا المفرى حتى الوصول الى دمشق ، لتصبح أوروبا وقد أشرق عليها نور الاسلام ، ويفضى البحر المتوسط بحيرة اسلامية ، ويتخذ من تلك الأرض مسلكا بريّا لاهل الاندلس الى المشرق وبالعكس ، لا يركبون بحرا . لكن استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك لموسى وطارق ، والحاحه عليهما ، أدى الى عدم تنفيذ هذا المشروع .<sup>(٣)</sup>

- (١) عن فتح المغرب ، انظر / حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٧ م .  
 (٢) عن فتح الاندلس ، انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الاموية (٧١١-٧٥٦ م) ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ٥٢-١٠٣ .  
 السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٥١-١١٢ .  
 (٣) عن الفتوحات فى بلاد الغال ، انظر / شبيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٠-١٤٧ .

كما أدى ذلك الى ايقاف الجهاد في الاندلس قبل أن يتم فتح جميع نواحيه ، وخاصة الجنوب الشرقى الذى اتم فتحه عبد العزيز بن موسى ، والجزء الشمالى الغربى ، وهو منطقة اشترىس ، وجليقية . وقد كانت فلول القوط ، قد تقهقرت امام جيوش الفتح في الاندلس ، واعتمدت بمخرة بلای من نواحي كنتبرية بجليقية ، فى حين وصل موسى بن نصير الى مدينة خيخون من تلك المنطقة ، وبعث سرية وصلت البحر ، وحاربت الفل فى تلك المخرة ، حتى ماروا ثلاثين رجلا ، ليس لهم من قوت سوى عمل النحل ، فاعى المسلمون امرهم لوعورة المنطقة ، فانصرفوا عنهم ، ولعل استمفار شانهم ، والحاج الخليفة على موسى بالقدوم ، هو السبب فى تركهم . المهم أن بقاء تلك المنطقة دون فتح ، مكن تلك القلة القليلة من تشكيل قوة مقاومة للوجود الاسلامى ، حيث نبتت هناك وفى تلك المخرة جذوة المقاومة النصرانية ضد المسلمين - كما سترى ذلك عند حديثنا عن حركة بلای فى الفصل الثانى ، الذى تزعم تلك القوة وقاد تلك المقاومة - والتى ستكون نواة لقيام دولة اشتورية المسيحية ، او ما عرف بعد ذلك بمملكة ليون <sup>(١)</sup> .

و ما من شك أن ما تحقق من عظيم الفتوحات فى العهد الاموى ، كان وراءه عوامل مساعدة معنوية وحسية ، ولعل من اهم تلك العوامل ، ما وصل اليه الجيش الاموى من كثرة وكفاءة

(١) عن الجزء الشمالى الغربى من شبه جزيرة ايبيريا وحرك موسى بن نصير هذه البلاد دون فتح ، وعن فتح الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة على يد ابنه عبد العزيز ، انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٠٥-١٠٦، ١١١-١١٧ ، ٣١٣-٣١٥ - خليل ابراهيم السامرائى : الشفر الاعلى الاندلس ، ودراسة فى احواله السياسية (٩٥-٣١٦هـ/٧١٤-١٩٢٨م) ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٢ .

وقوة جوهرها الايمان ، وظاهرها ، حسن الاعداد والتنظيم والتدريب والتجهيز ، وتطور الاساليب ، وتنمية القدرات .

ويشير ابن عساكر الى ان الجيش الاموي بلغ تعداده ،<sup>(١)</sup> خمسمائة الف جندي . وتلك قوة هاربة اذا ما جمعت قوة الايمان وسلامة الاعداد ، وهذا ما حرص بنو امية عليه .<sup>(٢)</sup>

والحق ان ما فتح على يد الامويين من بلاد ، وما انضوى في ظل دولتهم من العباد ، في تلك الحقبة القصيرة ، يعد من خصائص هذه الامة ، ومفخرة لبنى امية ، ودليلا على قوة دولتهم ، واثر دعوة الاسلام ، ومدى استجابة الناس لها .

ومما يحسب للدولة الاموية ، تطور الجهاز الحكومي الذي تمثل في انشاء بعض الدواوين التي دعت الحاجة الى استحداثها وفيما قام به الامويون من تنظيمات ادارية ومالية وعسكرية ، كما وان من ابرز سمات الحكم الاموي ، تحويل نظام الخلافة من نظام يقوم على الشورى الى نظام وراشي ، واخذ الخلفاء الامويين بمظاهر الملك ، بعد بساطة الخلافة الراشدة اما فيما يخص اشكال الحكم واساليبه ، فقد سار بنو امية على كثير مما كان منها في عمر الرسول على الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . فقام الكثير منهم

(١) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م . ٢٦٢/١ .

(٢) عن الجيش الاموي وتنظيماته ، انظر : خالد جاسم الجنابي : تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، رسالة مطبوعة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الدار الوطنية للتوزيع والاعلان ، وزارة الثقافة والاعلان ، العراق ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م - وفيق القدوقى : الجندي في عهد الدولة الاموية ، رسالة جامعية ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

بإمامة الناس في الصلاة ، ومباشرة أحوال الناس ، والجلوس لمجالسهم ، والاختصاص بمبدأ الشورى في تصريف معظم من الأمور ، والاستعانة بأهل العلم ، وذوى الراى والخبرة ، وحراسة الدين وسياسة الدنيا به .

كما أبقوا على التنظيمات التى ولعها النخبى عليه الصلاة والسلام ، وخلصوا الراشدين ، لكنهم طوروها بما يلائم نمو الدولة ، واستحدثوا ما دعت اليه الحاجة ، وذلك بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية ، ودخول عناصر جديدة فى المجتمع الإسلامى ، وكذلك ثقافات وأديان ومذاهب متعددة ، والاطلاع على مظاهر حضارية جديدة ، وأساليب حياة ، ونظم حكم ، ورثوها ممن كان قبلهم من الأمم فى البلاد المفتوحة .

وقد برز التطور الإدارى فى العصر الأموى ، فيما وصل اليه نظام الدواوين من تطور ، تمثل فى توسع اختصاصات الدواوين السابقة وتنميتها ، واستحداث أخرى دعت اليها الحاجة ، ولشمول الخدمات والقبض والدقة . ولعل من أهم ما يذكر لبنى أمية وينسب لدولتهم ، استكمال إنشاء الدواوين التى دعا تطور الدولة الى انشائها . وأهم دواوينهم : ديوان الخاتم ، وديوان البريد ، وإنشائها معاوية رضى الله عنه ، وديوان الخراج ، وديوان الرسائل ، وديوان الجند ، وديوان بيت المال . والثلاثة الأخيرة منها أنشئت قبل العصر الأموى . كما أنشئت دواوين فرعية فى الأمارات للدواوين المركزية الموجودة فى عاصمة الدولة دمشق<sup>(١)</sup> .

(١) عن الدواوين فى العصر الأموى ، انظر / أحمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية ، دعوة الحق ، سلسلة شهرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، السنة الأولى ، ١٤٠١هـ ، ذو القعدة ، العدد (٨) ، ص ٢٦-٣٤ . وقد أشار الى أن =

لكن هذا التطور الذى شهدته الجهاز الادارى والمالى ، كان ينقسه اكتمال الشخصية ، فلقد ظلت بعض الدواوين تكتب بلغة اهل البلاد المفتوحة وتقوم على خبرات كتابها ، حتى عهد عبد الملك بن مروان ، الذى عرب الدواوين ، وكانت تكتب فى الشام بالرومية ، فنقلها له الى العربية سليمان بن سعد الخشنى سنة ٨١هـ ، وكانت تكتب فى العراق بالفارسية ، فعربها صالح بن عبد الرحمن أيام الحجاج بن يوسف ، وفى مصر كانت تكتب بالقبطية ، فنقلها الى العربية ابن يربوع الفزارى ، باشراف الوالى عبد الله بن عبد الملك فى خلافة اخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وفى مصر عربت القراطيس (اوراق البردى) ، حيث كانت تصدر بالشعار المسيحى فامر عبد الملك بن مروان بازالة ذلك واستبداله بذكر الله تعالى ، والنبى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك فعل بمناعة الطرز (الاقمعة) فامر بتعريب الكتابات والنقوش التى عليها كما سك عبد الملك النقود الاسلامية ، وأوقف التعامل بالدنانير الذهبية البيزنطية ، والدراهم الفضية الفارسية (١)

= ابو زيد شلبى : (تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٠-١١١) يجعل الدواوين الرئيسية فى العصر الاموى خمسة مسقطا ديوان بيت المال . كما أشار الى أن فرج الهونى، النظم الادارية والمالية ، ص ١٩٦-٢٠٤ يجعلها سبعة دواوين باضافة ديوان الزمام . ولمعلومات أشمل انظر هذين المرجعين الذى أشار اليهما د. أحمد الدراج .  
(١) عن تعريب الدواوين والقراطيس والطرز وسك العملة الاسلامية ، انظر / فرج الهونى : النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية (منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الاموية) ، ماجستير فى الآداب ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م . ص ٢٠٥-٢١٩ .  
(هذا وقد أغفل فرج الهونى وغيره من المؤرخين المحدثين الذين تحدثوا عن تعريب الدواوين ، الإشارة الى تعريب=

وما عظم اثر تلك الاعمال على الدولة الاسلامية ، فقد صبغت الدولة بمبغة الاسلام ولغته ، وادت الى تميز الدولة وتكامل شخصيتها ، وتحريرها من اى نفوذ اجنبى .

ومن معالم الدولة الاسلامية البارزة مطلع القرن الثانى ما وصلت اليه من تقدم علمى ملحوظ ، وبخامة فى العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه ، وفى الادب ، والكتابة التاريخية . فقد عاشت الدولة الاسلامية حركة علمية نشطة ، تتزامن مع بداية الرسالة ، حيث جاء القرنان امرا بالعلم حاشا عليه مغفلا لاهله ، وكذلك الحديث والاثر ، ومن هنا عاشت الامة حركة علمية واسعة ، حظيت باهتمام اولى الامر (١) واهل العلم واقبال الناس .

ديوان خراسان ، وكان بالفارسية ، فنقله الى العربية اسحق بن طليق الكاتب سنة ١٢٤هـ فى ولاية نصر بن سيار بامر من عامل العراق يوسف بن عمر الثقفى ، فى خلافة هشام بن عبد الملك . عن ذلك (انظر / الجهمشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى وابولاده ، بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٦٧) . وهذا يعنى ان تعريب الدواوين وان بدا فى عهد عبد الملك بن مروان الا انه لم يستكمل فى بعض الاقاليم الا فى اواخر الدولة الاموية . (١)

عن الضموس الدالة على فضل العلم ووجوب العمل به وتعليمه ، وما اتخذ من تدابير فى سبيل دفع الحركة العلمية والكتب التى اختتمت بذلك ، انظر : سعد بن موسى موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى ، رسالة ماجستير فى التاريخ الاسلامى ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة ام القرى ، غير مطبوعة ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣-٧ - خليل داود الزرو : الحياة العلمية فى الشام فى القرن الاول والثانى للهجرة ، رسالة ماجستير فى الادب ، الجامعة الامريكية ببيروت ، مطبوعة ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١م ، ص ١٨-١٩ - محمد امين بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام خلال عمور الاسلام القوية ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٩-١٩ .

ولاشك ان العلم بمبادئ الدين الجديد ، قد حظى باهتمام الناس وتكالبهم عليه ، فكانت حركة العلوم الدينية اكبر الحركات العلمية واوسعها نطاقا . حيث اقبل الناس على القرآن يخلونه ، ويفهمون معانيه ، ويفسرون آياته ويستنبطون منه الاحكام ، وكذلك فعلوا في الحديث ، وقد بدأت هذه الحركة منذ زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم اخذت في الاتساع بعده ، فقد تتلمذ صحابته رضوان الله عليهم على يديه ، فصاروا ائمة يقتدى بهم ، وعلماء يعلمون الناس ويفقهونهم في الدين ، اينما كانوا وحيثما حلوا ، سواء كان ذلك بتوجيه من اولى الامر او من تلقاء انفسهم ، فكونوا لهم مدارس بالامصار ، أصبح التابعون فيها تلاميذهم ، ثم اضحى هؤلاء علماء الناس ، تلقى عنهم اتباعهم ، في حركة علمية متنامية جيلا بعد جيل .<sup>(١)</sup>

واذا اراد الباحث ان يتحدث عن العلوم في القرن الاول الهجرى فانه لا يستطيع فعل علم من العلوم عن علم آخر ، كما يمسب العثور على عالم لا يجيد الا تخمعا واحدا . لهذا اثرننا الحديث عن العلوم في قول مجمل ، يركز على اهم معالم هذه النهضة ، نشاتها وتطورها ، وايضا بداية التدوين ومراحلها ، والسمات الاساسية للحركة العلمية ، واهم مظاهر نشاطها . لقد ظل الاسلوب الغالب في حفظ العلوم وتدارسها ، اسلوب الحفظ في الذاكرة ، حيث سيطر هذا المنهج على العلوم

(١) احمد امين : فجر الاسلام ، مكتبة النهضة العلمية ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ، ١٩٦٥م ، ص ١٤٥-١٥٢ .  
(٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨ .



(١)  
الى ما يقارب الربع الاخير من القرن الاول الهجرى . لكنه لم يكن الاسلوب الوحيد ، فقد اعتمد المسلمون ايضا على تقييد العلم ، وبدأوا يدونونه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعلمه وامره او اقراره ، من ذلك كتابة القرآن ، وما كتبه الرسول الى الملوك والامراء وبعض عماله ، وكذلك ما كتبه بعض المحابة من صحف خاصة بهم ، ثم فنونا شتى ، كعلى بن ابي طالب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابو شاة ، وابو امامة الباهلى ، وابو الدرداء ، وابو موسى الاشعري ، وابن عباس وغيرهم كثير ، ويذكر فى هذا العدد اكثر من خمسين صحابيا كتبوا الحديث او كتب لهم .<sup>(٢)</sup>

ولما جاء عصر التابعين ومن تلاهم ، قويت الحركة العلمية ، بسبب الفتوح ، ومادت اليه من دخول امم متعددة ذات تراث حضارى فى الاسلام ، وما ورثته من مستجدات ومتغيرات جعلت الحاجة ماسة فى نشر العلم وتفقيه الناس وتلبية حاجاتهم ، فلما العلم وكثر التدوين زمن التابعين .<sup>(٣)</sup>

(١) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ص ٨٥ .

(٢) رفعت فوزى عبد المطلب : صحيفة همام بن منبه عن ابي هريرة رضى الله عنه ، تحقيق وشرح ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤-٥ - وانظر للمؤلف ايضا / توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى اسمه واتجاهاته ، رسالة مطبوعة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م ، ص ٤٧-٥٣ - سعد موسى : نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٦ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٥ .

(٣) من اجل ذلك ، انظر / احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٩٧-١٩٨ - سعد موسى : نفس المرجع ، ص ١٠١-٢٤٠ ، ٨٦-٨٧ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٧٨ . وسيتبين مدى انتشار التدوين عند دراستنا لجوانب الحياة العلمية زمن يزيد فى الفصل السادس .

وأما تلقى المعلومات ونقلها الى الآخرين ، فكان يتم بعملية شفوية بحة ، وأما حفظ هذه المعلومات فكان يعتمد على الكتابة فى معظم الأحوال ، ليستذكر العالم ما كتب ، يستعين به على الحفظ ، ويعود اليه وقت الحاجة <sup>(١)</sup> .

أما مراحل ذلك التدوين ، فالحق أن وضع فواصل زمنية لمراحل تطوره ، أمر لا يمكن تحقيقه على وجه الدقة المطلقة ، والآراء حول ذلك متضاربة ، وإن قد تبين لنا بمجال الشك معه ، أن بداية التدوين تمت منذ العصر النبوى ، وإن كانت بدايات بسيطة غير واضحة المعالم . ويبدو أن اختلاف الآراء حول بداية التدوين ، راجع الى الاختلاف فى فهم المقصود بالتدوين ، أهو بداية الكتابة ، أم تاليف الكتب ، أم وضع المصنفات المبوبة المرتبة ، فمن عنى بالتدوين الكتابة جعل بدايته منذ عصر النبوة ، ومن عنى به ظهور الكتب الجامعة للعلم دون تبويب وترتيب ، أرخ له بأواخر القرن الأول وبداية الثانى ، ومن عنى به التصنيف فى العلوم كل على حدة وفق التبويب والترتيب ، جعل بدايته منذ منتصف القرن الثانى تقريبا <sup>(٢)</sup> .

ولعل مما ساعد على القول بتأخر التدوين ، الاعتماد على ما اشتهر من القول ، أن المسلمين اعتمدوا فى حفظ

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله فى الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ م ، ٧٦-٧٥/١ .

(٢) ممن فهم التدوين على أنه التصنيف الذى تم فى العصر العباسى ، محمد يوسف موسى ، انظر قوله فى كتابه : تاريخ الفقه الإسلامى ، الجزء الثانى ، عصر نشأة المذاهب ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص ٥٠ .

علومهم على الذاكرة وتناقلوها وتدارسوها عن طريق الرواية الشخصية البحتة ، مع اغفال دور التدوين والمدونات في تلك العملية . وكذلك على ماورد من نصوص تفيد كراهة الكتابة والنهي عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم ، وعدد من التابعين ، وتلك امور لا تصح عطفها على ما قدمناه من ثبوت التدوين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد فند رفعت فوزى عبد المطلب (١) تلك المزاعم وعلل ماورد حول القول بالكراهية واقرب ما رايته الى الحق عن مراحل تدوين العلم ، التقسيمات التي وضعها سعد موسى ، الذي جعلها ثلاث مراحل ، الاولى : كتابة القرآن ، وتدوين بعض المعلومات المتفرقة من حديث او فقه او شعر او نوادر ، على يد بعض الصحابة ، واستمر ذلك حتى الربع الاخير من القرن الاول ، وكان اصحاب هذه المدونات يسمونها صحيفة او جزءا .

الثانية : جمع الكتابات المتفرقة في كتاب واحد بدون ترتيب او تبويب ، كجمع السنن في دفاتر زمن عمر بن عبد العزيز ، وهذه المرحلة جاءت في اواخر القرن الاول وبداية الثاني .

الثالثة : مرحلة التمهيف المبوب المرتب حسب الموضوعات ، وتبدأ منذ منتصف القرن الثاني تقريبا .

(١) من اجل ذلك ، انظر : توشيق السنة ، ص ٤٣-٥٤ .  
 (٢) تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨٦-٨٧ .  
 وعن مراحل التدوين التاريخي بشكل خاص ، انظر / محمد ابن مامل السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ماجستير مطبوعة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٨٦-٢٩٠ .

أما صفة العلماء في العصر الأموي وتدوينهم ومدوناتهم فجملة القول فيها ، أن العلماء كانوا موسوعيون ، يأخذون من كل علم بنصيب وافر ، وكان للعلماء من الموالى دورهم المميز إلى جانب العرب خصوصاً في أواخر القرن الأول ، وكانت العلوم والدروس خليطاً من فنون العلم المختلفة ، لامتياز بينها ولا استقلال ، وإن بدا في أواخره ظهور التدوين والتدريس المستقل لكل علم . أما العلوم المدونة فلم تكن إلا مجموعة روايات وأخبار لا أثر للدرس والتحقيق فيها . فلم تظهر شخصية المؤلف فيما دون ، واقتصر دوره على الجمع في الغالب . وقد انصبت العناية بشكل رئيسي في ذلك العصر على العلوم النقلية ، بينما ظهر الاهتمام بالعلوم العقلية في العصر العباسي .<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

ولقد حظيت الحركة العلمية باهتمام غالب الخلفاء الأمويين ، لكنه اهتمام محدود الجوانب والأثر ، غير أن العلوم عاشت حركة نمو من تلقاء نفسها ، في أمة دعاها دينها الحنيف إلى العلم وحثها عليه .<sup>(٥)</sup>

وكان لهذا النشاط العلمي مظاهره المتمثلة في مؤسساته ورجاله ، ومناهجه ، ويأتي على رأس المؤسسات العلمية في

- 
- (١) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٢-١٦٣-١٦٤ .  
(٢) محمد عبد المنعم خفاجي : تاريخ الأدب في العصر الأموي مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ١٩ .  
(٣) أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٩ .  
(٤) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، ماجستير مطبوعة ، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣م ، ص ١٨ - محمد خفاجي : نفس المرجع ، ص ٤٤ .  
(٥) محمد بدوي : دراسات في التربية والفكر في الإسلام ، ص ٢٥-٢٨ - أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٤-١٦٥-١٨٩ .

(١)  
مدر الاسلام المساجد ، حيث قامت بالدور الاساسى فى التعليم  
واشهرها المسجد النبوى ، والمسجد الحرام ، وجامع دمشق ،  
والكوفة ، والبصرة ، وجامع عمرو بن العاص بالقسطنطينية ،  
وجامع القيروان بافريقية . حيث جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عليه وسلم فى مسجده يعلم الناس ، وهكذا فعل علماء الصحابة  
والتابعين ، كانوا يجلسون فى حلقات علمية ، غالباً ما تكون  
متمدة فى الجوامع الكبيرة ، ويتناولون من العلم فنونا  
شتى من تفسير وحديث وفقه ومغاز وغير ذلك ، كابن عباس ،  
ومنهم من يقتصر الدرس فى حلقة على فن معين كالقصاص او  
المغازى او اللغة . وكانت هذه الحلقات اما فردية ،  
يتمدرها عالم واحد ، كحلقة سعيد بن المسيب ، او ثنائية  
يشترك فيها عالمان ، كحلقة سالم بن عبد الله والقاسم بن  
محمد فى المسجد النبوى . وكان لبعض الاسر حلقات ، كاسرة آل  
حزم وآل عقبة . كما كان هناك مجالس لبعض العلماء فى  
منازلهم ، ومجلس كبار الفقهاء فى المدينة ، يعرض عليه  
ما أشكل من المسائل . وكان للتعليم فى هذه الحلقات  
(٢)  
والمجالس ، مناهج وأساليبه وآداب .  
(٣)

- 
- (١) عن دور المسجد فى خدمة الحركة العلمية ، انظر / محمد  
بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام ، ص ٧٢-٧٤  
محمد السيد الوكيل : الحركة العلمية فى عصر الرسول  
وخلفائه ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، السعودية ،  
جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٤-١٦ .  
(٢) عن الحلقات والمجالس العلمية ، انظر / سعد موسى :  
تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٨٩-٩١ .  
(٣) عن مناهج وطرق التعليم وأساليبه ، انظر / محمد  
السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى - محمد بدوى :  
نفس المرجع ، ص ٩٤-١٠٦ - خليل الزرو : الحياة  
العلمية فى الشام ، ١٩/٢ ، ٢٣ .

(١) ومن دور العلم الكتاب ، وهي من أقدم مؤسسات التعليم في الدولة الإسلامية ، حيث أسهمت مع المساجد في نشر العلوم والمعارف ، وتعتبر النواة الأولى في العملية التعليمية ، ولعل دورها الأساسي تعليم المبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن . وقد اشتغل بالتعليم فيها رجال بلغوا درجة كبيرة من العلم ، كالامام القدوة الحافظ ، القاسم بن مخيمرة العمداني الكوفي (ت ١٠٠هـ أو ١٠١هـ) .

كما ظهرت فئة المؤدبين في العصر الأموي ، وهم الذين يعلمون أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة ، ويشرفون على تاديبهم وتربيتهم في منازل آبائهم ، ومن مؤدبي ذلك العصر دغفل بن حنظلة الشيباني ، الذي اختاره معاوية رضي الله عنه مؤدبا لابنه يزيد ، واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مؤدب بني عبد الملك بن مروان ، وكان الخليفة يزيد ممن تربى على يديه ، وغيرهما كثير . وكان اختيارهم يتم وفق شروط يأتى في مقدمتها الدين وسعة العلم والفهم ، وكان للتاديب مناهجه وطرقه ، وهو بهذا كان عظيم الأثر في شخصيات هؤلاء المتعلمين . (٢)

- 
- (١) عن الكتاب ، انظر / يوسف احمد حواله : الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى" منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ / ١٩٨٥-١٩٨٦م ، ص ٢٣٢-٢٣٤ - محمد بدوي : دراسات في التاريخ والفكر في الاسلام ، ص ٦٦-٧١ .
- (٢) عن المؤدبين في العصر الأموي ، انظر / محمد صالحية : مؤدبوا الخلفاء في العصر الأموي ، (بحث) ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ، العدد الثالث ، المجلد الأول ، صيف ١٩٨١م ، ص ٣٥-٧٤ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٨٠-٢٩٠ .

والى جانب ذلك عرفت المكتبات العامة والخاصة ، وقد  
 وملت الى درجة جيدة من وفرة الكتب ، وكفايتها على القيام  
 بالدور المنوط بها ، ومنها خزانة الامويين للكتب ، ومكتبات  
 العلماء فى منازلهم ، كمكتبة عروة بن الزبير ، وبعض  
 المكتبات التى اقامها بعض الناس لخدمة العلم ، وفتحت  
 ابوابها لساثر المتعلمين ، كمكتبة عبد الحكم بن عمرو بن  
 عبد الله بن صفوان الجمحى ، وقد كان هناك اسواق رائجة  
 لنسخ الكتب وبيعها ، ساعدت على انتشار الكتب وظهور  
 (١)  
 المكتبات ونشاط حركة العلم .

وعلى ضوء هذا العرض الموجز لاهم منجزات العصر الاموى  
 حتى مطلع القرن الثانى - ماعدا سياسات عمر بن عبد العزيز  
 واملاحاته والتى سنشير الى معالمها فى اواخر هذا التمهيد -  
 يتبين بما لا اختلاف حوله عظمة الانجازات التى تحققت فى الستين  
 عاما - تقريبا - التى سبقت عهد يزيد بن عبد الملك . خصوصا  
 اذا اخذنا فى الاعتبار ماعانته الدولة الاموية من مشاكل  
 داخلية مستعمية ، كان من الممكن فى حالة عدم وجودها تفاعف  
 تلك الانجازات وازديادها .

فقد حفل العصر الاموى بمراع داخلى شبه دائم ، تمثل فى  
 قيام كثير من الحركات المناوئة للحكم الاموى ، والخارجة  
 على سلطان المسلمين ، والتى كان وراء حدوثها اسبابا  
 متعددة ، اما مذهبية ودينية ، او سياسية ذات صبغة شخصية ،  
 او نزعة اقليمية ، او عرقية . وان كان من الحق القول بان

(١) انظر / احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨ - سعد  
 موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية ،  
 ص ٩٦، ٨٧، ٢٣، ٢٤ .

سياسات بعض حكام بنى أمية ، كانت وراء قيام بعض تلك الحركات والتي ابتلى المسلمون بفخنها ، وشغلت الدولة باخمادها ، واراقت من الدماء ، واستنزفت من الجهد والمال الكثير . فكانت بذلك عقبات اعاقت الدولة عن تحقيق كثير من اهدافها العليا ، كالاستمرار فى الفتح ونشر الدين ، والاهتمام بتطوير الدولة وخدمة رعاياها . كما عرقلتها للمخاطر وطمع الاعداء المتربصين فى الداخل والخارج . ومع ذلك فقد تمضى لها الخلفاء الامويون ، وعالجوها بشيء من اليقظة والحزم حيناً ، وبالحكمة واللين حيناً آخر ، بينما ظلوا فى عزيمة لاتهن يواصلون تحقيق كثير من الخير للاسلام ودولته . وان كان تكالب تلك الظروف ، واستمرار تلك الحركات ، قد اوهن جسم الدولة الاموية مع الايام ، فادى اخيراً الى انهيارها قبل ان تبلغ من العمر قرناً من الزمان .

ويمكن حصر اهم تلك الحركات ، فى حركات الخوارج ، ومن خرج من رجالات الاسلام والعرب ، على الحكم الاموى ، على اساس رفض وراثة الخلافة ، والمطالبة بمودتها شورية والدعوة لانفسهم باعتبارهم احق بالخلافة ، ومنهم من كان خروجه لاسباب ومطامع شخصية . وكذلك حركات الموالى ، وحركات اهل الذمة . فبالنسبة لحركات الخوارج فى العصر الاموى ، فما هى الا استمرارا لحركاتهم التى بدأت منذ نشأة هذه الفرقة فى خلافة على بن ابي طالب رضى الله عنه ، اذ يكاد المؤرخون واصحاب الملل والنحل ان يتفقوا على ان ظهور فرقة الخوارج كان بعد حادثة التحكيم زمن الخليفة على رضى الله عنه ، وقد انقسم



الخوارج الى فرق كثيرة اختلف المؤرخون على عددهم ، لكنهم اتفقوا على انها لا تقل عن عشرين فرقة ، بعضها اصول وبعضها فروع . وفرقهم الاصلية - على خلاف - هي : المحكمة الاولى ، والازارقة ، والتجدات ، والبيهسية ، والعجاردة ، والشعالبة والاباضية ، والمغربية . ويجتمع الخوارج رغم اختلافهم على تكفير على وعثمان واصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم ومووب الحكمين او احدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ، كما يتفقون على ان الخلافة لا يتولاها احد الا بانتخاب حر صحيح ، يقوم به عامة المسلمين ، ويبقى في منصبه مادام يطبق الشرع ، فان انحرف او اخطأ وجب عزله وقتله ، ويقولون ان الخلافة حق لكل عربى حر ، وانه اذا اختير لا يحق له ان ينزل عنها ، ثم ادخلوا تعديلا على هذا الشرط في اواخر القرن الاول الهجرى ، فاشتراطوا الاسلام والعدل بدلا من العروبة والحرية ، وذلك لانضمام بعض المسلمين من غير العرب الى صفوفهم ، كما انهم يختلفون على امور كثيرة ايضا .

وتعتبر معركة النهروان سنة ٤٣٧هـ ، اول حرب يخوضها الخوارج ضد الدولة الاسلامية ، كما انها اول وآخر معركة يجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة ، حيث تفرقوا بعدها ، واختلفوا فيما بينهم ، فتعددت فرقهم .

فلما انتقلت الخلافة الى بنى امية ، راي الخوارج ان حرب معاوية حق لاشك فيه ، لاعتقادهم انه لم ينل الخلافة عن اجماع من المسلمين ورضا منهم ، ولما اتخذه من مظاهر الملك لذا قامت منذ عهد معاوية رضى الله عنه ، وحتى آخر العصر

الأموي حروب كثيرة بين فرق الخوارج الشاذلة ، وولاة بنى أمية ، وخاصة فى العراق ، فتمدى لها ولاة بنى أمية على العراق ، كالمغيرة بن شعبة ، وزياى بن أبىه ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، ونجحوا فى توجيه ضربات قاسية لنشاط الخوارج الأمر الذى أدى إلى ازدياد الخلاف بين فرقهم وانقسامهم إلى عدة فرق ، مما ساعد الأمويين على ملاحقتهم والقضاء على حركاتهم ، حتى استؤصلت فرق من الخوارج نهائيا ، كفرقة الأزارقة التى قضى عليها (سنة ٧٧هـ) ، فى ولاية الحجاج الثقفى .

ونتيجة لجهود الحجاج وقائده المقلب بن أبى صبرة ، هذات حركات الخوارج فى عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان بن عبد الملك ، ثم عادوا للظهور زمن عمر بن عبد العزيز (١) .

أما أهم الحركات التى قام بها رجالات الاسلام والعرب ، فكان أولها خروج الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه على يزيد بن معاوية ، بعد رفضه البيعة ليزيد ، وأرسال العراقيين له بالبيعة وهو فى مكة ، داعينه للخروج اليهم

(١) عن الخوارج فى تلك الفترة ، انظر / نايف محمود معروف الخوارج فى العصر الأموى ، نشأتهم ، حركاتهم ، عقائدهم ، أدبهم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م - على مصطفى الفرابى : تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٤-٢٨٤ - فاطمة عبد القادر رفصوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين (٩٠-١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠١-١٠٤ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ، ٣٧٥/١-٣٩٤

لمناصرة ، فخرج الى العراق ، لكن الامر انتهى بمقتله بعد  
(١)  
خذلان اهل العراق له ، وذلك في كربلاء (سنة ٦١هـ) .

واستعادة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بالبيت ،  
ثم البيعة له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وخضوع  
الامصار الاسلامية له ماعدا بعض بلاد الشام ، والامويين وبعض  
بنى هاشم . لكن امره تناقص وانتهى بمقتله (سنة ٧٣هـ) .  
(٢)

وحركة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، والذي قام باسم  
المطالبة بحق آل البيت في الخلافة ، والدعوة لمحمد بن  
الحنفية ، وان كان قد اخفى مطامعه الشخصية وراء ذلك وهي  
الوصول الى السلطان ، وانتهى الامر بمقتله (سنة ٦٧هـ) .  
(٣)

وحركة عبد الرحمن بن الاشعث ، الذي خلع الحجاج وعبد  
الملك بن مروان ، انفض من الخضوع للحجاج ، وطموحا لاهداف  
شخصية ، ساعده على ذلك كره الناس للحجاج ، والنزعة  
الاقليمية في نفوس العراقيين تجاه اهل الشام وحكومته ،  
(٤)  
(٥)  
وانتهى الامر بمقتله (سنة ٨٥هـ) . وغيرها من الحركات .

(١) عن قيام الحسين على يزيد بن معاوية ، انظر / عيد  
العزیز غنیم : موقف الحسين من الخلافة وآثاره  
السياسية ، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية  
الازهر .

(٢) عن قيام عبد الله بن الزبير على الدولة الاموية ،  
انظر / على الخربطلي : حركة ابن الزبير واثرها على  
تاريخ الدولة الاموية ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة  
القاهرة - شهادة الفاطم : ثورة عبد الله بن الزبير ،  
ماجستير كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٣) عن حركة المختار الثقفي ، انظر / خالد ابو النمر  
محمد : قصة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، رسالة  
دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة - نجيب جرجس :  
المختار الثقفي وآثره في العصر الاموي ، رسالة  
ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٤) عن حركة ابن الاشعث ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة  
بنى أمية ، ص ١٧٢-١٨٣ .

(٥) عن الحركات في العصر الاموي عموما ، انظر / محمد جمعة  
عبد العزیز : المعارفة في العصر الاموي ، ماجستير ،  
كلية الآداب ، جامعة الملك عبد العزيز .

أما حركات الموالى  
 أن سياسات بعض الحكام الأمويين كانت وراء قيامها ، إذ دخل  
 الموالى فى دين الإسلام ، مدفوعين اليه بعظمته وسماحة  
 مبادئه وشرائعه ، عالمين ماتحتوى عليه من العدل والمساواة  
 بين الناس . فكانوا ينتظرون بعد إسلامهم أن يكونوا للعرب  
 الفاتحين أخوة فى الإسلام ، متساوين معهم فى الحقوق  
 والواجبات ، ينعمون بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة . لكن الأمر  
 الواقع فى العصر الأموى ، لم يات بذلك الصورة المثلى ،  
 التى رسمها الإسلام وحدد معالمها ، حيث تجمع الاشارات فى  
 المراجع التاريخية على دلائل لانفصا العربى وتعاليه على  
 الأعجمى ، ونحن لانستبعد وقوع شيء من هذا ، إذ كنا نعلم  
 بعودة العممية الى الظهور بين العرب أنفسهم ، لكن الأمر  
 لا يصل الى الحد الذى غالى فيه بعض الكتاب المحدثين ، فان  
 من النصوص ما يدل على حسن معاملة الموالى ، والتعامل معهم  
 النـد بالند ، بل وتبجيلهم واتخاذهم ائمة يقتدى بهم ، اذا  
 ماكانوا أهلا لذلك ، كالحسن البصرى وغيره من أهل العلم  
 والفعل والدين .

والدولة الأموية ، كان من أبرز معالمها الاعتماد على  
 المنصر العربى ، لكن ذلك لم يكن على وجه الاطلاق فقد اعتمد  
 بنو أمية على الموالى فى ادارة الدولة ومالياتها ، وقيادة  
 جيوشها ، فمن الولاة أبو المهاجر دينار ، ومن القادة طارق  
 ابن زياد ، ومن عمال الخراج عبد الله بن دراج مولى معاوية  
 الذى ولاه خراج العراق . وغيرهم كثير .

والبيان أن تدمير الموالى قد جاء بشكل رئيسى من بعض

السياسات المالية المخالفة للنهج الاسلامى ، والتي عمل بعض الحكام الامويين على تطبيقها ، فالنهج الاسلامى يقتضى اسقاط الجزية عن اسلم ، والخراج عن الارض التى اسلم عليها اهلها والارض التى مولح اهلها على ان تبقى على ملكهم ، وان يفرض له فى العطاء ، ولا يفرض عليه ضرائب غير شرعية ، ولا يلزم الا بدفع الزكاة .

وكان الامويون قد اعادوا تنظيم الخراج والجزية واتخذوا بعض الاجراءات المالية المخالفة للنهج الاسلامى والمتسمة بالعسف والشدة ، بما يكفل زيادة الموارد لمواجهة الاحتياجات المتزايدة للدولة وتغطية مصروفاتها . ففرضت الجزية على بعض من اسلم ، وكان اول من فرضها الحجاج بن يوسف ، الذى حرمهم ايضا من حق ترك قراهم اذا ما اسلموا ، والزمهم العودة اليها - وسيكون لنا رأى عن مدى تطبيق هذا القرار وحدوده فى الفصل الخامس - وكان عبد الملك قد زاد جزية العراقيين الى اربعة دنانير ، بعد ان رأى قدرتهم على ذلك ، وكذلك فعل باهل الجزيرة .

اما الخراج ، فقد فكر معاوية فى زيادة قيروط على القبط ، وان لم يتم فى عهده فقد نفذ فى خلافة هشام بن عبد الملك ، مما ادى الى ثورات القبط على الدولة الاسلامية (سنة ١٠٧هـ) ، كما لم يسقطوا الخراج عن الارض التى اسلم اهلها وكانوا قد مولحوا على ان تبقى ملكا لهم ، وتلك ارض يسقط عنها الخراج ويجوز بيعها وتكون عشيرة . اما بالنسبة للعطاء ، ففرض للبعض ولم يفرض للكل ، فقد اشتكى موالى خراسان وافرقيية من عدم الفرض لهم فى العطاء ، مع اسلامهم

ومشاركتهم فى القتال . ويدل على ذلك أيضا نقد العرب للمختار الثقفى ، عندما جعل للموالى عطاء كمن معه من العرب . وكان أول من فرض لهم فى العطاء معاوية ، حيث جعل لكل واحد خمسة عشر درهما ، زادها عبد الملك خمسة ، وكذلك سليمان وهشام ، الذى بلغ عطاء المولى فى عهده ثلاثين درهما وهو قليل اذا ما قورن بما يعطى للعربى ، ومن هو فى شرف العطاء .

أما الضرائب ، فقد أعيد عليهم الضرائب التى كانوا يؤدونها قبل الاسلام ، كهدايا النيروز والمهرجان وغيرها ، وحدث ذلك منذ عهد معاوية .

وقد استخدم الأمويون أسلوب الشدة فى تنفيذ مثل هذه الاجراءات ، لارغام الموالى على اداؤها ، وهذا ما أدى الى تدمير الموالى وتمردهم وخروجهم على الحكام الأمويين ، كلما وجدوا فرصة سانحة لذلك ، فلكل فعل رد فعل ، وذلك بالمشاركة فى الحركات التى تقوم ضد الحكم الأموى ، كالدخول مع المختار الثقفى ، ومعب بن الزبير وابن الأشعث ، بل ومع الخوارج . او بالقيام بحركات تخضعهم تعبر عن نقيمتهم وتطالب بحقوقهم ، وظهر ذلك فى النصف الثانى من العصر الأموى ، مثل ذلك ، تمرد الصفد فى ماوراء النهر ، وثورات القبط بمصر ، والبربر بافريقية ، وأخيرا الانضمام لأبى مسلم الخراسانى ، قائد الثورة العباسية ، فكان لهم دور بارز فى اسقاط (١) الخلافة الأموية .

(١) عن الموالى ، انظر / محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى ، دار النيل للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ / ١٩٤٩م ، ص ٦٨-٤٨ - شريفا حافظ عرفة : =

أما أهل الذمة ، فقد حظيوا في ظل الدولة الإسلامية بسماحة الإسلام ، ووجدوا من الأمويين التقريب وكثيرا من التسامح والحنو . فقد أعطوا الحرية الدينية التي نصت عليها عقود الصلح ، بل وتسامح معهم الأمويون في هذا الأمر ، إذ سمحوا لهم بممارسة شعائهم بكل حرية ، والاحتفال بأعيادهم ، وابتناء الكنائس وتزويدها ، بل وإعانة الدولة لهم على بعض ذلك ، كما قرب الذميون ، فكان منهم شاعر البلاط كالأخطل ، والطبيب ، كابن أشال طبيب معاوية .

أما في مجال الإدارة ، فقد اعتمد الأمويون على أهل الذمة في إدارة كثير من مرافق الدولة ، وخصوصا المالية منها ، فقد أسند معاوية إلى سرجون بن منصور الرومي ديوان الخراج في دمشق وظل يتوارثه أبناؤه حتى تعريب الدواوين ، وكذا كان حال أهل الذمة جميعا ، والحق أن التعريب لم يكن يعني إقصاء أهل الذمة عن تلك الوظائف ، فقد ظلوا يتولون كثيرا منها ، ولكن بمشاركة العرب ، بعد أن كانت مقصورة عليهم قبل التعريب .

غير أن المناصب الكبرى حوت إلى العرب ومن أسلم من أهل الذمة (الموالي) بينما تركت الحكومة الإسلامية لرؤساء أهل الذمة ، جباية الأموال من أبناء ملتحهم .

لكن الأمويين اتخذوا تجاه أهل الذمة بعض الإجراءات

= الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير مطبوعة ، الناشر تهامة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٨-٣٨ - فرج الهوني - النظم الإدارية والمالية ، ص ١٩٢-١٩٦ - وأنظر عن ثورات البربر ، فاطمة رضوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ١١٣-١٤٤ .

المغايرة لما اشرفنا اليه من حسن المعاملة والتسامح ، وتمثل ذلك ، فى اعادة فرض فرائب النيروز والمهرجان وغيرها مما كان يؤخذ منهم قبل الاسلام فى العراق ، كما فرض الخراج على الاساقفة واملأ الكنائس ، وزيد عليهم فى الجزية والخراج ، مع اتخاذ بعض الحرايب التعسفية لتنفيذ ذلك ، ونهبطه .

ولقد ظلت طبيعة معاملة اهل الذمة ، مرهونة باختلاف الخلفاء والولاة ، والاضاع السياسية خصوصاً مع الدولة البيزنطية ، وموقف اهل الذمة منها .

وعطفا على حسن معاملة الامويين لاهل الذمة ، وقلة قيمة تلك الفرائب والزيادات المالية التى وضعت عليهم ، مع احساسهم بعدم تحاقلها ، لغرضها على من أسلم ايضاً ، فقد أدى ذلك الى استكانة اهل الذمة ، وخلو صدر العصر الاموى من مشاركتهم فى الحركات المناوئة او القيام بثورات ضد الحكم الاسلامى .

الا ان تزايد تلك الاجراءات المالية مع مرور الوقت ، والتعسف فى تنفيذها ، واتخاذ بعض السياسات التى تحد من تجاوز اهل الذمة لما اعطوا من حرية دينية ، بنس عهود الملح والامان ، وماسمح به مبادئ الدين الحنيف - كبعض سياسات عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك - وظهور بعض الزعامات الدينية والسياسية لهم ، جعلتهم يقومون بعدد من الحركات فى اواخر العصر الاموى ، كثورات القبط فى مصر (١٠٧هـ) ، وبعض حركاتهم التى شهدتها عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك - وان كانت قد قامت بدوافع سياسية او عقائدية -



(١)

لاتأثرا بسياسات بنى أمية تجاههم .

هكذا كانت الدولة الأموية فى أواخر القرن الأول الهجرى فتوحات كبرى وتطورا فى كثير من المجالات ، وبالمقابل حركات وفتن داخلية شبه دائمة ، ومشاكل مستعمية ، ومتغيرات ومستجدات كثيرة ، كل ذلك تم فى فترة وجيزة من عمر التاريخ مما فاعف المسئولية على هذه الدولة ، وأظهر حاجتها الى وقفة ينظر من خلالها الى كل ذلك ، لاستيعابه والسيطرة عليه وهذا ما يستوجب ترتيب السياسات الأموية بما يتناسب مع كل تلك المنجزات والأحداث ، والقيام بكثير من الإصلاحات ، واحتواء كل المتغيرات والمستجدات ومعهها فى قالب الدولة والامة الواحدة ، وتمحيص الأخطاء ، وتطوير النظم والأساليب بما يمكن من هيمنة الدولة على الموقف ، ثم مواصلة الواجب التاريخى .

وحقا جاء عمر بن عبد العزيز الرجل المناسب فى الوقت المناسب ، وأدرك ببعد نظره ماتعانيه الدولة داخليا ، وان بدت قوية ، وان الاستمرار فى التوسع لايعنى الا ازدياد المتغيرات والمستجدات وثقل الحمل على كاهل الدولة ، كما ان الاستمرار على النهج الأموى ، فى مواجهة الحركات

(١) عن أهل الذمة ، انظر / أ.س. تروتون : أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر - توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة فى العراق (١٢-٢٤٧هـ) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٧١-١٣٩ - نادية حسنى مقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ص ٧-١٣ . وعن حركات أهل الذمة فى عهد يزيد بن عبد الملك انظر بعد الفصل الثانى ، المبحث الثالث والرابع والخامس .

الداخلية ، والاكتفاء بالحلول الوقتية واخمادها ، دون النظر فى أسبابها وعللها ، وفى اصلاح الأحوال وتغيير السياسات ، بما يضمن زوالها وعدم تكرارها ، ما هو الا استمرار للمشاكل وتعقدها . أدرك كل ذلك عمر ، فوقف يملح شئون الدولة ، يتفحص مواقع الداء ، فيصف الدواء ، ولنعرض الآن لمعالم اصلاحاته وسياساته تجاه اهم الامور التى عاشتها الدولة قبله .

فبالنسبة لموقفه تجاه الفتوح ، نرى انه ارتكز على ثلاثة أسس ، اولها : الحد من التوسع فى الفتوحات الخارجية وذلك لعاملين ، العامل الاول : الالتفات الى اصلاح الشئون الداخلية ، لتمكين الدولة من استيعاب المتغيرات الكبيرة التى أورثتها الفتوح العظيمة التى سبقت عهده ، وذلك عن طريق نشر الاسلام بين العناصر الجديدة التى انضوت تحت لواء الدولة ، وحل مشاكلها وفق النهج الاسلامى ، ومصر الاجناس والحفارات والمعائد فى قالب المجتمع الاسلامى الكبير .<sup>(١)</sup>

العامل الثانى : الحرص على الجند الاسلامى ، سواء كان المحارب فى ميادين القتال او المرباط فى الشفور ، وتقديم المحافظة على سلامته وامنه ، على المغامرة به اذا ما تعرض للاخطار ، ويتبين موقفه هذا من سياسته ازاء الفتوحات الاسلامية فى الجبهات العسكرية فى ماوراء النهر شرقا ، ومع

(١) عن سياسة عمر تجاه اهل الذمة ، ونشر الاسلام بين العناصر الجديدة وتفقيهما ، انظر / نادية حسنى مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة - ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٧٣ - ١٧٩ .

الروم شمالا ، وفى الأندلس غربا ، فلقد حاول عمر إجلاء المسلمين من بلاد ماوراء النهر الى خراسان بعد أن لمس الأخطار المحدقة بهم من جراء تمرد المغد وهجمات الترك على تلك البلاد ، ثم أمر بإيقاف الفتح فى ذلك الميدان ، والاكتفاء بما فتح بعد أن امتنع المسلمون عن الجلاء .<sup>(١)</sup>

أما الحرب مع الروم ، فقد أمر عمر بفك الحصار الذى فرض على القسطنطينية منذ عهد سلفه سليمان بن عبد الملك ، بعد أن تكالبت الظروف على الفاتحين وتعرضوا للمخاطر والهلاك ، وفى آسيا الصغرى نقل المرابطين فى شغل طرودة الى ملطية ، ثم أخرج طرودة ، خشية على المسلمين لايفالها فى بلاد الروم ، كما فكر فى هدم المميمة للمسبب نفسه ، فامسك عندما تبين أهمية بقائها .<sup>(٢)</sup>

كما فكر عمر فى افعال المسلمين من الأندلس وإخلاصها منهم ، خشية من تغلب العدو عليهم ، ولانقطاعهم وراء البحر عن المسلمين .<sup>(٣)</sup>

ولعل خبر ظهور المقاومة النصرانية بقيادة بلاى فى الأندلس ، فى أواخر خلافة سليمان - والتي سنتحدث عنها فى الفصل الثانى - قد وصل الى مسامعه ، فخشى على المسلمين سوء العاقبة .

الاساس الثانى : تغليب الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونشر الاسلام دون قتال ، وتمثل ذلك فى

(١) انظر لمن هذا الخبر بعد : الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣١٥ .

(٢) من أجل ذلك ، انظر / ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٦٨-١٧٠ - هاشم الجاسم : دراسة تاريخية عسكرية ، ص ١٤٠ .

(٣) انظر / حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٣٦-١٣٧ .

توجيه رسائله ورسله الى ملوك القوى المجاورة ، يدعوهم الى الاسلام ، فقد بعث الى ملوك السند وماوراء النهر والى ليو الثالث امبراطور الروم .<sup>(١)</sup>

الاساس الثالث : حسن تجهيز القوة الاسلامية ، واعداد الجندي المؤمن المجاهد ، العارف بمبادئ دينه واخلاقياته ، وأكد على قواده ، تحقيق منهج الاسلام في فتوحاتهم ، وذلك بدعوة الاعداء الى الاسلام ، أو دفع الجزية ، والا فالقتال . كما حرص على صيانة الثغور واعمارها ، كأمرة ببناء اللاذقية بعد أن هدمها الروم من جراء غارة قام بها أسطولهم عليها في زمنه وكذلك الحرس على درء الاخطار عن الدولة وصيانة حدودها ، والدفاع عنها ، مثل ذلك توجيه حاتم بن النعمان الباهلي للحمدي للخز الذين اغاروا على اذربيجان ، وأيضا الحرس على ابقاء زمام المبادرة بيد المسلمين ومواصلة الجهاد ، من ذلك الاستمرار في ارسال حملات المواثف والشواشي الى بلاد الروم ، وقيام عامليه على السند بغزو بعض بلاد الهند ، وكذلك ايفال الجراح الحكمي عامله على خراسان في بلاد الترك حتى هم بدخول بلاد الصين .<sup>(٢)</sup>

لقد حاول عمر أن يتخذ سياسة عسكرية متوازنة ، فلاقتال إلا بعد الدعوة الى الله ، ولاجهاد إلا باسم الدين ووفق

- 
- (١) عن ذلك ، انظر / قداسة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م ، ص ٤٢١، ٤٠٩ - ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٣٩ - ماجدة فيصل زكريا نفس المرجع ، ص ١٧٢ .
- (٣) ماجدة فيصل زكريا : نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧١ .

مبادئه ، ولاغزو ولامرابطة فيها مخاطرة بجند المسلمين ، ولااستكانة أو ضعف ، بل اعداد وتيقظ ودفاع عن الاسلام ودياره واهله ، وان كانت بعض سياساته كايقات الفتوح ، قد اطمع بعض الاعداء فى غزو المسلمين ، كالترك فى ماوراء النهر ، والخزر فى اذربيجان ، أو تمرد بعض العنابر الجديدة فى الاطراف ، كتمرد الصفد فيما وراء النهر . لكن العمر القصير لخلافة عمر لم يسمح بوضوح منهجه ، والتمكن من تطبيق كل سياساته ، التى أراد من ورائها اصلاح ، فى ضوء فهم صحيح لوضع الدولة ، ووفق النهج الاسلامى ، كما ان عودة يزيد بن عبد الملك الى سياسة التوسع فى الفتوح ، قد عاق استكمال مبادئه .

اما سياسات عمر بن عبد العزيز الادارية والمالية ، ومقام به من تنظيمات واملاحات ، وموقفه من السياسة التى اتبعها الخلفاء الامويين قبله فى هذا المجال ، فقد اخذت السمة العامة لخلافته ، وهى العودة الى هدى الخلفاء الراشدين . فاحيا مامات من السنن ، وامات مآظهر من البدع واملح ما احدث من الامور ، فى حركة اصلاح كبرى ، عمت جميع مناحى الحياة ومرافق الدولة ، وكان هدفها نشر العدل ، ورفع الظلم ، وتطبيق الشرع بين الناس . ولاغربة فى ذلك فقد جاء عمر الى الخلافة وقد خبر الامور ، واعد لكل داء دواء . وهذا ما جعل البعض يعبه خامس الخلفاء الراشدين .

وسنكتفى هنا بذكر المعالم الرئيسية لسياسته فى هذا المجال ، مما له علاقة بما قدمناه عن احوال الدولة قبله ، وما يرتبط بسياسة يزيد بعده .

فبالنسبة لتطوير النظم الادارية والمالية ، قام عمر  
بانشاء فروع لديوان بيت المال وفق موارده ، فجعل لكل من  
الغنى والصدقة والخمس ، بيوت مال تخصها ، منعاً للتدخل  
والفوضى ، كما نظم السجون واعد لها ديوانا خاصا يشرف  
عليها .

اما ادارة الدولة فقد سار على مبدأ الشورى ، ومظاهر  
الخلافة الراشدة ، وقام عمر بعزل من اساء السيرة من العمال  
وولى اهل التقوى والصلاح والثقة والقدرة <sup>(١)</sup> . وجعل ولايتهم  
عامة ، واطلق ايديهم ، لكنه ظل موجها لهم ، رقيباً عليهم ،  
محاسباً لمن خالف منهم ، كما وسع عليهم تحميئنا لهم من  
الخيانة واعانة لهم على التفرغ لشئون الرعية . وفى  
المقابل امر عمر بمنع استعمال غير المسلمين فى ادارة  
الدولة ، والعمل فى دواوينها ، وعزل من كان بها ، الا من <sup>(٢)</sup>  
اسلم منهم . وندب عمر نفسه لرد المظالم ، عامة او خاصة ،  
وجد فى ذلك .

أما من الناحية المالية : فقد رشح مصروفات الدولة ،  
وحفظ بيت المال من الاهمال والتفريط ، وحافظ على اموال  
المسلمين .

وفى سبيل معالجة واصلاح بعض السياسات المالية السابقة

(١) عن عزله العمال السابقين ، انظر / اليعقوبى : مشاكلة  
الناس لزمانهم ، تحقيق ولیم مسعود ، دار الكتاب  
الجديد ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م ، ص ١٩ -  
محمد كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، مطبعة  
مصر ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م ، ص ٩٧ .  
(٢) عن امر عمر بمنع غير المسلمين من الاعمال الادارية ،  
انظر / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٥/٤ - نادية حسنى  
مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة ،  
ص ٣٤-٤٥ .

أمر عمر برفع الجزية عن أسلم ، وعن الرهبان ، والنفي  
الغرائب غير الشرعية ، ما كان منها على العرب أو الموالي  
أو أهل الذمة ، ورفع الخراج عن أملاك الكنائس ، واسقط  
مازيد على صلح بعض أهل الذمة ، كما وسع دائرة العطاء ،  
وزاد فيه ، وفرض للموالي . والنفي عمر المكوس .

ومن ناحية أخرى حرص عمر على تنمية موارد الدولة  
والمحافظة عليها ، ومن أجل ذلك منع بيع الأراضي الخراجية ،  
وأكد على بقائها خراجية حتى مع إسلام صاحبها ، يدفع عنها  
الخراج أن بقي عليها ، أو من صارت إليه ، ونظم الأراضي  
المفتوحة حديثاً ، كما مره بمسح الأندلس . واستلمح واستغل  
أراضي الموالي لصالح المسلمين ، ومنع اقتطاعها . وأكد على  
جباية الزكاة والعشور ، وصرفها في وجوهها الشرعية .

أما بالنسبة لدور عمر في النهضة العلمية التي شهدتها  
العصر الأموي ، فلا شك أن تكوين عمر العلمي ، وتفقعه في  
الدين قد دفعه إلى دور مميز في خدمة العلم والعلماء ، فقد  
أمر بنشر العلم ، وحث العلماء على بحثه من خلال حلقاتهم  
ومجالسهم ، وعين المعلمين .

- 
- (١) عن مجمل سياسة عمر بن عبد العزيز المالية ، انظر  
بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثاني .  
(٢) فالح حسين فالح : الحياة الزراعية في بلاد الشام في  
العصر الأموي ، ماجستير مطبوعة ، بدعم الجامعة  
الأردنية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م ، ص ٥٢ .  
(٣) عن مجمل سياسة عمر الإدارية والمالية ، وأهم تنظيماته  
وأصلاحياته ، انظر : فرج الهولبي : النظم الإدارية  
والمالية ، ص ٢٢٣-٢٥٥ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني  
أمية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ - نادية حملي مقر : سياسة عمر بن  
عبد العزيز تجاه أهل الذمة - ماجدة فيصل زكريا : عمر  
ابن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٠١-١٦٦ ،  
٢٢٧-٢٥٦ .

كما ألتقى على العلماء وطلاب العلم ، ووجه البعثات العلمية لتحقيقه الناس وتعليمهم في البوادي والامصار . وان أعظم اعماله في هذا المجال هو امره بتدوين وجمع الحديث ، ونشره في كافة بلدان الدولة الاسلامية وتعليمه . فصدر في هذا الشأن اوامر بصيغة العموم الى الافاق واهل المدينة ، كما خص بالامر بعض العلماء ، كابى بكر بن محمد بن حزم ، ومحمد بن شهاب الزهري ، وكان العلم يكتب في مجلسه ، ويقوم بمراجعة بعض مادون . وقد أتم بعض العلماء كالزهري ، هذه المهمة في عهد عمر ، وقد دونوا ذلك في دفاتر ، فنسخت وبعث منها الى كل الاقطار الاسلامية . بينما توفي عمر ولم يملئه كل مادون . ويعرف هذا التدوين ، بالتدوين الرسمي للسنة ، كما كان لعمر اهتمامه الخاص بالفقه أيضا .<sup>(١)</sup>

اما الادب ، وبخاصة الشعر ، فلم يحظ باهتمام عمر بن عبد العزيز ورعايته ، فقد أقفل الباب في وجوه الشعراء ،

(١) عن عطاءات عمر العلمية ، وأمره بتدوين السنة وجمع الحديث ، ونشره وتعليمه ، انظر / ابا زرة : تاريخ أبى زرة الدمشقي ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ، ماجستير مطبوعة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة المفيد الجديدة ، دمشق ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ١/ ٣٥٤-٣٥٥ ، ٥٢٠ ، ٦٢٨ - ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضبطه وشرحه وعلق عليه الأستاذ زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٢ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٠ - محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ص ٣٢٩-٣٣٢ ، ٣٦٧ ، ٥١٧ - حسن علي الشاذلي : المدخل للفقه الاسلامي ، تاريخ التشريع الاسلامي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٧م ، ص ٢٢٠-٢٢١ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٤٦-٤٧ .



ومنع عنهم ما اعتادوه من حظوة الخلافة وعطاياها ، بينما  
اهتم بالمغازي ، وأمر بتدريسها في جامع دمشق .<sup>(٢)</sup>

ويتبقى أن نلمح لموقف عمر من الحركات والمشاكل  
الداخلية ، فالحق أن عمر لم يأت بجديد ، وإنما عاد إلى  
تطبيق المنهج الإسلامي على كل مناحي الحياة . فبالنسبة  
للحركات نجد أن عهده قد نعم باستقرار نسبي ، غير أنه لم  
يخل من قيام بعض الحركات ، ومنها : خروج شوذب الخارجي  
بأرض العراق ، وخارجي آخر من الحرورية بالعراق أيضا ،  
وشالث منهم بالموصل ، وكذلك استمرار حركة بلای بالاندلس .  
ولقد حاول عمر أن يجرب الطريق السلمي مع الخوارج ، عن  
طريق مجادلتهم ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، معالجة  
للمشاكل عن طريق تلمس الاسباب ، وحلها ، وكرها في اراقة  
الدماء ، وتقديمها للحلم واللين على العنف والشدة . فنجح  
مع شوذب عندما اقنع رسله ، فترك القتال ، لكنه عاد للخروج  
بعد موت عمر . غير أن هذا الأسلوب الذي أفاد مع شوذب ، لم  
يكن مجديا على الدوام ، إذ لم يستطع اقناع الخارجي الآخر  
بالعراق ، والذي بالموصل ، فاستمروا في طغيانهم ، فما كان  
هناك بدا من مقاتلتهم ، كما قاتل السمح بن مالك عامل عمر  
على الاندلس ستمردى ذلك الاقليم .<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>  
<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) عن موقف عمر من الشعراء ، انظر / ابن الجوزي : سيرة  
عمر بن عبد العزيز ، ص ١٩٦ - ٢٠١ .  
(٢) انظر بعد : الفصل السادس ، المبحث الثالث ، ص ٧٣٤ .  
(٣) انظر ماسنكتبه عن حركة شوذب بعد : الفصل الثاني ،  
المبحث الثاني ، ص ٢٣١ .  
(٤) انظر ماذكرناه عنهما بعد : الفصل الثاني ، المبحث  
الثاني ، ص ٢٤٦ .  
(٥) من أجل ذلك انظر / الفصل الثاني ، المبحث الرابع ،  
ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، والمبحث الخامس ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .

أما قضايا الموالى وأهل الذمة ، فكان وراءها فى الغالب أسباب مادية ، وأخرى عامة تتعلق بالعدل والمساواة والحرية ، وكان فيما أشرنا اليه قبل عند عرضنا لسياسة عمر المالية حلولا لمشاكلهم وقضاياهم ، وذلك حينما رفع الضرائب غير الشرعية عن الفئتين ، ورفع الجزية عمن أسلم من الموالى ، وأعطاهم حرية العجرة الى الأمصار ، والالتحاق بالجيش ، كما فرض لهم فى العطاء مع العرب ، فأزال أسباب تدميرهم ، ومابقى لهم على الدولة حجة . أما أهل الذمة فرفع الجزية عن الرهبان والأساقفة ، والخراج عن أملاك الكنائس ، كما أعطاهم الحرية الدينية ، فى حدود الشريعة ومأمنت عليه عقود المصلح ، ورد مظالمهم كالزيادة فى الجزية التى مولح عليها بعضهم كاهل قبرص ، وأعاد كنائسهم التى أخذت منهم . وبالمقابل التزم عمر بالنهج الإسلامى ، وماجاء فى عقود المصلح ، من إلزام أهل الذمة بحدود لحريتهم الدينية ، أن منع استحداث الكنائس ، والخروج عما جرى عليه المصلح فى ممارسة بعض الشعائر ومظاهر العبادة ، كإظهار الملبان ، ودق النواقيس ، ورفع الصوت بالترتيل ، وإيضا منعهم من العمل فى دواوين الدولة ، ومنع بيع الأرض الخراجية ، وإلزامهم بزيهم الخاص فى الملابس ، وعدم الركوب على السرج ، ومنعهم من اقتناء الأسلحة فى منازلهم .

إن ما فعله عمر لم يكن بدعا ، بل هو الحق ، حين طبق الشرع ، فأعطى رعايا الدولة حقوقهم ، وإلزامهم بحدودهم وواجباتهم ، على أساس من العدل والمساواة فى ضوء الشريعة

(١)

والعهد .

كان ماقدناه في هذا التمهيد وصفا لحال الدولة الاموية مطلع القرن الثاني ، غنيما فيه بابرار ملامح القوة واهم المنجزات ، وابنا مظاهر التطور والنمو في الدولة الاسلامية خلال العصر الاموي ، بل والاشارة الى مقدمات بعض تلك المظاهر منذ نشأة الدولة الاسلامية ، اذا كان في تلك اللغات مايعين على وفوح الرؤية والتمور .

وبالمقابل تتبعنا الحركات والمشاكل الداخلية ، التي اخذت تعاني منها الدولة الاموية ، واضحت تمثل عوامل هدم ، في كيان تلك الدولة ، عارضين لسياسات بني امية في مواجهة تلك القضايا ، واثار ذلك على الدولة .

ثم عرفنا لملامح عهد عمر بن عبد العزيز ، الذي طلع القرن الثاني على عهده ، فعرفنا لمعالم سياسته واصلاحاته ، وتبين انه لمس واقع دولته وحاجتها الى الاملاح ، فوقف معها يعيد ترتيب سياساتها ، ويملح احوالها ، في محاولة منه لاعادة توازنها ، حتى تستطيع الاضطلاع بدورها التاريخي من جديد ، بكل قدرة وقوة . فبدأ اصلاحاته ، وعمل قدر طاقته ، فقدم الكثير ، وانتظر منه الكثير ، لكن عمر خلافته لم يطل ليأتي يزيد بن عبد الملك مكان عمر خليفة للمسلمين ، فمادا سيقدم من الاجازات ، وماموقفه من سياسة عمر وتلك الاصلاحات ، وكيف تكون احوال الدولة في عهده ، وعلى اي حال ستؤول الى خلفه ؟ أسئلة نجد اجابتها في ثنايا هذا البحث .

(١) عن سياسة عمر تجاه الموالي واهل الذمة ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني امية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ - نادية حسنى مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة فرج الهوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٣٥-٢٥٥ - ماجدة فيعمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٢٢٧-٢٤٨ .

الوفاء للوعد

سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك

الفصل الاول

سيرة الخليفة  
يزيد بن عبد الملك

ان غايتنا من دراسة سيرة يزيد بن عبد الملك ، تكمن  
فى الرغبة الصادقة ، والاهمية الكبرى ، للتعرف على حقيقة  
شخصية رجل تولى الخلافة ، وادار دفة الحكم فى دولة الاسلام ،  
ومدى تاثير تلك الشخصية على الدولة الاسلامية ، واحداث ذلك  
العهد . وتبرز هذه الاهمية فى ضوء ماورد حول شخصية يزيد من  
الاقاويل ، وماوصف به من صفه ومجون وفسق وقلة دين ، مور من  
خلالها فى سورة مشوهة ، منصرفه عن شئون الحكم ، مؤثرة  
سلبيا فى مجرى بعض الاحداث .

لذلك سينصب اهتمامنا فى المقام الاول ، على ما قيل فى  
يزيد بن عبد الملك ، ماله ، وماعليه ، ومدى صحة ذلك ، فى  
محاولة الوصول الى التصور الارجح لحقيقة شخصيته ، ومدى  
اثرها على الدولة فى عهده . اعتمادا على معالجة المعلومات  
والحقائق الواردة فى مختلف المصادر حول سيرته الذاتية ،  
وماتوصلنا اليه خلال دراستنا الجدية لاحداث عهده ، واحوال  
الدولة فى زمنه .

ترجمته :

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص  
ابن امية بن عبد شمس ، ابو خالد . وقيل : ابو ليلى ،  
القرشى الاموى ، امير المؤمنين . قيل : كان يلقب القادر

بمنع الله ويزيد الفتى ، و أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية  
ابن أبى سفيان وكثيرا ما ينسب لأمه النابغة الذكر ، فيسمى  
يزيد بن عاتكة <sup>(١)</sup> .

ولد بدمشق (سنة ٧١ أو ٨٧٢ هـ ، وقيل ٨٦٦ هـ) والثانى  
أرجح الأقوال . وكان رجلا طويلا جسيما جميلا ، أبيض مدور  
الوجه أفقم <sup>(٢)</sup> .

وكان له من الزوجات ، سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن  
عثمان بن عفان ، وزينب بنت محمد بن يوسف الثقفى ، أخت  
الحجاج بن يوسف ، وبنت عون بن محمد بن على بن أبى طالب ،  
وربيحة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر ، وعاتكة بنت عبد  
الله بن معاوية بن أبى سفيان ، والجرباء بنت عقيل بن  
علفة .

وله من الأولاد عشرة ذكور هم : الوليد ، ويحيى ،  
وعبد الله ، والفمر ، وسليمان ، وعبد الجبار ، وداود ،  
وأبو سفيان ، وقيل : أبو سليمان ، والعوام ، وهاشم ، وذكر  
له بعضهم من الأولاد أيضا محمد والنعمان ، وقيل : ثمانية ،  
وثلاث بنات .

(١) انظر ترجمة أمه عاتكة عند / عمر رضا كحالة : أعلام  
النساء فى عالمى العرب والاسلام ، مؤسسة الرسالة ،  
بيروت ، ٢٢٠-٢١٦/٣ .

(٢) أفقم : الفقم فى الفم ، دخول الاسنان العليا الى الفم  
وقيل : الفقم اختلافه ، وهو أن يخرج أسفل اللحن ويدخل  
أعلى . ابن منظور : لسان العرب ، دار الفكر ، دار  
مادر ، بيروت ، (فقم) .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذى تولى الخلافة  
(١٢٥-١٢٦ هـ) . انظر عنه / حسين عطوان : سيرة الوليد  
ابن يزيد ، دار المعارف ، القاهرة . وقد اشتمل هذا  
الكتاب على مبحث عن يزيد بن عبد الملك أبو الوليد ،  
وقدم فيه المؤلف على منهجه فى الكتاب ، دراسة علمية  
مميّزة ، قامت على الاستقراء والتحليل والاستنباط ،  
والوصول الى حقائق جديدة ، انظر ذلك بين ص ١٤-٤٧ .

وقد تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ، يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب (سنة ١٠١هـ) على المشهور . وكان عمره آنذاك تسع وعشرون سنة ، وقيل غير ذلك ، يسند ذلك قول جرير ، الشاعر المعاصر :

سربت سربال صدق غير مفتصب

قبل الثلاثين ان الملك مؤتشب

وحيث ان بعض الروايات القديمة قد جعلت عمره عند توليه الخلافة (٢٩) سنة ، فان ذلك يرجح ان يكون مولده (سنة ٧٢هـ) . وكانت ولايته بعد من اخيه سليمان بن عبد الملك ، الذى عهد اليه بها بعد عمر بن عبد العزيز . فعهد اليه بها عمر ، واوصاه بالامانة . كما عهد هو بالخلافة من بعده لـ اخيه هشام بن عبد الملك ، ثم ابنه الوليد بن يزيد .

ومات يزيد بن عبد الملك يوم الخامس والعشرين من شعبان (سنة ١٠٥هـ) على المشهور والراجح ، وقيل غير ذلك . عن ثلاث وثلاثين سنة ، او اربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . وقد دامت مدة خلافته اربع سنين وشهرا ، على المشهور والراجح . وكانت وفاته باربد من أرض البلقاء <sup>(١)</sup> ، وقيل : بحوران <sup>(٢)</sup> ، وقيل : بسواد الأردن <sup>(٤)</sup> . وقيل غير ذلك .

- 
- (١) اربد : قرية بالأردن ، قرب طبرية . ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ١/١٣٦ .  
(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى بها قرى كثيرة ، وقسمتها عمان . ياقوت : معجم ، ٤٨٩/١ .  
(٣) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق ، من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة . ياقوت : معجم ، ٣١٧/٢-٣١٨ .  
(٤) سواد الأردن : نواحى قرب البلقاء . وسميت بذلك لسواد حاراتها . ياقوت : معجم ، ٢٧٢/٣ .

وحمل على الاعناق ، ودفن في دمشق بين باب الجابية  
وباب الصغير وقيل : بل دفن في الموضع الذي مات فيه . وعلى  
عليه ابنه الوليد ، وقيل : هشام ، وقيل : مسلمة .  
(١)  
وكان مرضه طويلا من السل ، او الطاعون .

ولقد استقيننا هذه الحقائق المجملة الموجزة من الكتب  
التي ترجمت للخليفة يزيد ، او تناولت شيئا من سيرته ،  
سواء كانت من كتب التراجم او كتب التاريخ العامة ، والتي<sup>(٢)</sup>  
سنعرض فيما يلي لذكر ماورد فيها حول شخصية يزيد بن عبد  
الملك ، ماله وماعليها ، ثم مناقشة ذلك ، وابراز  
ماوصلنا اليه من الحقائق والمفاهيم الجديدة في هذا  
العدد .

بادئ ذي بدء ، لم يترجم ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، صاحب  
أول كتاب وصل اليها من كتب التراجم ، للخليفة يزيد بن عبد  
الملك ، وان كان قد اورد عهد سليمان له بالخلافة بعد عمر  
في ثنايا ترجمة عمر بن عبد العزيز ، وكتاب عمر الى يزيد  
يوميها بالامة .<sup>(٣)</sup>

(٤)  
أما النصابة مصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) ، فذكر نسبه من

- 
- (١) اتسمت المصادر الاسلامية بتعدد الروايات ، وفيما يخص  
يزيد بن عبد الملك كان هناك اختلافا كبيرا في مولده ،  
وولايته ، وعمره عند الخلافة ، ووفاته ، وعمره عند  
وفاته ، ومدة ولايته ، ومكان وفاته ، وكثير من اخباره  
فعملت على تقديم ما رأيته الأرجح ، واخرت ما عداه ،  
واشرت الى وقوع الاختلاف او وجود اقوال أخرى .  
(٢) لاستكمال ما أجملناه عن سيرة يزيد انظر ما سنورده في  
المفحات التالية من اقوال المؤرخين حول سيرته .  
(٣) انظر : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ /  
١٩٨٥م ، ٣٣٥/٥ - ٤٠٥ ، ٤٠٦ .  
(٤) كتاب نسب قريش ، عنى بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق  
عليه ، أليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ،  
الطبعة الثالثة ، ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٦٦ - ١٦٧ .



طريق أبيه وأمه ، والعهد له من سليمان بعد عمر ، وإن عبد الملك قد أخذ على سليمان عندما عهد له بالخلافة بعد الوليد أن يعهد إلى أحد بنى عائكة يزيد ومروان ، وكان مروان قد مات في خلافة الوليد . فجاء عهد سليمان ليزيد بعد عمر . كما أورد استخلافه لهشام ثم ابنه الوليد بن يزيد . وذكر أولاده وأمهاتهم . والأهم أن حديثه عن يزيد جاء خالياً من أي إشارة فيها ما يدل على سوء سيرته .

(١) وترجمته عند ابن خياط (ت ٢٤٠هـ) مقتصرة على نسبه ومولده ووفاته وعمره ومدة خلافته ، ليس فيها شيء مما ينسب إلى يزيد من سوء ، ويترجم له عبد الله بن محمد بن يزيد (٢) (ت ٢٧٣هـ) ، ترجمة مختصرة على نهجه في كتابه ، لا تشمل على شيء من سمات سيرته سواء كان له أو عليه . أما ترجمة ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) له في كتاب الإمامة والسياسة ، فقد تضمنت (٣) الإشارة إلى حسن هديه قبل الخلافة ، والسير على نهج الوليد في خلافته ، ونص قوله : "وكان يزيد قبل ولايته محبوباً في قريش بجميل ماأخذه في نفسه ، وهديه وتواضعه وقمده ، وكان الناس لا يشكون إذا صار إليه الأمر ، أن يسير بمسيرة عمر لما ظهر منه ، فلما صارت إليه الخلافة حال عما كان يظن به ، وصار بمسيرة الوليد أخيه واحتذى على مثاله ، وأخذ مأخذه ،

- 
- (١) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم غياث العمري ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٣٣١، ٣٣٢ .
- (٢) تاريخ الخلفاء ، رواية أبي بكر السدوسي وزيادات لأبي بكر السدوسي ، وأبي بكر الشافعي ، وأبي علي بن شاذان تحقيق محمد مطيع الحافظ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٣٣ .
- (٣) تحقيق طه محمد الزيني ، دار المعرفة ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٠٣/٢ - ١٠٤ .

حتى كان الوليد لم يمت" . ثم ذكر استعظام الناس لذلك ، وان جماعة من اشراف قريش وخيار بنى امية هموا بخلعه ، فاخذهم ومن صانعهم ، وسجن وقتل بعضهم ، واغرم وصادر اموال آخرين ، بعد ان نكل بهم وفرقهم فى البلاد . وهذا الخبر الاخير لم نجد له ذكرا فيما اطلعنا عليه من المصادر الاخرى سوى اشارة عن تحدث الناس فى خلعه ، اوردها الكتبى ، ولعله استوحاها من هذا الخبر .

ويترجم له ابن قتيبة فى كتابه الآخر ، المعارف ، والى جانب ذكره لمعالم ترجمته من نسب وخلافة ومولد ووفاة وعمر وولاية وابناء ، نجده اول من يشير الى ميل يزيد الى اللهو والملذات ، ولكن فى قول مختصر ، ونصه : "وكان (يعنى يزيد) صاحب لهو ولذات ، وكان صاحب حباية ، وسلامة" .<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>

- (١) انظر اشارة الكتبى الى ذلك بعد : ص ٩٨ .
- (٢) تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ص ٣٦٤ .
- (٣) حباية جارية يزيد بن عبد الملك ، مغنية من الحن القيان ، ومن احسن الناس وجها واكملهم عقلا وافضلهم ادبا ، قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية ، وهى من مولدات المدينة ، كانت لرجل يعرف بابن رمانه وقيل ابن مينا ، هو الذى خرجها وادبها ، فاخذت الغناء من بعض المغنين فى ذلك الوقت ، ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار . وكان اسمها العاليه ، فلما شراها يزيد سماها حباية ، ولها اخبار كثيرة . انظر ترجمتها عند / عمر رضا كحالة : اعلام النساء ، ٢٣٢/١-٢٣٥ .
- (٤) سلامة القس ، نسبة الى عبد الرحمن بن ابي عمار الجشمى وهو من قراء اهل مكة ، يلقب بالقس لعبادته ، كان قد احبها لكنه انصرف عنها تقوى ، فغلب لقبه عليها . وهى من مولدات المدينة ، اخذت الغناء عن عدد من المغنين وحذقت الحرب على الاوتار ، وقالت الشعر الكثير . وهى جميلة ظريفة حسنة الغناء . ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك ، وعاشت بعده ، ولها اخبار كثيرة . انظر ترجمتها عند/ عمر رضا كحالة : اعلام النساء ٢٢٩/٢-٢٣٤ .

ونجد ابن قتيبة ايها في كتابه عيون الاخبار ، وان لم  
 يترجم له ، يذكر اخبارا متفرقة ذات صلة بسيرته ، وهي  
 زواجه من الجرباء بنت عقيل بن علفه ، وكتابته الى اخيه هشام  
 معاتبيا اياه على سروره عندما لم ييزيد المرض ، وكذلك  
 عطفه على اهل الموى والعشق ، وذلك من خلال ايراده قصة  
 عاشقين ، ماتا كمدا ووجدا ، عندما امتنع ابو الفتاة ان  
 يزوجهما من ابن عمها العاشق ، وكان قد علم بذلك من رسول  
 بعثه اليه عامله على المدينة في امر ، فعطفه عن مهمته ولم  
 يعطه جوابا عما قدم من اجله ، وامره بالعودة واستقصاء  
 خبرهما ، واشبات ذويهما في شرف العطاء مع اهل المدينة ،  
 ثم العودة اليه بالخبر ، واخذ الجواب فيما بعث من اجله  
 (٤) .  
 اولاً .

واخر اخباره في هذا الكتاب عن يزيد ، خطبة لابي حمزة  
 الخارجي ، يعرض فيها ببنى امية ، ويصف سوء سيرة يزيد فيها  
 عند ذكره بقوله : "ياكل الحرام ، ويلبس الحلة بالف دينار  
 قد ضربت فيها الابشار ، وهتكت الاستار ، حياة عن يمينه  
 وسلامة عن يساره تفنيانه ، حتى اذا اخذ الشراب فيه كل ماخذ  
 قد شوبه ثم التفت الى احدهما فقال : الا اظير ؟! نعم طر  
 الى النار" مما يدل على شيوع القول بسوء سمعته ،  
 واستغلالها من قبل خصوم الدولة الاموية .

- 
- (١) دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .  
 (٢) نفس المصدر ، ١٢/٤ .  
 (٣) نفس المصدر ، ١١٤/٣ .  
 (٤) نفس المصدر ، ١٣٠، ١٢٨/٤ .  
 (٥) نفس المصدر ، ٢٤٩/٢ .

وترجمته في انساب الاشراف هي اشل ترجمة له في كتب التاريخ ، فقد استوفى البلاذري (ت ٢٧٩هـ) فيها سيرته الذاتية والرسمية ، واستقماها في جميع الروايات ، بغير تحيز له او تحزب عليه ، مع ابانة ما يميز شخصيته وسياسته ، والتدقيق في البحث عن دوافعها وبواعثها ، فساق اخبار يزيد التي تشمل باسرحه ونشأته وازواجه واولاده ، ومزاجه ، وشغفه بالنعيم ، وكلفه بالفناء ، وسرد اخباره التي تشمل بولايته للمعد وخلافته ، والحركات التي قامت في عهده .<sup>(١)</sup>

(٢)  
اما اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) في كتابه تاريخ اليعقوبى ، فقد جاءت ترجمة يزيد عنده ، مقتصرة على نسبه وخلافته ، واحداث عهده وسياسته ، ولم يشر الى شيء مما ذكر له او عليه . لكنه في كتابه الاخر مشاكلة الناس لزمانهم ، يشير الى تآثره بحب حباية وتأثيرها على سياسته في شيء من الایجاز ، اذ يقول : "وكان يزيد بن عبد الملك فهو اول خليفة اتخذ قينة وغلبيت على امره امرأة ، فكانت حباية جاريته تولى وتعتزل وتطلق وتحبس وتامر وتنهى" . ويقول : "وكان مع ذلك يسرع الى الدماء والاموال وعاود عماله ماكانوا عليه من الجور" .

(٤)  
ويأتى الطبرى (ت ٣١٠هـ) على سيرة يزيد بعد ان عرش لاحداث عهده وسياساته ، وقد اشار الى خلافته وعمره آنذاك ،

(١) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٣٢ .  
(٢) دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٣١٠/٢ - ٣١٥ .  
(٣) ص ٢٠ .  
(٤) تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار سويدان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ٥٧٤/٦ - ٢٤/٧ .

ثم ذكر وفاته ومكانها وعمره وقت وفاته ومدة ولايته ، ثم  
أورد أربع مرويات ، عن بعض سيره واموره ، خص بها الجانب  
اللاهى فى حياة يزيد ، ذكر فى الاولى فتوة يزيد وشدة طربه  
بغناء جاريته حباة ، وحزن جاريته سلامة عليه عند وفاته  
وتمثلها بشعر لبعض الانصار . وهذه الرواية من حديث عمر بن  
شبه ( ١٧٣ - ٢٦٢هـ ) عن على بن محمد المدائنى ( ١٣٢ - ٢٢٤هـ )  
والثانية من قول على بن محمد المدائنى عن قمة شراء حباة  
والثالثة من قول على أيضا عن يونس بن حبيب ( ت ١٨٣هـ ) عن  
٨٣ سنة وقيل جاوز المئة ، يذكر فيها شدة طربه بغناء حباة  
وحزنه وبكاءه عليها عند مرضها ، وكانت الرواية الاخيرة من  
قول عمر بن شبه عن على بن محمد المدائنى ، وتضمنت الاشارة  
الى مكوث يزيد سبعة ايام لا يخرج الى الناس بعد موت حباة  
وذلك بمشورة اخيه مسلمة ، خشية أن يظهر منه مايسفه عند  
الناس .

وكما يتبين أن اسناد هذه الروايات منقطع ، فالاولى لم  
يذكر فيها مصدر المدائنى ، والثانية لم يذكر فيها المصدر  
الذى استقى منه الطبرى قوله عن المدائنى ، ولاالمصدر الذى  
روى عنه المدائنى ، وكذلك الثالثة لم يذكر الطبرى المصدر  
الذى اخذ عنه رواية المدائنى ، والاخيرة لم يورد مصدر  
المدائنى فيها .

وكنا نريد أن نتبع نقد السند الى جانب النظر فى متون  
المرويات ، لكن ورود هذه المرويات بسند منقطع فى بعض  
المصادر وخصوصا القديمة كالطبرى ، والتي سينقل عنها كثير  
من المؤرخين الذين سيأتون من بعدهم ، وورود الكثير منها

فى كثير من المصادر دون اسناد ، دفعنا الى صرف النظر عن اتباع هذا المنهج وهو نقد السند ، والاكتفاء بالنظر فى المتن ، واستخلاص ما توصلنا اليه ، بعد عرضنا لما ورد عن سيرة يزيد فى المصادر التى نحن بصد ذكرها ، خصوصا ان من الروايات ما اسند الى من وصفوا بالصدق والثقة والعدالة ، لذلك لم يعد هناك جدوى من مناقشة تلك المرويات ومعالجتها على اساس نقد السند .

فعلى سبيل المثال ، نجد ان مرويات الطبرى الاربع اخذها عن المدائنى ، وهو اخبارى حافظ ، قال الذهبى فيه : "كان عجبا فى معرفة السير والمغازى والانساب وايام العرب ممدقا فيما ينقله على الاسناد" . وقال ابن معين : ثقة ثقة . وقال الطبرى : "كان عالما بايام الناس صدوقا فى ذلك" . وذكره ابن عدى فى كتابه الكامل فى الضعفاء وقال ليس بالقوى . وقال ابن حجر : "لم اره فى ثقات ابن حبان وهو على شرطه" . وقال ابن حجر : "صدوق" <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> .

وبغیره من الثقات من رووا شيئا من هذه الروايات ، سنذكر منهم من نرى فى ذكره تأييدا لقولنا آنف الذكر .

ونعود مع ماوردته المصادر حول سيرة يزيد . فنجد ابن اعثم <sup>(٣)</sup> (ت ٣١٤هـ) ، يصب اهتمامه على احداث عصر يزيد وبخاصة فتنة ابن المطلب والفتوح ، ثم يشير الى وفاته وعمره ومدة خلافته ولايزيد على ذلك شيئا عن سيرته .

(١) محمد السلى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ١٧٧-١٧٨  
(٢) تقريب التهذيب ، قدم له دراسة واقية وقابله باصل مؤلفه مقابلة دقيقة محمد عوامه ، دار الرشيد ، سوريا حلب ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٠٥ .  
(٣) الفتوح ، م ٢٤٢/٢٦٤ .

(١)  
 أما ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) فقد قدم ترجمة جيدة لمنها  
 نسبه وخلافته ومماته وعمره وولايته ، وأولاده ، والعهد لهشام  
 وابنه الوليد ، وعتبه على هشام في تنقصه إياه ، وبعض رجال  
 الإدارة في عهده وشيئا من سياسته ، وفطنة ابن المهلب ، ثم  
 عرض للهو يزيد وكلفه بجاريته حبابه وسلامة ، فكرر قول ابن  
 قتيبة في كتابه المعارف من أنه صاحب لهو وذات ، وهو صاحب  
 حبابه وسلامة ، وأضاف رواية أخرى ، ظهرت فيها روح المبالغة  
 تضمنت شدة كلفه بحبابه ، وأنه أكب عليها ، يتشممها أياما  
 حتى انتفت ، ثم دفنها بنفسه .

ويشير ابن عبد ربه في موضعين آخرين خارج نطاق سيرة  
 يزيد ، إلى تبذيره المال قبل توليه الخلافة ، عندما ذكر أن  
 سليمان هم بالحجر عليه عندما أصدق سعدة بنت عبد الله بن  
 عمرو بن عثمان عشرين ألف دينار ، وشرى جارية بأربعة آلاف  
 دينار ، وأن سليمان قال : "هممت أن أغرب على يد هذا  
 السفه ...." (٢)

كما أورد أن كلفه بحبابه وانشغاله بها ، قد أدى به  
 إلى إضاعة أمر الرعية ، والاحتجاب معها عن الناس ، وشهود  
 الجمعة ، مشيرا إلى لوم مسلمة له على ذلك ، وأرعوانه قليلا  
 ثم العودة إلى سيرته الأولى بتأثير من حبابه . (٣)

(٤)  
 أما الأزدي (ت ٣٣٤هـ) ، وقد عرض لشيء من سياسة يزيد

(١) العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار  
 الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، توزيع دار الباز ،  
 مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٢م ،  
 ١٨٧/٥ - ١٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ١٧٥/٥ .

(٣) نفس المصدر ، ٦٦/٧ .

(٤) تاريخ المومل ، تحقيق على حبيبة ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ /  
 ١٩٦٧م ، ص ٢١-٥ .

واحداث عهده ، فقد ترجم له بايجاز ، وكرر ذكر الروايات الأربع التى أوردها الطبرى ، لكنه أضاف : "وكان يزيد مولعا بالنساء والغناء واللهو والشراب" . فزاد القول بولعه بالنساء ، والشرب ، دون مستند أو رواية نقل عنها أو أشار إليها .

ويترجم المسعودى (ت ٣٤٦هـ) له فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ترجمة مختصرة عن نسبه وخلافته ووفاته ، تاريخها ومكانها ، وعمره ومدة ولايته . ثم عرض لمعا من أخباره وسيره . مدرها بذكر الجانب المعتم من سيرته ، فذكر غلبة جاريته سلامة وحبابه عليه ، وإقباله على الشرب واللهو واحتجابه عن الناس ، ولوم مسلمة له على ذلك ، وإقلاعه عما كان فيه مدة مديدة ، ثم عودته الى ماكان عليه من لهو وقصف . وذكر عدم اكتفائه بهن ، واستدعاءه لأحد بنى أبى لهب من مكة ، على دواب البريد والانفاق على حملته من بيت المال ، لأنه يحسن غناء شعر بعينه ، وقدمه على الخليفة وغناؤه له ، وطربه بغناؤه ، وثنائه على أبى لهب الذى أخذ عنه ذلك الغناء ، ووصله وأعادته مكرما . ثم يكرر رواية شدة طربه لغناء حبابه وسلامه ، واحتجابه عن الناس عند مرض حبابه ، وامتناعه عن دفنها بعد موتها من شدة الجزع عليها حتى جيفت ، ثم دفنه أياها ، وموته بعدها بأيام قلائل ، ذاكرا قول أبى حمزة الخارجى فى يزيد كدليل على سوء سيرته . ثم عرض لبعض أخبار دولته ، وختم قوله :

(١) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ٣١٥-٣٠٦ .

(٢) انظر قوله قبل : ص ٨١ .



وليزيد اخبار حسان . فمدر حديثه عن يزيد بالمساوى ،  
 وختمه بالاشارة للمحاسن ولم يذكرها ، مع التوسع في ذكر  
 اخبار لهوه وطربه واحتجابه ، مكررا قول الازدى في شربه  
 الخمر .

(١)  
 ويترجم له ايضا في كتابه الآخر التنبيه والاشراف ،  
 فيوجز ترجمته ، ويمطه اخلاقه بعد وصف خلقه ، بقوله : "حتى  
 الشباب شديد الفخر ظاهر الكبر ، يحب اللهو ويستعمل الحجاب  
 لايعرف موابا فيأتيه ، ولاخطا فيدمه " .

(٢)  
 ويكرر المقدسى (ت ٣٥٥هـ) القول بلهوه وشغفه بحبابة  
 وشربه الخمر ، ثم تذكره لها ، وعزمه على الرشد ، والتشبه  
 بعمر ثم العودة الى سيرته الاولى بتأثير منها ، عندما  
 غنته ابياتا حزين له فيها اللهو والطرب الامر الذى ادى به  
 يوما الى الاعتزال معها فى مقصورة له لينال حظه من  
 الاستمتاع بها ، وامر حبابه الايفتحوا الباب ذلك اليوم ولو  
 كان بطلبه وأشار الى موتها ذلك اليوم ، حيث غمت بحبة رمان  
 وحمله جنازتها ، ودفنها ، وموته بعدها بخمسة عشر يوما .

ثم نرى دور الكتاب والحا فى تفخيم الامور ، والمبالغة  
 فى الوصف ، والتحريف والزيادة او النقص ، يتبين لنا ذلك  
 مما اضافه الجاحظ (ت ٣٥٥هـ) الى قول ابي حمزة الخارجى فى  
 يزيد ، وهو ينقل الخطبة التى نقلها ابن قتيبة ، اذ يحرف  
 (٣)  
 (٤)

- 
- (١) دار صعب ، بيروت ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .  
 (٢) كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩١٩م  
 ٤٩-٤٨/٦ .  
 (٣) البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون  
 مكتبة الجاحظ ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ،  
 الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ١٢٢/٢-١٢٥ .  
 (٤) انظر قبل : ص ٨١ .

فيها ويزيد ، ونس ماورده : "ثم ولى يزيد بن عبد الملك الفاسق فى دينه ، المأبون فى فرجه ، الذى لم يؤمن منه رشد وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى : {فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم} فأمر أمة محمد عليه السلام (١) اعظم . ياكل الحرام ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحلة قومت بالك دينار ، قد ضربت فيها الأبشار ، وهتكت فيها الاستار ، واخذت من غير حطها ، حباة عن يمينه ...." .

وبالقاء نظرة مقارنة بين النصين ، نجد زاد كل ما قبل قوله "ياكل الحرام" مفيها بعدها ، رمية بشرب الخمر ، مما يوضح ما أصاب النص من تحريف ، هذا ان كان قد صح نقله عن قائله من الأساس ، مع عدم التسليم بما جاء فيه ، لانه قول عدو خارج نال من المحابة رضوان الله عليهم فكيف لاينال من يزيد .

ويبلغ القول عن اخبار يزيد مع سلامة وحباة مداه عند ابى فرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، الذى جمع فى ترجمتيهما (٢) الكثير من الروايات حول ذلك ، وكرر القول حول شراهما ، ولهو وطربه وشربه وغلبيتها عليه ، واحتجابه مع امائه ، وتركه الظهور للناس ، وشهود الجمعة والجماعة ، والارسال فى اخصار بعض الشعراء والمفنيين ، للسمع منهم ، او الحكم فيما يختلفن عليه من الشعر والغناء ، كاستقدام الاحوص الشاعر ، ومعبد والفريض المفنيان .

(١) النساء : من آية ٦

(٢) كتاب الاغاني ، مصور عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع كوستا توماس وشركاه ، القاهرة ، ٢٣٤/٨ - ٢٥١ ، ١٤٥-١٢٤/١٥ .

وقد أشار الى هجره حياية مدة من الزمن ، رغبة فى التحبه بعمر بن عبد العزيز ، وفى رواية ، للوم مسلمة اياه على سلوكه ذاك ، ثم العودة الى سيرته ، لتعرضها له واسماعه غناء اطربه ، وقيل من شعر سمعه من الاحوص ، فترك ما اراد من الرشد وعاود الضى .

وباقى جهد ، وشئ من امان النظر ، تظهر مبالغة الامفهانى فيما أورده ، والخيال فيما قصه ، والتناقض والاضطراب فى مروياته .

فعلى سبيل المثال ، نراه فى رواية يشير الى ان يزيد قال : بماذا مار عمر ارجى لربه جل وعز منى ، فاراد التحبه به ، فشق ذلك على حياية ، فعملت على رده عن الرشد ، ونجحت فى ذلك . وغالب المصادر تشير كما سنرى الى سير يزيد على نهج عمر فى اول خلافته لمدة وجيزة حددها البعض بأربعين يوما ، ثم نكوصه عن ذلك . ولكن ليس بسبب حياية لانها لم تكن عنده آنذاك ، فانه لم يشترها الا فى خلافته ، كما ان الروايات تورد اسبابا اخرى لنكوصه ، نوردها عند ذكر المصادر التى اوردها . ورواية تقول ان التى شرت حياية هى زوجته سعدى التى اخذت عليها ان تمهد لابنها عبد الله ولاية العهد ، ورواية اخرى تقول ان زوجته الشقية ام الوليد هى التى شرتها له ، وانها اخذت عليها ان تعمل على تولية ابنها الوليد العهد ، ورجع القول الاخير .

ويبدو الاضطراب كبيرا فى خبر موتها ودفنها ، فرواية تقول : انه امر بدفنها بعدما انتخت ، وحضر دفنها ، ثم اراد نبشها ورجع عند ذلك ، وفى رواية انه نبشها بعد ثلاثة

أيام فزالوه عنها ، ودفنوها فلم يلبث أن مات ودفن الى جانبها . وثالثة ، تقول أن مسلمة طلب منه أن يكفيه الصلاة عليها ، فأمر مسلمة بعض اصحابه بالصلاة عليها وانصرف ، وغيرها . ولعل الأخيرة اقرب المرويات الى ما يقبله العقل ويناسب سمة ذلك الزمان واهله .

(١)  
ويقول حسين عطوان فيما نقله الاصفهاني : وهذا ابو الفرج حذو المسعودي في عرض اخبار يزيد الذاتية الالهية عرفا موجها ، يزرى به وينال منه ، فاكثر ما اورده من المرويات استحقاء من علماء الزبيريين واليمنيين ، وفيه اخبار ممنوعة . ثم اورد خبرا عن موت حبابة ودفنها وموقف الخليفة وموته كمدا عليها كنموذج على مروياته الباطلة . فمصدر الخبر عبد الله بن عروة بن الزبير الذي قال انه خرج الى الشام مع ابيه زمن يزيد بن عبد الملك ، وحكى القصة . وقد ابطال حسين عطوان الخبر ، على اساس ان عروة بن الزبير لم يدرك زمن يزيد ، فوفاته كانت (٩٣ او ٩٤ او ١٠٠هـ) . مما يدل على تلفيق واختلاق هذا الخبر ، وكثير من الاخبار المسيئة لشخص هذا الخليفة ، سواء كان ذلك من بعض المؤرخين او رواة الاخبار .

ومرويات الاصفهاني في هذا الصدد بعضها مسند ، واخرى منقطة السند ، وغيرها بلا اسناد . وقد اعتمد فيها على عدد من الرواة الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم ، الى جانب اناس من اهل الصدق والثقة والعدالة . وهو في ذاته لا تقبل اخباره الا بعد تمحيص ونظر ، فهو شيعي المذهب ، شعوبي

الخرقة ، كذاب ، يصرح في كتاباته بما يوجب عليه الفسق ،  
 ويهون شرب الخمر ، وبها كثير من الطعن والاعاجيب .  
 (١)  
 وقدم له ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ترجمة جيدة ، جمعت بين  
 ماله وعليه ، مسندة مروياتها على طريقة المحدثين ، وقد  
 اورد فيها نسبه ، ومولده ، وخلافته ، وموته زمانا ومكانا ،  
 وعمره ومدة خلافته وصفته ، ثم عرض لبعض سيره ، ومما ذكره  
 ليزيد من المحاسن ، مجالسة العلماء ، وحضور حلقاتهم  
 العلمية والاخذ عنهم سواء في دمشق او المدينة وذلك قبل  
 توليه الخلافة ، فيروى عن ابن جابر قوله : "بينما نحن عند  
 مكحول اذ اقبل يزيد بن عبد الملك ، فهممنا ان نوسع له ،  
 (٢)  
 (٣)

- (١) عن أبي الفرج الاصفهاني ، ترجمة ، ومذهبا ، ومنهجا ،  
 ومصادرا ، وقول العلماء فيه وفي كتابه الاثاني ، ونقد  
 بعض مروياته ، انظر : وليد الاعظمي : السيف اليماني  
 في نحر الاصفهاني صاحب الاثاني ، دار الوفاء للطباعة  
 والنشر والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ -  
 ١٩٨٨م . وقد اورد فيه روايتين من مختلفات الاصفهاني  
 عن يزيد بن عبد الملك وناقشهما ، انظر منه ص ١٥٢-١٥٣  
 ١٥٨-١٦٤ .
- (٢) تاريخ دمشق ، صورة من نسخة المخطوط بالمكتبة  
 الظاهرية بدمشق وكمل نقيصها من النسخ الاخرى بالقاهرة  
 ومراكش واستانبول ، صنع لكل جزء منها فهرسا للتراجع  
 والموسوعات الشيخ محمد بن رزق بن الطرهوني ، الناشر  
 مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ ، ٣٣٧/١٨ - ٣٤٥
- (٣) أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلم شراب بن شاذل  
 الدمشقي ، مولى لامرأة هذلية ، وأصله من سبي كابل على  
 المسيح ، حيث اختلف على ولائه وأصله ، وهو من  
 التابعين ، جليل القدر ، محدثا ، ثقة ، صدوقا . كان  
 يرى القدر ثم رجع ، (ت ١١٢هـ على خلاف) . انظر ترجمته  
 عند : الذهبي : سير اعلام النبلاء ، اشرف على تحقيق  
 الكتاب وخرج احاديثه ، شعيب الارناؤوط ، مؤسسة  
 الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ،  
 ١٥٥/٥ - ١٦٠ - ابن كثير : البداية والنهاية ، دقق  
 أصوله وحققه أحمد أبو ملحم وفؤاد السيد وعلى عطوي  
 ومهدي ناصر الدين وعلى عبد الستار ، دار الكتب  
 العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ -  
 ١٩٨٨م ، ٣١٧/٩ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ، دار  
 الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،  
 الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٢٥٨/١٠ - ٢٦٠ .

فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس يتعلم  
التواضع" . وعن عبد الله بن يسار : "انى لجالس فى مسجد  
النبي صلى الله عليه وسلم وقد حج فى ذلك العام يزيد بن  
عبد الملك ، قبل أن يكون خليفة فجلس مع المقبرى ومع ابن<sup>(١)</sup>  
أبى العتاب ...<sup>(٢)</sup> وذكر قصة وقوف أبى عبد الله المرابط صاحب  
أبى هريرة رضى الله عنه عليه وهو عندهما ، ووصايته له  
بأهل المدينة .

ويبدو أنه حفظ كثيرا من الحديث ورواه ، حتى عد من  
المحدثين ، فيروى ابن عساكر أن أبا زرعة قال : "ومن بنى  
أمية ممن يحدث ، يزيد بن عبد الملك" .

كما أورد مايدل على سير يزيد أول خلافته على نهج عمر  
ثم نكوصه عن ذلك . يقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : "لما  
توفى عمر بن عبد العزيز وولى يزيد بن عبد الملك قال سيروا  
بمسيرة عمر ، قال فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له ما على  
ال خلفاء حساب ولا عذاب" ، وقال عبد الملك بن الماجشون :  
"لما مات عمر بن عبد العزيز قال يزيد : والله ما عمر باحوج  
الى الله منى . قال فاقام أربعين ليلة يسير بمسيرة عمر .."  
لكن الرواية عللت نكوصه عن نهج عمر بسبب عمل جاريته حباة  
على صرفه عن ذلك باسماعه غنائها ، فصرفته الى اللهو .  
وبالمقابل أورد شيئا مما قيل فيه ، وذلك عن شراء

(١) أبو سعيد المقبرى ، واسمه كيسان ، مولى لبنى جندع من  
كنانة ، أدرك عمر بن الخطاب ، وكان ثقة كثير الحديث  
(ت ١٠٠هـ) فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقيل توفى  
بالمدينة فى خلافة الوليد بن عبد الملك . ابن سعد :  
الطبقات الكبرى ، ٨٥/٥ - ٨٦ .  
وقد يكون الذى تعلم على يديه الخليفة يزيد هو ابن  
أبى سعيد المقبرى ، واسمه سعيد بن أبى سعيد المقبرى  
فابن عساكر اكتفى بذكر اللقب ولم يحدد الاسم .  
(انظر ترجمة الابن بعد : الفصل السادس ، المبحث الاول  
ص ٦٥٩) .

(٢) أراه منصور بن المعتمر ويكنى أبا عتاب ، إذ لم نعثر  
على أحد بهذا الاسم فى تلك الفترة غيره ، ومنصور من  
العباد ، رفيعا عاليا مدوقا ، ثقة كثير الحديث ، مات  
١٣٢هـ . ابن سعد : نفس المصدر ، ٢٣٧/٦ .

سلامة واختلاطه مع حبابة وموتها شرقا ، ودفنها بعدما جيفت ، وحزنه وجزعه عليها ، وشعره فيها ، وموته على آخرها . بل أنه أورد رواية تطعن في دينه ، مع أنه ذيلها بالحكم على أسنادها ، إذ قال : "في أسنادها غير واحد من المجهولين" .<sup>(١)</sup> أما ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، فقد استعمل حديثه عن عهد يزيد باستخلاف يزيد ، وبعد أن عرض لأحداث عهده وسياسته ، استكمل الحديث عن سيرته وشيء من أخباره . فذكر استخلافه بعد عمر بعهد من سليمان ، وأشار إلى وصية عمر إليه ، وقول ينم عن حسن رأيه فيه قال : لما احتضر عمر قيل له : اكتب إلى يزيد فأوصه بالامة . قال : بماذا أوصيه ؟ أنه من بنى عبد الملك ، ثم كتب وصيته إليه .<sup>(٢)</sup>

لكن ابن الأثير ، سرعان ما يلتمس حديثه عن يزيد بقوله : "وعهد يزيد إلى كل ما منعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردّه ، ولم يخف شناعة عاجلة ولا اثما عاجلا" . وهذه مقولة سنناقش مدى صحتها في دراستنا لسياسته الإدارية والمالية .<sup>(٣)</sup>

أما أخبار سيرته ، فكرر فيها ابن الأثير ، ماورد عند الطبري وغيره من الروايات عن هرائه لجاريتيه سلامة وحبابة وشدة طربه لفنائهما وكلفه بهما ، وحزنه وجزعه على حبابة بعد موتها . وعلى طريقة المحدثين كان يورد الروايات المختلفة وإن تناقضت ، وعلى منهجه دون أسناد ، لكن الدارس

(١) الكامل ، ١٦٥/٤ - ١٩٢ .

(٢) انظر نفعها بعد : الفصل السادس ، المبحث الثاني ، ص ٧٢٢-٧٢٣ .

(٣) انظر ذلك في الفصل الخامس . وقد اثبتت الدراسة الجديدة عدم صحة هذا القول على وجه الإطلاق .

يلمس تقديمه لما هو اقرب للمنطق ، مستبعدا امدار الاحكام عليه والروايات التي تطعن في دينه . فنراه على سبيل المثال ، يقدم القول بموته بمرض المل ، على موته كمدا على فقد حياة ، وعندما يصور طربه بالغناء يقدم الرواية التي تقول : "كان يزيد من فتيانهم ، فقال يوما وقد طرب وعنده حياة وسلامة القس : دعوني اطيير ، فقالت حياة : على من تدع الامة ؟ قال : عليك" . ثم يورد بعدها رواية تقول : "وغننه يوما :

وبين التراقى واللعاة حرارة وماظمئت ماء يسوع فتبرد ا فاهوى ليطيير ، فقالت : يا امير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فقال : والله لاطييرن ، فقالت : على من تخلف الامة والملك ؟ قال : عليك والله ، وقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : سخنت عينك فما اسخفك" . فالخبر واحد ، لكن الرواية الثانية بها زيادة ، وفيها مبالغة تستهدف التعميرض والاساءة ، فاورد الاثنحين لكنه قدم اكثرها اتزاناً .

(١) ويكثر المؤرخ المجهول ، من الروايات التي ترسم صورة يزيد الالهى ، فى شىء من المبالغة وهو لا يكتفى بايراد الروايات المشيرة الى لهوه ، وانصرافه الى الاماء ، والشرب ومعام الناس من الظلم والجور بسبب ذلك ، واقلاعه ثم عودته الى سيرته الاولى ، كما عند كثير ممن سبقه من المؤرخين ، بل يمدد احكاما قاسية ، فبعد ان عرف بيزيد على انه صاحب لهو وهو صاحب حياة وسلامة وصف خلقه ، كما وصف خلقه

(١) الميون والحدائق فى اخبار الحقائق ، ويلييه تجارب الامم لمسكويه ، مكتبة المثنى ، ببغداد ، ٨٠-٧٥/٣ .



بالتجور . ومن المبالغة في رواياته التي نقلها ، القول  
بشراء حبابة وسلامة بمائتي ألف دينار ، ورواياته غير  
مسندة .

وسنتجاوز عددا من المؤرخين لنصل الى ترجمته عند  
اثنين من كبارهم ، أولهما : الذهبي ( ت ٧٤٨هـ ) ، الذي  
تناول شيئا من سيرته في كتبه التاريخية ، فأورد في تاريخ  
الاسلام ، وصف خلقه ، وحضوره مجلس مكحول ، كما كرر القول ان  
يزيد قال : سيروا بسيرة عمر ، فأتى بأربعين شيئا ، فشعدوا  
له أن ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب . وأضاف في كتابه دول  
الاسلام قوله : " وكان طائفة من الجاهل الشاميين يعتقدون  
ذلك " . كما أشار في كتابه تاريخ الاسلام الى طرف من قصته مع  
حبابة ، وموتها ، وحزنه عليها وموته على اثرها . وترجم  
ليزيد في كتابه سير اعلام النبلاء ترجمة جيدة ، أورد فيها  
نسبه ، واستخلافه ، ومولده ، وصفته ، ووفاته زمانها  
ومكانها ، ومدة خلافته ، وعهده لعشام ثم ابنه الوليد . ثم  
أشار الى جانب من محاسنه ، حيث كرر القول بحضور حلقة  
مكحول لطلب العلم ، والسير بسيرة عمر اول خلافته ، وشهادة  
أربعين شيئا له ، أن ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب .  
وأورد رواية أخرى لهذا الخبر ، ذكر فيها أن يزيد قال :  
والله ما عمر بن عبد العزيز باحوج الى الله مني ، فاقام  
أربعين يوما يسير بسيرته ، ثم أشار الى انصرافه عن ذلك

(١) وطبقات المشاهير والاعلام ، مطبعة السعادة ، نشرة  
مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ٢١٢/٤ - ٢١٤ .

(٢) مطبعة دار المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر  
آباد ، الدكن ، الطبعة الاولى ، ٥٥/١ .

(٣) ١٥٢-١٥١/٥ .

الى اللهو مع حباة التى اغرته بفنائها .

ثم عرض للجانب الالهى من حياة يزيد ، فذكر قصة وفاة حباة ، وحزنه عليها ، وموته بعدها بخمسة عشر يوما . وعرض لوصفها ، كما ذكر لوم مسلمة لاختيه يزيد فى شغفه بتلك الجارية ، وتركه مصالح المسلمين ، وعدم افادته فيه . وبين رأيه فى يزيد بقوله : "وكان لا يصلح للإمامة ، مضروف الهمة الى اللهو والفوانى" .

وثانيهما ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) <sup>(١)</sup> ، الذى تعد ترجمته ليزيد من أفضل التراجم التى تناولت سيرته ، لما تميزت به من الشمول والاتزان ، حيث تناول ماله وماعليه بل ودرء بعض الشبه عنه . واشتملت على نسبه ، وصفته ، وخلافته بعد عمر ابن عبد العزيز بعهد من سليمان ، وذكر كتاب عمر اليه ووفاته وعمره ومدة ولايته ، والعهد من بعده لهشام ثم ابنه الوليد بن يزيد . أما اخبار سيرته ، فقدم ماكان ليزيد من اثر حسن ومحامد طيبة ، ثم تناول الجانب الالهى فى شيء من الاتزان . فبدأ بخبر متابعة يزيد لعمر بن عبد العزيز الذى عاد الى ماكان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من عدم توريث المسلم الكافر ، والكافر المسلم ، وترك ماسار عليه بنو أمية منذ عهد معاوية من توريث المسلم الكافر ، فلما تولى هشام أخذ بما كان عليه بنو أمية . ثم كرر رواية تعلم يزيد على يد مكحول وحفوره مجلسه . ثم أكد على كثرة حضور يزيد مجالس العلماء ، وأشر ذلك عليه فى عزمه على التأسى بعمر عند توليه الخلافة ، يتبين ذلك من

(١) البداية ، ط ٤ ، ٩ / ٢٤١-٢٤٢ .

قوله : "وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولى عزم على أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز ، فما تركه قرناء الموء ، وحسنوا له الظلم ، قال حرمة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولى يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فمكث كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب" .

وقد دفع عنه تهمة الطعن في دينه بقوله : "وقد اتهم بعضهم في الدين ، وليس بمحيي ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتى ، أما هذا فما به من بأس" . وبالمقابل تناول الجانب الآخر ، حيث تحدث عن علاقة يزيد بجاريته حبابة شراءها ، وحظوتها عنده ، وكلفه بها ، وقصة موتها عندما اعتزل كل شيء ليخلو بها في أحد قصوره ، فماتت على اثر شرقها بحبة عنب ، وتأخيرها دفنها حتى جيفت ، ومدى حزنه عليها وموته على اثرها ، بمرض السل .

وقد قدم ذلك بشكل موجز ، مستبعدا ما ينم عن التحامل ، وإن لم يسلم قوله من ذكر ما يستغرب ، كالقول ببقائه أياما بعد موتها يقبلها ويرشفها وهي ميتة حتى انتنت وجيفت . ويتضح أنه جمع أكثر من رواية في خبر موجز أجمل فيه قصة يزيد مع حبابة ، وبدون اسناد ، مخالفا منهجه وبخاصة في الروايات المسندة التي تناولت الجانب الحسن من سيرة يزيد .

وكثر كثير من المؤرخين المتأخرين ، القول بلهوه ، وكلفه بجاريته سلامة وحبابة ، وانصرافه اليهن ، بينما

أشار بعضهم الى اتباعه نهج عمر أول خلافته . وامدر بعضهم  
الاحكام القاسية عليه ، كقول ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) : "كان<sup>(١)</sup>  
- يعنى يزيد - خليع بنى امية ، شغف بجاريتين اسم احدهما  
سلامة والاخرى حبابة ، فقطع معهما زمانه " . ومثل ذلك نجده  
فى ترجمته عند الكتبى (ت ٧٦٤هـ) ، الذى لمن ترجمته الكثير<sup>(٢)</sup>  
مما يصر ليزيد دون ذكر لشيء من محاسنه ، فوصفه بالعجز ،  
وقال : "كان يسمى يزيد الماجن" وخلال تحدثه عن قمته مع  
حبابة ، قال : ان عقله اختل على اثر مودتها . واذن قوله :  
"وتحدث الناس فى خلعه من الخلافة" وهو خبر سبقه اليه ابن  
قتيبة ، الذى اشار الى محاولة خلعه ، لعودته الى سياسة<sup>(٣)</sup>  
الوليد بن عبد الملك ، وليس بسبب علاقته بحبابة كما قال  
هذا . وابدى رايه فيه ونمى : "فغلبت - اى حبابة - على  
قلبه من ذلك - وقت شرائها - ولم ينتفع به فى الخلافة " .

والغاف بعضهم تبذيره المال ومبلغ ترفه ، فاشار  
اليافعى (ت ٧٦٨هـ) ، الى اعطاء يزيد قبل الخلافة لاحد<sup>(٤)</sup>  
الحلاقين اربعة آلاف درهم . ويذكر القلقشندي (ت ٨٢٠هـ) ان<sup>(٥)</sup>  
يزيد كان يلقب القادر بمنع الله . وقد انفرد بذلك . كما  
يذكر تنعمه وعظمة قماشه ، فيقول : "كان قماشه - يعنى

(١) الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار

صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، ص ١٣١ .

(٢) فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، دار

صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ٢٢٢/٤ - ٢٢٣ .

(٣) انظر قوله قبل : ص ٨٠ .

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان ،

تحقيق عبد الله الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ٢٥٣/١ .

(٥) مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار

احمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ،

١٩٦٤م ، ٣٦٣/١ .

يزيد - يحمل على ستمائة جمل ، وانه خلف عشرة آلاف قميص  
لنفسه ، وليقس على ذلك باقى امواله " . غير ان لهذا الخبر  
مخيلا ينسب مثل ذلك لهشام بن عبد الملك ، لاليزيد ، ولعله  
اصل هذا الخبر ، فحرفت نسبته من هشام الى يزيد .

(١)  
قال المعصب الزبيري : "وكان - اى هشام - قد اتخذ  
طرازا له قدر ، واستكثر منه ، حتى كان يحمل طرازه على  
سبعمائة جمل ، وحمله على ذلك ان عمر بن عبد العزيز لما مد  
يده الى بعض اموال بنى امية ، لم يعرض لما قطعوا من  
الخياب ولبسوا ، تركها لهم ، فرأى هشام ان عمر امام عدل ،  
وان من ياتى بعده من اهل العدل يقتدى به ، فجعل يتخذ  
المتاع الجيد ويؤثر فيه ويلبسه ، ثم يدخره لولده ، وكان  
يستجيده ويغالى بكمنه " .

(٢)  
وروى ابن تفرى بردى (ت ٨٧٤هـ) ، فى ترجمته ليزيد  
القول بان يزيد صاحب لهو وطرب ، وكذلك سيره على نهج عمر  
اربعين يوما ، ثم ترك ذلك الى اللهو والشرب .

بينما خلت ترجمته عند آخرين من اى ذكر لاجبار سيرته ،  
كما عند ابن العمرانى (ت ٥٨٠هـ) ، او الاقتصار على ذكر  
الحسن من اخباره ، كما فعل السيوطى (ت ٩١١هـ) ، الذى ضمن  
ترجمته روايتين عن اتباعه نهج عمر اول خلافته ، ثم عدوله .

- 
- (١) نسب قريش ، ص ١٦٤ .  
(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة  
عن طبعة دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة  
للطباعة والترجمة والنشر ، ٢٥٦-٢٥٥/١ .  
(٣) اللبء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائى ،  
دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة  
الثانية ، ١٩٨٢م ، ص ٥١ .  
(٤) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،  
ص ٢٤٦-٢٤٧ .

ونرى ان فيما اوردناه من اقوال المؤرخين واصحاب  
الخراجم ، ما يكفى لمناقشة ما قيل حول شخصية يزيد بن عبد  
الملك ، ووقع التصور الاقرب لسيرته ، ولانقول التصور الاضرب  
او ما كانت عليه سيرته فى الحقيقة ، لان المعلومات التى  
اشتملت عليها مصادرنا حول سيرته ، قليلة نادرة ، مقتصرة  
على بعض جوانب حياته وليس كلها ، مضطربة متناقضة ، مما  
يوجب معها الوصول الى الحقيقة او الحكم القاطع .

وما عرضنا له من المصادر التى تناولت سيرة يزيد ،  
يمكن تقسيمه الى فئات ، الاولى : اجمت عن ذكر اخبار سيرته  
واقترنت على ايراد ابجدياتها ، من نسب ، ومولد ، وخلافة ،  
ووفاة ، وعمر ، ومدة خلافة ، وشئ عن أسرته ، وهى : نسب  
قريش ، وتاريخ ابن خياط ، وتاريخ الخلفاء لعبد الله بن  
محمد بن يزيد ، وتاريخ اليعقوبى ، والفتوح ، والانباء فى  
تاريخ الخلفاء .

فئة ثانية : ضمنى ترجمته الجمع بين ذكر المحمود من  
سيره ومذمومها ، وهى الامامة والسياسة . وانساب الاشراف  
وتاريخ دمشق ، وتاريخ الاسلام ، ودول الاسلام ، وسير اعلام  
النبلأ ، والبداية والنهاية ، ومرآة الجنان .

وفئة ثالثة : اوردت فى ترجمته من الاخبار ما اخذ عليه  
وهى المعارف ، ومشاكله الناس لزمانهم ، وتاريخ الامم  
والملوك ، والعقد الفريد ، وتاريخ الموصل ، ومروج الذهب ،  
والتنبيه والاشراف ، والبيان والتبيين ، والبدء والتاريخ ،  
والانسانى ، والكامل ، والعيون والحداثق ، وماثر الانافة .  
بينما وجدنا السيوطى كمثال لمن اقتصر على شئ من محاسنه

فى الترجمة ليزيد .

وهذا التقسيم مبنى على طبيعة ماحوته تلك المصادر من أخبار سيرة يزيد ، لاعلى أساس أنه يبين اتجاه هؤلاء المؤرخين وأهواءهم ، ولايدل بشكل مطلق على اثر الهوى فى كتاباتهم التاريخية . فعلى سبيل المثال ، نجد أن الطبرى قد اقتصم فيما أورده من أخبار سيرة يزيد ضمن ترجمته ، على بعض ماأخذ عليه من علاقته بجاريته حبابة ، لاعتن هوى فى نفسه وهو الامام الحافظ العلامة الثقة المدوق حسن المذهب والاعتقاد<sup>(١)</sup> ، وان كنا لانجد مبررا لاغفاله أى شىء عن الجانب الحسن من سيرة ذلك الخليفة ، الا أنه لم يسمع أو يطلع على شىء من ذلك . بينما اغفل أخبار سيرته الالهية من كان يتوقع منه الطعن والاساءة ، كاليقوبى فى كتابه تاريخ اليعقوبى ، وهو المعروف بالتشيع ، واتباع الهوى فى كتاباته ، وان كان قد ذكر شيئا من أخبار تلك السيرة فى كتابه الآخر مشاكلة الناس لزمانهم .

ويمكن أن نجمل أخبار سيرة يزيد بن عبد الملك ، كما جاءت فيما استعرضناه من المصادر فى جانبين : المحمود من سيرته وهو مايحسب له ، والمذموم منها وهو مايؤخذ عليه . وتمثل المحمود من سيرته ، أنه كان قبل الخلافة محبوبا فى قريش ، بجميل مأخذه فى نفسه ، وهديه وتواضعه وقصده<sup>(٢)</sup> . ويحسن بنا أن نخوه - وان كان من خارج تراجم يزيد فى

(١) عن ترجمة الطبرى ، وعقيدته ، انظر : محمد السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٤٣٦-٤٣٩ .  
(٢) عن ترجمة اليعقوبى ، وعقيدته ، انظر : محمد السلمى : نفس المرجع ، ص ٤٢٦-٤٣٢ .  
(٣) انظر قبل : ص ٧٩ .

المصادر التي عرضنا لها - الى حسن تربيته وتاديبه في صغره كواحد من ابناء الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي اولى تربية اولاده عناية كبيرة واهتماما بالغاً ، زودهم بتوجيهاته ووصاياه ، واعطاهم حبه ، واسبغ عليهم عطفه ، وهاهو ذا يعبر عن حبه لهم بشعر قال فيه عن يزيد :

يزيد زيادة الرحمن فينا  
(١) وصاحب عروة الامر الشديد

كما احسن اختيار المؤدبين لابنائهم ، فانتقاهم من اهل الدين والعلم والفضل ، وقدم لهم توجيهاته ، فيما ينبغي ان يفعلوه وما يريد ان يكون عليه ابناءؤه . فكان منهم الضحاك ابن مزاحم الهلالي ، وعامر بن شراحيل الشعبي ، واسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر ، ومحمد بن مسلم الزهري .  
(٢)  
(٣) (٤)  
وقد تصادف يزيد على يد اسماعيل بن ابي المهاجر ،

(١) عن اهتمام عبد الملك بن مروان بتربية ابناءه ، انظر محمد ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان والدولة الاموية ، مطابع سجل العرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م ص ٤٩-٥٣ - عواد مجيد الاعظمي : الامير مسلمة بن عبد الملك ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص ١٩-٢٢ .

(٢) عن مؤدبي بنى عبد الملك ، التعريف بهم ، واسن اختيارهم ، وتوجيهات عبد الملك لهم ، وتربيتهم لبنيهم انظر : محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء ، (بحث) ، ص ٤٠-٤٣ ، ٤٨-٥٣ .

(٣) اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر ، مولى بنى مخزوم ، امام كبير ، من العلماء رواة الحديث الثقات كان مفقه اولاد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وهو من الزهاد ، ولى المغرب لعمر بن عبد العزيز ، فاقام بها سنتين حتى عزل بابن ابي مسلم . وقد اسلم عامة البربر في ولايته . وكان حسن السيرة . توفي سنة ١٣٢هـ .  
الذهبي : سير ، ٢١٣/٥ .

(٤) ابو زرعة : تاريخ ابي زرعة ، ٣٤٧/١ - ٣٤٨ .



(١)(٢)

والزهري .

ولاشك أن مثل هذه التربية ، والتأديب ، والتعلم ، على مثل هؤلاء العلماء ، سيكون له الأثر الحسن في سلوك يزيد وهدية ، وإن كان حسين عطوان ، يشير إلى ضعف الملة العاطفية بين يزيد وأبيه عبد الملك ، وأنه كان ميالا لابنه الوليد ، فلم يرع يزيد كبقية أبنائه من زوجاته الأخريات ، وطلق أمه .

وذكر أنه بعد تطليق عبد الملك لأمه عاتكة بنت يزيد ، أصبح يزيد كل أمها ، خصوصا أنه ابنها الأكبر ، ولما اتصف به من حسن الخلق وتمام البنية وسمات الرجولة ، فاسبغت عليه حنائها ، وأحاطته برعايتها ، وغرست فيه الشموخ بالنسب والنفس ، لانتمائه إلى البيت المرواني عن طريق أبيه والبيت السفيفاني عن طريق أمه . كما قوت فيه الشعور بالكرامة والشهامة ، والفخر بذاته ومنزلته ، وقد نشأ في أحضانها نشأة فيها الرقة والنعومة والترف .

ولعل هذه التربية في أحضان أمه ، ما أوجد فيه بعض

(١) محمد بن مسلم الزهري القرشي ، الفقيه الحافظ ، أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام ، كان ثقة كثير الحديث ، له نحو ألفي حديث ، وكان وافر العلم ، كثير الرواية ، جامعاً . وكان يكتب كل ما يسمع ، من أعلم الناس ، قال عنه عمر بن عبد العزيز : لم يبق أعلم بسنة ماضية منه . وقال عن نفسه : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ولا بذله بذلى ، ولد سنة ٥١هـ على خلاف ومات سنة ١٢٤هـ على خلاف أيضاً . انظر : ابن حجر : تهذيب ، ٣٩٥/٩-٣٩٩ . وأضاف الذهبي : أنه قدم الشام على عبد الملك بن مروان ، ثم لازم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد ، فاستقماه يزيد بن عبد الملك مع سليمان بن حبيب جميعاً . انظر : سير ، ٣٢٦/٥-٣٥٠ .

(٢) محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء (بحث) ، ص ٤٢ .

(٣) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٤٠ .

السمات ، وما كان معينا لبعض المؤرخين يستقون منه  
أوصافه التي ضمنوها كتبهم ، كقولهم أنه كان فتى الشباب ،  
ظاهر الكبر ، شديد الفخر ، وغير ذلك من الصفات .

وعلى كل حال فإنه لما شب ونضج ، اعتمد على نفسه ،  
وسعى في طلب العلم ، فكان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن  
يلى الخلافة ، ويغشى مجالسهم ، ويحضر حلقاتهم ، ويتأدب  
بآدابهم ، ويمضى لكلامهم ويقبل توجيهاتهم ، ويأخذ العلم  
عنهم . وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم ، مكحول والزهرى ،  
في الشام ، والمقبري ، وابن أبي العتّاب ، من علماء  
المدينة .

وعلى ما يبدو أنه بلغ درجة رفيعة من العلم وبخاسة في  
حفظ الحديث وروايته ، جعلت بعضهم يعده من المحدثين .  
وقد كان رأى عمر بن عبد العزيز في يزيد حسنا ، كما  
كان عمر عند يزيد ممن به يقتدى ، فإنه لما ولى الخلافة بعد  
عمر ، أراد التأسى به ، والسير على طريقته ، وقال : والله  
ماعمربا حوج منى الى الله ، فأمر بالسير على نهجه . وكان  
مما تابعه فيه ، احياء سنة عدم توريث المسلم الكافر ،  
والكافر المسلم . وذلك كما كان متبعها في عهد الرسول صلى  
الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين . بعد أن ورث معاوية

(١) انظر قبل : ص ٩١-٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣ .

(٢) انظر قبل : ص ٩١ .

(٣) عن تعلم يزيد على يد الزهرى ، انظر : حسين عطوان :  
سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٥ (نقلا عن : عيون التواريخ  
مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ تاريخ ، ج ٥ ،  
الورقة : ١٥٥) .

(٤) انظر قبل : ص ٩٢ .

(٥) انظر نص ابن عساكر في ذلك ، قبل : ص ٩٢ .

(٦) انظر إشارة ابن الأثير الى ذلك ، قبل : ص ٩٢ .

رضى الله عنه المسلم الكافر ، وتابعه على ذلك خلفاؤه من بنى أمية ، حتى عاود عمر السنة الاولى ، ووافق في ذلك يزيد . وقد سار يزيد بسيرة عمر مدة حددها البعض بأربعين يوما ، اذ لم يتركه قرناء السوء ، فحسنوا له الظلم ، واتوه بأربعين شيخا ، شهدوا له أن ماعلى الخلفاء من حساب ولاعذاب .<sup>(١)</sup>

اما الجانب الآخر ، وهو ماذم به واخذ عليه ، فتحمل في عدد من الأوجه أولها : تركه السير على نهج عمر الذى عمل به أول خلافته ، سواء على اثر شهادة الأربعين شيخا أن ماعلى الخلفاء من حساب ولاعذاب ، أو بفعل حبابة التى سعت الى صرفه الى اللهو معها ، وزاد من ذلك أنه عمد الى كل شيء صنعه عمر مما لم يوافق هواه فردّه - كما قال بذلك ابن الأثير وهو ما سنناقشه فى ثنايا الفصل الخامس بعد - والعمل بسيرة أخيه الوليد ، واتباع هديه .<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>

الوجه الثانى : وهو الجانب اللاهى فى حياة يزيد ، أو ميله الى اللهو واللذات . وقد بنى على قمته مع جاريته سلامة وحبابة ، واستمد مما روى حقا حول حبه لهما ، وكلفه بهما ، وحظواتهما عنده ، ومازىد على ذلك ، أو اختلق حوله وقد اتضح لى أنه المحور الذى دارت عليه الرحا التى طحنت شخصية يزيد بن عبد الملك .

وقصة يزيد مع جاريته فى الأمل بسيطة كما يبدو لى ، فهما جاريتان ، جميلتان ، ظريفتان ، مغنيتان ، شراهما

(١) انظر ذلك قبل : ص ٩٧، ٩٥، ٩٢ .

(٢) انظر قوله : ص ٩٣ .

(٣) انظر ذلك ضمن قول ابن قتيبة قبل : ص ٨١-٩٠ .

يزيد بعد استخلافه ، فملكنا عليه قلبه ، خصوصاً حباة ،  
التي كلف بحباها ، واشتد طربه لغنائها ، فحظيت عنده ، فلما  
ماتت ، حزن لموتها وجزع عليها ، ولم يطل العمر به بعدها  
حيث مات بعدها بأيام معدودة ، بالطاعون وقيل بل كان مرض  
المل .

وقد أغمض كثير من المؤرخين القول بموته مطعوناً أو  
مسلولاً ، وجعلوه كمداً واسفاً على فقد حباة . مع أنه من غير  
المستبعد ذلك بل هو الأولى ، فكثيراً ما انتشر وباء الطاعون  
وغيره من الأوبئة في حواضر الشام كدمشق ، فكان ذلك من  
الأسباب التي دعت الخلفاء الأمويين إلى بناء قصور لهم في  
بوادي الشام وأريافه .<sup>(١)</sup>

ومع أن قصر الصفراء الذي بناه سليمان بن عبد الملك  
ظل داراً للخلافة حتى اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة مقراً  
له بدلاً من دمشق ، إلا أن يزيد كان ككثير من الخلفاء  
الأمويين الذين اتخذوا لهم قصوراً خارج دمشق ، يستجمون بها  
ويقفون فيها بعض أوقاتهم . فنزل قصر الموقر ، الذي يرجح<sup>(٢)</sup>

- 
- (١) عن أسباب بناء الأمويين للقصور الصحراوية والريفية ،  
انظر : فواز أحمد طوقان : الحائر في العمارة الأموية  
الإسلامية ، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدولي (الأول)  
لتاريخ بلاد الشام ، من القرن السادس إلى القرن  
السابع عشر الميلادي ، المنعقد في الجامعة الأردنية ،  
١٩٧٤م ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ،  
ص ٧١-٧٥ (وأن كان قد حاول إبطال القول بالأسباب  
القديمة كالهروب من الأوبئة ، وذكر أسباباً أخرى) .
- (٢) عصام عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار  
الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م ، ص ٤٢ .
- (٣) موقر : اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق ،  
وكان يزيد بن عبد الملك ينزله . ياقوت : معجم  
البلدان ، ٢٢٦/٥ . ويتضح أن القصر سمي باسم المكان  
الذي بني فيه .

(١)  
أن يكون يزيد بن عبد الملك هو الذى بناه ، أو رممه ، وقد  
بنى على قمة جبل الموقر ، الى الشمال الشرقى من قصر  
المشتى ، وقد تهدم ولم يبق منه سوى البركة وأنقاض  
ابنيته . (٢)

ولقد احتوت مدائح وقصائد بعض الشعراء فى يزيد بن عبد  
الملك ، اشارات الى ذلك القصر ونزوله فيه ، من ذلك قول  
الاحوص الشاعر يمدح يزيد بن عبد الملك :

الا لآلمه اليوم أن يتبلدا      فقد غلب المحزون أن يتجلدا  
نظرت رجاء بالموقر أن أرى      أكاريص يحتلون خاخا فمئشدا (٣)  
وقول جرير :

اشامت قريش للفرزدق خزيه

وتلك الوفود النازلون الموقرا

عشية لاقى القين قين مجاشع

(٤)  
هزبرا ابا شبلين فى الغيل قسورا

(٥)  
ويرجع ايضا نسبة قصر المشتى ليزيد بن عبد الملك ،  
فانه وان اختلفت الآراء حول نسبة هذا القصر ، الى أى  
العصور والملوك والخلفاء ، فان أنفجها نسبته الى العصر

- 
- (١) إبراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، الدار  
القومية للطباعة والنشر ، دار الجبل ، العقالة ،  
الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ص ٢٧٢ - فيليب حتى  
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى ،  
أشرف على مراجعته وتحريره جبرائيل جبور ، دار  
الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، ١٢٥/٢ .  
(٢) عن موقع هذا القصر وصفته ، انظر : فواز طوقان :  
الحائر (بحث) ، ص ١١٩ .  
(٣) انظر قوله عند : الاصفهاني : الاغانى ، ١٢٣/١٥ .  
(٤) ياقوت : معجم ، ٢٢٦/٥ .  
(٥) عن قصر المشتى موقعه وصفته ، انظر : زكى محمد حسن :  
فنون الاسلام ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربى  
ص ٤٨-٥٢ .

الأموى ، وقد ذهب من نسبه الى العصر الأموى الى رأيين :  
الاول نسبته الى يزيد بن عبد الملك ، والثانى الى ابنه  
الوليد بن يزيد ، وقد فسر أصحاب الراى الاول ترك القصر قبل  
اتمامه بوفاة يزيد بعد وفاة جاريته حبابة <sup>(١)</sup> .

وحيث أن أجزاء من قصر المشتى جاءت خالية تماما من  
رسوم الكائنات الحية ، عكس بقية الأجزاء التى احتوت على  
رسوم طيور وحيوانات حقيقية وخرافية ، مما حير علماء الآثار  
وأدى الى اختلافهم فى تفسير هذه الظاهرة ، والتى رأى بعضهم  
أن صاحب هذا القصر اقتنع بعد اتمام القسط الأكبر من  
الزخرفة ، بكراهية تصوير الكائنات الحية فى الاسلام ، ففعل  
الزخارف النباتية فى الجزء الباقى <sup>(٢)</sup> .

ولعلمنا بموقف الخليفة يزيد بن عبد الملك من الصور ،  
والمتمثل فى اصداره المرسوم القاضى بمحو الصور وازالة  
التمائيل وكسر الأصنام وتحطيمها <sup>(٣)</sup> ، فإننا نرى ذلك قرينة  
قوية لنسبة قصر المشتى اليه .

ولقد جعلنا موته بالطاعون أولى ، لموته بعد فترة  
وجيزة من موت جاريته حبابة . بينما لا يستبعد موته بالسل ،  
فلقد وردت الاشارات الى مرضه أثناء الخلافة ، فلعله كان  
مريضا بالسل . فقد ذكر أن يزيد ألم به المرض واشتكى شكاية  
شديدة ، قيل أن أخاه هشاما سربها . فكان من يزيد العتب ،  
ومن هشام الاعتذار <sup>(٤)</sup> .

(١) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٢ .  
(٢) زكى محمد حسن : نفس المرجع ، ص ٥٠-٥١ .  
(٣) انظر مرسوم الخليفة يزيد فى الفصل الثالث .  
(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ١١٤/٣ - ابن عساکر :  
تاريخ دمشق ، المخطوط ، ٣٤١/١٨ - ابن كثير : البداية  
ط ٤١/٩ - وقيل : بل كان ينتقمه ويتمنى موته ، انظر  
ابن عبد ربه : العقد ، ١٨٩/٥ - المسعودى : مروج  
٢١٣/٣ .

(١) كما أشار أيضا الى مرضه هذا بعض المصادر غير الاسلامية وكما ذكرنا أن قصة يزيد مع جاريته كانت فى الاصل بسيطة عادية ، غير أنها جاءت فى المرويات التى تناولتها مهولة مشوهة ، اعتراها كثير من المبالغة والاضطراب ، والتناقض والزيادة بل والاختلاق ، فمنها ما يشير الى تلك القصة باتزان ، ومنها وان كان مسندا ونقله بعض كبار المؤرخين على طريقة المحدثين ، فقد شابه مايقبل ويعقل ، ومنها ماظهرت فيه الاساءة والطعن بتحريف ، أو زيادة ، أو اختلاق ، فجاءت تلك المرويات تحمل العجب والمنكر ، وذلك اما لهوى فى نفس راويها ، أو لغرض يقمده ناقلها ، أو نقلها من لم يهتم بالاختيار ، أو نقلها مسندة ، فحمل المسئولية من رواها .

فإذا مادتقنا النظر فى الروايات التى تناولت لهو يزيد من خلال هذه القصة ، لوجدناها بدأت متزنة الى حد ما عند المؤرخين الاوائل ، كابن قتيبة والطبرى ، ثم بدأ الترقى فى تفخيمها ، والزيادة عليها واختلاق ما لم يكن موجودا ، مع تكرار اقوال السابقين أو بعضها .

وان أوضح مثال لذلك ، مامور به الخليفة يزيد عند موت حبابة ، ومدى حزنه عليها . فمن المصادر مايشير الى موتها واعتزال يزيد بن عبد الملك الناس بعد وفاتها سبعة أيام حتى لايرى عليه مايسفحه ، بعد أن ترك أمر الصلاة عليها ودفنها لاختيه مسلمة ، فأمر مسلمة أحد اصحابه بالصلاة عليها

(١) انظر ذلك بعد : الغمل الثالث ، ص ٢٨٨ .

(٢) انظر قبل : ص ٧٩-٨١، ٨٣ ، ٢٦٨ .

وأخرى قالت بدفنه أياها ، وغيرها قالت لم يستطع المشى جزءا فحمل بينما تشير بعض المصادر الى تأخير دفنها ثلاثة أيام ، وقال غيرهم كان يقبلها ويرشها وهى ميتة حتى جيفت بينما نجد من بالغ فى تصوير حزنه بعد دفنها وبكائه على أطلالها ، والتمثل بالأشعار وتقريب صوحيباتها ، حتى وصل ببعضهم الأمر الى القول بنبشه قبرها وأخراجها ، لامرأة فحسب بل ومرتين .

ولنرى كيف صور الأصمغانى يزيد بن عبد الملك ، قال :  
 "روى المدائنى : أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه أياها ، فقال : لابد من أن تنبش ، وكشف له عن وجهها وقد تغير تغيرا قبيحا فقليل له : يا أمير المؤمنين اتق الله ، ألا ترى كيف قد صارت ؟ فقال : مارايتها قط أحسن منها اليوم أخرجوها ، فجاءه مسلمة ووجوه أهله ، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ، ودفنوها ، وانصرف فكمدا كمدا شديدا حتى مات <sup>(١)</sup> فدفن الى جانبها " .

سخف وأيما سخف ، لاسخف يزيد الخليفة ، بل سخف هذه الروايات وما اشتملت عليه ، مما لا يقره العقل ، ولا يوافق المنطق والعرف ، أمر نستبعده عن سفيه فى عصرنا الحاضر ، فكيف نصدق من خليفة للمسلمين ، عاش مطلع ثانى خير القرون ولكنه التاريخ ، يوجب علينا أن نذكر مثل هذا السخف ، فندرسه وننقده .

وليتبين لنا أثر بعض الرواة والمؤرخين فى تفخيم هذه القصة ، وتعظيمها مع تقادم الأزمان ، بما زادوه فيها أو عليها ، حتى صارت بالشكل الذى وصل إلينا ، وجعلت سيرة



يزيد بتلك المورة المعتمدة التي أمسى فيها . سنتتبع أهم الإضافات ، والآراء ، والأحكام ، في المصادر التي استعرضنا أخبار سيرته فيها ، آخذين في الاعتبار تكرار المؤرخين لبعض أو كل مذكره السابقون حول ذلك . فيشير اليعقوبى الى غلبة حباية على يزيد حتى غدت تولى وتعزل ، وتطلق وتحبس . ثم كان ابن عبد ربه أول من أشار الى احتجابه مع تلك الجارية وترك شهود الجمعة والجماعة ، واتهامه بالسفه والتبذير .<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>

ويمرح الأزدي ، باتهام يزيد بالولع بالنساء وشرب الخمر ، وان كان قد ورد ذكر شربه عرضا في خطبة ابي حمزة الخارجي التي رواها ابن قتيبة . ويظهر المسعودى مدى اهتمامه بالغناء ، واستدعاء المغنين اليه ، ولايقف عند ذلك فيصفه بما لايحمد ويتهمة بالجهل .<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>

ويتكرر قول تلك الاشياء أو بعضها ، في كل مصدر يأتى فلما اتانا الاصفهاني ، أو جئنا على ماعنده في الاغانى ، وجدنا عنده حشدا كبيرا من تلك الروايات واخبار حباية وسلامة مع يزيد ، ودعوته المغنين ، منها ما هو مكرر ومنها ما هو مبالغ ، وان كان في الحقيقة لم يبد آراءه في يزيد ولم يعدر اوصافا شنيعة أو احكاما قاسية ، من لدنه .<sup>(٦)</sup>

ولم يسلم يزيد من روايات تطعن في دينه ، كما جاء في تاريخ دمشق ، وقد دفع عنه ابن كثير ذلك . كما بالغ المؤرخ<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>

- 
- (١) انظر قبل : ص ٨٢ .  
 (٢) انظر قبل : ص ٨٥ ، وانظر كذلك القول بتبذيره وتنعيمه ص ٩٨-٩٩ .  
 (٣) انظر قبل : ص ٨٥-٨٦ .  
 (٤) انظر قبل : ص ٨١ .  
 (٥) انظر قبل : ص ٨٦-٨٧ .  
 (٦) انظر قبل : ص ٨٨-٨٩ .  
 (٧) انظر قبل : ص ٩٣ .  
 (٨) انظر دفعه لتلك التهمة ، قبل : ص ٩٧ .

المجهول في رواياته المزرية بهذا الخليفة ، فكرر وبالف في  
(١)  
كثير مما ذكر ، واتهمه بالفجور .

ونصل الى بعض المؤرخين الذين لم يكتفوا بايراد  
الروايات التي تتناول شخصيته ، فقدموا له اوصافا خلقية ،  
وبيّنوا فيه آراءهم وامدروا فيه احكامهم ، في ضوء تلك  
المرويات التي وصلت اليهم ، فكان منها الجارح المرفوض ،  
والمعتدل المقبول .

فقالوا : فتى الشباب ، شديد الفخر ، ظاهر الكبر ،  
يحب اللهو ، ، فاجرا ، عاجزا ، لايعرف صوابا قياتيه ،  
(٢) (٣)  
ولاخطا فيدعه . ووصفه بعضهم : بخليع بنى أمية ، ويزيد  
(٤) (٥)  
الماجن . (٦)

ومن اقوالهم : ولم ينتفع به في الخلافة ، وكان لايملح  
(٧)  
للأمانة ، مصروف الهمة الى اللهو والغواني . (٨)

وتأتى الاشارة الى تحدث بعض الناس وعزمهم على خلع  
يزيد من الخلافة ، واحدة ذكرها ابن قتيبة ، وذكر ان ذلك  
(٩)  
جاء لتركة سيرة عمر التي اطمأن لها الناس ، واخرى عند  
(١٠)  
الكتبي ، أوردها على اثر حديثه عما صار اليه حال يزيد بعد  
موت جاريته حبابة . وهاتان الاشارتان لم اجد لهما مثيلا

- 
- |      |                        |
|------|------------------------|
| (١)  | انظر قبل : ص ٩٥-٩٤ .   |
| (٢)  | انظر قبل : ص ٩٥-٩٤ .   |
| (٣)  | انظر قبل : ص ٩٨ .      |
| (٤)  | انظر قبل : ص ٨٧ .      |
| (٥)  | انظر قبل : ص ٩٨ .      |
| (٦)  | انظر قبل : ص ٩٨ .      |
| (٧)  | انظر قبل : ص ٩٨ .      |
| (٨)  | انظر قبل : ص ٩٦ .      |
| (٩)  | انظر قبل : ص ٨٠ .      |
| (١٠) | انظر قوله قبل : ص ٩٨ . |

ولاقرينة فى المصادر التى اطلعت عليها فى هذا البحث ، سواء  
اثناء دراسة سيرة يزيد ، أو أحداث عصره .

هكذا كانت شخصية الخليفة يزيد بن عبد الملك ، كما  
صورتها المصادر الاسلامية ، فكان جهدنا استقصاء مذكر حوله  
وابراز ماله وماعليه ، ماحمد من سيرته وماذم . مؤكدين  
وكما ناقشنا وبيننا فى ثنايا هذه الدراسة على مااعترى  
مرويات هذه السيرة من مبالغة واختلاق وتزييف ، حتى غدت  
كأنها اسطورة من نسج الخيال ، حوت مالا يوافق المنطق ،  
ولا يقبله العقل ، ولا يقره العرف . وابتلى صاحبها بالادواف  
الشنعية ، والآراء المتحاملة ، والاحكام الجائرة .

ونحن اخيرا لانستطيع ان ننفى كل ما قيل عنه ، ولانؤكد  
ما قيل فيه ، ولانحكم له أو عليه ، لان مثل ذلك لا يتم الا  
بالحجة البينة والحقيقة الواضحة ، فكنا نريد ان نصل الى  
ذلك عن طريق نقد السند ، فوجدنا قليلا المسند ، وكثير  
قليلا منقطع السند . اما كثيرها فغير مسند . واذا  
مالجأنا الى نقد المتن ومقابلتها ، وهذا ما عملنا عليه  
ما استطعنا ، فاننا نجد كثيرا من الاضطراب والتناقض والاختلاف  
مما يدل على الزيادة والتحريف والاختلاق . لذلك لم نستطع  
الوصول الى الحقيقة المطلقة ، ولا الحكم النهائى القاطع ،  
غير اننا نستطيع ان نقول ، ان يزيدا لم يكن بترك الدرجة  
التى صور بها من السوء ، ونردد قول ابن كثير فيه : اما  
هذا فما به من باس .

ويبقى سؤال مهم يفرض نفسه ، مامدى تاثير شخصية يزيد  
وحياته الخاصة فى سياساته الرسمية وادارته الدولة الاسلامية

ومامدى تاثر الدولة بسيرته ، ومادلول أحداثها على حقيقة شخصيته ؟

لاشك أن لبعض جوانب سيرة يزيد شيء من الأثر على سياسته العامة . فيذكر أنه ماعزل أبا بكر ابن حزم عن المدينة ، إلا انتقاما لنفسه ، فإن يزيدا كان قد حج فى خلافة الوليد ابن عبد الملك ، فتزوج بنت عون بن محمد بن على بن أبى طالب ، وأمدقها مالا كثيرا ، فكتب الخليفة الوليد الى ابن حزم قاضى المدينة ، أن يفسخ نكاح يزيد من بنت عون ، وأن يستعيد المال ، فنفذ ابن حزم أمر الوليد .<sup>(١)</sup>

كما أن إصهاره الى ثقيف ، وتزوجه من زينب بنت محمد ابن يوسف ، أخو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان له بالغ الأثر فى سوء العلاقة بين الخليفة يزيد ، ويزيد بن المهلب ، الذى أوكل اليه زمن سليمان تعقب آل الحجاج ومحاسبتهم وتعذيبهم فما قبل ابن المهلب شفاعة يزيد بن عبد الملك فى زوجته الثقفية أو أختها ، مما أغضب عليه يزيد بن عبد الملك ، الذى هدده بالانتقام ان تولى الخلافة ، فكان ذلك من الأسباب التى أدت الى هروب ابن المهلب من سجن عمر بن عبد العزيز فى آخر حياته ، وخروجه على يزيد بن عبد الملك ، والقيام بالحركة التى استهدفت تقويض الحكم الاموى .<sup>(٢)</sup>

أما مدى تاثر الدولة بشخصية يزيد ، فالحق أنه لم يكن الرجل المناسب لتلك الفترة ، ولم تكن سياسته ثلاثم وضع الدولة آنذاك . فإن خليفة عمر بن عبد العزيز الذى أدرك

(١) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٧ .  
(٢) انظر ذلك خلال أسباب حركة ابن المهلب ، بعد : الفصل الثانى ، المبحث الأول ، ص ١٣٣-١٣٥ .

حاجة الدولة للإصلاح ، كان يجب أن يدرك ذلك ، ولو لم يكن كعمر في شخصه ، وأن اتخذ في سبيل ذلك سياسة تخصه ، المهم أن يحقق الغاية ويتم ما بدأه عمر بن عبد العزيز .

غير أن من الحق أيضا ، أن يزيدا لم يقدا الدولة نحو الهاوية ، ولم يكن عهده بداية الانهيار والنهاية ، وأن شخصيته وسيرته ، لم تكن سببا قويا فيما أصاب تلك الدولة ، ولعل مجمل دوره ، أنه عاد بالدولة الى سابق عهدها ، فطبق كثيرا من سياسات أسلافه من بنى أمية ، وخالف كثيرا من سياسات عمر ، وأبقى على شيء منها ، لتعيش الدولة من جديد في ظل كثير من الظروف الماضية التي كانت بمثابة معاول هدم تزايد أثرها مع الزمن حتى أسقطت الدولة الأموية .

ومما هو جدير بالذكر أن دراستنا الجديدة لأحداث عصره ، أثبتت لنا قيام يزيد بتحمل مسئولية الحكم ، ومباشرة مهام الدولة ، فوجدناه على رأس كثير من الأحداث الجلييلة ، والأخبار الهامة ، يموسها ، فيضع الخطط ، ويستشير ذوي الرأي ، ويتخذ القرارات ، ويشرف على التنفيذ ، ويتابع الأحداث ، وينتظر النتائج ، ويتخذ الحلول المناسبة للمشاكل المستعصية .

فلم نجد لسيرته الذاتية اللاهية ، أثرا كبيرا في قيامه بواجبات الجانب الرسمي من حياته ، إذ لم نطلع على حدث نتج عن إهماله ، أو على خبر يؤكد انصرافه عن شئون الحكم ، وترك مصالح المسلمين .

لكن الواضح أن قدراته السياسية ، وكفاءته الإدارية ،

لم تكن تؤهله لملء مكانه وقيادة الدولة باقتدار ، أو تحقق العظيم من المنجزات والفريد من السياسات التى تلفت اليه الانظار .

فكان يزيد حاكما عاديا ، ليس سياسيا مقتدرا ك معاوية أو اداريا ناجحا كعبد الملك ، أو مصلحا كعمر ، كما لم يكن سيئا كابنه الوليد بن يزيد . ويمكن القول أن توليه الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز جعل المفارقة بينه وبين عمر واضحة وكبيرة ، وأدت الى عتامة صورته لدى جمهرة المسلمين .

هذه سيرة يزيد ، وتلك سمة شخصيته ، التى كان لها مدى واسعا ، استغله الاعداء والخصوم وأهل الهوى ، من الساسة والقادة والمؤرخين ، وأهمل بسببها كثير من المؤرخين قدماء ومحدثين ، أحداث عهده ومنجزات حكمه .

ومادراستنا هذه لعهد يزيد وسيرته ، الا مدى لتلك السيرة ، ولكنه مدى ايجابيا ، استهدف البحث الجاد ، وجلاء الحقائق ، وتمحيص كثير من المفاهيم الخاطئة ، عن يزيد بن عبد الملك وعهده .

# الفصل الثاني

الحركات الداخلية في الدولة الأموية في  
عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

المبحث الأول : حركة يزيد بن المهلب .

المبحث الثاني : حركات الخوارج .

١- حركة شاذب .

٢- حركة مسعود العبدى .

٣- حركة مصعب الوالى .

٤- حركة سعيد بن جندل .

٥- حركة عققان .

المبحث الثالث : حركة شيريم اليهودى .

المبحث الرابع : حركة بلاى .

المبحث الخامس : حركة أخىلا

الفصل الثانى

الحركات الداخلية فى الدولة الأموية  
فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

يعتبر عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، نموذجا يمثل الحركات المختلفة المشارب ، التى عانت منها الدولة الأموية منذ قيامها ، وكذلك سياسة الدولة فى التمدى لها ، وأساليب معالجتها ، وقدرة الدولة على تجاوزها والاستمرار فى أداء واجبها التاريخى .

وسنعرض فى مباحث هذا الفصل للحركات التى قامت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، أحداثها ، وسياسة الدولة فى التمدى لها وإخمادها ، وأهم آثارها ونتائجها .



المبحث الاولحركة يزيد بن المهلب

حدثت حركة يزيد بن المهلب ضد الدولة الاموية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لكن مقدماتها واسبابها لم تكن وليدة زمنه ، بل بدأت فى الظهور منذ تالق نجم ابن المهلب ، خصوصا بعد ولايته على خراسان ، فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وبروزه كزعيم يمنى التفت حوله عمبيته وتحولى جل شأنها ، فوضعه ذلك مابين نقمة الخلفاء ذوى الهوى القيمى وامرائهم على المشرق ، وبين حظوة من قرب اليمانية واعتمد عليهم من بنى امية . فاضى ابن المهلب ممن يشكل سياسة عصره ، ويحرك أحداثها ، وجنى من وراء ذلك تحمل مسئولية بعض الاحداث وعداء بعض اطراف النزاع فيها ، كالحجاج الثقفى ومن ثم الخليفة يزيد بن عبد الملك . وهذا ماأدى الى خلق دوافع الثورة واسباب حدوثها . كما اثمر عن كسب ابن المهلب مقومات القيام والتحدى ، وهذا ما تمثل فى المكانة التى وصلها ، والخبرة التى نالها ، والثروة التى جمعها . فكان لزاما علينا ان نعرض لتلك المرحلة من حياة يزيد بن المهلب وهى ما قبل الحركة ، لنتعرف بايجاز على تلك المقدمات والاسباب .

حياة ابن المهلب قبل الحركة :

كان لحياة يزيد بن المهلب قبل الحركة ومارافقها من احدث ، بحكم مكانته وموقعه منها كقائد وامير وزعيم قبيلة

وعلاقته بالبيت الحاكم ، وامارة المشرق ، دور كبير في الخروج على الحكم الاموي ، وتبدل موقف الاسرة المهلبية ، ودورها الايجابي في مساندة الامويين وتثبيت سلطانهم في شرق الدولة الاسلامية ، الى اسرة شائرة ، وعصبية يمنية ناقمة . ما فتئت تلعب دورها في هدم البيت الاموي وتقويض سلطانه .

نمبته :

هو يزيد بن المهلب بن ابي صفرة واسمه ظالم بن سراق ابن صبح بن كندى بن عدى بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الازد - ويقال الاسد بالسين الساكنة - بن عمران بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن شعلبة بن مازن بن الازد ، الازدى العتيكى البصرى ، من ازد دبا .  
(١) (٢)

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٩٩/٦ - الزركلى : الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م ، ١٨٩/٨ - المسعودى التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٧ (واضاف : عمرو بعد كندى ، وقال : عامر بن حارثة بن شعلبة ، وزاد بعد الازد على نسبه : الازد بن الفوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا) .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ط ٤ ، ص ٣٩٩ (قال : ان دبا فيما بين عمان والبحرين . اسلم اهلها وارثدوا ، فحاربهم عكرمة وقتل وسبى ، وكان ابو صفرة غلاما لم يبلغ وكان فيمن بعث منهم الى ابي بكر ، فاعتقهم عمر فنزل ابو صفرة البصرة) . لكن ابن خلكان الذى يضيف فى كتابه : وفيات الاعيان ، ٣٥٨/٥ على التعريف بدبا قوله اضيفت جماعة من الازد اليه لما نزلوه ، وكان الازد عند تفرقهم اضيفت كل طائفة الى شئ يميزها عن غيرها ، فقبل ازد دبا وازد شنوءه ، وازد عمان ، ومرجع الكل الى الازد المذكور . ونجده فى نفس المصدر ٣٥٠/٥ - ٣٥١ . يرد على الواقدي قصة قدوم ابي صفرة على ابي بكر وهو غلام ناقلا عن ابن قتيبة بقوله : هذا الحديث باطل ، اخطأ فيه الواقدي لان ابا صفرة لم يكن فى هؤلاء ولا رآه ابو بكر قط ، وانما وفد على عمر وهو شيخ ، امره عمر ان يخضب . وكيف يكون غلاما زمن ابي بكر وقد ولد المهلب =

(١)

ويكنى بأبي خالد .

وقد برز آل المهلب كقادة كبار لقبيلة الازد ، في  
البصرة ، وكانوا فيها كما كان الأحنف في تميم . وكانوا من  
المكانة علوا وجودا في دولة بنى أمية كالبرامية في دولة  
بنى العباس . حتى أننا نجد التشابه في النهاية السيئة  
للأمرتين على يد الدولة وتمغيتهما . لكن ناجى حسن ينقل عن  
الأصفهاني : " أن آل المهلب لم يكونوا من الازد ، وإنما كان  
أبو صفرة والد المهلب فارسي من أهل خارك ، فقطع إلى عمان  
(٥)

= وهو من أصاغر ولده قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وقيل سنين وقد كان في ولده من ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة أو أكثر . ونحن نستغرب رد ابن خلكان الذي قال أنه نقله عن ابن قتيبة ، لأننا نحن قد نقلنا الخبر عن ابن قتيبة الذي صرح بنقله عن الواقدي ، ولم يشك في الخبر ولم يرد عليه بعدما ذكره (للتأكد من ذلك ، انظر ابن قتيبة : نفس المصدر والصفحة) .

وليس هناك خلاف بين الخبرين إلا أن الواقدي قال : فاطلقهم أبو بكر ولم يقل عمر كما وجدناه نحن عند ابن قتيبة . وقد أورد قصة الواقدي ابن خلكان ورد عليها نقلا عن ابن قتيبة .

(١) الزركلي : الأعلام ، ١٨٩/٨ .

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حميد المري السعدي

المنقري التميمي ، أبو بحر ، سيد تميم ، واحد العظماء الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم ، ولد في البصرة (سنة ٣ ق.هـ) ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، ووفد على عمر ، واعتزل الفتنة يوم الجمل ، وشهد صفين مع علي ، كما شهد الفتوح في خراسان ، ووليها . وقد وفد على صديقه مصعب ابن الزبير في الكوفة ، وتوفي فيها وهو عنده ، سنة ٧٢ هـ . انظر : الزركلي : نفس المرجع ، ٢٧٦/١-٢٧٧ .

(٣) ناجي حسن : القبائل العربية في المشرق خلال العصر

الأموي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م ، ص ٩٨ .

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ، ٢٤١/١ - ابن العماد : شذرات

الذهب في أخبار من ذهب ، ١٢٤/١ .

(٥) خارك : جزيرة في وسط البحر الفارسي (الخليج العربي)

من أعمال فارس . انظر / ياقوت : معجم البلدان ،

٣٧٧/٢ .

(١) ثم قدم البصرة ، فكان سائسا لعثمان بن أبى العاص ، ولما هاجرت الازد الى البصرة كان معهم فى الحروب فوجدوه نجدا فاستلطوه ، فادعى الى الازد . (٢) (٣)

(٤) وقد ولد يزيد بن المهلب (سنة ٥٥٣هـ) ، ونشأ فى كنف ابيه ، فشاركه فى معظم حروبه ، واكتسب خبرة حربية عالية ، كما كان أفضل أولاد المهلب ، يتجنب مواطن الذم ويعمد الى فعل المحامد . الا انه لم يكن بمنأى عن رمى خصومه له ببعض المثالب ، كاتهامه بالنساء وشرب الخمر ، وان كان هناك

(١) عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله ابن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن خطيط بن جشم من ثقيف . أبو عبد الله . قدم على الرسول مع وفد ثقيف ، فاستعمله على الطائف ، وأقره أبو بكر وعمر ، الذى ولاه البصرة ، وقيل عمان والبحرين سنة ١٥هـ . ثم عزله عثمان بن عفان ، له فتوح وغزوات فى الهند وفارس . وهو الذى منع ثقيفا عن الردة ، خطبهم وقال : كنتم آخر الناس اسلاما فلا تكونوا أولهم ارتدادا . وسكن البصرة حتى توفى سنة ٥١هـ وقيل : سنة ٥٥هـ . انظر : ابن سعد الطبقات الكبرى ، ٤٠/٧ - ابن حجر : التهذيب ، ١١٨-١١٧/٧ - ابن حجر : كتاب الاصابة فى تمييز الصحابة دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٣٢٨هـ ، ٤٦٠/٢ - الزركلى : الاعلام ، ٢٠٧/٤ .

(٢) استلطوه : أى الزقوه بانفسهم . انظر : اللسان (لوط) .

(٣) القبائل ، ص ٩٨ (نقلا عن : الاغانى ، ٣٠٠/١٤ - الاعلاق ، ص ٢٠٦) . وقد دحض خير الاصفهانى بفارسية المهالبة ، لعدم ذكرها فى المصادر الاخرى ، ومجيئها على لسان خصوم المهالبة . الا أننا وجدنا هذه التهمة عند المؤلف المجهول وياقوت ، اللذين أورداها على لسان بعض الخصوم والشعراء المعاصرين . (انظر : العيون والحدائق ، ٤٩/٣ - معجم البلدان ، ٣٣٧/٢) . لكن ذلك ليس كافيا لتصديق هذه المقولة ، خصوصا أن كتب التراجم لم تقل بذلك ، وقد عدنا لترجمة عثمان بن أبى العاص (انظر أملاه هـ ١) ولم نجد فى ترجمته ذكرا لكون أبى صبرة مولى له . ومع ذلك فان هذه الروايات تفتح بابا للبحث الجدى حول هذه المقولة ، والوصول الى حقيقتها .

(٤) نافع توفيق العبود : آل المهلب بن أبى صبرة (ودورهم فى التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجرى) ، رسالة دكتوراه ، غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٦م ، ص ٥٧-٥٩ - الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .

مايعارضها ، كتحذيره لابنه مخلد من التعرض لأعراض الناس ،  
واقامتته الحد الشرعى على ذوى المنكر ، مثل ضربه للشاعر  
هزيمة بن كعب حدا فى السكر ، وعزله لكاتبه يحيى بن يعمر  
العدوانى بسبب شربه النبيذ . ويمكن القول : أن يزيدا كان  
شخصية قوية ومؤثرة ، استطاع أن يقوم مقام والده ، ويوحد  
شمل بيته . فكان اخوته سندا قويا له فى الشدائد ، وبخاصة  
(١)  
عند خروجه على الامويين .

#### ولايته الاولى على خراسان :

ولى يزيد بن المهلب خراسان بعد وفاة أبيه (سنة ٨٢هـ)  
ان استخلفه عليها عند وفاته ، وهو أمير خراسان آنذاك من  
قبل الحجاج الثقفى . فكتب يزيد بذلك فأقره الحجاج على  
خراسان . وقيل بل كانت ولايته (سنة ٨٣هـ) .  
وقد أقره الحجاج على كره منه لملفه وتيهه . فمكث فى  
ولايتها أقل من ثلاث سنوات . ان مالبث الحجاج أن عزله عنها  
بأذن الخليفة عبد الملك بن مروان ، وذلك سنة ٨٥هـ .

- (١) عن صفات يزيد بن المهلب ، وحياته فى كنف أبيه .  
انظر / نافع العبود : آل المهلب بن أبى مقره ،  
ص ٩٩-٥٧ .
- (٢) لمعلومات أوسع عن ولاية المهلب على خراسان . انظر /  
الطبرى : تاريخ الأمم ، ٣١٩/٦ وما بعدها - نبيه عاقل :  
تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ١٦٦ .
- (٣) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٥٩ - الطبرى : نفس  
المصدر والجزء ، ص ٣٥٤-٣٥٥ - ابن الاثير : الكامل ،  
٨٤-٨٣/٤ .
- (٤) الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .
- (٥) عواد مجيد الاعظمى : مسلمة ، ص ٤١ .
- (٦) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها - نبيه  
عاقل : نفس المرجع ، ص ١٦٦ - الطبرى : نفس المصدر  
والجزء ، ص ٣٩٥ - الزركلى : نفس المرجع ، ١٨٩/٨-١٩٠ .  
الا أنه جعل ولايته ست سنوات . وهذا خطأ ، ان أن  
ولايته كانت سنة ٨٢هـ ، وعزله سنة ٨٥هـ ، بأمر  
الخليفة عبد الملك الذى توفى سنة ٨٦هـ . فكيف تكون  
ولايته ست سنوات ، وهى فى الحقيقة مايقارب سنتين  
وأربعة أشهر .

### أسباب العداء بين ابن المهلب والحجاج :

لما فرغ الحجاج من حركة عبد الرحمن بن الأشعث ، لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب ، وأهل بيته ، وقد كان أدل أهل العراق كلهم الا آل المهلب ، ومن معهم بخراسان . اذ كان يخاف على العراق ، خشية من بأسهم <sup>(١)</sup> . فقد كان المهالبة أصحاب السيطرة والنفوذ في خراسان ، ويعود ذلك لأن قبيلتهم (أزد عمان) التي نزحت من البصرة وسكنت خراسان ، حالفت قبائل ربيعة وحالفت منها جبهة يمنية ربيعة في خراسان ، تقابل جبهة مضرية تتألف من قبائل تميم وقيس . وكان يلي خراسان في هذا الوقت يزيد بن المهلب الذي كان أيضا زعيم الجبهة اليمنية المناوئة للحجاج ، الذي كان بدوره يريد التخلص من ابن المهلب لاشياء أخذها عليه منها عدم جديته في ملاحقة فلول ابن الأشعث الذين التجأوا الى هراة ، واطلاقه اليمنية دون المضرية ممن أسر منه ، وتباطؤه في محاربة موسى بن عبد الله بن خازم ، وأصحابه من القيسية ، <sup>(٢)</sup>

- (١) ابن الاثير : الكامل ، ٩٦/٤ .  
 (٢) الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ - ١٩٠ .  
 (٣) هذا التفسير المبني على العممية القبلية وحدها ، وأن الحجاج القيسي كانت قبائل اليمن مناوئة له ، وأن خطر ابن المهلب عظم بزعامته لهذه الجبهة ، وأن عزله كان خشية من هذا الخطر ، يعتبر تفسيراً قاصراً ، فقد كان المهلب سيد الأزد وزعيمها قبل ابنه ومع ذلك لم يخش الحجاج بل كان محل احترامه ومقدر جهوده ، فكافاه على قضائه على الأزارقة بامارة خراسان ، ثم أقر ابنه من بعده ، وكان بمقدوره أن يجعلها لغيره ، لذا فأننا سنجد فيما سيأتي ذكره في الصفحات التالية العبررات الحقيقية لعزل ابن المهلب عن خراسان .  
 (٤) موسى بن عبد الله بن خازم ، شاعر اعتمهم بعد أن ضعف أمر أبيه بترمز - وكان أبوه أمير خراسان لابن الزبير فرفض البيعة لعبد الملك بن مروان ، وقاتل رجاله ، =

وامتناعه عن تنفيذ أمر الحجاج بغزو خوارزم سنة ٨٥هـ ،  
التي غزاها فيما بعد عندما توجه من الحجاج خيفة بالحاحه  
عليه بالقدوم الى واسط ، وعدم اطاعة الحجاج بقتل بنى  
الاهتم ، واتهامه باختلاس مبلغ وقدره مائة ألف درهم من خراج  
(١)  
خراسان .

(٢)  
الا أن تعاضم أمره وحظوته عند الامويين ، وسعيه الى  
تثبيت مركزه بالاعتماد على الازد وحليفاتها ربيعة ، وحرمة  
على توثيق ملته بالامويين ، حيث أظهر مناوآته حركة ابن  
الاشعث ، وتصديه له في خراسان ، وذلك بايعازه الى أخيه  
المفضل واليه على هراة بحريهم ، كان كل ذلك من الاسباب  
(٣)  
الرئيسية التي أفلقت بال الحجاج من ابن المهلب ، خصوصا ان  
محت الرواية القائلة بأن راهبا أجاب الحجاج عن سؤاله فيمن  
سيلي العراق من بعده : أنه رجل يقال له يزيد . فوقع في

= فقتل سنة ٧٢ هـ - وظل فيها نحو خمسة عشر عاما ،  
وسيطر على ماوراء النهر جملة في كثير من الاحيان ،  
ونجح في التغلب على من قاتله من الترك ، وجيوش أمراء  
خراسان ، وكان المهلب غير مقاتلا له ، وأوصى بنيه  
بعدم مقاتلته ، وقال : ان قتلتم موسى كان أول قادم  
عليكم أمير من قيس على خراسان . فلم يقاتله يزيد بن  
المهلب ، ثم قاتله المفضل بن المهلب ليحضى عند  
الحجاج ، فظفر به سنة ٨٥هـ ، فعزله الحجاج بقتيبة بن  
مسلم الباهلي . (انظر عنه / ابن الاثير : الكامل ،  
٩٧/٤-١٠١) .

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٠ وما بعدها - عواد  
الاعظمي : مسلمة ، ص ٤١ . وأضاف : وفي رواية (ابن  
اعثم : الفتوح ، م ٢١٣/٧) أن الحجاج طالب يزيد بن  
المهلب بمبعة آلاف درهم فأنكرها .

(٢) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها .

(٣) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٥٩ .

نفسه أنه يزيد بن المهلب ، فكتب الحجاج الى عبد الملك يذم  
 يزيد وآل المهلب ويستأذنه في عزله . وكان الحجاج قبل ذلك  
 يحاول استخراج يزيد من خراسان الى واسط ، والآخر يعتذر  
 بالعدو وحرب خراسان . وقد رفض عبد الملك مشورة الحجاج  
 بادىء الامر ، ثم وافق أخيرا على عزل ابن المهلب ، وكان  
 ذلك (سنة ٨٥هـ) . وبعد استصدار عزل يزيد من عبد الملك ،  
 تزوج الحجاج هند بنت المهلب لئلا يثير شكوك يزيد ،  
 واستدعاه ، فقدم عليه واسط ، وترك أخاه المغفل على خراسان  
 الذى كتب اليه الحجاج بولايتها ، فاخذ يستحث يزيد على  
 الخروج الى الحجاج . فلما قدم يزيد على الحجاج سجنه ،  
 وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وسجنه ، وعزل عبد الملك بن  
 المهلب عن شرطته . وأمر فأخرج اخوته عن خراسان وقطع  
 أموالهم منها ، وفرق التجمع اليمنى الذى كانوا يراسونه .  
 وفى (سنة ٩٠هـ) هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا  
 معه فى سجن الحجاج ، الذى كان يطالبهم بستة آلاف الف ،  
 واخذ يعذبهم عليها ، فاحتالوا لذلك والتجأوا الى سليمان  
 ابن عبد الملك فى الرملة من فلسطين ، فأمّنهم واستعفى  
 الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فعفى عنهم ، وكتب الى  
 الحجاج بالكف عنهم ، فكف عنهم . وأقام يزيد بن المهلب عند

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل ، ٩٦/٤ .  
 (٢) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ١٨٣-١٨٤ .  
 (٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٠ وما بعدها .  
 (٤) ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والمفحة .  
 (٥) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٦٠ وما بعدها - ابن  
 العماد : شذرات ، ١٢٤/١ - اليافعى : مرآة ، ٢٤٢/١ -  
 ٢٤٣ - الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .  
 (٦) نبيه عاقل : نفس المرجع ، ص ١٨٣-١٨٤ .



(١)

سليمان بن عبد الملك .

مما تقدم من حياة يزيد بن المهلب يظهر تغير موقف الحجاج أمير المشرق تجاه الأسرة المهلبية ، وسوء العلاقة بين الطرفين ، مما ثرت عليه أبعادهم عن مراكز السلطة ، ومعاقبتهم بأكثر مما كانوا ينتظرونه . ومع ذلك نستطيع أن نقول أن هذا العداء كان لا يزال محصورا بين آل المهلب والحجاج أمير المشرق ، وحفظ البيت الأموي ولأهله المهالبة واليمانية باجارة سليمان وعفو الوليد حتى الآن . لكن قادم الأيام من حياة يزيد بن المهلب بولايته الثانية على العراق ثم خراسان ، وتوليته تعذيب آل أبي عقيل ذوى الحجاج بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك ، سيوسع دائرة الصراع ، لتسوء علاقتهم بالبيت الأموي نفسه ، ممثلا في الخليفة عمر بن عبد العزيز ، المحاسب لابن المهلب على أموال المسلمين التي أفاء الله بها عليهم من فتوحاته لجرجان وطبرستان ، وماجمعه من خراج خراسان ، فانكرها ، ويزيد بن عبد الملك

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٦-٦٩ (وقال : أن سليمان أجارهم لعلمه بمكانتهم في اليمانية الذين كان يسعى إلى استمالتهم ليساعدوه للوصول إلى الخلافة ، كما أضاف : أنه اتخذ يزيد كاتباً له) - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٣٩ (وقال : أن سليمان تحمل المال الذي طالبهم به الحجاج ، وحدد مدة بقاء يزيد لديه بتسعة أشهر) - ابن الأثير : الكامل ، ١١٤/٤-١١٦ . ونحن نشير هنا إلى أننا قد سعينا لجمع أسباب الخلاف بين الحجاج وآل المهلب . حتى لانفسر الأحداث من زاوية واحدة ، وبمنظرة قاصرة ، ولتكن الرؤية الشاملة لما يحيط بالحدث هي عين الباحث الممحصنة ، وصولاً إلى الحقيقة ، وتحقيقاً لمعالجة تاريخية أدق . فقد رأينا قصور النظرة لمن علل هذا العداء على أساس العصبية ، أو الخوف على المركز فحسب ، ولكننا وجدنا وراء ذلك أسباباً تعددت وتعاونت على خلق الحدث . كما أن هذا العداء يمثل سبباً رئيسياً في ثورة ابن المهلب على الدولة الأموية كما سنرى .

الناقم على ابن المهلب في تعذيبه لاصهاره آل أبي عقيل وعدم مبالاته بشفاعه الأمير الاموي لهم ، مما سيؤدي بالتالى الى سجنه على يد عمر ، والخروج على سلطان الدولة زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك .<sup>(١)</sup>

#### ولايته على العراق ، وتوليته خراسان للمرة الثانية :

ما ان تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ ، حتى امر بالقبض على آل أبي عقيل ، وهم أسرة الحجاج . ثم بعث يزيد بن المهلب الى البلقاء من أعمال دمشق ، فاستولى على أموال الحجاج وحمل عياله الى سليمان ، وكان فيهم زوجة يزيد بن عبد الملك - وهى من ثقيف - فعذبها يزيد بن المهلب بالرغم من شفاعه زوجها لها . وفى نفس العام عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب ، فعذبهم ، وكان الذى يلى عذابهم عبد الملك بن المهلب . وهنا نرى اعتماد سليمان على خصوم الحجاج فى الانتقام منه بتعذيب آل هـ . ثم ولاه الخليفة سليمان إمارة خراسان بطلب منه لما عساه أن تدره عليه من الأموال والثروات التى حرمه منها صالح بن عبد الرحمن فى العراق ، فقدمها سنة ٩٧هـ ، بعد أن أقصى عنها وكيع بن الاسود الذى تولاهما تسعة أشهر بعد قتل قتيبة ، وقد استخلف

(١) انظر تطور الاحداث فى الصفحات التالية .

(٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٨-٦٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٠٦/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٣٨/٤ - الزركلى : الاعلام ، ١٨٩/٨ .

(١)

على العراق واموره فيها .

وفى عام ٩٨هـ فتح الله على يدى ابن المهلب جرجان وطبرستان كما صالح قهستان ، وفتح الرويان ودنباوند ، وسبى (٢) وغنم ، وكتب الى سليمان بالفتح يعظمه ويخبره انه قد حصل عنده من الخمس ستمائة الف الف وقيل اربعة آلاف الف ، وهذا (٤) نص كتابه :

"اما بعد ، يا امير المؤمنين فان الله عز وجل قد فتح فتوحا لم يفتحها على خليفة من خلفاء المسلمين من قبلك من اهل خراسان الى جرجان ودهستان وطبرستان ، وقد اعىى ذلك الفاروق وعثمان ومن بعدهما من الخلفاء ، حتى فتح الله ذلك كرامة لامير المؤمنين وزيادة فى نعم الله عليه ، وقد صار فى يدى مما افاء الله على المسلمين بعد ان صار الى كل ذى حق حقه من الفى والغنيمة عشرون الف الف درهم ، وانا باعث بهذه الاموال التى افاء الله بها الى امير المؤمنين ان شاء الله ، والسلام" . (٥)

عزله عن خراسان وسجنه بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز :

ويذكر البلاذرى : ان ابن المهلب ولى ابنه مخلدا خراسان ، وانصرف الى سليمان ، فكتب اليه ان معه خمسة

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٩-٧٤ - الزركلى : الاعلام ، ١٩٨/٨-١٩٩٠ .

(٢) انظر عن تفاصيل هذا الفتح واخباره : ابن الاثير : الكامل ، ١٤٧/٤-١٥٠ - الزركلى : نفس المرجع ، ١٨٩/٨-١٩٠ .

(٣) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٤٢-٤٣ .

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٠ .

(٥) ابن اعثم : الفتح ، م ٢٢١/٤ - نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٧٦-٧٧ . وقد خالفه فى مقدار الخمس بانه (سنة آلاف الف درهم) . (نقلا عن الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٤٤/٦) .

وعشرون ألف ألف درهم ، فوقع الكتاب فى يدى عمر بن عبد العزيز ، فاخذ يزيد به وحبسه . اذ كان سليمان بن عبد الملك قد توفى فى هذه الاثناء سنة تسع وتسعين ، وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان . الذى كتب الى ابن المهلب باستخلاف سليمان له وليزيد بن عبد الملك من بعده وطلب منه اخذ بيعة من قبله ، فبايعوا ، ثم كتب اليه ان يستخلف على خراسان ويقدم عليه ، فلما بلغه كتابه شخص من خراسان ، واستخلف بها ابنه مخلدا ، وحمل كل ماكان معه مخافة من اهل خراسان ، واصطحب معه وجوه خراسان ، وقد اشار عليه قوم الا يبرح ، فلم يفعل ، وخرج ، حتى صار الى الرى فوجه بجميع ماكان معه من الاموال الى البصرة ، ثم خرج بعد ذلك يريد البصرة فنزل واسطا ، وركب منها السفن الى البصرة فلما وصل الى نهر معقل ، عند جسر البصرة ، لحق به موسى بن الوجيه الحميرى الذى بعثه عدى بن اوطاه امير البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز ، فقبض عليه واوثقه ، وكان عمر قد كتب الى عدى بالقبض عليه وارساله مقيدا . فقدم له كتاب عمر ، فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وعامله ، ثم رجع مع

- 
- (١) فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ - ابن خلكان : وفيات ، ٢٩٩/٦ .  
 (٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٥٢-١٥١/٤ .  
 (٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٦٧/٦ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٢ - ابن الجوزى : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ٣١٨-٣١٩ - مجهول : العيون ، ٤٨/٣ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٣٢/٤ .  
 (٤) فى هذا الخبر دليل على ايشار ابن المهلب للعافية ، وعدم عزمه على الانشقاق والفتنة . وان اسباب الخورة وان كانت قد ظهرت قبل زمن الخليفة يزيد ، الا ان شرارة اعمالها كان خوفه من يزيد بن عبد الملك ، وهروبه من السجن لذلك .

(١) ابن الوجيه الى واسط ، وكان قدومه اليها حيث وجد امر عزله والقبض عليه (سنة ٩٩هـ) .  
 فاستأذنه عدى فى الاموال التى جباها من خراسان وطبرستان وجرجان بامر عمر ، فقال فرقتها فى الاجناد لتقويتهم على جهاد عدوهم ، فلما أبى اخراجها امر بحبسها ، ثم اوثقه فى الحديد وبعث به الى عمر (سنة ١٠٠هـ) ، فلما وصل عمر زج به فى السجن .  
 (٢)  
 (٣)  
 (٤)

- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٤/٦ - ٥٥٧ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، م ٣٠١/٢ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٣٢/٤ - مجهول : العيون ، ٤٨/٣ - ٤٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٤/٤ - ١٥٧ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٣٣٣/٣ - الذهبى : كتاب دول الاسلام ، ٥٣/١ - أرمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد محمد الساداتى ويحيى الخشاب ، المؤسسة الممرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٧٤-٧٥ . وهو يقدم قولاً ليس له أصل فى المصادر الاسلامية التى اطلعنا عليها اذ يقول : "اذا كان ابن المهلب قد اشار شكوكه - يعنى عمر - بما صار له من النفوذ والثراء البالغ فى مدى عامين ، وحين تأكد له اعتزام عامله هذا على الخروج عليه رأى أن يسبقه فى خطئه ويقسدها عليه ، فعهد بخلع يزيد الى قائده مسلمة وكان يقود الجند فى حرب الروم اذ ذاك ، وكتب الخليفة نفسه الى يزيد يستدعيه فلبى الدعوة ، حتى اذا ما بلغ البصرة ألقى القبض عليه " وهذا القول يتنافى مع موقف ابن المهلب الذى لم يسمع لمن نصحه بعدم اجابة الخليفة عمر بالقدوم عليه ، بل استجاب وأعلن السمع والطاعة له ولعامله عدى بن أرتاه عند القبض عليه . الا أن عزله قد يكون لأن عمر لا يحب آل المهلب ، اذ كان يقول هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم . كما أن نوعية ابن المهلب من الرجال لاتناسب سياسة الخليفة الجديد التى اعتزمها . (انظر / نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٨ - الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٥٤-٥٥٨ - ابن الاثير - نفس المصدر والجزء والصفحات ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦) .
- (٢) نافع العبود : نفس المرجع والصفحة - ابن خياط : نفس المصدر والصفحة - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٣٣٣/٣ .
- (٣) ابن اعثم : نفس المصدر ، م ٣٣٧-٣٣٣/٤ .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر ، ٥٥٨/٦ - مجهول : نفس المصدر ٤٨/٣ - ٤٩ - ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، دار النيل ، الجيزة ، الطبعة الاولى ، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م ، ٢١٠/٩ - ابن خياط : نفس المصدر والصفحة الذهبى : نفس المصدر والجزء والصفحة - أرمينيوس فامبرى ، نفس المرجع ، ص ٧٥ - ابن قتيبة : المعارف ط ٤ ، ص ٤٠٥ .

فدعا به عمر ، وسأله عن الاموال التى كتب بها الى سليمان ، فاعتذر بانه لم يكتب ذلك الا لسمع الناس ، ولعلمه ان سليمان لن يأخذه بها ، وانه بالغ فى الصرف لتفخيم امر الخلافة ، وانه لذلك أنفق أكثرها على عساكره وبعضها على الاملاحات العمرانية فى جرجان فلم يقتنع الخليفة بانفاقها جميعا ، واعتقد ان يزيد اختلسها ، وانه حقوق للمسلمين لايسته تركها ، فأمر به الى السجن . ورفض وساطة ابنه مخلد بن يزيد ، الذى طلب من الخليفة ان يصالحه على مايسال فيه أبيه ، فأبى الخليفة الا ان يحمل كل المال ، فقال مخلد : ان كان لك بينة فخذ بها والا فمدق قوله واستحلفه ، فان لم يفعل فصالحه ، فأبى الخليفة الا اخذه بجميع المال ، فلما أبى يزيد ان يؤديها ، ألهمه جبة صوف وحمله على جمل وأمر بتسييره الى دهلك . فاستشار ابن المهلب قبيلته ، التى غفبت له ، وخشى انتزاعه ، وأشير على عمر برده الى محبسه ، فرد الى سجنه بحصن حلب . وكلم عمر فى يزيد ، فقال هو رجل سوء قتال والسجن خير له . ولعل

(١) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن (البحر الأحمر) وهى مرسى بيسن بلاد اليمن والحبشة ، بلدة فيقة ، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . (انظر / ياقوت : معجم ٤٩٢/٢) .

وقيل : جزيرة فى بحر عيذاب (البحر الأحمر) بالقرب من سواكن . (ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦) . والمعنى واحد . وانظر عن التعريف بها أيضا / القلقشندي : صبح الاعشى ، ٣٣٥/٥ .

(٢) لمعلومات أوسع عما كان بين عمر وابن المهلب ، انظر / نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٧-٧٨ - ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٧٠ - ابن الأثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٢-٣٠١/٢ - المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٧ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٣٧-٢٣٨ - مجهول : العيون ، ٥٠/٣ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠/٩ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء والصفحة - الزركلى : الاعلام ، ١٩٠/٨ - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

هذا يوضح لنا رأى عمر فيه وفى أهل بيته إذ يقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، وكأنه يشير الى جبروت هذه الأسرة واحتمالات تشكيلها مركز ثقل يهدد الدولة الاموية وارادة سلطتها العليا ، لكنه لم يتعامل مع رأس هذا المركز على انه يمثل كتلة يمنية من أزد اليمن ، وإنما كسارق لاموال المسلمين . وكان رأى عمر فيه قديما ، وماكذب رايه ، بل اضحى الشك يقينا فيما أن توفر السبب ، وتهيأت الفرصة ، بمرض عمر وانتظار كرسى الخلافة ليزيد بن عبد الملك الناقم على ابن المطلب ، حتى هرب من سجنه وهدد كيان الدولة بتمرده على سلطانها ، وخلعه حاكمها .

#### أسباب الحركة :

لم يزل يزيد بن المطلب محبوسا فى سجن عمر بن عبد العزيز حتى بلغه خبر مرضه فأخذ يعمل فى الحرب من سجنه مخافة أن يتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، لما كان بينهما من العدااء . فقد قام ابن المطلب بتعذيب آل أبى

(١) محمد على نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضى فى منطقة السواد حتى نهاية العصر الاموى ، رسالة ماجستير لم تطبع ، مقدمة لاداب بغداد ، ١٩٧٤م ، ص ٢٥٦ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ ، بحث ، مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى ، العدد الرابع ، ١٤٠١هـ ، ص ٢٩٦ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠/٩ .

(٢) كان لعمر رأى فى يزيد ، عبر عنه فى مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك ، على اثره اختتم الرجلان . عن ذلك (انظر : المؤرخ المجهول : العيون ، ٤٨/٣) وهذا يعطد قولنا أن عزله كان لرأى عمر فيه ، وأنه لا يلائم السياسة التى اعتزم انتهاجها . أما سجنه فكان لانكاره أموال المسلمين ، الثابتة عليه فى كتابه الى سليمان .

عقيل أمغار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حيث كان متزوجا من أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الشقي ، أخت الحجاج . وذلك زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك ، الذي طلب آل أبي عقيل فأخذهم وسلمهم إلى يزيد بن المهلب ليخلص أموالهم ويعذبهم . وبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج وعياله فنقلهم وماعهم إليه ، وكان فيمن أتى به منهم أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وقيل بل أخت لها ، فأتى يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلب في منزله ، فشفع فيها ، فلم يقبل منه ، وأراد احتمال ماقرر عليها ، فأبى ابن المهلب ، فقال يزيد بن عبد الملك متهددا : أما والله لئن وليت من الأمر شيئا لأقطعن منك عضوا فرد عليه ابن المهلب : وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك ماكان عليها وقدره مائة ألف دينار ، وقيل بل أكثر من ذلك .<sup>(١)</sup>

وفى القول تناقض ، فكيف حمل عنها وقد أشار إلى أن ابن المهلب لم يقبل شفاعته فيها واحتماله ماعليها ، وهذا بيت الداء وأساس العدا ، فلو كان قد حمل عنها فهذا معناه قبول ابن المهلب شفاعته يزيد بن عبد الملك ، فلماذا يعاديه إذا ، ولم كان يخشاه ابن المهلب .

والأصح أنه لم يقبل منه . ثقة في حظوته عند الخليفة سليمان ، وأن غضب يزيد لن يؤثر عليه ، واستبعادا في ذلك

(١) عن سبب العدا بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب انظر / (الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٤/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٠/٤ - ١٦١ - ابن كثير : البداية ، ١٦ ، ٢١٤/٩ - مجهول : العيون ، ٥٠/٣ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦ - ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣) .



اليوم أن يكون الأمر ليزيد بن عبد الملك على الأقل قريبا ،  
فحملها عليه يزيد بن عبد الملك ، وخشى ذلك ابن المهلب  
عندما علم بمرض عمر وأن الخلافة سائرة الى يزيد بن عبد  
الملك .

ويضيف ابن أعثم سببا آخر للعداء بين الرجلين ، وهو  
أن ابن المهلب خرج من الحمام يوما في عهد سليمان وقد تضحخ  
بالغالية<sup>(١)</sup> ، فمر على يزيد بن عبد الملك الجالس الى جنب عمر  
ابن عبد العزيز ، فقال يزيد : قبح الله هذه الدنيا  
وما فيها ! لوددت أن مثقال غالية بالف دينار فلاينالها الا  
كل شريف . فسمعه ابن المهلب ، وقال : وددت أن الغالية  
لا توجد الا في جبهة الاسد فلاينالها الا مثلى . فقال يزيد :  
والله ان وليت هذا الامر يوما من الايام لاقطعن خير طابق في  
يدك ، او قال : لاقتلنك . فقال ابن المهلب : والله لئن  
وليت هذا الامر وأنا حى لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف . وليس<sup>(٢)</sup>  
لنا أن نستبعد هذا السبب أو ذاك ، وان كنا نستطيع أن نقول  
ان هذا السبب ان صح فانه يعتبر ثانويا وشخصيا وقد أدى الى  
اذكاء روح العداوة بين الرجلين والتي يرجع سببها الرئيسى  
الى تعذيب ابن المهلب لاصهار الخليفة .

وكانما حكم على ابن المهلب أن يظل طريد السلطة  
وسجينها من عهد الى آخر ، لكن الكارثة كانت تتربص به على  
يد يزيد بن عبد الملك ، فأدرك أنها النهاية القريبة ، فلم

(١) الغالية : من الطيب ، نوع مركب من مسك وعنبر وعود  
ودهن ، وهى معروفة ، يقال أن أول من سماها بذلك  
سليمان بن عبد الملك ، والأصح أنها عرقت بهذا الاسم  
قبل ذلك . انظر : اللسان (غلا) .

(٢) الفتوح ، م ٢٣٩/٤ - ٢٤٠ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ .

(١)

يجد لنفسه سبيلا غير الحرب .

هرب ابن المهلب من سجن عمر :

كتب ابن المهلب الى مواليه الذين كانوا معه بالشام ،  
 ان يعدوا له ابلا وخيلا ليهرب عليها ، وقد عين لهم مكانا .  
 فاحتال لذلك ، وقيل بل رشا حرسه وعامل حلب ، فخلى سبيله .  
 فلما ثقل على عمر المرض ، نزل يزيد من محبسه الى المكان  
 الذى واعد فيه مواليه ، ومضى هاربا من هناك ومعه مواليه يؤم  
 العراق ، فلما قرب من العراق ، كتب الى عمر بن عبد العزيز  
 انى والله لو علمت انك تبقى ماخرجت من محبسى حتى تكون انت  
 الذى تخرجنى ، ولكنى لم آمن يزيد لما قد علمت بينى وبينه  
 فلا تظن بى غير ذلك والسلام .  
 (٢)

(١) ابراهيم بيلمون : ملامح التيارات السياسية فى القرن  
 الاول العجوى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،  
 بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٣٣١ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ط٢ ، ص ٤٠٠ - ابن خلدون : العبر ،  
 ٧٧-٧٦/٣ - نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٩ . وعلق  
 على ذلك بقوله : لماذا لم يحاول الحرب قبل مرض عمر  
 مادام يستطيع ذلك بالرشوة ، او يدفعنا هذا الى  
 احتمال أن يكون الخليفة نفسه قد سهل اخراجه ،  
 واحتمال أن يكون أمير حلب كارها لمجرى يزيد بن عبد  
 الملك الى الخلافة ، فأبدى تعاطفا مع ابن المهلب ،  
 وأطلق سراحه .

الا أننا نرد قوله ونقول : لم يهرب ابن المهلب قبل  
 مرض عمر ، لأنه لم يكن يخشاه ، وكان يأمل العفو ، أما  
 أن يكون عمر سهل أمر اخراجه ، فهذا ما تبطله النصوص  
 التى سنشير اليها مبينة موقفه من هربه (انظر نفس  
 الصفحة هـ-٣) كما نستبعد تعاون أمير حلب وتعريفه نفسه  
 للخطر ، ولكن لاستبعد تواطؤ حرسه ، الذين قد يكونون  
 من اليمينية ، فآثرت عليهم روح العصبيية ، وحلاوة  
 المادة ، مما سهل على مواليه وعثرته أمر التفاهم  
 معهم ومساعدته .

(٣) عن هرب ابن المهلب : انظر : الطبرى : تاريخ الامم ،  
 ٥٦٤-٥٦٥ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٠/٤ - مجهول :  
 العيون ، ٥٠/٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠/٤ - ١٦١ - =

ولعل نسم هذا الكتاب يعضد قولنا فى الرد على العبود الذى احتمل ان يكون الخليفة عمر سهل هروب ابن المهلب من سجنه ، والراجح انه كان يتأمل العفو منه ، ولا يخشى شره . وكان هروبه هذا قبل موت عمر بليلتين ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : اللهم ان كان يريد بهذه الامة سوءا فاكفهم شره ، واردد كيده فى نحره . ولم يقف الخليفة عند قوله هذا ، بل وجه فى اشره رسلا فلم يلحقوا به . الا ان ابن خلكان ينقل عن الواقدي زعمه : ان هرب ابن المهلب كان بعد موت عمر وذلك فى رجب (سنة ١٠١هـ) . ورد عليه بقوله : "وجدت فى مسودة تاريخ القاضى كمال الدين بن العديم الحلبى ان عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب ، وهربا منها - اى فى حياته - والله اعلم" . (٤)

#### موقف الخليفة يزيد بن عبد الملك من هربه :

أما يزيد بن عبد الملك فما ان تولى الخلافة بعد وفاة

- = ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٠/٦ - ابن كثير : البداية ، ١ ، ص ٢١٤ ، (وقال : علم انه يموت فى مرضه ذلك ، وبذلك كتب اليه ، وأظنه كان عالما ان عمر قد سقى سما) لكن أمر علمه بذلك فرضا يستبعد صحته ، خصوصا أن قضية سم عمر أمر مختلف عليه ، والأقرب أنه ماخرج من سجنه بعد احتياله على ذلك ، الا بعد ان علم بشغل المرض على عمر .
- (١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٨/٢ .
- (٢) ابن كثير : نفس المصدر والجزء ، ص ٢١٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء والمفحة .
- (٣) اليعقوبى : نفس المصدر والمجلد والصفحة .
- (٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٣٠١ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٦٥/٦ - المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧ - الياقنى : مرآة ٢٤١/١ - الذهبى : دول الاسلام ، ٥٣/١ (وأضاف : وسار على البريد) اى أنه سلك طريق البريد - المقدسى : البدء ، ٤٧/٦ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

عمر بن عبد العزيز حتى بعث في طلب ابن المهلب الذي توجه الى العراق فلم يقف له على خبر . وليس هناك من تفسير لعدم تمكن رسل عمر ومن بعده يزيد في اللحاق بابن المهلب ، الا انه اتخذ طريقا غير المألوف ، متواريا عن العيون ومضللا عمن قد يلحق به ويطلبه ، خصوصا اذا علمنا انه هرب قبل موت عمر بليلتين ، أي أن الخليفة عمر طلبه بعد هربه في أقل من ليلتين ، وكان من الممكن اللحاق به ، اذا ما استخدمت خيل البريد . فاتخذ الخليفة يزيد الخطوة الثانية في محاولة القبض على ابن المهلب ، الذي يخشى خطره ان وصل الى البصرة مكن قوته وأرض عشيرته . راجيا ان يستأصل الداء في مهده . فكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة ، يخبره بهربه ، ويأمره بطلبه ، ليقطع الطريق عليه الى البصرة ، كما كتب الى عدي بن أرطاة ، عامله على البصرة ، يعلمه بهربه ، آمرا اياه ان يتحيا لاستقباله ، وان يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .<sup>(١)</sup>

فقام عبد الحميد بالقبض على خالد بن يزيد بن المهلب

- 
- (١) مجهول : العيون ، ٥١/٣ .  
 (٢) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، أبو عمر ، أمير من أهل المدينة ، ثقة في الحديث ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة . وتوفي بحران في خلافة هشام سنة ١١٥هـ . (الزركلي : الاعلام ، ٢٨٦/٣) .  
 (٣) عدي بن أرطاة الخزاري ، أبو واثلة أمير من أهل دمشق كان من العقلاء الشجعان ، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩هـ ، فاستمر الى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب ، بواسط ، في فتنة أبيه يزيد بالعراق (الزركلي : نفس العرج ، ٢١٩/٤) .  
 (٤) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٧٨/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن أعثم : الفتح ، ٢٤٢/٤ (لم يشر الى كتاب الخليفة الى عبد الحميد) - مجهول : نفس المصدر والجزء والصحة .

وكان بالكوفة ، وعلى حمال بن زحر الجعفى ، لملته  
بالمهالبة ، فبعث بهما الى الخليفة يزيد بن عبد الملك ،  
(١)  
فسجنا حتى هلكا .

كما بعث هشام بن مساحق بن عبد الله القرشى على رأس  
قوة من الكوفة لاعتراض طريق ابن المهلب عند العذيب ، حيث  
(٢)  
ستكون طريقه من هناك ، فنزل هشام العذيب ومر ابن المهلب  
بالقرب منهم ، فالتقوا الاقدام عليه ، وقيل بل ارتفع ابن  
المهلب على القططانة ، فأخبر هشام بمروره فركب اليه فحاد  
(٣)  
عنه ، ومضى يزيد الى البصرة ، وانصرف هشام الى عبد الحميد  
وكان قد بلغه خبر وفاة الخليفة عمر وتولى يزيد بن عبد  
الملك الخلافة ، وكتبه الى أميرى الكوفة والبصرة ، وسجن  
اخوته ومواليهم ، فاغتم لذلك ولم يكن معه آنذاك الا اقل من  
(٤)  
مائة رجل ممن أتبعه من أهل الشام ومواليه وبنى عمه .  
(٥)  
ويذكر المؤلف المجهول من كان معه بقوله : ومامعه الا برذون

- 
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ،  
١٦٩/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ (الا أنه أورد اسم  
حمال : حماد بن زحر ، تحريفاً) .
- (٢) العذيب : هو الماء الطيب وهو ماء بين القادسية  
والمغيشة ، وقيل هو واد لبنى تميم ، من منازل حاج  
الكوفة ، وقيل هو حد السواد ، وقيل : العذيب يخرج من  
قادسية الكوفة اليه . وهناك عذيب الهجانات ، وعذيب  
القوادس . (ياقوت : معجم ، ٩٢/٤) . وأظن المقصود  
العذيب الذى يخرج من قادسية الكوفة اليه .
- (٣) القططانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ،  
تخرج منها الى عين التمر ، ثم ينحط حتى يقرب من  
القيوم الى هيت . (ياقوت : معجم ، ٣٧٤/٤) .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٨-٥٧٩ - ابن أعثم  
الفتوح ، م ٢٤٢/٤ (وأضاف لاسم هشام بعد عبد الله : بن  
مخرمة الكناني) - مجهول : العيون ، ٥٢-٥١/٣ - ابن  
الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٨ (وأضاف لنفسه  
العامرى . ولاتناقض فالعامرى قرشى والقرشى كناني) -  
ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمصحة .
- (٥) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والمصحة .

(١) وعجلان وأبو فديك ، ومولى له آخر ومن على ثقله .

#### استيلاؤه على البصرة :

استجاب عدى بن أرطاة لأمر الخليفة فأخذ آل المهلب ،  
(٢) وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، فحبسهم . وكان قد  
أمن المفضل وعبد الملك ، ثم بعث إلى أبي عيينة ومدرک ،  
(٣) فصاروا ستة فقيدهم جميعا وحبسهم .

وقد أشار عليه وكيع بن الأسود بقتلهم أو هدم دورهم أو  
(٤) إعطاء الناس من بيت المال ليدافعوا عنه ، فأباه . ثم جمع  
عدى إليه أهل البصرة ، وخذق عليها ، وبعث على خيلها  
المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الشقي في خمسمائة فارس  
(٥) كما بعث على كل خمس من أخماسها رجلا . وتقدم في هذه الأثناء  
عبد الملك بن المهلب إلى عدى بن أرطاة ، بأن يحبس ابنه  
حميدا مكانه ، ليتولى رد يزيد عن البصرة إلى فارس ، حتى  
(٦) يطلب لنفسه الأمان ، فلم يقبل عدى منه . وقد يكون ذلك من  
خشية عبد الملك على أخيه عندما رأى استعداد عدى وظن قدرته

- 
- (١) العيون ، ٥٢/٣ .  
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٧٨/٦ - ابن الأثير : الكامل ،  
١٦٨/٤ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٨/٢ - ابن  
خلدون : العبر ، ٧٧/٣ .  
(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٣-٥٤ - الجاحظ :  
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة  
الخانجى ، مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ،  
١٧٣/٢ .  
(٤) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥١ .  
(٥) عن تهيو عدى لابن المهلب انظر / الطبرى : نفس المصدر  
والجزء ، ص ٥٧٩-٥٨٠ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص  
٥٤ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن  
خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة (ويلاحظ عليه هنا  
وفى كثير من المواضع تحريف الأسماء) .  
(٦) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٩ .

فى القبض على يزيد ، أو على الأقل منعه من دخول البصرة ، وهذا نفسه مادعى عدى الى رفض عرضه وطمعه فى الغلبة . الا أن تدخل محمد بن المهلب الذى لم يقع فى يدى عدى ، والذى جمع حوله قوة تمكن بها من مساعدة يزيد على الدخول الى البصرة قلبت موازين القوى فى صالح ابن المهلب .

ذلك أنه عندما أقبل يزيد ومن معه وجد البصرة محفوفة بالرجال ، فجمع محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حبسهم عدى - أهل بيته ورجالا من مواليه وخرج لاستقبال يزيد ، فأقبل فى كتيبة تهول من رآها ، مامرت بخيل أو قبيلة الا تنحوا له عن الطريق ، ولم يعرضوا له . فتصدى له المغيرة الثقفى فى الخيل ، الا أنه تراجع عندما حمل عليه محمد بن المهلب ، وأفرج لهم الطريق دون قتال . بل أنه عندما مر بالحرس الذين صيرهم عدى فى الأزد بقيادة بدل بن نعيم فى رجال من بنى تميم ، رحبوا بابن المهلب ولم يفعلوا شيئا . ويبدو أن مهمة هذه القوة كانت مكلفة بحراسة منزل الأزد فى البصرة ، لئلا يمنع ابن المهلب من دخوله ، لكنهم تخاذلوا كما يفيد النص فنزل يزيد دار المهلب . وقيل : نزل داره . وقد أشير على عدى بأخذ ابن المهلب بعد دخوله البصرة ، قبل أن يعظم أمره ، فأبى ذلك . وكأنه لا يريد أن يبدأ الفتنة . وكان دخوله البصرة ليلة البدر من شهر رمضان سنة احدى ومائة من

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ - نافع العبود : آل المهلب ، ص ٧٩-٨٠ .

(٢) مجهول : العيون ، ٥٢/٣ .

(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والمفحة . وقد لا يكون هناك خلاف ، على اعتبار أن دار أبوه المهلب قد تكون آلت اليه بعد ممات أبيه ، فغدت دارا له .

(٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(١)  
الهجرة .

وباستقراء لموقف عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة ، وعدى بن أرطاة أمير البصرة ، يتبين لنا أنهما عجزا عن تحقيق هدف الخليفة بواد الفتنة في مهدها عن طريق القبض على ابن المهلب ومنعه من الوصول إلى البصرة مكن قوته وموطن عشيرته . فإن كان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد قبض على بعض بنى المهلب ومواليهم ، إلا أن مبعوثه هشام بن مساحق لم ينجح في المهمة الموكلة إليه ، وهى اعتراض طريق ابن المهلب والقبض عليه . ضعفا من ابن مساحق وسوء اختيار من عبد الحميد ، وسوء تقدير ، فما كان عليه لو خرج إلى ابن المهلب بنفسه .

ومع أن عديا بن أرطاة ، أمير البصرة ، قد تاهب لذلك فخذق عليه في البصرة ، وأعد جنده ، إلا أن ابن المهلب تمكن من التغلب عليه ، ودخل البصرة . وهذا يكشف لنا حال أهل البصرة وموقفها المبكر من الخليفة وعامله . إذ سرعان ما اتضح تخاذلهم ، بإفساح المجال لابن المهلب قبيلة بعد أخرى دون أن يعرضوا له . بل أن المفجرة الثقفى الذى كان ينتظر منه موقف أشد حزما ، لما بين آل أبى عقيل والمهالبة من عدا . نجده يتراجع أمام محمد بن المهلب ، حتى دخل ابن المهلب البصرة دون قتال . أما عدى نفسه فأننا نستطيع أن

---

(١) مجهول : العيون ، ٥٢/٣ . أى أنه قطع الطريق من حلب إلى البصرة في أكثر من شهر ونصف ، وفي هذا ما يبطل القول بأنه سار على البريد ، لامكانية وصوله بأسرع من هذا الوقت بكثير فيما لو حدث ذلك ، وهذا يسند قولنا بأنه أخذ طريقا غير المألوف ، أو أنه اختفى في مكان ما حتى خف عنه الطلب . انظر قبل : ص ١٣٨ .



نقول ان مواقفه تبين نوعية رجال عمر بن عبد العزيز ،  
لايشاره العافية على القتال ، وعدم التصرف فيما ليس من  
ملاحياته ، مع ان خطورة الموقف وبعد المكان عن مركز الخلافة  
يتطلب اتخاذ الاسباب المناسبة لدرء الخطر وتحقيق الغاية في  
حدود الشرع ما يمكن ، فتوقف عند أمر الخليفة بالقبض على  
ابن المهلب ، لذا لم يفسح المجال لعبد الملك ليرد اخاه عن  
البصرة الى فارس ، لكنه عجز عن تنفيذ الامر . فما استطاعت  
قوته التي اعدّها الوقوف في وجه ابن المهلب ، كما انه لم  
يسع الى القبض عليه بعد نزوله البصرة قبل استفحال خطره .  
ولعل قلة القوة الشامية في العراق منذ عهد عمر بن عبد  
العزيز ، جعل عدى يعتمد على عرب البصرة ، الذين لم يكونوا  
ليقفوا الى جانبه دون مقابل ، وهو لم يدرك ذلك ، اذ رفض  
نميحة وكيع بن الاسود بتوزيع بعض المال على الناس ليدافعوا  
عنه . المهم ان يزيد بن المهلب نزل البصرة ، فحل بين اهله  
واتباعه وقبيلته الازد وحلفائها من ربيعة ، وهما اعز القوى  
بها واكبرها . نجد ذلك على لسانه في اجابة منه على سؤال  
الخليفة سليمان له : فيمن العز بالبصرة ؟ اذ يقول : " فينا  
وفي حلفائنا من ربيعة " <sup>(١)</sup> . ولعل هذا مما ساعده على دخولها  
لمساندتها له وترحيبها به من ناحية ، وتقدير القبائل  
الأخرى لهذه القوة ، بل قد يكون ذلك مامنع عدى من أخذه بعد  
دخولها ، لعلهم ان قومه لن يخلوا بينه وبين ابن المهلب .  
ولانفس ارتباط المهالبة مع البصرة واهلها بعلاقات

(١) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٣ - نبيه عاقل : تاريخ  
خلافة بني أمية ، ص ٢٩٦ .

قديمة منذ زمن والده ، حيث كون لهم ذلك انصارا . قفلهما على خراسان التي اشار بها عليه أخوه حبيب ، لعلمه بانتهاء سمعة الخلافة الاموية في هذا الاقليم ، وازدحامه بالقوى المعارضة .<sup>(١)</sup>

وكتب ابن المهلب من ليلته التي وصل فيها الى يزيد بن عبد الملك يساله الامان ، وبعث به مع حميد بن عبد الملك بن المهلب ، وابنه خالد بن يزيد ، فلما قدما على الخليفة يزيد استشار الناس في امانه ، فقالت المضرية لاتؤمنه ، فانه احمق غدار ، وقالت اليمانية تؤمنه فتحقق الدماء وتستصلح قومه . فامر ان يكتب له امانه ولاهل بيته ، على ان يقيم "ببلده" . وانفذ معهما خالد القسري وعمر الحكمي ،<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>

- 
- (١) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٢٢١-٢٢٢  
 (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - مجهول : العيون ، ٥٢/٣ - ابن خلدون : العبر ٧٧/٣ .  
 (٣) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة . (لكننا نقف عند قوله هذا ، فقد ذكر ان خالد بن يزيد قد قبض عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعثه الى الخليفة يزيد ، وظل في سجنه حتى هلك . بل اننا لن نجد له ذكرا في احداث الفتن ، مما يعقد الرواية الاولى ، ويدفعنا الى استبعاد قول المؤرخ المجهول ، منفردا بذلك ومخالفا لمن هو اقدم منه) . انظر قبل : ص ١٣٨-١٣٩ .  
 (٤) يفهم من هذا النص انه اعطاه الامان على ان يقيم ببلده (اي البصرة) ، ولكن محقق كتاب العيون والحدائق للمؤلف المجهول ، اشار في هامش (٣) ، ص ٦٧ ان المقصود ببلده هو بلدة (كود) Cod ، وبالرجوع الى معجم البلدان للحموي ، وجدت تعريفا لها في ٨٨/٤ قال فيه ان كود : بالضم هو كود اشال . وهو اسم موضع قتل فيه الممبيل بن الامور الشباني . وقيل : ماء لبنى جعفر وقيل : جبل . واشال : جبل لبنى عيسى بينه وبين الماء الذي ينزل عليه الناس اذا خرجوا من البصرة الى المدينة ثلاثة اميال ، وهو منزل لاهل البصرة بعد قس وقبل الناجية ، وقيل مواضع اخرى . انظر نفس المصدر ، ٨٩/١-٩٠ . وقد ذكر "كي لسترنج" ان جبل كود يقع على بعد فرسخ عن مدينة بم الواقعة الى الجنوب الشرقي من ماهان وفي شرق كرمان . انظر : بلدان =

(١)  
فتقدم خالد الى أبيه بالبشارة . وفى طريقهما الى ابن  
المهلب بأمانه ، لقيا الحواري بن زياد بن عمرو العتكي  
هارباً من يزيد بن المهلب يريد الخليفة ، فأخبرهما بتغلب  
ابن المهلب على عدى وأشار عليهما بالرجوع ، فأقبلا عائدين  
الى الخليفة ومعهما حميد ، الذى ناشدهما ايمان الامان لعمه  
فما سمعا منه ، وفى الطريق سلماه الى عبد الرحمن بن سليم  
الكلبي ، وكان يزيد قد بعثه عاملاً على خراسان ، فلما بلغه  
خبر خلع ابن المهلب للخليفة ، كتب الى الخليفة أن يجعله  
ممن يجاهد عدوه ، راغباً عن ولاية خراسان ، وبعث بحميد الى  
(٢)  
الخليفة يزيد بن عبد الملك .

- = الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ /  
١٩٨٥ م ، ص ٣٥٠ .  
كما ذكر فى ص ٣٧٧ من نفس المرجع "كودزره" وقال أنها  
عقيق ثانى لبحيرة زرة الواقعة جنوب عدوة نهر هيلمند  
الاسفل الا أننا لم نعرف العلاقة بين كود والنص ، عندما  
فسر المحقق أن كلمة (ببلده) تعنى كود . اذ لم نجد  
علاقة بين ابن المهلب وبين هذا الاسم ، وأن المهالبة  
استوطنوه أو كان بلدا لهم .  
(١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ - الطبرى : تاريخ الامم ،  
٥٨٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ . وقد أشار  
كالطبرى الى اسم والد الحكمى فقالا : عمر بن يزيد  
الحكمى .  
(٢) لم أعثر له على ترجمة . وقد ولاه مسلمة بن عبد الملك  
البصرة أثناء ولايته على العراق ثم عزله . انظر :  
الفصل الخامس ، المبحث الأول ، ص ٤٦٣ .  
كما شارك فى قيادة الحملات العسكرية فى أرض الروم ،  
زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك . انظر الفصل الرابع  
المبحث الثالث ، ص ٣٧٧ ، ٣٨٠ .  
(٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٤-٥٨٥ - مجهول :  
نفس المصدر والجزء ، ص ٦٧ . لكنه لم يشر الى التقاء  
الوفد بالحواري ، وقال : أن الوفد سار حتى وصل الى  
المكان الذى به عبد الرحمن بن سليم بالقرب من الكوفة  
حيث أقام فيه عندما سمع بخلع ابن المهلب للخليفة ،  
قال : فشد على حميد وأوثقه وبعث به الى الخليفة -  
ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٩ وقد أورد =

نرى مما تقدم أن ابن المهلب طلب الأمان من الخليفة يزيد بن عبد الملك حين وصوله البصرة ، وهذا يبين أن ابن المهلب لم يكن في بادئ الأمر يفكر في الخروج على الخلافة ، وإنما دفعه إلى الهرب خوفاً من يزيد بن عبد الملك ، فأراد أن يأخذ لنفسه الأمان ، وهو في مأمن من شر خصمه . إلا أن حبس عدى لأخوته ، أخرج موقفه فإن هو آمن على نفسه في البصرة أو في غيرها أن خرج منها ، فأخوته في خطر ، وكونه غير واثق من حصوله على أمان الخليفة ، حدا به ذلك إلى مفاوضة عدى بأن يطلق أخوته مقابل خروجه وإياهم عن البصرة (١) فلم يقبل منه .

فخشى أن يبقى على هذا الوضع ولا يعطيه الخليفة الأمان ، ويبعث في طلبه فيكون هو وأخوته تحت رحمة الخليفة وأمير البصرة وفي متناول سلطته . وهذا مادفعه إلى جمع الناس حوله ليستطيع الدفاع عن نفسه وقت الحاجة وانقاذ أخوته ، إلا أنه فيما يظهر بلغ أعوانه واتباعه من العدد والقوة ما أوحى له بحرب عدى واستنقاذ آل المهلب من سجنه ، ليكون هو وأخوته سواء إما في أمان الخليفة وعفوه ، أو في

= اسم الحواري : المغيرة بن زياد ، ولم يشر إلى تسليم حميد الكلبي ، بل قال : ورجعاً به - ابن خلدون : العبر ، ٧٧/٣ . وافق ابن الأثير في اسم الحواري ، والخبر .

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - مجهول : العيون ، ٥٢/٣ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٨/٤ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ . إلا أنه يشير إلى أن مفاوضة ابن المهلب لعدى كانت قبل دخوله البصرة ، وأنه لزل على مرحلة منها وبعث إلى عدى إلا أنها ترى صحة القول بحدوثها في البصرة ، إذ لو تمت قبل ذلك ، وأنه دخل البصرة مخالفاً لعدى محارباً له ، لما استأمن من الخليفة بعد ذلك .

مواجهته . لكن ظهوره على عدى وغلبته على البصرة وما والاها واستشعاره القوة سيدقعه الى خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك وروم الخلافة لنفسه .

اما الخليفة يزيد ، فان معالجته لحركة ابن المهلب من اولها تميزت باليقظة واعطائها حقها من الاهتمام والسعى الى اخمادها في مهدها ، فمن البعث في طلبه عند هربه الى امدار الاوامر لامراء العراق باستقباله والقبض على ذويه والجد في طلبه <sup>(١)</sup> . ونراه بعد ان وصله كتاب ابن المهلب الذي تمكن من دخول البصرة مركز عصبية يطلب الامان فيه ، يتعامل مع الواقع بكل حكمة ، فيستشير ، ويرتفع بنفسه كخليفة عن التعامل مع الحدث تحت تاثير الهوى والتعصب ، فينسى كراهيته لابن المهلب وحزازات الماضي ، كما يرفض رأى المفرية عصبية بعدم اعطائه الامان ، وياخذ برأى اليمانية الداعى لتأمينه ، حقنا للدماء واستملاحا لقومه . فيؤمنه . وبذلك يسمو فوق روح العصبية واطارها الضيق ، الى مستوى المسئولية ، وتعامل السلطة مع الحوادث بما يحقق المصلحة العامة ، ويحفظ الامن ويكفل استمرار السيادة .

لذا فاننا نخالف نافع العبود الذى يقول : " أعلن يزيد ابن المهلب خلافة ليزيد بن عبد الملك على اثر وصوله البصرة ليلة القدر من شهر رمضان سنة ١٠١هـ / ٧١٩م " . اذ رأينا مما <sup>(٢)</sup>

(١) انظر قبل : ص ١٣٧-١٣٩ .  
(٢) آل المهلب ، ص ٨٠ (نقلا عن ابن خياط : تاريخ ابن خياط ص ٣٤١) . ونحن نرجح قول المؤرخ المجهول بأنه دخل البصرة ليلة البدر ، أى ليلة النصف من رمضان . انظر قبل : ص ١٤١ . وبرجوعنا لابن خياط : تاريخ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٣٢٢ . وجدناه ذكر دخوله ليلة البدر كما عند المؤرخ المجهول ، ليلة القدر ، وهذا يعنى أن العبود وقع فى خطأ فى النقل ، أو الطبع

تقدم أن ابن المهلب كاتب الخليفة وفاوض عدى بعد دخوله البصرة ، وهذا يدل على أنه لم يعلن مخالفته إلا بعد أن تعذر عليه اخراج اخوته عن طريق المفاوضة مع عدى ، واجتماع الناس حوله ، مما أغراه بالخروج .

فقد بعث يزيد الى الأزد وربيعة ، فجاءت الأزد وابططات ربيعة ، ثم جاءت وطلب مساندتها ، ثم أمر العرفاء أن يفرضوا للناس ، وجعل يعطيهم قطع الفضة ، وأعطى قومامن القراء والقصاص. <sup>(١)</sup> فمال الناس اليه ، ربيعة وبكر وبقية تميم وقيس وبعض الجند الشامي في العراق ، بينما كان عدى لايعطى <sup>(٢)</sup> إلا درهمين درهمين . والذي دفع ربيعة لمساندة الأزد ذلك الحلف القديم الذي وجد بين القبيلتين ، إلا أن علينا الانغفل أثر المصلحة المادية الى جانب ذلك ، فعندما حشدت ربيعة أثناء الحركة استبطاته في امر يتعلق بالعطاء ، فشغبت عليه حتى أرفاها وهي بعملها هذا انما تعرض الحركة للفشل <sup>(٣)</sup> . وكان ممن مال اليه عمران بن عامر بن مسمع الذي غضب عندما حول عدى الراية عنه الى ابن عمه نوح بن شيبان <sup>(٤)</sup> وعبد الملك ومالك ابنا مسمع .

وجعل سادات البصرة يخرجون الى ابن المهلب ، فيحسن اليهم ويمنيهم ، حتى صار في قريب من ثلاثة آلاف ، وقعد عامة

- 
- (١) مجهول : العيون ، ٥٣/٣ .  
 (٢) محمد عبد الحى شعبان : الثورة العباسية ، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الدراسات الخليجية ، أبو ظبي ، ١٩٧٧م ، ص ١٦١ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ .  
 (٣) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٤-١٥٥ .  
 (٤) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٤-٥٦ .

(١)

اهل البصرة في منازلهم ممن كان يهوى ابن المهلب .

كما انضم اليه جماعتان ، أحدهما من الخوارج بقيادة  
السميدع ، والثانية من المرجئة يقودها رؤبة .<sup>(٢) (٣) (٤) (٥)</sup>

ثم أرسل يزيد الى الاسواق فحرقها أو أكرها الى الأزد  
واشترى السلاح ، واعتزل فنزل مقبرة بنى يشكر . وكانت  
اليمانية وربيعه تختلف اليه ، ومضر تأتي عديا .<sup>(٦)</sup> فان صح  
هذا النص اتضح لنا تعصب الرجل في حركته من أولها . الا أنه  
كيف يخص بها الأزد ، ويحرم ربيعة وهي الحليفة ، وان رُشيت  
ربيعه ، فهل ستسكت مضر ، وما نصيب من انضم اليه منها على  
الأقل . وهذا ما يدعونا الى استبعاده ، كما أن قول كثير من  
النصوص بانضمام كثير من القبائل اليه أو بعضها ، يبين أنه

- 
- (١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ .  
(٢) السميدع : السميدع الكندي من بنى مالك بن ربيعة من  
ساكني عمان ، يرى رأي الخوارج ، وقد خرج أثناء  
الفتنة بين عدي وابن المهلب ، واعتزل مع طائفة من  
القراء ، دعاه ابن المهلب الى نفسه ، فأجابه ،  
واستعمله يزيد على الأبله . (الطبري : تاريخ الأمم ،  
٥٨٣/٦) .  
(٣) المرجئة : الأرجاء بمعنى التأخير ، أي أمهله وأخره ،  
أو أعطاه الرجاء . قيل : الأرجاء تأخير حكم صاحب  
الكبيرة الى يوم القيامة . وقيل : الأرجاء تأخير على  
رضي الله عنه عن الدرجة الاولى الى الرابعة .  
والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة  
القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة وقد  
قيل أن أول من قال بالأرجاء : الحسن بن محمد بن علي  
ابن أبي طالب . (الشهرستاني : الملل والنحل ، تحقيق  
عبد العزيز محمد الوكيل ، طبعة دار الفكر ، بيروت ،  
لبنان ، ص ١٣٩-١٤٦) .  
(٤) رؤبة : رأس طائفة المرجئة ، نامر ابن المهلب في حربه  
لبنى أمية ، هو وجماعة من أصحابه . (الطبري : نفس  
المصدر والجزء ، ص ٥٩٣) .  
(٥) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦١ .  
(٦) مجهول : العيون ، ٥٣/٣ ، وأن كان الأمر ليس على ما قال  
تماما ، فمن مضر من انضم الى يزيد ، ومن اليمانية من  
نامر عديا .

ليس من الحكمة أن يمنع ذلك ، فهو أحرى أن يتألف الناس بالعدالة حتى يجمعهم حوله . وهناك نصوص تؤيد مذهبنا إليه وذلك بدعوته إلى جعل الأمر شورى ، والعودة إلى سيرة العمرين وغيرها .<sup>(١)</sup> كما أنه ليس من الدقة أن نقول بانقسام أهل البصرة إلى قسمين ، مضر مع عدى والأزد وربيعه مع ابن المهلب ، إذ أشرنا إلى انضمام بعض المضربة إلى ابن المهلب واليمنية إلى عدى ، لكن ذلك ينطبق على الأكثرية لا الكلية .<sup>(٢)</sup>

أما عدى بن أرطاة ، فقد جمع أصحابه وأخبرهم أنه لا يستطيع أن يعطيهم من بيت المال شيئا إلا بأمر الخليفة ، وإذا فرغ من قتال يزيد أعطى كل على قدر جهده ، وقسم عليهم مالا أصاب كل فرد درهمين ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

أظن رجال الدرهمين يقودهم

إلى الموت آجال لهم وممارع

وأكيهم من قرفى قعر بيته

(٣)

وأيقن أن الموت لابد واقع

ولعل هذا ما أدى إلى تفرق الناس من حوله ، فنجد ابن

أعثم يقول : حتى بقى عدى فى أصحابه الذين قدموا معه من الشام ونغر يميز من قيس عيلان وتميم .<sup>(٤)</sup>

وهذا ليس من الدقة بمكان فقد جمع عدى حوله جند أهل

الشام ، وانضمت إليه بقايا قبائل البصرة ومن بينها الأزد ،

(١) انظر بعد : ص ١٥٣، ١٥٦ .

(٢) انظر قبل : ص ١٤٨-١٤٩ .

(٣) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٤/٤ - مجهول : العيون ، ٥٤/٣ . قال : خطبهم وفرض لهم فى كل يوم درهمين ، وأخبرهم أنه كتب إلى الخليفة ليطلق يده فى عطايتهم - الطبرى تاريخ الأمم ، ٥٨٠/٦-٥٨١ .

(٤) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٣ .



(١)  
قبيلة ابن المهلب نفسه . كما ايده بنو مجاشع الذين اشار  
حفيظتهم قتل الخيار بن سبرة المجاشعي على يد ابن المهلب ،  
وكان أميراً على عمان من قبل عدي ، الى جانب مناوئة  
زعمائهم لابن المهلب خشية من عزلهم عن زعامة أخصاس  
(٢)  
البصرة .

وباستقراء الموقف نجد بعض الاضطراب في النصوص  
التاريخية ، فبعضها يشير الى مساندة الأزد ليزيد وأخرى  
تقول بولائها لعدي ، وكذلك القبائل الأخرى . الا انه يظهر  
لنا أن الأزد خاصة وربيعة قد والت ابن المهلب ، الا بعض  
الأسر والرجال لعداء قديم او مصالح رئاسية ظلوا على ولائهم  
لعدي وحاربوا يزيد ، وكذلك القبائل الأخرى ، نجد بعضها  
انضم ليزيد لمصالح مادية أو أهدافاً رئاسية أو خلاف مع عدي  
الا أنه فيما يظهر أن سواد البصرة الأعظم لم يشارك في ذلك  
الصراع بين ابن المهلب والأمير عدي بن أرطاة ، على الأقل  
قبل غلبة الأول على البصرة وسجنه أميرها ، وهذا ما نستشفه  
(٣)  
من عدد الذين انضموا اليه ، وعدد من قاتل بهم عدي بعد .

(٤)  
وبعد أن جمع عدي رجاله عزم على محاربة ابن المهلب ،  
فاستعد لحربه ، ونظم مابين دار الإمارة والمربد الخيل  
والرجال ، وكتب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك يعلمه بخلع  
ابن المهلب له . فكتب اليه الخليفة يأمره بأخذ ابن  
(٥)

- 
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦١ .  
(٢) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٦ .  
(٣) كان عدد الذين انضموا اليه ثلاثة آلاف . (انظر قبل : ص ١٤٨) .  
(٤) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٣/٤ .  
(٥) مجهول : العيون ، ٥٤/٣ - ٥٦ . لم يرد معنا ما يثبت خلع  
ابن المهلب للخليفة قبل حربه لعدي واستيلائه على  
البصرة ، الا اذا كان عدي اعتبر استعداد ابن المهلب  
للحرب مخالفة للخليفة ، وأرى المؤلف قد حمل النص  
أكثر من معناه . وهذا ما يستفح من سياق الأحداث .

(١) المهلب . وكنا قد ذكرنا نزول ابن المهلب جبانة بنى يشكر  
 وهو المنتصف فيما بينه وبين القصر ، وكان بعد مسيره لحرب  
 عدى قد امر بتخريب ظلال السوق وهدم الدكاكين واستعد للحرب  
 فجاءت عديا بنو تميم وقيس واهل الشام ، وخرج على جمعهم  
 هريم بن ابي طحمة الى المربد . فوقف في القلب في حنظلة  
 وسعد . وكانت محاربة عدى لابن المهلب في شهر رمضان من نفس  
 العام . وفي هذه الاثناء خرج السמידع الكندي وكان يرى رأى  
 الخوارج ، واصحاب يزيد وعدى مطفون للقتال ، فاعتزل ،  
 ومعه ناس من القراء ، فقال طائفة منهم رهينا بحكم السמידع  
 فدعاه يزيد الى نفسه ، فاجابه واستعمله على الابله ، فاقبل  
 (٢)  
 (٣)  
 (٤)  
 (٥)  
 (٦)  
 (٧)  
 (٨)

- 
- (١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٠/٢ (ولعل الخليفة اراد تعطيل ابن المهلب بحرب عدى له حتى يعد جيش الشام ويرسله اليه) .  
 (٢) انظر قبل : ص ١٤٩ .  
 (٣) مجهول : العيون ، ٥٤/٣ - ٥٦ .  
 (٤) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨١/٦ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٤٣/٤ - ٢٤٦ (قال : خرج اليه عدى في اهل الشام ومن جاءه من اهل البصرة . والصحيح ان عديا لم يخرج اليه بنفسه باذى الامر ، وانما خرج بعد هزيمة اصحابه واقترب يزيد من القصر ، كما سئرى ذلك في الصفحات التالية) - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ (وذكر هو والطبرى خروج بنو عمرو بن تميم من اصحاب عدى الى المربد ، ولعلمهم كانوا اول من نزل به قبل تكامل اصحاب عدى فيه مع هريم ، فبعث اليهم ابن المهلب دارس مولى حبيب بن المهلب ، فهزمهم) .  
 (٥) هريم بن عدى (ابى طحمة) بن حارثة بن الشريد بن مرة المجاشعى الدارمى التميمى ، من فرسان تميم في العصر الاموى ، قاتل الازارقة مع المهلب ، ثم كان مع عدى بن اوطاة في حرب ابن المهلب ، واخذ اللواء يوم سورا في حربه ايضا ، كان شجاعا كياسا ، عاش بعد ذلك وكبر ، توفي سنة ١٢٠هـ . (الزركلى : الاعلام ، ٨٣/٨) .  
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٤ - ٥٦ .  
 (٧) اليعقوبى : نفس المصدر الجزء والصفحة .  
 (٨) الابله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة وهى اقدم من البصرة . (ياقوت : معجم ، ٧٧/١) .

(١) على النعيم . ولعل العداء للبيت الاموى قد جمع بينهما ، كما ان فى هذا اشارة الى ان الخوارج كانوا ينشدون من وراء بعض حركاتهم الدنيا ونعيمها . وتدانى القوم ، فبعث اليهم يزيد محمد بن المهلب وابن عمه المهلب بن العلاء بن ابي مغيرة فى الف رجل وقيل بل محمد والمشمعل الشيبانى ودارم مولى حبيب بن المهلب ، فاقتتلوا ، وهزم اصحاب عدى ، وكان قد مال الى يزيد اثناء القتال بشر بن حاتم بن سويد بن منجوف واصحابه ، واعان ابن المهلب ، فشكر ووصل . وتعقب ابن المهلب القوم اثر انهزامهم حتى دنا من القصر ، فخرج اليه عدى بنفسه ، الا انه انهزم واصحابه . وكان هذا النصر لابن المهلب فى اليوم الثانى من القتال ، بعد هزيمة رجال عدى الذين بعثهم عند مسجد الانصار ، وفى كل ناحية . وقد لجأ عدى بعد هزيمة اصحابه وهزيمته هو امام القصر الى دار الامارة ، فتسلقوا عليه الدار ، واخذوه ، واقبل ابن المهلب حتى وقف على باب الدار ولم يدخلها ، واخرج اليه اخوته الذين كانوا فى سجن عدى ، فاطلق قيودهم . وكان امتناعه عن دخول الدار ، ليكون الامر شورى على حد زعمه ، فنزل دار

- 
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٣/٦ .  
 (٢) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٣-٢٤٦ .  
 (٣) مجهول : العيون ، ٥٦-٥٤/٣ .  
 (٤) عن حرب ابن المهلب لعدى انظر / الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨١-٥٨٢ - مجهول : نفس المرجع ، ٥٦-٥٧/٣ .  
 ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ .  
 (٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحات - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٨-١٦٩ .  
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٦-٥٨ - الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحات - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٥ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٣٠١ =

(١) سلم بن زياد بن أبي سفيان ، المجاورة للقصر . فامر بسجن  
عدى وبعض من أخذ من أصحابه ، (٣)  
عدى من ابن المهلب عندما توثب على البصرة . لكنه خبر (٤)  
يبتله إجماع جل المصادر على سجنه وبقائه في الحبس حتى  
مقتله في واسط على يد معاوية بن يزيد في أعقاب هزيمة أبيه  
في العقر . ويزيد من ضعف الخبر وروده في مصادر ثلاثة  
متأخرة ، يوهنها مخالفتها تسلسل الأحداث المؤيد لمن قال  
بسجنه . وقد تمكن سادات أهل البصرة من قيس وحميم ومالك بن  
المنذر ، من العرب ، بعد ظهور ابن المهلب ، فلحق بعضهم  
بالكوفة ، والبعض الآخر بالشام . (٥)

وهكذا تم ليزيد بن المهلب في سنة ١٠١هـ الاستحواذ على  
البصرة ، واخذ عاملها أسيرا ، بعد حصار وقتال طويل . (٦)

- = (لكنه يقدم خبرا شاذاً ، يشير فيه الى حدوث مناوشات  
بين المهالبة المساجين وحرسهم ، انتهت بتمكنهم من  
الافلات والعرب من سجن عدى . فلم نجد لذلك أصلاً في  
المصادر التي اطلعنا عليها ، والتي أجمعت على  
إخراجهم من السجن على يد أخيه بعد تغلبه على عدى) .  
(١) قال ابن أعثم في كتابه الفتوح ، م ٢٤٥/٤ أنه نزل دار  
أم محمد بنت عبد الله بن عثمان الثقفي . وهذا تعارض  
إلا أنه قد لا يكون هناك تناقض ، فقد تكون هذه المرأة ،  
زوجه ، أو أمه . لأن الرجل كانت إقامته في البصرة حتى  
وفاته بها (سنة ٧٣هـ) . انظر ترجمته في : (الزركلي :  
الاعلام ، ١١٠/٣) .  
(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨١/٣ - ابن الأثير : الكامل ،  
١٦٩/٤ (لكنه حرق سلم إلى سليمان) - ابن خلدون :  
المعبر ، ٧٧/٣ (وحرق اسم سلم إلى مسلم) .  
(٣) الطبري : نفس المصدر ، ٥٨٢-٥٨٣/٦ - المسعودي :  
التنبيه ، ص ٢٧٧ - مجهول : العيون ، ٥٨/٣ - ابن كثير  
البدائية ، ط ١ ، ٢٤٤-٢٤٥/١ - ابن الأثير : نفس المصدر  
والجزء والمفحة .  
(٤) الذهبي : المعبر في خبر من غير ، ١٢٤/١ - الياقعي :  
مرآة الجنان ، ٢٤١/١ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .  
(٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٣ - ابن الأثير :  
نفس المصدر والجزء والمفحة - مجهول : نفس المصدر  
والجزء ، ص ٦٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء  
والمفحة .  
(٦) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٠/٢ - ابن كثير : نفس  
المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ - ابن خلكان : وفيات  
٣٠٣/٦ .

واذا ما أردنا تفسيراً لهزيمة عدى أمام ابن المهلب ،  
لوجدنا فى ثنايا أخبار القتال بين الرجلين بعض وجوه ،  
ولعل أولها تخاذل أهل البصرة عن نصره أميرهم ، فان كان  
العدد الذى انضم الى يزيد قليلا الا ان من اعتزل القتال هو  
سواد الناس ، وكانت قلوب عامتهم خصوصا من اليمن مع ابن  
المهلب . ومع ذلك فانه يظهر ان ابن المهلب لم يكن مرغوبا  
من الجميع ، بالذات من العلماء وبعض الزعامات والمضرية ،  
وذلك لمعرفتهم حقيقته وماعهد سليمان عنهم ببعيد ، وان كان  
قد استهوى بعض أهلها بالمال والسلطان .<sup>(١)</sup>

أما لما تركوا عديا اذا ، فلعل التزامه بالروح  
الاسلامية فى سياسته المالية فى مثل ذلك الظرف فى عرب  
العراق ، الذين لم يكن للمال بدىلا يجمعهم حول عدى ، فهم<sup>(٢)</sup>  
المناوئون لحكومة الشام تعصبا للعراق ومجده المندثر ، او  
المحاربون لها باسم الاحزاب والقوى المعارضة التى كان  
العراق مسرحها ، فلم يكن العراقيون يوما مناصرين لبنى أمية  
الا لمصالح يضمنونها فما وجدوها عند عدى ، او تحت رهبة أمير  
قوى وجيش شامى يفرض سيادة الدولة والانقياد لطاعتها . فما  
كان عدى تلك الشخصية ، كما ان أحداث الحركة قد بينت بجلاء  
قلة الجند الشامى . الذى قد يكون الخليفة عمر بن عبد  
العزيز قد سحب جلّه ، لانه وطد سلطانه بالعدل وكانت سياسة<sup>(٣)</sup>  
السلم شعار حكمه خارجيا وداخليا . وقد دعاهم الى هذا  
الموقف خشيتهم من تعصب الخليفة لقيس ، وعودة سياسة الحجاج  
من جراء ذلك ، صاحب ذلك كره القراء للخليفة يزيد لما

(١) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٣٠١ - يوسف  
العش : الدولة الاموية والاحداث التى سبقتها ومهدت لها  
ابتداء من فتنة عثمان ، ص ٢٧٩ .  
(٢) يوسف العش : نفس المرجع ، ص ٢٨٠ .  
(٣) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٥٣-١٥٤ - يوسف العش : نفس  
المرجع والصفحة .

(١)

سمعوا عنه من سوء السيرة .

ومع ذلك لانغفل العوامل الأخرى ، فخيانة بعض رجاله  
أثناء القتال كابن المنجوف الذي مال هو وأصحابه إلى ابن  
المهلب فأعانه ، وخبرة يزيد العسكرية ، ساعدت في النهاية  
على انتصار ابن المهلب ، وسيطرته على البصرة .

خروج يزيد بن المهلب على الدولة وأخذ البيعة لنفسه :

بعد ظهور ابن المهلب أقام يومه ذاك ، فلما أصبح نودي  
في الناس ، فاجتمعوا في المسجد وخطبهم قائلاً : أنا غضبنا  
لكم فانظروا لأنفسكم رجلاً يحكم فيكم بالعدل والسوية ، ويقيم  
فيكم الكتاب والسنة ويسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين ،  
وحثهم على الجهاد ، زاعماً أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً  
من جهاد الترك والديلم . وهكذا خرج على الخلافة ، ودعا إلى  
التبرؤ من بني أمية . وقيل دعاهم إلى سيرة عمر بن الخطاب  
فبايع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنة رسوله صلى

- 
- (١) يوسف العش : الدولة الأموية ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .  
(٢) مجهول : العيون ، ٥٦/٣ - ٥٧ . وانظر قبل : ص ١٥٣ .  
(٣) مجهول : نفس المصدر ، ٥٨/٣ - ٥٩ - الطبري : تاريخ الأمم  
٥٨٧/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٠/٤ .  
(٤) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن أعثم :  
الفتوح ، ٢٤٦/٤م - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء  
والمفحة .  
(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ٨٦/٤ - الأربلي : خلاصة الذهب  
المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكى السيد جاسم  
مكتبة المثنى ، بغداد ، ص ٦٩ - المقدسى : البدء ،  
٤٧/٦ .  
(٦) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٠ - والعبر في خبر  
من غبر ، ١٢٤/١ - الياقنى : مرآة ، ٢٤١/١ - ابن  
العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .

(١)  
 الله عليه وسلم . وكانت بيعته : تباعون على كتاب الله  
 وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا  
 ولا بيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فمن بايعنا  
 على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا  
 وبينه ، ثم يقول : تباعون ؟ فإذا قالوا نعم ، بايعهم .  
 وبتحفص هذه النصوص ، نجد ابن المهلب يعلن الخروج على  
 الحكم الأموي ، ومحاربة الوجود الشامي في العراق ، وإقامة  
 حكم اقليمي على أساس الشريعة الإسلامية ، أيده من حضر  
 بالبيعة له ، لكن ذلك لم يتعد حتى الآن حدود ذلك . فلم  
 يخلع الخليفة ، ولم يتعرض لسيادة الدولة فيما عدا العراق  
 كما أنه لم يرم الخلافة لنفسه ، وهذا ماسنرى حدوثه مع تطور  
 الفتنة وتنامي قوته .

يؤيد مذهبنا اليه ماأضاه ابن أعثم الى خطبته في  
 الناس حيث يقول : "ولست أقول انى خليفة" .  
 لكن البيعة لم تكن عامة ، فقد عارضه البعض ، كالحسن  
 البصري ، وكثير من أهل الشرف والسيادة ، إذ حضر الحسن الى  
 (٢)

(١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٦/٤ - مجهول : العيون ، ٥٩/٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٩٢/٦ - ابن كثير : البداية ، ٢٤٦/٩ ، ط ١ .

(٣) نفس المصدر والجزء والصحة .

(٤) الحسن بن أبي الحسن يasar البصري ، أبو سعيد ، مولى  
 زيد بن ثابت الأنصاري ، وقيل في ولاته غير ذلك ، تابعي  
 كان سيد أهل زمانه علما وعملا ، وهو شيخ أهل البصرة ،  
 من رواة الحديث ومن القراء والمفسرين ، وكان مجاهدا  
 كاتباً ، وكان عالماً جامعاً رفيعاً ، فقيهاً ، ثقة حجة  
 مأموناً ، عابداً ، ناسكاً ، فصيحاً ، نشأ بوادي القرى  
 وسكن البصرة ، لم يكن يخشى في الحق لومة لائم ، تولى  
 الكتابة والقضاء ، وله أخبار وفصائل ومآثر . ولد سنة  
 ٢١هـ ، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ . (الذهبي : سير ،  
 ٥٨٨-٥٦٣/٤) .

المسجد وسمع ما يدعوا اليه ابن المهلب ، فانكر قوله ، وأشار الى سوء سيرته عندما كان في خدمة بنى أمية ، مخذلا الناس مع ابدائه عدم الرضى عن اهل الشام ، لكن ابن المهلب لم يلتفت اليه ، ولم يرد قوله الناس عن الالتفاف حول يزيد .  
 (١)  
 اذ أن بعضا من القراء قد ناصر ابن المهلب ، كالنضر بن أنس ابن مالك ، الذى أيد يزيد ودعا الناس الى اجابته .  
 (٢)  
 (٣)

بعدها خرج ابن المهلب من المسجد وبين يديه الاعلام وقد احدث به الناس ، فتحول الى دار الامارة ، وكان الناس قد سلموا له بيت المال بعد أن بايعوه ، فوجد فيه عشرة آلاف

- 
- (١) عن موقف الحسن هذا انظر / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٨-٥٨٧/٦ - مجهول : العيون ، ٥٩/٣ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٤٧/٤ (وقال : أن الحسن لم يجد رايه فى اهل الشام عندما سألوه ، ودخل منزله ، وكأنه يشير بذلك الى اعتزاله الفتنة) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٢٠٤/٦ - الذهبى : سير ، ٥٠٦/٤ .  
 (٢) النضر بن أنس بن مالك الانصارى ، أبو مالك البصرى ، تابعى ثقة له احاديث ، قيل كان فيمن خرج الى الجماجم وذكر الطبرى أنه فيمن خرج مع ابن المهلب أيام خروجه على يزيد بن عبد الملك . مات قبل أخيه موسى ، والحسن البصرى . (ابن حجر : تهذيب ، ٣٨٩/١٠) .  
 (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٤٦-٢٤٧ الا أن ابن خلدون يشير الى انكار النضر كالحسن لما يدعوا اليه ابن المهلب . ومتابعة الناس لهما فى النكير (العبر ، ٧٨/٣) . لكننا لم نجد هذا القول عند غيره ، وهو مخالف لمن سبقه ، كما أن الاحداث لم تشر الى انكار الناس ومخالفتهم ابن المهلب بل اتبعه أكثرهم .  
 (٤) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٤٧ . الا أنه يشير فى نمه الى وجود الشاعر القطامى مع ابن المهلب وارتجازه امامه بأبيات من الشعر ابان خروجه من المسجد لكننا نجد عند الطبرى ، ما يخالف ذلك ، حيث يشير الى أن القطامى كان ممن بعثهم الخليفة يزيد من الشام ليسكنوا اهل الكوفة ، وأنه شارك فى معركة العفر الى جانب مسلمة بن عبد الملك ضد ابن المهلب . نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٥ .  
 (٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .



(١)  
الف درهم ، فأخذها وفرقها في الناس ، ثم خندق على  
(٢)  
البصرة .

وهكذا تم له الاستيلاء على البصرة ، بعد هزيمة أميرها  
واسره ، ونجاحه في جمع أهلها حوله .

#### استيلاء ابن المهلب على ماحول البصرة :

لما استوثق الأمر ليزيد في البصرة ، بعث عماله على  
الاهواز وفارس وكرمان ومكران والسند والهند وماجاورة من  
بلاد فاحتوى عليها ، فاستعمل زياد بن المهلب على عمان  
وأشعث بن عبد الله على البحرين ، وهلال بن عياض على الاهواز  
ومحمد بن المهلب على فارس ، ووداع بن حميد على قنذا بيل ،  
(٤)  
(٥) (٦)  
والمنهال بن أبي عيينة على جزيرة بركوان .

- 
- (١) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٤٦/٤ .  
(٢) مجهول : العيون ، ٥٩/٣ .  
(٣) ابن أعثم : نفس المصدر والجزء والصفحة .  
(٤) قنذا بيل : مدينة بالسند ، وهي قمبة لولاية الندبة .  
ياقوت : نفس المصدر ، ٤٠٢/٤ - وقال لسترنج أنها من  
أعمال طوران وتعد قمبتها ، ص ٣٧٠ .  
(٥) بركاوان : بالفتح ، والسكون ، ناحية بفارس . (ياقوت :  
معجم ، ٣٩٩/١) . ولم يقل جزيرة كما ذكر صاحب العيون .  
(٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - عبد الرحمن عبد  
الكريم العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ،  
ودورها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي  
الملاحة والتجارة الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، لم تطبع  
مقدمة إلى آداب جامعة بغداد ، ١٩٧٥ م ، ص ١١٠-١١١  
(أشار إلى ولاية زياد على عمان ، وأهاف أنه قتل  
الخير بن سبرة المجاشعي عامل الحجاج وطلبه ، وكان  
الخير قد أضر بالأزد ، ويرجع ذلك إلى الروابط التي  
تربط يزيد بأزد عمان ، ولضرر الأمويين بهم ، مما أوجد  
له سندا شعبيا ، حتى القبائل الأخرى لم تعارضه ، وقد  
يكون ذلك لمعاملته الطيبة لهم ، أو لسيطرته على  
مناطق ذات ارتباط وثيق بعمان كالبصرة ، ولأنه لا يحمل  
عقائد مذهبية ، مما جعلهم يؤيدونه ، أو على الأقل لم  
يعارضوه . إلا أن الأمويين أعادوا سيطرتهم على عمان  
بعد القضاء على ثورة ابن المهلب .

(١) كما بعث مدرك بن المهلب الى خراسان ، وكان عليها عبد الرحمن بن نعيم الأزدي ، فلما وصل الى رأس المغازة ، حرض ابن نعيم عليه تميم ، فخرجوا يستقبلونه ، فلحق بهم الأزدي ، ومنعوه منهم ، الا انهم مع ذلك لم يوافقوه على الدخول الى خراسان ومساندته ، بل أرادوا أن ينصرف حتى ينجلي أمر أخيه ، فان نصر كانوا أسرع الناس اليه ، مبدئين عواطفهم نحو آل المهلب . فرأى الانصراف عند ذلك ، وترك خراسان . (٢) الا أن موقف عبد الرحمن بن نعيم الناتج من حرمه على مركزه ، لا يمثل موقف ازد خراسان ، الذين اظهروا تأييدهم للحركة . ومع ذلك فقد فسد تطلع ابن المهلب الى خراسان ، الذي كان في ضمه اليه ما يجعل من الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية بما فيها من امكانيات القوة وحدة واحدة تحت سلطة ابن المهلب ، يواجه بها سلطان الخلافة في الغرب . افسد هذا التطلع موقف عرب خراسان والأزد خاصة ، الذين وان منعوا مدرك من تميم ، وأبدوا تعاطفهم مع ثورة أخيه ، الا أنهم في النهاية لم ينصروا الحركة ولم ينضموا اليها ، إذ أنهم بدلا من أن يسهلوا طريق مدرك الى خراسان ، صدوه عنها ان تقديم المصلحة والعافية على الانتصار للعصبية ظاهرة هامة في تاريخ تلك الفترة ، كما أن انضمام فئة من الجيش

(١) مدرك بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد من الشجعان ، ولد سنة ٥٣هـ . قال كعب بن معدان : لا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك ، له أخبار في حروب أبيه مع الأزارقة . توفي سنة ١٠٢هـ . (الزركلي : الاعلام ، ١٩٧/٧) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ - ٥٨٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ابن كثير : البداية ، ١٥ ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ - نافع العبود : آل المهلب ص ٨٢ .

(٣) نافع العبود : نفس المرجع والصفحة .

الشامى الى حركة يزيد ، يعتبر ظاهرة مميزة لتلك الحقبة ، وقد يكون عرب خراسان الذين ارضتهم سياسة عمر لم يجدوا مبررا للحركة ، خاصة أن الخليفة يزيد أقر لهم حتى ذلك الحين ، الوالى الذى عينه عمر . وقد يكون لسياسة ابن المهلب التى عرفوها ومقتوها أثناء ولايته على خراسان ، زمن سليمان بن عبد الملك ، والمتمثلة فى اهمال رجال القبائل ، والتمسرف الحر المتعسف فى اموال يعتبرونها حقا لهم ، الى جانب تحييزه وتفضيله للجند الشامى ، دور كبير فى عدم الاستجابة ليزيد ، والبقاء على الولاء للبيت الاموى ممثلا فى عامله عبد الرحمن بن نعيم . اما الازد خاصة فقد يكون لوقوف تميم ضدهم ، حائلا دون مناصرة الحركة ، لأن الغلبة والكثرة فى خراسان لتميم ، كما هى للازد فى البصرة ، كما عرف الازد بولائهم للخليفة الاموى ، فانهم من وقفوا فى وجه قتيبة بن مسلم عندما اراد خلع الخليفة سليمان والباوا عليه مضر .<sup>(١)</sup>

وان كنا قد وجدنا تفسيراً لموقف عرب خراسان السلبي وازدها خاصة نحو حركة يزيد بن المهلب ، الا أن جند الشام فى موقفه من الحركة وانضواء فئة منه الى ابن المهلب ، يعد ظاهرة جديدة وخطيرة ، اذ لم يعرف أهل الشام الا عمادا للبيت الاموى وسر سيادته ، بولائهم الشام ، لخليفة دمشق أو ممثله فى أى قطر وأمام أى خصم . ولعل اعتماد ابن المهلب أثناء ولايته على العراق وخراسان زمن الخليفة سليمان على الجند الشامى وتمييزه فى توزيع الفنائم وغيرها ، جعل له فى

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٦٣ .

(٢) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٤٥ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٤٠/٤ .

(٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٥) محمد شعبان : نفس المرجع والصفحة .

نفوسهم مكانة دفعتهم الى الانضواء تحت لوائه ، ولما ستدره الحركة من مكتسبات فى حالة نجاحها ، خصوصا بعد فقدانهم خاصية التمييز فى ظل سياسة عمر الرامية الى عدم الاعتماد على جند الشام فى حكم الدولة وفرض سيادتها على اقاليمها .  
 (١) وقد ولى يزيد بن المهلب شرطته عثمان بن الحكم الازدي وكان قد بسط العدل فى الناس ، وبذل الاموال . ولعله اراد ان يقدم للعراقيين ما افتقدوه جل العصر الاموى ، لعلهم اذا ماخشوا فقد هذه المكتسبات ، وقفوا وراء من قدمها لهم ، وهكذا تالفهم ، وهياهم للذود عن حركته الا انه كما رفض هذه الحركة بعض رؤساء اهل البصرة ، بالوقوف الى جانب عدى فى حرب ابن المهلب ، والخروج منها بعد انهزامه ، نجد ان فئات ورجالا من مجتمع البصرة ، كبعض علمائها ، ممثلين فى شيخ البصرة آنذاك ، الحسن البصرى ، الذى كما رأينا انكاره على ابن المهلب مايدعو اليه بعد ظهوره على عدى ، واعتزاله الفتنة فى بيته ، فائنا نجده يدعو الى ترك القتال معه باعتبار جاثرا ، وان هدفه السلطة والمصلحة ، كما انه ليس القائد اللائق للجيعة المعارضة للحكم الاموى . ونحن نقول ان المصادر قد اتفقت على ان الحسن البصرى قام بتخذيل الناس عن ابن المهلب ، بل وخطب الناس وحط من شأنه . (٢) (٣) (٤) (٥) الا ان من المؤكد ان الحسن البصرى لم يكن يوما ما فى حزب معارضة حتى يرى بان ابن المهلب غير لائق لقيادة المعارضة او كفوا لها

- 
- (١) مجهول : العيون ، ٥٩/٣ .  
 (٢) ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ .  
 (٣) انظر قبل : ص ١٥٤ .  
 (٤) محمد نصر الله : تطور ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .  
 (٥) الذهبى : دول الاسلام ، ٥٢/١ .

وقد ساءت العلاقة بين الرجلين حتى هم يزيد بضره الحسن  
 البصرى حتى الموت ، لولا خوفه من علو قدره فى المصر وقضله  
 وهذا مادفعه الى منع أحد قومه من قتل الحسن ، وقد غشوا  
 مجلسه ، الذى فيما يبدو أنه نال منهم فيه ، وذلك خوفا من  
 انقلاب الناس عليه . لذا فانه من الصعب تصديق القول  
 باستعمال ابن المهلب الحسن البصرى على قضاء البصرة ، ان  
 يشير وكيع الى القول بتوليته القضاء عند خروج ابن المهلب  
 منها لقتال مسلمة ، فقبلها الحسن ، فقد لزم الحسن بيته  
 بعد خروج يزيد ، وأنكر بعض أهل العلم صحة ذلك الخبر .  
 وكان لقتادة الفقيه موقف كموقف الحسن ، فقد ذهب الى  
 تنقص ابن المهلب والذيل منه ، فقيدته ، وبعث به الى الاهواز  
 فظل محبوسا حتى قتل يزيد فأخرج .  
 الا ان تلك المعارضة لاتقلل من الاهمية الكبيرة  
 والخطورة السياسية والادارية ، والقوة العسكرية التى  
 تحققت لابن المهلب ، باستيلائه على البصرة ، والاقاليم  
 المجاورة ذات الصلة بها . ولعله أول من أحس بذلك ، مما  
 قوى نفسه ، فغدت تحدثه بالخلافة وأن يزيد بن عبد الملك

- 
- (١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .  
 (٢) محمد أمين صالح : العرب والاسلام من البعثة النبوية  
 حتى نهاية الخلافة الاموية ، مكتبة نهضة الشرق ،  
 القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣٦٨ .  
 (٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٦ .  
 (٤) أخبار القضاة ، تصحيح عبد العزيز المراغى ، المكتبة  
 التجارية ، مصر ، مطبعة الاستقامة ، طبعة أولى ،  
 ١٣٦٦هـ ، ٣٠٨-٣٠٣/١ .  
 (٥) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز ، أبو الخطاب ،  
 السدوسى البصرى ، مفسر حافظ ، ضريب أكمه ، كان يرى  
 القدر ، مات بواسط فى الطاعون (سنة ١١٨هـ) . (الزركلى  
 الاعلام ، ١٨٩/٥) .  
 (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١)  
ليس أحق بها منه .

خلع ابن المهلب للخليفة يزيد بن عبد الملك وروحه الخلافة :

أقدم يزيد بن المهلب على خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وكان ذلك عندما خرج الى المملى يوم عيد الفطر (٢)  
- سنة ١٠١هـ - وشم بنى مروان ، بل رام الخلافة لنفسه ، (٣)  
ونجد ذلك عند حاشيته ، فحظية له تسلم عليه بامرة المؤمنين (٤)  
فينشدها :

رويدك حتى تنظري عم تنجلي

(٥)  
عماية هذا العارض المتألق

(٦)  
لكن الذهبى ينقل لنا أن ابن المهلب ، دعا الى نفسه ،

- (١) مجهول : العيون ، ٦٥/٣ .  
(٢) ثابت اسماعيل الراوى : العراق فى العصر الاموى ، من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، رسالة ماجستير مطبوعة ، مكتبة الاندلس ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ص ٢١٦ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٧٨/٦ - المسعودى : مروج ، ٢١٠/٣ - المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧ .  
(٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٠ .  
(٤) الذهبى : أسماء الذين راموا الخلافة ، نشر صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م ، ص ٩-١٠ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٣/٦ .  
(٥) ناجى حسن : القبائل ، هامش ٤ ، ص ١٥٤ (وأشار أن ذلك كان من أحد الأزد ، لاحظيته) - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء والصفحة .  
(٦) الذهبى : نفس المصدر والصفحة ، وهامش (١) . (كما أضاف قال قرّة عن ابن سيرين قال : القحطاني حق ، ولكنه من قريش . وروى ابن أبي ذيب عن المعدى ، عن أبي هريرة مرفوعاً : لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان ويروى نحوه شور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة . وروى الزهرى ، عن محمد بن حبان وعبد الله بن عمرو : سيملك رجل من قحطان) - اليافعى : مرآة ، ٢٤١/١ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ١٥٠/٤ - ابن العماد شذرات ، ١٢٤/١ .

وتسمى بالقحطاني ، ونصب رايات سوداء . فكان ممن بويغ له بالخلافة في أيام بني أمية <sup>(١)</sup> . بل أننا نجد أخبارا من نوع آخر ، فيذكر أنه دعا إلى الرضا من بني هاشم ، وأنه وجه إلى علي بن عبد الله بن عباس يدعو إلى القيام بالأمر ، وأن عليا أجابه " أن رأيت ألا تذكر اسمي حتى إلى مايمير إليه أمرك ، فإن ظفرت صنعت ما تريد وإن كان غير ذلك لم تكن ذكرت اسمي " . وقد شكك العبود في هذه الرواية لكون الدعوة العباسية سرية تعتمد على كتمان اسم الإمام ، إذ يرى أنه من المستبعد أن يضع علي بن عبد الله يده في يد ابن المهلب ، ويطلب إليه القيام بالأمر . ونحن نقول : أن ابن المهلب لو صحت هذه الرواية التي ندحضها ، لبحث عن رجل علوي ، إذ أن الناس في ذلك التاريخ لم يكونوا يشايعون إلا آل علي دون العباسيين ، الذين هم أنفسهم كانوا يدركون هذا ومن أجله عموا على الناس في دعوتهم السرية ، بالدعوة للرعي من آل محمد <sup>(٢)</sup> ، كما أنه ليس من المنطق أن يقدم يزيد ثمرة جهده للعباسيين وليس لهم فيه أدنى جهد .

ويقال : أن يزيد دعا المفضل بن عبد الرحمن بن العباس

- (١) ابن العبراني : الأنباء ، ص ٥٥ .  
 (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٠ (قال لنعلم علاقة بين يزيد وبني هاشم ، ولعل ذلك دعاية لثورته وأغاضة لبني أمية بتلويحه لهم أنه سيحول الخلافة إلى الخصومهم) مجهول : العيون ، ٦٦-٦٥/٣ .  
 (٣) نفس المرجع ، ص ٨٤ .  
 (٤) عن الدعوة العباسية انظر / مجهول : أخبار العباس وولده - الدوري : أضواء جديد على الدعوة العباسية مجلة آداب بغداد ، عام ١٩٦٠م - الشيبان : تاريخ الدولة العباسية - فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية - شاكرو مصطفي : دولة بني العباس .

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، الى متابعتة ،  
(١)  
فتابعه ، ثم توارى .  
(٢)

(٣)  
والدكتور محمد شعبان ينكر محاولة ابن المهلب القضاء  
على الحكم الاموى ونقل الخلافة الى بنى هاشم ، او ادعاءه  
لقب القحطاني ، ويقول ان هذه الاخبار مبالغات خيالية اضيفت  
مؤخرا الى حركة يزيد ، ولم يقم الدليل على صحتها ، ويعمل  
حركته بانها محاولة لايقاف سياسة الحجاج التوسعية التي يرى  
ان عمر يزيد سيكون استمرارا لها ، فلم يجد غير اللجوء الى  
العنف وحمل السلاح لايقافها .

ونحن ان كنا وافقناه في بطلان اخبار دعوته للرعى من  
بنى هاشم ، فاننا نقول انه ان لم يدع انه القحطاني ، فقد  
تكون اشاعة فشت بين اتباعه ، قد يكون مصدرها الازد من  
قحطان ، او هو الذي اوحى بها ، دعاية لحركته ، وازافة  
عامل معنوى يسندها . اما قوله بعدم رهبته الاطاحة بالحكم  
الاموى وروحه الخلافة ، فليس له دليل على ذلك ، ونرى النصوص  
التي قدمناها ، وماسياتي من نصوص على لسان الخليفة يزيد  
نفسه او مسلمة بن عبد الملك ، وحربهم له ، دليلا كافيا  
على صحة مااطلع اليه يزيد بن المهلب من عظيم الامر . كما  
ان تعليقه للحركة ابعد مايكون عن الصحة ، فابن المهلب  
ذاته كان يوما يدا للحجاج في خراسان ، يمثل سياسته

---

(١) لم أعثر له على ترجمة . ويبدو انه المفضل بن عبد  
الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب  
الذي شارك ابن الأشعث في حركته ضد الدولة الاموية ،  
وكان له دور بارز فيها . (من أجل ذلك : انظر :  
الطبري : تاريخ الأمم ، ٣٤٣/٦ ، ٣٧١-٣٧٣ وما بعدها ) .

(٢) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .

(٣) الثورة ، ص ١٦٢-١٦٣ .



التوسعية ، بل وبعد ذلك فى عهد سليمان ، الذى كان عصره استمرارا لسياسة بنى أمية التوسعية خارجيا ، وان تميزت بالالتزان داخليا ، ولعل موقف عمر بن عبد العزيز من ابن المهلب ، وعزله ، وسجنه ، دليلا على عدم صلاحه لسياسته السلمية ، وأنه يمثل سياسة الحجاج ومن سايره ، بل كان يقول : هؤلاء - يعنى المهالبة - جبابرة ولا أحب مثلهم . فابن المهلب هرب من سجنه خائفا على نفسه من يزيد بن عبد الملك ثم حارب عدى لينقذ اخوته من سجنه ، ثم خالف يزيد كارها وطامعا ، وخلعه أخيرا ورام الخلافة لنفسه بعد أن آتس القوة والقدرة . دعوة يميزها الاضطراب . وحركة تتنامى فى مراحل يدفع صاحبها تعاظم شأنه واشتداد شوكته .

لذا جاء اعلان ابن المهلب الخروج على الحكم الاموى وخلع الخليفة يزيد بن عبد الملك بعد أن حشد له الازد وغيرهم ، وسيطر بهم على البصرة ، وقد عظم أمره ، واشتدت شوكته . ولعل الظروف التى أعلن فيها حركته تستلزم منه الدخول فى تيار العممية القبليّة والاعتماد على اليمنية ، سيما أن التكتلات القبليّة آنذاك أصبحت تتخذ هيئة أحزاب سياسية .<sup>(٤)</sup>

ثم كتب يزيد بن المهلب الى أخيه زياد عامله على عمان وأمره أن يعرض الناس ، ففرض لثلاثة آلاف رجل واستعمل عليهم

- 
- (١) انظر قوله هذا فى : ص ١٣٣ .  
 (٢) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٩٩-٢٠٠ .  
 (٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٣ (نقلا عن المسعودى : مروج الذهب ٢١٠/٣) لكنه أرخ لثورته بعام ١٠٢هـ ، والاصح عام ١٠١هـ ، والقضاء عليها سنة ١٠٢هـ (انظر قبل : ص ١٥٦) وبالرجوع الى كتاب مروج الذهب لم نجده أرخ بذلك .  
 - مجهول : العيون ، ٦٥/٣ .  
 (٤) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٦ .

(١)

المشمام بن عمر الأزدي ، فقدموا على يزيد بن المهلب .

هكذا اشتعلت الحركة في البصرة ، فاليمانيون كانوا خائفين على أنفسهم حاقدين على الحجاج ، وأهل البصرة كانوا يكرهون سياسة الحجاج ، مع وجود من يدرك مقصد ابن المهلب من حركته كالحسن البصري ، لكنهم لم يستطيعوا عمل شيء كبير (٢) وقد كان هذا الشعور كافيا لقيام الحركة بينهم ، وعدم المسارعة الى اخمادها ، فمع قلة من قام في الحركة من شيعة ابن المهلب ، تحقق لها النجاح في بادئ الامر لعدم من يقف (٣) في وجهها . كما أن كرههم لبقاء جند الشام مفروضين عليهم ، يأكلون خراجهم ، ويمتازون عليهم في العطاء ، من أسباب (٤) سكوتهم عليها ، وعدم مقاومتها .

ولم تكن البصرة وحدها قد أعطت البيعة لابن المهلب ، فقد كانت حركته فرصة للمتذمرين من أهل العراق ، ومجالا لمنازلة الدولة الأموية ، فقد بايعه بعض زعماء الكوفة ، وانضوا تحت لوائه ، كما شملت حركته عمان والبحرين (٥) والجزيرة . بل نجد ناجي حسن يقول : "باندفاع قبائل الكوفة (٦) بارباعها لتأييد ابن المهلب بكل ماتملك" . إلا أن الواضح

- 
- (١) مجهول : العيون ، ٦٦/٣ .  
 (٢) انظر قبل : ص ١٥٧-١٥٨ ، وبعده : ص ١٧٩ .  
 (٣) يوسف العشي : الدولة الأموية ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .  
 (٤) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨١ .  
 (٥) شابت الراوى : العراق ، ص ٢١٧ (نقلا عن الطبرى / تاريخ الأمم ، ١٥١/٨ - وانظر بعده : ص ١٨٠ لوجود ما يخالف ذلك) .  
 (٦) القبائل ، ص ١٥٦-١٥٧ (واضاف : كان لربيعة دور كبير في مساندة ثورة ابن المهلب) .

أن انضمهم اليه كان بعد خروجه من البصرة لحرب مسلمة والعباس ، وهو الذى بعث الرجال على أرباعها ، بل أنه سعى الى أن تكون أرض المعركة بالقرب من الكوفة ، حتى يتمكن الناقمون فيها على بنى أمية من الانضمام اليه ، وهذا ما حدث بعد نزوله العقر . كما أن الأمر ليس بما يوحيه النص ، فلم ينضم اليه كامل أهل الكوفة بل أناس من أرباعها . تسلموا اليه ، فقد استطاع الأمويون منع ابن المهلب من الوصول اليها ، وتمكنوا من بقائها بأيديهم ، وقاتل بعض أهلها مع مسلمة<sup>(١)</sup> . إذ أن حركته لم تلق تأييدا جماعيا من قبائل العراق ، كالذى لقيته حركة ابن الأشعث لاختلاف دوافع الحركة فى الحالين ، إذ كانت حركة ابن المهلب ، وليدة عدااء شخصى لذلك لعبت العصبية دورها ، فناصرت الأزد وحليفاتها ربعة ابن المهلب ، وناصر جل مضر الخليفة يزيد وعامله . على أن دوافع هذه الحركة لم تكن قبلية خالصة لذا كان معه نفر من مضر ، كما وقفت طائفة من اليمانية فى صفوف بنى مروان كآل مخنف فى الكوفة الذين عرفوا بولائهم للبيت الأموى<sup>(٢)</sup> .

وقد يعود فشل ابن المهلب فى استقطاب أهل الكوفة والبصرة وإشرافهما اليه ، كما استطاع ابن الأشعث ، الى السياسة السلمية التى اتبعها ولاة عمر بن عبد العزيز فى حالف أهل العراق ، لاسيما وأن الخليفة يزيد لم يعمد الى

(١) انظر ذلك فيما بعد ، فى ثنايا الاخبار التى تلت نزول ابن المهلب العقر .

(٢) احسان النص : العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م ، ص ٣١٨-٣١٩ .

(١)

عزل اميرى الكوفة والبصرة .

كما اننا نجد اثر العصبية القبلية يحفز بعض الازد  
للقوف الى جانب ابن المهلب فى حركته بالبنان واللسان ،  
كالشاعر ثابت قطنة <sup>(٢)</sup> ، فبعد وقوفه للدفاع عن مدرك بن المهلب  
حين قدم خراسان من قبل اخيه ليدفعها للحركة ، وتمدت له  
تميم ، فمنعه الازد <sup>(٣)</sup> . نجده يكتب الى يزيد بن المهلب ،  
يحرشه على بنى امية مؤيدا خروجه كغيره ممن نفخوا فيه ،  
واثبت فى اسفل الكتاب ابياحا منها :

ان امرءا حذبت ربيعة حوله

والحي من يمن وهاب كنودا

لضعيف ما ضمت جوانح صدره

ان لم يلف الى الجنود جنودا

ليزيد كن فى الحرب ان هيبتها

كابييك لارعشا ولارعديدا

شاورت اكرم من تناول ماجد

فرايت همك فى العموم بعيدا

- (١) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام (من الفتح حتى سقوط خلافة بنى امية ، دراسة للأوضاع الاجتماعية والادارية) ، رسالة دكتوراه ، نسخة غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ص ١٣٧ .
- (٢) ثابت بن كعب بن جابر العتكي ، من الازد ، من شجعان العرب واشرافهم فى العصر المروانى ، يكنى أبا العلاء له شعر جيد ، جمعه ماجد بن أحمد السامرائى البغدادي شهد الوقائع فى خراسان سنة ١٠٢هـ ، واصيبت عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها ، كان له وقائع مع الترك وظفر بهم ، واستمر معهم حتى قتلوه . (الزركلى : الاعلام ، ٩٨/٢) .
- (٣) العسادي حموده الغزى : الشعر الاموى فى خراسان والبلاد الايرانية ، رسالة ماجستير ، مطبوعة ، الدار التونسية للنشر ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ١٦٨ .

يأليت أسرتك الذين تغيبوا  
كانوا لأمرك في العراق شهودا  
فخرى مواطنهم اذا اختلف القنا  
والمشرفية يوقدون وقودا  
فلما وردت هذه الابيات على يزيد هث لها ودعته نفسه  
الى قتال بنى أمية ، وعزم على ذلك .<sup>(١)</sup>  
ويلاحظ فيها الخفاف ربعة حوله ، وان يزيد استشاره  
فاشار عليه بالحرب .  
والابيات وردت مجزأة في المراجع ، جمعنا منها ما فيه  
الدلالة على ما ذهبنا اليه ، ويظهر انها من قصيدة طويلة .  
وراح غيره من الشعراء يعقدون أمره ، ويعِدُونَهُ بالتمكن من  
بنى أمية وازالة ملكهم . فيشير يزيد بن الحكم الثقفى الى  
ذلك بقوله :

ابا خالد قد هجت حربا مريرة  
وقد شمرت حرب عوان فشمير  
فان بنى مروان قد زال ملكهم  
فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر  
فمت ماجدا او عش كريما فان تمت  
وسيفك مشهور بكفكك تعذر  
كما ذهب الكهان الى انه سينقض دمشق حجرا حجرا ، والى  
هذا اشار الفرزدق فى قصيدته التى مدح بها مسلمة عندما  
حارب يزيد بن المهلب ، فقال :

---

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٢-٨٣ - الهادى الغزى :  
الشعر الاموى فى خراسان ، ص ١٦٩ - ابن اعثم : الفتوح ،  
م ٢٤٨/٤ .

أنتك جنود الشام تخفق فوقها

لها خرق كالطير حين استقلت

تخبرك الكهان أنك ناقض

(١)

دمشق التي كانت إذا الحرب حرت

وفى الخبر اشارة الى انضمام بعض ثقيف الى حركة ابن

المهلب ، مما يؤكد عدم حصر اسباب الحركة في عدااء شخصي

سببه تعذيب ابن المهلب لال ابي عقيل من ثقيف ، او قيامها

على أساس العصبية القبلية ، اذا ما علمنا ان ثقيف تعد من

(٢)

قبائل قيس عيلان . كما ان فيه مايوحى بمدى القوة التي وصل

اليها ابن المهلب ، والعالة التي حازتها حركته .

القضاء على الحركة :

كان لخروج ابن المهلب في البصرة واعلانه خلع الخليفة

يزيد بن عبد الملك صدى واسعا في دمشق واشرا بليغا في نفس

(٣)

الخليفة يزيد ، غير ان اخاه مسلمة بن عبد الملك ، كان يشد

---

(١) نافع العبود : ٧٢ المهلب ، ص ٨٣ - مجهول : العيون ، ٦٨/٣ ، أورد البيت الاول متأخرا ، ومخالفا له في صدره بقوله : أنتك جنود الشام تخطر بالقنا . كما أورد البيت الثاني ، وخالفه في عجزه بقوله : دمشق التي قد كانت الجن جرت .

(٢) نادية حسنى مقر : الطائف في العصر الجاهلي ومدر الاسلام ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٦١ (نقلا عن ابن قتيبة : المعارف ، ط ٢ ، ص ٤٧ ، ٤٨ . ذكرت ذلك على خلاف لمعرفة ذلك انظر كتب الانساب) .

(٣) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الامير القائد الاموي ، يلقب بالجرادة الصفراء ، وله فتوحات مشهورة ، أهمها مسيره على رأس مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة اخيه سليمان ، وولاه اخوه يزيد امرة العراقيين ، ثم أرمينية ، وغزا الترك سنة ١٠٩هـ قال الذهبي : كان أولى بالخلافة من سائر اخوته ، ومات بالشام (سنة ١٢٠هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ٢٢٤/٧) .

من أزره ويهون الأمر عليه ، فقد دخل مسلمة على أخيه يزيد ،  
حين خلعه ابن المهلب ، فراه في ثوب مصبوغ ، فقال له :  
أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيهم :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم

دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد : ذا ونحن نحارب اكفاءنا من قریش ، فاما  
(١)  
أن ينعم ناعم مزونى ، فلاولاكرامة . قال مسلمة : فشممت  
(٢)  
رائحة الفتح من هذه الكلمة . على كل وان كان فى الرد  
عنجهية ، الا أنه يرمز الى الثقة فى النفس ، وان خالطها  
غرور لايحمد فى مثل هذه المواقف .

على أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، أعطى الحركة  
ماتستحقه من الاهتمام ، وهذا ما لمسنه فى مواقفه منذ  
بدايتها . فقد جهز جيشا كبيرا من مقاتلة الشام والجزيرة ،  
(٣)  
بلغ عدده ثمانين الفا ، وجعل قيادته لمسلمة بن

(١) المزون : عمان ، وهو اسم من اسمائها ، ومعناه أن أصل  
ابن المهلب من أزد عمان وقال أبو عبيدة أراد بالمزون  
الملاحين وكان أزد شير بن بابك جعل الأزد ملاحين بسحر  
عمان قبل الاسلام بستمائة سنة . (ياقوت : معجم ، ١٢٢/٥ ،  
مجهول : العيون ، هامش ٦٨/٣) .

(٢) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٨٥ ، ٦٣ (نقلا عن / مجهول :  
تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٢ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٩/٦ ،  
الا أنه بمراجعتنا لكتاب الوفيات (نفس الطبعة) وجدناه  
قد ذكر أن الذى قال البيت يزيد وأن الذى رد عليه  
مسلمة ، ولم يشر الى قوله : فشممت رائحة النصر ،  
لكنى لم أتمكن من الاطلاع على تاريخ الخلفاء لمجهول) .

(٣) اختلفت المصادر فى عدد الجيش الموجه الى ابن المهلب  
وتلك ظاهرة اعتدنا عليها فى مصادرنا الاسلامية ، عند  
ذكر الأعداد ، أيا كان نوعها ، فقليل سبعون ، وقيل  
خمسون ، وقدمنا ماأيده شعر الفرزدق ، إذ يقول :  
اتشك جنود الشام تخطر بالقنا

لها خرق كالطير لما استقلت  
يقود نواصيها اليك مبارك

إذا ماتمدى للكتيبة ولت =

(١) عبد الملك ، وعلى مقدمته العباس بن الوليد ، وقيل جعله على جند دمشق خاصة . وأمرهما بالمسير الى ابن المهلب ، للقضاء على حركته ، فبعث الخليفة يزيد بن عبد الملك العباس بن

- = من آل أبي العاصي حول لوائه  
ثمانون الفا كلها قد اطلت  
(انظر / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ - ١٧٠ - مجهول :  
العيون ، ٦٨/٣ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٤٨/٤م ) .  
(١) كان اختيار الخليفة لمسلمة قائدا لجيش الشام ،  
اختيارا موفقا ، لما يملكه من قدرة قتالية ، وخبرة  
عسكرية . ولعل هناك سببا آخر ، فقد عرف الخليفة ،  
رغبة مسلمة في التخلص من ابن المهلب ، عندما أوفد  
اليه مروان بن عبد الملك يشير عليه بقتل يزيد بن  
المهلب . وقد يعزى ذلك الى اطلاع مسلمة على تصرفاته  
التي حاسبه عليها الخليفة عمر ، من خلال ملازمته له  
أثناء خلافته . انظر/ عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٨٧-١٨٨  
وهامش (٦) الذي أورد فيه أن الخليفة سليمان كتب الى  
مسلمة وهو محاصرا القسطنطينية ، يطلب شخوصه اليه  
ليوجهه الى خراسان لمحاسبة ابن المهلب وأخذ الأموال  
منه . وان كنا نستبعد خبر سليمان اذ ليس من المنطق  
أن يقوم سليمان بنزع مسلمة من قيادة الحملة التي  
أعطاه اهتمامه وكلفت الدولة الكثير من الأموال من  
أجل ذلك . كما أن ابن المهلب لم يفسر الخليفة  
سليمان لمحاسبته ، فقد عرف بولائه له ، وكتب اليه  
بالأموال وعزمه على إرسالها ، وهذا مادفع عمر الى  
سجنه عندما أنكرها .  
(٢) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي ،  
أمير من كبار القادة ، كان يقال له : "فارس بني  
مروان" . قاد الجيش مع عمه مسلمة بن عبد الملك الى  
قتال يزيد بن المهلب ، وقد افتتح مدنا وحصونا كثيرة  
من بلاد الروم ، فقد ولاه أبوه المغازي أكثر من مرة ،  
واستعمله على حمص ، قال المرزبانى : كان يتهم في  
دينه ، وقد سجنه مروان بن محمد في حران فمات سجيناً  
(سنة ١٣١هـ) . (الزركلى : الاعلام ، ٢٦٨/٣) .  
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ - ابن كثير : البداية  
ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة  
وفي هذا الخبر رد على الراوى الذى أشار فى (ص ٢١٧ من  
كتابه الموسوم العراق فى العصر الأموي نقلا عن الطبرى  
نفس المصدر ، ١٥١/٨) أن حركة ابن المهلب شملت  
الجزيرة . فكيف يسير مقاتلتها مع الشاميين اليه وهى  
معه . وبرجوعنا (للطبرى : نفس المصدر ، طبعة دار  
سويدان ، لبنان ، ١٣٨٤هـ ، ٥٨٥/٦ - ٥٨٨) لم نجد ذكرا  
لذلك ، بل وجدنا مساييد على بقائها تحت سلطان بني  
أمية - عواد الأعظمي : نفس المرجع ، ص ١٨٧ .



(١)  
الوليد على رأس أربعة آلاف فارس ، ليبادر الى الحيرة قبل  
ابن المهلب ، ليكونوا محاذين لاهل الكوفة . ثم اقبل مسلمة  
وجنود اهل الشام ، آخذاً على الجزيرة وعلى شاطئ الغرات ،  
حتى نزل الانبار ، وقيل بل قدما الكوفة ونزلا بالنخيلة . (٢)  
وقد يكون ذلك للراحة ، ثم المسير من هناك نحو العقر . (٣)  
واراد الخليفة أن يقسم الجبهة العراقية ، ويفوت على  
ابن المهلب محاربة الدولة باهل العراق جميعا ، فأرسل رجلا

- (١) وقيل بل سار في عشرين ألف فارس ، واقبل مسلمة في ثلاثين . انظر : ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٨/٤ . والاولى القول الاول . فغالبا ما تكون المقدمة ، وهي من الفرسان ، قليلة العدد خصوصا اذا كانت موجهة الى المسارعة الى شيء .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والمفحة - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣١٠/٢ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - الياقعي : مرآة ، ٢٤١/١ .
- (٣) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام . (ياقوت : معجم ، ٢٧٨/٥) .
- (٤) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٨٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٠-١٦٩/٤ (وفيه تفصيل أكثر) - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ (والظاهر أن لاختلاف بين القول بنزول مسلمة النخيلة أو الانبار ، فيبدو أنه نزل النخيلة في قدومه من الشام ثم سار منها الى الانبار عندما سمع بنزول ابن المهلب العقر ، ومن الانبار عقد جسرا ونزل على يزيد بن المهلب بالعقر . (انظر بعد : ص ١٨٧) .
- كما يبدو لنا أن مسلمة قد قضى على ثورة شاذب الخارجي بعد نزوله النخيلة من أرض الكوفة ، وقبل توجهه الى ابن المهلب ، حتى لا يترك عدوا قد يطعنه في الظهر ، ويفضيع عليه النصر ، إذ تشير المصادر الى أن أهل الكوفة شكوا الى مسلمة ما لقيوه من الخوارج . فبعث اليهم الحرشي ففضى عليهم ، وكون مسلمة قد نزل الحيرة بعد قضائه على ثورة ابن المهلب ولم يرجع الى الكوفة فان في ذلك ما يؤيد ما ذهبنا اليه . انظر / الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٧ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ (وقد جعل القضاء على شاذب سنة ١٠١هـ وهذا يعتمد قولنا ، إذ أن القضاء على ابن المهلب تم سنة ١٠٢هـ) .

(١)  
 من أهل الشام منهم القطامي بن الحمين ، الى الكوفة ،  
 يسكنون أهلها ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويفرقون عليهم  
 شيئاً من المال ، ويمنونهم الزيادة .<sup>(٢)</sup> وان كان مافعله  
 الخليفة تجاه أهل الكوفة واجراءات أميرها التي ستحدث  
 عنها فيما بعد لم تمنع بعض الكوفيين من الانضمام الى ابن  
 المهلب ومساندة حركته . الا أنه فيما يبدو ان ابن المهلب  
 قد ضيع من يده فرصة ضم الكوفة اليه ، فلم يسارع بعد ظهوره  
 على البصرة الى الاستيلاء عليها ، مع علمه بموقف الكوفة  
 التاريخي من حكومة الشام الأموية ، وضعف أميرها ، الذي عجز  
 عن الامساك به وهو هارب في أقل من مئة رجل .<sup>(٣)</sup> ونتساءل لماذا  
 أهمل شأن الكوفة خصوصاً اذا علمنا بأن أخاه حبيب قد أشار

(١) قال الطبري : وهو أبو الشرقى واسم الشرقى الوليد .  
 تاريخ الأمم ، ٥٨٥/٦ . وقد ترجم له الزركلي بقوله :  
 الوليد (المعروف بشرقى) بن حصين (الملقب بالقطامي)  
 ابن حبيب بن جمال ، عالم بالأدب والنسب ، من أهل  
 الكوفة ، استقدمه المنصور ليعلم ولده المهدي الأدب ،  
 وكان صاحب سمر (ت نحو ١٥٥هـ) . انظر : الاعلام ، ١٢٠/٨  
 وعلى هذا يكون غير القطامي الشاعر عمير بن شبيب .  
 انظر ترجمة هذا بعد : الفصل السادس ، المبحث الثاني  
 ص ٧١٦ .

وكان قد ذكر أن القطامي كان مع ابن المهلب عقب  
 انتصاره على أمير البصرة عدي بن أرطاة (انظر قبل :  
 هامش ٤ ، ص ١٥٨) ، وحيث أن القصيدة التي وردت على  
 لسان القطامي في المصدرين واحدة ، فالقائل واحد ،  
 فهل يكون القطامي ترك ابن المهلب وخرج الى الشام ،  
 فبعثه الخليفة الى أهل الكوفة ، أو يكون ذلك لبسا  
 حمل على ابن أعثم ، إذ أن القصيدة صالحة أن يقال لأحد  
 اليزيديين ، وهي الى الخليفة أقرب والمصدر الأسبق هو  
 الطبري ، الذي أشار الى أنها في الخليفة ، وأن  
 القطامي فيمن بعثه الخليفة الى الكوفة لتسكين أهلها  
 إذ كيف ينال رجل لابن المهلب ثقة الخليفة ، وان ترك  
 صاحبه .

(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة - مجهول :  
 العيون ، ٦٧/٣ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٩/٤ - ابن

خلدون : العبر ، ٧٨-٧٧/٣ (ولم يذكر القطامي) .  
 (٣) انظر قبل : ص ١٣٩ .

(١)  
عليه بذلك بعد غلبته على البصرة ، فلم يطمعه . وليس لنا أن  
نقول أن ذلك كان لخوفه أن لا يكون رأى أهلها معه ، فقد  
ثبت انضمام أناس من أهلها اليه ، وأن رأى بعض زعمائها معه  
وهذا ما نلمسه من مشورة أخيه حبيب وانضمام أرباعها اليه  
بعد خروجه لحرب مسلمة . وعلى كل فقد سهل ذلك من مهمة جيش  
الشام ، وأضعف من قوة ابن المهلب وهون من شأنه .

وعندما بلغ يزيد بن المهلب خروج جيش الشام اليه ،  
استخلف على البصرة مروان بن المهلب ، ثم خرج بأصحابه  
قاصدا الكوفة حتى نزل بنهر معقل ومعه الأموال والآلة والسلاح  
فعمسك هناك . وقد استشار يزيد أصحابه حين توجه نحو واسط ،  
بعد خروجه من البصرة ، فأشار عليه حبيب بن المهلب أن يأتى  
فارس فيتحمن بها ، فيدنوا من خراسان ، فإن حقق ما يريد والا  
أتى خراسان ، فأبى ذلك ، فأشار حبيب وكان قد دعاه بعد  
ظهوره على البصرة أن يأخذ الكوفة ، فما أطاعه ، أن يبعث  
خيلا تبادر الى الجزيرة ، ثم يلحق بهم ، فإن أهل الشام لن

- 
- (١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٨٨/٦ .  
(٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن أعثم :  
الفتوح ، م ٢٤٩/٤ - مجهول : العيون ، ٦٩/٣ - اليعقوبى  
تاريخ اليعقوبى ، م ٣١٠/٢ - ابن كثير : البداية ، ط ١  
٢٤٥/٩ - ابن خلكان : وفيات ، ٣١١/٦ (خالف ذلك ، وقال  
استخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد ، وهذا ليس  
وقع فيه ، فاستخلفه لابنه معاوية كان على واسط وليس  
البصرة ، وهذا ما سياتى ذكره فى الصفحات التالية) .  
(٣) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة - مجهول :  
نفس المصدر والجزء والصفحة - اليعقوبى : نفس المصدر  
والمجلد والصفحة - المسعودى : مروج ، ٢١١-٢١٠/٣ -  
المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .  
(٤) واسط : عدة مواضع ، والمقصود هنا مدينة واسط التى  
بناها الحجاج ، وقد سميت بذلك لتوسطها بين البصرة  
والكوفة والمدائن والأهواز ، وقد بناها الحجاج زمن  
عبد الملك بن مروان ، بين سنتى ٨٤-٨٦ ، وسماها واسطا  
(ياقوت : معجم ، ٣٤٧/٥ - ٣٤٨) .

يسيروا اليه ويتركوا جنده في الجزيرة وراءهم ، فيقيمون عليهم ، فيأتيهم يزيد ، الذي سيأتيه من بالموصل من قومه ويجتمع اليه أهل العراق والشفور ، فيقاتلهم وقد جعل العراق وراء ظهره ، لكنه كره أن يقطع جيشه . فإشار عليه<sup>(١)</sup> أخوه محمد أن يقاتل بأهل البصرة ، لكن حبيب نصحه بعدم الركون اليهم ، وأنهم غير مقاتلين معه ، ثم نصحه بالخروج الى الموصل ليدعو عشيرته التي بها ، فرأى ذلك قربا من العدو ، الذي سيقاقله في بلاده ، وأخيرا ارتأى يزيد لنفسه أن يأتي واسطا ، ثم يقترب من الكوفة ، فيرتاد مكانا صالحا للمعركة ، راجيا بذلك أن ينضم اليه من أهل الكوفة مثل من<sup>(٢)</sup> معه .

لم يكن ابن المطلب مخطئا عندما رفض اللجوء لفارس ، إذ لن يحقق ذلك أغراضه ومراميه الكبيرة ، فهو ليس شائرا عاديا يطمع في قليل من المال أو السلطان ، أو النجاة بنفسه . كما أن حربه بأهل البصرة لا يكفي لمواجهة جيش قوى ، خصوصا إذا علمنا انقسام أهلها على طاعته وإن سكتوا عن

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٨/٦ - ٥٨٩ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٠/٤ - ١٧١ (وأورد اسم حبيب محرفا ب "خبيب") مجهول : العيون ، ٦٩/٣ - ابن أعمش : الفتوح ، ٢٤٨/٤ - ٢٤٩ (ألا أنه أشار الى أن هذه الاستشارة حدثت قبل خروجه من البصرة وسماعه بخروج مسلمة اليه) . والحقيقة وأن كان قد خالف الإجماع ، إلا أن مشورة أخوانه تدل على عدم علمهم بخروج جيش الشام . وأن حذر ابن المطلب كان من واقع الدراية والخبرة ، وأن أهل الشام لم يتركوه حتى ذلك الوقت ، فخشي المفامرة ، وكان حذره في مكانه .

(٢) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ (لكنه ذكر أن هذه المشورة كانت بعد نزوله واسط ، وأنه أشير عليه بالاهواز ، أو الجزيرة) .

حركته . ويبدو أن ابن المهلب قد رأى أن الوقت قد فات على الوصول إلى الجزيرة أو الموصل ، وأن قسم جيشه مغامرة ، قد تكون لصالح جيش الشام الذي قد اقتررب من العراق ، بل وعجل بمقدمته إلى الحيرة لقطع الطريق على ابن المهلب من الوصول إلى الكوفة فكيف بغيرها .

#### نزول ابن المهلب مدينة واسط :

لذا سار يزيد بمن معه حتى نزل واسط<sup>(١)</sup> ، وقد قدم في عشرين ألفا<sup>(٢)</sup> ، وكان قد احتمل معه عدى بن أرمطة ومن حبه معه ، فسجنهم بها<sup>(٣)</sup> . وفي هذه الاثناء كان مروان بن المهلب يحث الناس في البصرة على حرب أهل الشام ، ويسرحهم إلى يزيد ، وكان الحسن البصري يردهم عن ذلك ، درءا للفتنة ، ولئلا يتكرر ما حدث من قتال طويل أيام ابن الأشعث ، ازهق فيه كثير من النفوس ، فلما بلغ ذلك مروان ، تهدد الحسن في خطبته ، فغضب له أهل البصرة ، وعزموا على منعه أن أرادهم مروان بسوء قابى عليهم الحسن ، واشتد مروان عليهم ، وأخذ أناسا منهم ، ثم خلاهم ، وفرقهم . إلا أن الحسن لم يدع كلامه وكف عنه مروان<sup>(٤)</sup> . ولعل ذلك عندما أحس الخفاف أهل القطر

- 
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٨٩/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧١-١٧٠/٤ - ابن أعثم : الفتح ، م ٢٥٠/٤ - ابن كثير البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ .  
 (٢) مجهول : العيون ، ٦٩/٣ .  
 (٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٠/٢ - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .  
 (٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، م ٥٩٣-٥٩٤ - ابن الأثير نفس المصدر والجزء ، م ١٧٣-١٧٢ - ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحة - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، م ٢٤٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .

حوله ، وغلبهم له .

أما يزيد فإنه لما بلغه اقبال مسلمة والعباس في جند الشام والجزيرة ، استقدم أخاه محمداً من فارس فقدم عليه <sup>(١)</sup> ، ولعل في انضمام جيش الجزيرة الى جند الشام ما يفسر اختلاف بعض المصادر حول عدد جيش الدولة ، فلعل بعضها ذكر عدد الجيش الشامي قبل انضمام جند الجزيرة والاخرى ذكرت العدد بعد انضمامه ، ثم اخذ يزيد يعد جيشه معنويًا ويستشير فيهم النزعات التي دفعت كثيراً منهم الى قتال اهل الشام ، فخطب فيهم في واسط ، وقال : "يا اهل العراق يا اهل السبق والسباق ومحاسن الاخلاق ، ان اهل الشام في افواههم لقمة دسمة قد رتبتم لها الاثاق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمرء والجدال ، فالبسوا لهم جلود الثمور" <sup>(٢)</sup> . اننا لن نجد عناء في فهم ما يرمى اليه ابن المطلب ، الا وهو استجاشة كره المراقبيين وحسدهم للشاميين على السلطة التي تمتعوا بها والثروات التي ادرتها عليهم ، بتمييزهم على من سواهم ، باعتبارهم جند الدولة المخلصين ويد سلطانها ، بل ان في الخطبة ما يبين اهداف الحركة الحقيقية ، والنزعة الاقليمية التي وراءها .

وهي في حقيقة الامر تدل على ذكاء ابن المطلب حين شخص الداء ووصف له الدواء ، فكان مداها كبيراً باندفاع الناس اليه على مختلف مشاربهم ، وهي محاولة من القبائل اليمنية للمحافظة على سيطرتها في المنطقة التي تمت بجهود آل

(١) مجهول : العميون ، ٦٩/٣ .

(٢) نافع العبود : آل المطلب ، ص ٨٩ - شابت الراوى : الراوى ، ص ٢١٧-٢١٨ .

المهلب ، بعد ان لاحظت بوادر ذهابها لمالح القيسية على يد زعيمها المحطوف يزيد بن عبد الملك .<sup>(١)</sup>

الا اننا نقف قد تفسير الاحداث على اساس التعصب القبلى فان كان يزيد قد اعتمد على الازد وحليفاتها ربعية ، الا ان حركته شملت سائر القبائل بمشاربها المختلفة ، ولعل هذه الخطبة تؤيد ما ذهبنا اليه ، ويرد على تفسير ناجى حسن لها فهو ينادى اهل العراق يمنيهم ومغريهم ، باسم الاقليمية والدوافع المادية ، كما ان الخليفة يزيد بن عبد الملك حتى ذلك الحين لم يخبين اتجاهه وموقفه من العممية القبلية .

#### اختيار المقر ارضا للمعركة ونزوله فيه :

وفى فترة اقامة ابن المهلب فى واسط ، وجه اخوته يختارون له مكانا للمعسكر ، فاختاروا المقر .<sup>(٢)</sup>

- (١) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٤ .  
(٢) المقر : عدة مواقع منها مقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، قتل عنده يزيد بن المهلب فى (سنة ١٠٢هـ) وكان خلع طاعة بنى مروان ، ودعا الى نفسه ، فندب له يزيد اخاه مسلمة ، فوافق المقر من ارض بابل ، فاسفرت الحرب عن قتل ابن المهلب . (ياقوت : معجم ، ١٣٦/٤) . وعنه نضيف : ومنها المقر القرية بين تكريت والموصل ، او المقر القرية الواقعة على طريق بغداد الى الدسكرة ، او المقر القلعة الحصينة فى جبال الموصل ، او مقر السدن من قرى الشرطة بين واسط والبصرة . وهذا التعدد للاماكن المسماة بهذا الاسم ، هو ما وقع بعض المؤرخين فى خطأ تحديد الموقع ، خصوصا انها مختلفة المناطق وجعلها فى ارض العراق ، مما ادى الى اللبس على غير المدقق . وقد ذكر المؤرخ المجهول فى كتابه العميون (٧٠/٣) : ان المقر من ارض سورا بين المدائن والكوفة . وحيث ان سورا : موقع بالعراق من ارض بابل وهى مدينة السريانيين ، قريبة من الوقف والحلة المزيديية . (انظر / ياقوت : معجم ، ٢٧٨/٣) . وقد نقل فتحى عثمان من تولدكه : انها معقل قرب بابل القديمة . (انظر : الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ١٠٩ ، ١١٠) . فاننا نرجح انها من بابل ، اذ لاخلاف بين المصادر : فالمقر من ارض سورا ، وسورا من بابل ، وهى من الكوفة ، واقعة بين المدائن والكوفة .

وفى ذلك يقول الفرزدق :

هلا زجرت الطير ان كنت زاجرا

(١)  
غداة نزلت العقير انك تعقر

(٢)  
وكان قد اقام فى واسط اياما يسيرة حتى تكامل عسكره .

فلما عزم على الخروج منها للقاء مسلمة والعباس ، استخلف ابنه معاوية وترك عنده بيت المال والاسرى الذين اخذهم بالبصرة فى حربه مع عدى بن اوطاة . ثم خرج بجيشه مطلع سنة ١٠٢هـ ، وقدم بين يديه اخوه عبد الملك ، ثم سار حتى مر بقم النيل ، ومنه سار حتى نزل العقير من ارض بابل ، وعزم على محاربة القوم . والظاهر ان يزيد لم يرد ان يتحرك العراق امام جند الشام الذين تقدموا نحوها ، واراد ان يسبقهم الى الكوفة قدر الامكان ، الا ان قوات الدولة كانت قد سبقته فتوقف فى آخر سنة ١٠١هـ عند عقير التي تواجه فارط قرب بابل القديمة .

(٤)

- (١) مجهول : العيون ، ٧٠/٣ .  
(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٩/٦ - ابن اعثم : الفتح ، م ٢٥٠/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧١/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ .  
(٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٩ (وقد ذكر انه كان قائدا الكوفة فوجد اهل الشام سبقوه اليها فنزل للعقر عند كربلاء) . (نقلا عن الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٠-٥٩١ - مجهول : العيون ، ٦٦/٣) - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والمفحة .  
وهو الوحيد الذى ارخ لمسيره .  
(٤) فتحى عثمان : الحدود ، ص ١٠٩-١١٠ (خالف ابن كثير فى تاريخه لمسير ابن المهلب الى العقير ونزوله فيها ، ونحن نرجع قول ابن كثير ، اذ ان اقامة مسلمة ويزيد فى العقير قبل المعركة ، ثمانية ايام فقط ، اى ان مسلمة وممل العقير قبل المعركة التى حدثت ١٣ صفر او ١٥ صفر على خلاف بثمانية ايام . اى فى خامس صفر او سابعه وحيث انه لم يسر اليها ، الا بعد علمه بنزول ابن المهلب فيها ، وكان فى النخيلة من ارض الكوفة =



ونجد أن فتحى عثمان ، ونافع العبود ، ذهبا الى ان ابن المهلب خرج من واسط قاصدا الكوفة محاولا ان يسبق اهل الشام اليها ، فلما وجدهم سبقوه اليها ، نزل العقرة ،<sup>(١)</sup> ويبدو لنا أنه غاب عنهما تلك النصوص التى أشرنا اليها قبل<sup>(١)</sup> والتى توضح ان ابن المهلب قد وضع خطة مسيره من قبل دخول واسط ، وأنه عزم ان يعسكر قرب الكوفة ، عسى ان ينضم اليه بعض أهلها ، وأنه بعث من واسط من يختار له أرضا صالحة للمعركة ، فوقع الاختيار على أرض العقرة ، وهذا يبطل ما ذهب اليه ، فقد كان نزوله العقرة اختيارا لا اضطرارا . نعم لقد حاول يزيد بعد نزوله العقرة ضم الكوفة اليه فلم يوفق ، وهذا ما سنطالعه فى الصفحات التالية .

#### وقعة سورا :

وبعد أن نزل ابن المهلب العقرة ، حاول الاستيلاء على الكوفة ، فوجه أخاه عبد الملك اليها ، فاستقبلهم العباس ابن الوليد عند "سورا" ليمدهم عن الكوفة ، وكان فى أربعة آلاف سوى من انضم اليه من أهل البصرة وعلى رأسهم هريم بن أبى طحمة ، وقد اضطروهم أصحاب عبد الملك الى نهر ، فاستنجدوا بأهل الشام وسألوهم ألا يسلموهم ، فكر الشاميون ، وهزم أصحاب ابن المهلب ، حتى انتهى بهم عبد الملك الى أخيه فى

= والمسافة ليست بالبعيدة ، فهذا يرجح ان يزيد نزل العقرة فى المحرم من سنة ١٠٢هـ (عن إقامة الفريقين قبل المعركة فى العقرة ، انظر / الطبرى : تاريخ الأمم ٥٩٧-٥٩٥/٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٣/٤-١٧٤) .  
(١) انظر قبل : ص ١٧٧-١٧٨-١٨١ .

(١) العقير . وان كانت معركة سورا وقعة جانبية ، الا ان خسارتها تعنى فياغ المحاولة الاولى لابن المهلب في الوصول الى الكوفة ، بينما ادت الى ارتفاع الروح المعنوية لجيش الدولة ، والشك في قدرة جيش ابن المهلب القتالية .

ثم عقد ابن المهلب لعبد الله بن حيان العبدى على أربعة آلاف ولم اليه فليل بن هناد وسالم المنحوف في خيل فعبروا الى جانب المراة الاقصى ، فعمكر في جمعه وخندق عليه فقطع اليهم مسلمة الماء وسعيد بن عمرو الحرشي ، وقيل بل عبر اليهم الوضاح ، فكانوا بازائهم . (٣) الا ان المؤرخ المجهول قال : ان مسلمة وجه اليهم الحرشي ، فاقتتلوا وقتل عبد الله بن حيان ، وكان لاهل الشام كمين خرج عند جولة العراقيين فانهزموا ، حتى اتوا يزيد بن المهلب في العقير وهكذا كانت المناوشات الاولى في صالح الشاميين ، وعلى اثرها تبدد أمل ابن المهلب في الوصول الى الكوفة ، واتضح

(١) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٩٠ (وقد ذكر مخطئا ان العباس ابن عم مسلمة ، والصحيح انه ابن اخيه الوليد) مجهول : العيون ، ٧١-٧٠/٣ (الا انه ذكر ان يزيد وجه اخاه محمدا وابنه الممارك ، وليس عبد الملك ، وذلك حين اقترب منه اهل الشام ، ولم يقل نحو الكوفة ، ووافق الاعظمي وابن الاثير في كون اللقاء حدث بسورا ، وأحداشه) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧١/٤ .

(٢) اعتبر ابن كثير ان معركة سورا لقاء بين مقدمتي الجيشين ، على اثره تم اللقاء الحاسم ، لكن الواضح انها معركة مستقلة حيث ان جيش ابن المهلب قد استقر في العقير ، وماكان رجاله الذين خاضوا معركة سورا ، الا في حملة ذات هدف محدد وهو الاستيلاء على الكوفة ، فمدت ، وانتهى الامر ، وتمت المعركة الفاصلة في العقير بعيدا عنها بعد ذلك . (انظر : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩-٢٤٧) .

(٣) الطبري : تاريخ الامم ، ١٩١/٦ - مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٧١ .

(٤) نفس المصدر والجزء والمفحة .

ضعف قوته .

ولكن اهل الكوفة التي لم يستطع ابن المهلب الوصول الى مدينتهم ، استطاعوا الوصول اليه ، فقد اجتمع اليه كثير من الكوفيين وبعض زعمائهم ، وانضم اليه ناس من الثفور ، فبعث على ارباع اهل الكوفة الذين خرجوا اليه رجالا ، اذ جعل على ربع اهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع مذج واعد النعمان ابن ابراهيم بن الاشتر النخعي ، وبعث على ربع كنده وربيعه محمد بن اسحق بن محمد بن الاشعث ، وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء الحميري ، وجمعهم جميعا مع المغفل بن المهلب <sup>(١)</sup> . وهذا يرد على من قال بعدم خروج اهل الكوفة لمساعدة ابن المهلب ، وذلك لاختفاء الاثر الشيعي <sup>(٢)</sup> . مع ان للرد عليه جانبا آخر ، وهو ان الكوفيين على راس العراقيين الذين غالبوا ما حركتهم النزعة الاقليمية ضد الشاميين ، والكراهية للامويين ، مع الاخذ في الاعتبار بالتأثيرات المادية والمطامح الشخصية والثار القديمة ، وذلك كقيلة بانضمام اهل الكوفة اليه او بعضهم ، كما اننا قد رأينا من قال بدعوة ابن المهلب في حركته للرفي من بني <sup>(٣)</sup> هاشم ، وان كنا قد استبعدنا مثل هذه المقولة . وقد يكون

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩١/٦ - ٥٩٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ (الا انه لم يشر الى ضمهم الى المغفل . واحداث المعركة حسنة القول الاول) .

(٢) ثابت الراوي : المراق ، ص ٢١٨ (ولنا ان نقول : ان شيعة الكوفة ، قد ساندوا ابن الاشعث ، ولم يكن في حركته الاثر الشيعي) ، عن حركته وموقف الكوفة منه (انظر : الطبري : نفس المصدر ، ٣٣٤/٦ وما بعدها) .

(٣) انظر قبل : ص ١٦٥ .

هذا التسلسل الكوفى الى ابن المهلب فى العقر مادعا امير الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ، ان يضع على الكوفة مناظر وأرصاد لتحسين اهل الكوفة عن الخروج الى يزيد بن المهلب ، بل وعسكر بالأنخيلة . كما أغرق الأرض بالمياه بين الكوفة وابن المهلب ، لئلا يصل اليها . اما ابن المهلب فقد استمر توافد الناس اليه فالتزم اليه عامر بن العميثل الأزدي فى جمع وبايعة . ولقد أحصى ديوان ابن المهلب مائة وعشرين ألفا ، الا أن ابن المهلب كان يرى أن أكثرهم ليسوا من اهل القتال ، فكان يتمنى أن يكون معه بدلا منهم قومه الذين بخراسان . وهذا ما لم يأت من اقوال الحسن البصرى فى البصرة فانه عندما لم ير من يعرفهم فيمن انضم الى ابن المهلب من اهل السيادة والشرف ، قال هؤلاء والله الغثاء . كما اتفق ذلك من نتائج المناوشات

- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٢/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ - مجهول : العيون ، ٧٠/٣ ، لكنه لم يذكر المناظر والأرصاد .
- (٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٣) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ١٩١ . وقد همش معلقا على مدار من محاورة حول رأى ابن المهلب فى جيشه مع بعض رجاله ، بانها تعطى انطبعا بما يسود جيش ابن المهلب من خوف وتردد وضعف الروح القتالية ، والخوف من فشل الحركة كما فشل ابن الأشعث - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٦/٩ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٥١-٢٥٠/٤ . مخالف العدد قال : دنت عساكر الشام فى خمسين ألف ، ويزيد يومئذ عن عشرين ألفا . ونحن لانظمن لمن قال أن جيشه بلغ (١٢٠ ألف) ، لكننا ايضا لانوافق ابن أعثم على العدد الذى أشار اليه ، فقد ذكر المؤرخ المجهول : أن ابن المهلب قدم واسطا فى عشرين ألفا . انظر : نفس المصدر ، ٦٩/٣ وقد ثبت لنا انضمام كثير من اهل الكوفة اليه ، وأناس من اهل الكوفة ، وبعض الأزد ، وغيرهم ، وذلك بعد نزوله العقر ، الى جانب من سار معه من واسط ، وهذا يعنى أن العدد قد زاد عن العشرين ألف بكثير ، لكنه بالتأكيد لم يبلغ ١٢٠ ألفا .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨٧ .

الأولية ، وهذا ماسيؤكدده انفضاضهم السريع وتخاذلهم عن ابن  
المهلب فى العقر . وبلغ مسلمة بن عبد الملك نزول ابن  
المهلب العقر ، فاقبل يسير على شاطئ الفرات حتى نزل  
الأنبار ، فمقد جسرا على الفرات ، فعبر من قبل قرية فارط ،  
بجيش الدولة وقد خلف الاثقال ، فاقبل حتى نزل على يزيد .  
وعلم بذلك العباس ، فاقبل من الحيرة حتى نزل على مسلمة ،  
الذى خندق عليه خندقين ، وجعل على الخندق حائط وضع عليه  
رجال من رماة النبل .

وخشى ابن المهلب ان يمل الشاميون بخندقهم الى خندقه  
ورأى ان يبيتهم ، اى ان يفاجئهم بالمعجوم ليلا ، وذلك  
بمشورة بعض آلهم ، الا ان من كان معه من القراء ، قالوا :  
لا يحل لنا ذلك حتى ندعومهم .

- (١) الأنبار : عدة مواضع - المقصود منها هنا - مدينة على  
الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ ، فتحت على  
يد خالد بن الوليد (سنة ١٢هـ) فى زمن الخليفة أبى بكر  
الصديق ، عمرها سابور بن هرمز ، ثم جدها أبو العباس  
المفاج . (ياقوت : معجم ، ٢٥٧/١ - ٢٥٨) .
- (٢) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ١٨٩ . وقد أورد فى العاشق  
تعليق فلها وزن على طريق مسلمة بقوله : ولما كانت  
الأنبار على الضفة الشرقية ، فلا بد ان يكون مسلمة قد  
سار أولا من هناك من عند بلدة "القاراط" الى الغرب ،  
ثم قفل راجعا الى الضفة الشرقية ، كما فعل قحطبة بن  
شبيب الطائى (نقلا عن فلها وزن : تاريخ الدولة  
العربية ، ٣٠٧/١) - فتحى عثمان : الحدود الإسلامية  
البيزنطية ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ص ١٠٩-١١٠  
ابن الأثير : الكامل ، ١٧٢-١٧١/٤ - ابن أمثم : الفتوح  
م ٢٥٠/٤ - مجهول : العيون ، ٧١/٣ - ابن خلدون : العبر  
٧٨/٣ (وحرف كلمة الأنبار الى "الأنهار") .
- (٣) ابن أمثم : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٤) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٨ .
- (٦) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة .

ثم دعا يزيد برؤوس اصحابه ، وبين لهم رايه في ان يبعث مع محمد بن المهلب اثني عشر الف رجل ، يبيتوا مسلمة وجيشه ، فيدفعون خذقهم ، ويقاثلوهم بقية ليلتهم ، بينما يزيد يمدد بالرجال ، فاذا أصبح نهض اليهم بالناس ، فيناجزهم ، راجيا ان يكون في ذلك النصر . فقال السميديع : قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا قبوله ، فليس لنا ان نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء ، حتى يردوا علينا ما زعموا قبوله منا . فايده ابو ربيعة المرجني ، وحذرهم يزيد بان ذلك ذهاب من مسلمة حتى يمكنهم ، فابوه . وقد امد عبد الحميد بن عبد الرحمن امير الكوفة مسلمة ببعث من اهل الكوفة عليهم سيف بن هاني ، الحمداني ، فاثني عليهم لطاعتهم ، الا انه استقلهم ، فبعث اليه عبد الحميد ببعث اكبر عليهم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف الازدي ، فضم اليه مسلمة من كان عنده من اهل الكوفة ، لطاعة اهل بيته وولائهم للبيت الاموي ، ونلاحظ هنا ان قيادة البعثين من الكوفة يمنية ، مما يؤكد ان العمبية لم تكن المحرك الوحيد لمن انضم الى ابن المهلب ، او خالفه .

وفيما يبدو ان عدم سيطرة عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، بعجزه عن منع اهلها من الانضمام الى حركة

- 
- (١) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٩٣ (وقد علق على ذلك ان موقف السورعين زاد من ضعف جيش ابن المهلب ، وتصدع وحدته) - ابن امم : الفتوح ، م ٢٥١/٤ (وقد اورد عدد الجند المقترح للخطبة ثمانية آلاف) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٢/٦ - مجهول : العيون ، ٧٠/٣ (وقد ذكر امداد ببعث بدون ذكر اسم اميره) - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة (لم يشر الى بعث الحمداني) - ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٣ (اشار فقط الى بعث سبرة ، وحرفه بسبرة) .

ابن المهلب ، كما عجز من قبل من القبض على ابن المهلب نفسه عندما مر بالقرب من الكوفة ، وتسيير عدد لا يتناسب مع عدد الكوفيين الى مسلمة ، قد دعا مسلمة الى عزله وتولية محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة ، ذو الشامة ، اميرا على الكوفة .<sup>(٢)</sup>

أما الفريقان في المعر فقد أقاما ثلاثة أيام ليس بينهم حرب ، ومسلمة بن عبد الملك يدعو ابن المهلب الى حقن الدماء ، والرجوع عما هو عليه ، عل أن يوليه واخوته اي بلد شاءوا ، ويزيد يابى ذلك .<sup>(٤)</sup> بل أن مسلمة سعى من ناحية أخرى أن يثير البلبله والشك في صفوف خصمه ، بإبطال بعض ما ادعاه ، فقد كتب مسلمة اليه : "انك والله ما انت بمصاحب هذا الامر ، صاحب هذا الامر مغمور موتور ، وانت مشهور غير موتور" . فقال له رجل من الازد قدم ابنك مخلد حتى يقتل فتمير موتورا .<sup>(٦)</sup>

والظاهر انه يعنى ادعاءه انه القحطاني المنتظر ، هذا اذا مامح هذا النص ، الذي اذا ما ثبت ، سيدق تلك المقولة التي شككنا فيها ، وان كنا لم نستبعد تفشيها بين الناس ، من قومه قحطان . لكن النص ذاته يحمل معلومة تشكك في صحته

- 
- (١) ذو الشامة : لم اعثر على ترجمته .  
 (٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٣/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ (قال : ابن عمر) .  
 (٣) وردت عند الطبرى شمالية أيام . (انظر : نفس المصدر ، ٥٩٥/٣) .  
 (٤) ابن اعثم : الفتح ، ٢٥١/٤م .  
 (٥) الموتور : الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه ، وفي قول محمد بن مسلمة : أنا الموتور الخائر ، اي صاحب الوتر الطالب بالشار . انظر : اللسان (وتر) .  
 (٦) الجاحظ : البيان والتبيين ، ط٤ ، ٢٤٠/١ .

اذ ان مغلدا كان قد توفى زمن عمر بن عبد العزيز ، بعد ما وفد عليه في اعقاب سجنه لابيهِ <sup>(١)</sup> . وان كان ذلك لا يبطل الخبر فيمكن ان يكون قد قيل بتقديم احد بنيهِ غير مغلد ، فذكر المؤرخ خطأ اسم مغلد لشهرته . وان كنا نتساءل ، كيف يستطيع ابن المطلب ان لا يكون مشهورا ، اذا قدر ان يكون موتورا .

ومع ذلك فان هذا النص في حال صحته ، يكون تأكيدا من مسلمة على يمنية ابن المطلب ، ونفيا للتهمة القائلة <sup>(٢)</sup> بفارسيته . حيث ان بني امية احرص الناس على استغلال ذلك لو كان معروفا . ومسلمة مع كل هذا واثق من النمر ، يقول : ليت هذا المزوني لا يكلفنا اتباعه في هذا البرد <sup>(٣)</sup> .

اما ابن المطلب الذي اضطرب عسكره عندما سمع بقدوم مسلمة والعباس في جيشهما الفخم من اهل الشام ، خصوصا عندما شارفاه ، ونزلا عليه في العقير ، فانه سعى الى التقليل من شان خصمه وتهوين امر قيادته ، ساخرا منهم ، مشيرا الى ولاء جزء كبير من الجيش الشامي له ، ليرفع من الروح المعنوية لجنده ، حاشا اياهم على المدق والمبر ، مؤكدا عزمه على القتال حتى النمر او الموت ، وقد تمثل هذا في خطب القاها في جنده في العقير ، كما فعل من قبل في <sup>(٤)</sup> واسط .

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٥٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ .

(٢) انظر ما كتبناه من ذلك قبل : ص ١٢١-١٢٢ .

(٣) مجهول : الميرون ، ٦٨/٣ .

(٤) من اجل ذلك ، انظر : نافع العبود : آل المطلب ، ص ٧٩ (فقال بان خطبته كانت في واسط ، ولعله يعني خطبته الاولى في واسط، وقد تبعها آخر في العقير) - محمد نمر =



وبصرف النظر عن مدى صحة ماتضمنته أقواله من ازدراء وتحشيع واتهام ، فالهدف كان منها التحريض والتهوين وكفى .  
اذ لا يصدق ما قال عن الجيش الشامي المتمرس ، وان كان قد ظن ان اليمنية الشامية ستكون معه ، فقد خاب ظنه ، اذ سئى صدق ولائهم لحكومة الشام ، وان قتلَهُ سيكون على يد احدهم ، والقضاء على اهل بيته بنى المهلب ، وتمفيتهم في قنءابيل على أيديهم .

واننا نستشف من أقواله حقيقة خلافه مع الامويين ، كما ابرزت منطقته الطبقي العنصري في تلك الحركة <sup>(١)</sup> .

لكن يزيد ابن المهلب ذاته وفي قرارة نفسه لم يكن واثقا من النصر على الامويين وازالة ملكهم ، فقد اتاه يزيد ابن الحكم بن ابي العاص الثقفي في واسط ، قبل نزوله العقير فقال :

ان بنى مروان قد باد ملكهم

فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر

قال يزيد : ماشعرت . فقال ابن الحكم الثقفي :

فعمى ملكا او مت كريما وان تمت

وسيفك مشهور بكفك تعذر

قال يزيد بن المهلب : اما هذا فعسى . وما ظن الواقع <sup>(٢)</sup>

خالف هذا ، ولكن رجلا كابن المهلب أبدى العداوة ، واظهر

= الله : تطور ، ص ٢٥٦ - عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٩٢ - الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٢/٦ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥١-٢٥٠/٤ - المسعودي : المروج ، ٢١١-٢١٠/٣ وما بعدها (وانظر نص هذه الخطبة وشرح بعض الفاظها ، بعد الفصل السادس ، المبحث الثاني ، ص ٧٢٠-٧٢١) .

(١) محمد نصر الله : نفس المرجع والمفحة .

(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة .

الخلافة ، تآبى نفسه الكبيرة ، وتاريخه العسكى الحافل ، وعزة قومه أن يستسلم أو يجبن ، ولكنها الحرب ، على أمل يسير من النصر أو الموت بكرامة فى ساحة القتال .

### معركة العقر :

اقام مسلمة بن عبد الملك يطاوول يزيد بن المهلب فى العقر ثمانية ايام ، جرت بينهما ابان ذلك المراسلات والرسل لتحقيق المصالحة بين الطرفين ورغبة فى حقن دماء المسلمين وانهاء الفتنة . فقد عرض مسلمة على ابن المهلب الامان ، داعيا اياه للسلام ، كما وعده واخوته بالامارة على اى البلاد شاؤا ، فلم يجد اذنا صاغية وباءت محاولاته بالفشل ، وكان كل منهما اثناء ذلك يعد نفسه للحرب ، فحصنا مواقعهما ، وخذلنا عليهما ، واعد كل قائد جيشه معنويا وعسكريا فلما<sup>(١)</sup> ينس مسلمة من خيمه فى ان يعود الى الرشد ، ويجنب الناس ويلات الحرب وشر الفتنة ، خرج اليه ، يوم الجمعة لاربعة عشرة ليلة<sup>(٢)</sup> خلت من صفر (سنة ١٠٢هـ) ، اى يوم الرابع عشر ، فكونها خلت اى اصبح الناس فى نهارها ، والعرب يقدمون الليل على النهار<sup>(٣)</sup> ، ولو لم يقل خلت ، لقلنا : يوم الثالث

(١) انظر ذلك فى الصفحات السابقة بعد نزول الفريقين ارض العقر .

(٢) أرخ ابن خياط لذلك ب : يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من صفر (انظر : تاريخه ، ص ٣٢٥) ، كما أرخ لذلك ابن خلدون ب : الجمعة منتصف صفر (انظر : المعبر ، ٧٨/٣) ، ولعل ورود التاريخ بالليالى هو ما اوقع البعض فى اللبس ، والتاريخ الذى اشبهناه فى المتن هو ما اجمعت عليه اكثر المصادر .

(٣) قال هورنشو : "وكانوا (اى العرب) يبنون التاريخ على الليالى دون الايام بخلاف العجم ، فانهم كانوا يبنون على الايام دون الليالى" . انظر : علم التاريخ ، ترجمة وعلق عليه واهاف اليه فعلا فى التاريخ عنسد =

عشر .

(١) خرج اليه ليلتقيا في العقر ، والخروج هنا اراه من خندقه الى ارض المعركة ، وكان مسلمة قد عبا جند الشام ، فجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي ، وعلى يسارته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمنة سيف بن هانيء الحمداني وعلى يسارته سويد بن القعقاع التميمي ، ومسلمة على الناس . اما يزيد بن المهلب فقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب وعلى يسارته المغفل بن المهلب وكان مما يلي العباس بن الوليد ، ورايته مع المهلب بن العلاء ، ومحمد بن المهلب ومعه اناس على حاميتهم .

وخرج ابن المهلب وقد دعا بدرعه وملابسه ووضع له كرسى على باب خندقه وكرسى آخر لمحمد بن المهلب ، وذلك انه قد اصاب يزيد بن المهلب قبل ذلك حمى فلعف . وقيل بل كان مبطونا شديد العلة ، فامر الناس بالتقدم ، ولحق بهم اخوه محمد . وزحف اهل الشام ، فاقتتلوا وجالت الخيلان ، وبدأت

= العرب ، عبد الحميد العبادي ، سلسلة المعارف العامة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٤م ، ص ٣٤ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٤-٢٥ .  
(١) شد عن هذا القول اليعقوبي ، الذي قال بالتقائهما "بمسكن" . انظر تاريخه ، ٣١١/٢ .

ومسكن : موقع قريب من اوانا على نهر وجيل منذ دير الجشالين به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير (سنة ٧٢هـ) . وذكر الحازمي ان مسكن بدجيل الاهواز حيث كانت وقعة الحجاج بابن الاشعث ، وهذا غلط . (انظر : ياقوت : معجم ، ١٢٧/٥-١٢٨) . وهذا يبين لنا ان اليعقوبي وقع في خلط بين الوقعتين ، وقعة عبد الملك ومصعب ، ويزيد وابن المهلب .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٢-٧١/٢ .

(٣) اليعقوبي : نفس المصدر والجزء والمفحة .

الحرب كالعادة بالمبارزة ، عندما تواجهت الجيوش ، فبارز حبيب رجلا من أهل الشام ، وبرز محمد بن المهلب لرجل من أهل الشام دعا إلى المبارزة ، أصاب محمد كفه ، قيل أنه حيان الخبطى ، فلما نشبت الحرب ولم يشتد القتال ، أمر مسلمة بن عبد الملك الوضاح مولى عبد الملك أن يخرج بالوضاحية ،<sup>(١)</sup> ويحرق جسر الصراة والسفن التى فى الصراة . فاحرق الجسر وبعض السفن ، فلما رأى أصحاب ابن المهلب الدخان قد علا ، وعلموا أن الجسر الذى جاءوا عليه قد أحرق ، لاذوا بالفرار وانهمزوا من أرض المعركة ، فلما رأى يزيد بن المهلب فرار

(١) الوضاحية : لم يكن يعتمد عسكريا على موالى بنى أمية حتى عهد مروان بن الحكم ، ثم ازداد هذا الاهتمام تدريجيا بهم منذ خلافة عبد الملك ، عندما شكلوا جزءا من الجيش الذى قضى به على ثورة الجراحمة فى جبل اللكام . وفى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك نرى ظهور فرقة عرفت بالوضاحية ، لعبت دورها فى القضاء على ثورة ابن المهلب ، حيث كانت جزءا من جيش الشام بقيادة رجل منها يسمى الوضاح ، وهو مولى لبنى أمية من البربر . وقد اعتمد على قول جرير :  
لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا

فاورث مجدا باقيا آل بربرا  
لذا يمكننا القول أن الوضاحية فرقة من الموالى ، لاسيما أننا نرى هذا البيت فى قصيدة لجرير (ضاربوا هام الملوك) قالها فى أواخر حياة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حيث نراه يثنى على الموالى ، ويطنل فى ربط العرب بالعجم بابى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، فيقول :

وابناء اسحق الليوث اذا ارتدوا  
محامل ..... لابسين السنورا

لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا  
فاورث مجدا باقيا آل بربرا

ابونا ابو اسحق يجمع بيننا  
أب كان مهديا نبيا مطهرا  
وهو فى هذه القصيدة يتراجع عن نظرة الاشمئزاز من الموالى ، لاشترائهم مع جيوش الخليفة فى القضاء على ثورة ابن المهلب .

انظر : نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٩٩-٣٠٠  
(٢) عند ابن الأثير : أمره أن يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر  
ففعّل . (انظر : الكامل ، ١٧٣/٤) .

اصحابه خرج فى جمع من قومه ومواليه ، ليردهم ، ففربوا وجوه المنهزمين الذين استقبلوه مثل الجبال ، وتكاثروا عليه ، فلما يئس منهم امر بتركهم ، وثبت فى عمابة من اصحابه ، تسلى بعضهم ، فبقى فى شذمة قليلة وقد استقبلته الهزيمة .

فقد فقت عین المغفل ، وجاء محمد وقد ضرب به الحرشى بعمود على جبهته . ويزيد يتنقل على كرسيه من مكان الى آخر وقد ثبت معه السמידع واصحابه ، وابو روبة المرجشى ومن معه . فلما جاءه الخبر بموت حبيب ، دعا بفرسه ولبس سلاحه ، وأمر دارسا مولى حبيب بن المهلب ان يكون قريبا منه ، ثم طاف على رايات اهل الشام ، يسأل عنها ويقول : ايقاتلنى بقومى من لا قوم له . فاخذ يتقدم وهو يزدلف ، لايمر بخيل الا هزمهم ، واهل الشام يتجاوزون عنه يمنا ويمرة ، فاشار عليه ابو روبة وقيل رجل من بنى عمه ان ينصرف الى واسط ويخندق عليه حتى ياتيئه المدد ، فابى الفرار ، وقيل بل باشر الحرب قبل موت حبيب واطفئه بعد انهزام الناس ، ودعا مسلمة للمبارزة ، فاحجم ، وقد اشار عليه بذلك رجل من اهل الشام ذاكر ا له شجاعة ابن المهلب ، وانه فارس العراق قاطبة . فلما علم بموت حبيب كره الحياة ، وازداد غيظا وحنقا ، فقمعد على فرس له اشهب نحو مسلمة ، لايريد غيره ، فحمل وحمل الناس معه ، واقتتلوا ، فحمل يقاتل قتال رجل يئس من الحياة ، حتى قتل من اهل الشام بشرا كثيرا ، فلما واجه مسلمة ، ادنى فرسه وركبه ، فمطف بخيل الشام عليه وعلى اصحابه ، وكان فى اهل الشام رجل من كلب يدمى القحل بن

عياش ، لما نظر الى يزيد عرفه وقال : يا اهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لاقتلنه او ليقتلنى ، ودعا من يكفيه اصحاب يزيد ليصل اليه ، فحمل عليه وحملوا معه ، واضطربوا ساعة ، انفرج بعدها الفريقان عن يزيد ابن المهلب قتيلا ، قتلته القحل بن عياش وقد مرعه يزيد فمات الى جانبه ، كل قتل صاحبه .

وقيل ان الذى قتلته الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابى ، ولم يجتز راسه انفة . ويمف الذهبى مقتلته بقوله : "قتل عن تسع واربعين سنة ، ولقد قاتل قتالا عظيما ، وتغللت جموعه ، فما زال يحمل بنفسه فى الاكوف ، لالجهاد ، بل شجاعة وحمية ، حتى ذاق حمامه ، نعود بالله من هذه القتلـة الجاهلية " .

وقد جاء براسه الى مسلمة مولى لبنى مرة ، لم يقتله ، فلم يعرفه مسلمة ، ففصل وعمم ، فعرفه ، وكان قد اصاب ابن المهلب ماينيف على ثلاثين فربة ، وقتل من الفريقين مايزيد على الثلاثة آلاف ، بينهم حبيب وحماد ومدرک ومحمد أبناء

- (١) القحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين بن أبى جابر بن زهير بن خباب الكلبى . (المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧-٢٧٨ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٧/٦)
- (٢) الهذيل بن زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلابى ، من الرؤساء الشجعان الفصحاء ، فى العصر المروانى ، كان مع أبيه أيام قيامه فى الجزيرة الفراتية فى عهد مروان بن الحكم ، ومات أبوه سنة ٧٥هـ ، فعاد الى ولاته لبنى مروان ، وفى حرب مسلمة لابن المهلب ، كان على ميصرته فى معركة العقر . قال ابن حزم : "والهذيل هو قاتل يزيد بن المهلب يوم العقر وقد قيل غير ذلك" (الزركلى : الاعلام ، ٨٠/٨) . وما اظن القول بقتل الهذيل الا دعوى قيسية ، للنيل من اليمانية واغاثتهم .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤-١٧٤ - ابن خلدون : العبر (٧٩-٧٨) وقد اورد اسم الحارث فى نسب الهذيل "الحارث" تحريفا . انظر صفة الاسم فى الترجمة اعلاه .
- (٤) سير ، ٥٠٦/٤ .

المهلب ، لذا يقول بعض آل المهلب :

سقى الله أجسادا ببابل كسروا

سيوفهم والآثرى المعضدا

حبيبا وحمادا وذو الباس والندا

يزيدا وأسقى مدركا ومحمدا

كما قتل السميدع . وبقتل يزيد بن المهلب انهزم الناس  
إلا المفضل فقد ظل يقاتل أهل الشام ، مايدرى بقتل يزيد  
ولابهزيمتهم ، وهو يغشى الناس ويكشفهم ، وقد اجتمع أهل  
الكوفة حول عامر بن العمير الأزدي ، فاجتمع أصحاب المفضل  
ليكروا مع ربيعة الكوفة بعد انكشافها على القوم ، إذ جاءه  
مقتل يزيد ومن قتل معه من أخوته ، فتفرق من معه ، وأخذ  
طريقه إلى واسط ، وقيل بل خدعه أخوه عبد الملك إذ أخبره<sup>(١)</sup>  
أن يزيد انحدر إلى واسط ، خوفا من أن يستقفل ولا يترك أرض  
المعركة ، فانهزم بمن بقي معه من الجنود وبنى أخوته إلى  
واسط . وهذا ما أغضبه على عبد الملك ، فحلف ألا يكلمه أبدا ،  
فما كلمه حتى مات ، وكان يقول : ففحنى عبد الملك آخر  
الدهر ، ألا صدقنى ، فقتلت كريما . وهذا القول هو الأقرب  
إلى طبائع بنى المهلب .

وجاء أهل الشام على عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم  
أبو زؤبة المرجنى وجماعته ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم ،  
فانصرفوا ، فاستحوذ مسلمة على ما فى معسكر ابن المهلب ،  
وأسر من أصحابه نحو ثلاثمائة بعث بهم إلى الكوفة . ثم بعث

(١) مجهول : العيون ، ٧٣/٣ - ٧٤ - ابن الأثير : الكامل ،  
١٧٤/٤ .

مسلمة براس ابن المهلب مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، الى الخليفة يزيد بن عبد الملك .<sup>(١)</sup>

وقد توفي يزيد بن المهلب وله من العمر تسعا واربعين سنة . كان فيها من النجباء الكرماء الفرسان ، سيدا ممدحا كثير الغزو والفتوح . وهذا ليس غريبا على سيد المحاربة ، الذين كانوا في الدولة الاموية كالبرامكة في دولة بني العباس في الكرم . لذا كان لمقتل يزيد بن المهلب وجل آل بيته مدى في اقوال الناس كما سيكون في احوالهم ، قال

(١) عن معركة المعفر انظر المصادر التالية : الطبري : تاريخ الامم ، ٥٩٥/٦ - ٥٩٨ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥١/٤ - ٢٥٤ - مجهول : العيون ، ٧١/٣ - ٧٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٤ - ١٧٤ - المسعودي : مروج ، ٢١٠/٣ - ٢١١ (قال : فقتل يزيد ، وصبروا اخوته انفسهم فقتلوا جميعا . وهذا خطأ ، فان من اخوته من انحدر الى واسط وكان القضاء على بقيتهم في قنابيل) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٥/٩ - ٢٤٧ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ - الذهبي : المعبر في خبر من غير ، ١٢٤/١ - ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١/١ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٨/٣ - ٧٩ - القلقشندي : مآثر الانافة ، ١٤٨/١ - ابن الوردي : حكمة المختصر في تاريخ البشر ، تحقيق احمد رفعت البدر اوى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م ، ٢٧٥/١ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٤٧ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ - ١٩٠ (قال : المعفر بين واسط وبغداد والامح : بين واسط والكوفة) . وغيرها من المصادر القديمة والمراجع الحديثة .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٧ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٩/٦ - الزركلي : الاعلام ، ١٨٩/٨ (الا اننا نجده يقول في هامش (١) ، ص ١٩٠ : "وفي اعمار الاميان في يزيد وزياد ومدر ك بنو المهلب ابن ابي مفره ، ولدوا في سنة واحدة وقتلوا في سنة واحدة ، وكلهم عاش ثمانيا واربعين سنة" . اي ان عمره اعتمادا على هذا الخبر (٤٨ سنة) ، ولكن وجود نصوص تخبرنا ان مولده كان (سنة ٥٣هـ) ، انظر ذلك قبل : ص ١٢٢) يؤيد الخبر الاول .

(٣) الياقعي : مرآة ، ٢٤١/١ - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء والمطبعة - ابن العماد : شذرات ، ١٢٤/١ .



محمد بن واسع لما جاء نعى يزيد : اشتكى باكية عمالية تندب  
لى قتلى آل المهلب . وقال عباد بن عباد : مكثنا نيفا  
وعشرين سنة بعد قتلى آل المهلب لاحتولد فينا جارية ولايموت  
منا غلام .<sup>(١)</sup> كما نجد الندم عند ازد خراسان على عدم نصره  
يزيد ، وتمنى شعور وقعته ، على لسان شاعرهم ثابت قطنة ان  
يقول :

ياليت اسرتك الذين تغيبوا

كانوا ليومك يايزيد شعورا

وقد نقل هذا القول لمسلمة ، فقال : وانا والله لوددت  
انهم كانوا شعورا يومئذ فسقيتهم بكاسه . فقيل : كان  
مسلمة احد من اجاب شعرا بنثر فغلبه .<sup>(٢)</sup>

كما نجده يرثى يزيد فى قصيدة اخرى ، معللا هزيمته ،  
بتخاذل جنده من اليمانية عنه واسلامه عدوه ، حين انقضوا من  
حوله سامة الجد ، خائنين عهدهم وبيعتم له ، فيقول :

شهدتك من يمن عصابات بيعت

وناي الذين بهم يصاب الشار

ولقد بسطت لهم يمينك بالندى

مثل الغرات تمده الاتهار

حتى اذا شرق القنا وجعلتهم

نعب الاسنة اسلموك وطاروا

(١) ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٨/٦ .

(٢) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٦٢-٦٣ .

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن

(١)

عار عليك وبعض قتل عار

الا اننا نجد العكس في موقف الشعراء من غير اليمينية ،  
فما ان بشر الخليفة يزيد بن عبد الملك بمقتل ابن المهلب ،  
حتى اخذ الشعراء يهجون آل المهلب ، ماعدا كثيرا ، الذي  
امتنع ليمنيته ، ومن ذلك قول جرير :

يارب قوم وقوم حاسدين لكم

مافيهم بدل منكم ولاخلف

آل المهلب جز الله دابرهم

امسوا رمادا فلا اصل ولاطرف

مانالت الازد من دعوى مفلهم

(٢)

الا المعاصم والاعمناق تختطف

ونلاحظ في شعره ، دليلا على ادعاء ابن المهلب انه  
القحطاني ، وطموحه الى الخلافة ، انظر في الابيات قوله :  
"مافيهم بدل منكم ولاخلف" و "دعوى مفلهم" . بل نجد في شعره  
ايضا اطلاق صفة الكفر على الحركة اذ يقول :  
لقد تركت فلا نعدمك اذ كفروا

لابن المهلب عظما غير مجبور

يابن المهلب ان الناس قد علموا

(٣)

ان الخلافة للشهم المفاوير

- 
- (١) الهادي الفزي : الشعر الاموي في خراسان ، ص ١٧٢ .  
(٢) المسعودي : مروج ، ٢١١/٣ .  
(٣) عون الشريف قاسم : شعر البصرة في العصر الاموي ،  
دراسة في السياسة والاجتماع ، طبعة دار الثقافة ،  
بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ص ١٥٩ - المسعودي :  
مروج ، ٢١١/٣ .

ولنا فى بيته الاخير حجة جديدة من لسان شاعر معاصر  
على نشود ابن المطلب الخلافة .

أما مسلمة بن عبد الملك فانه بعد ان أسر من اصحاب  
ابن المطلب ثلاثمائة ، بعث بهم الى واليه على الكوفة محمد  
ابن عمرو بن الوليد "ذى الشامة" وكتب الى الخليفة يزيد بن  
عبد الملك فيهم ، فجاء امره الى محمد بن عمرو بقتلهم ،  
فامر محمد صاحب شرطته العريان بن الهيثم بضرب اعناقهم ،  
فقتل ثلاثين رجلا من تميم طلبوا قتلهم قبل اصحابهم ، يقولون  
نحن انهزمنا بالناس . وكانهم قد ندموا ، ان ظنوا ان  
سيحابون على فعلتهم ، فلما وجدوا غير ذلك ، تقدموا للقتل  
فعرض العريان امرهم على اميره فامر بهم فقتلوا ، وكان قد  
امر ان يقتل الاسارى عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين . فما فرغ  
منهم العريان حتى جاء امر مسلمة بالنهاى عن قتلهم . وقيل<sup>(١)</sup>  
بل أسر مسلمة فى معركة العقر الفين وثمانمائة ، فبعث بهم  
الى ذى الشامة فقتلهم . واقبل مسلمة بعد انتصاره فى العقر<sup>(٢)</sup>  
على ابن المطلب حتى نزل الحيرة ، وقد اتى معه بخمسين  
اسيرا غير من بعث بهم الى الكوفة ، اراد قتلهم ،

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٨/٦ - ٥٩٩ - ابن الاثير :  
الكامل ، ١٧٤/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ -  
ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ (أورد اسم أبى ذى الشامة  
محرّفاً بسقوط الواو قال : محمد بن عمر ، ثم قال :  
وبدا بثمانين ، وأظنه خطأ فى النقل فالاجماع على  
الثلاثين ، ثم ذكر ان امر امفانهم جاء من يزيد وهذا  
خلط منه ) .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ . لكن العدد الذى اشار اليه  
يعتبر نشازاً بين اجماع المصادر ، وان كان ابن امثم  
قال : انهم نيف على اربعمائة . فهو قريب من الاجماع ،  
كما اننا قد رأينا امر مسلمة بالنهاى عن قتلهم . (انظر  
الفتوح ، ٢٥٤/٤م) .

(١)

فاستوهبهم الناس منه ، فوهبهم لهم .

ويقول ابن أمثم : اسر يوم العقر ليف على اربعمائة رجل ، فاقفوا بين يديه ، فعزل منهم ثلاثين رجلا من رؤسائهم ليحملهم الى يزيد بن عبد الملك ، وضرب اعناق الباقين . وقال الثلاثون : نحن الذين انهزمنا بالناس حتى ظفرتهم بيزيد اهذا جزاؤنا ، فلم يلتفت مسلمة الى قولهم .<sup>(٢)</sup>

ونحن نجد في هذه النصوص خلط واضطراب ، فمن يقول بقتل ثلاثين من تميم طلبوا تقديمتهم على اصحابهم لانهم انهزموا بالناس ، فيقتلهم المريان ، وهنا نجدهم وقد عزلهم مسلمة ليرسلهم الى يزيد ، فيبدون له دورهم في هزيمة ابن المطلب لعله يثيبهم ، فلا يلتفت اليهم . ومن يقول بانه وهب خمسين من الاسرى لمن استوهبهم ، والنس الاخير يقول انه قتل بقية الاسارى .

والظاهر ان من قتل اولاً كان من قبل امير الكوفة بامر الخليفة يزيد ، ثم اوقف الامر من قبل مسلمة حتى يرى رايه فيهم ، ثم اخرج ثلاثين من رؤسائهم ، ويظهر انهم غير الثلاثين الذين قتلوا وان كان قد جمع بينهم تساوى العدد وتسببهم في هزيمة ابن المطلب ، فليس الذين قتلوا اولاً كل من انهزم بالناس ، فقد يكون قتل منهم ثلاثين اولاً ، فكما ورد كان الامر ان يقتلوا عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين .

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٩٩/٦ - ابن امثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ (واورد : انه امر بمن معه من الاسارى الى الشام) - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٤/٤ (فقط ذكر نزوله الحيرة) - وكذلك ابن كثير : البداية ط ١ ، ٢٤٧/٩ .  
(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ .

فلما قتل الثلاثون الأولون ، أوقف القتل ، وهكذا بقي لهم بقية هم من عزلهم مسلمة ، ولم يلتفت اليهم عندما حدثوه . اما قتله بقية الأسرى فاطن ذلك غير صحيح ، بل عفى عنهم كما وهب بعضهم ، واكتفى بمن أرسله من زعمائهم الى الخليفة يرى فيهم رايه . ثم جاء براس يزيد ورؤوس اخوته بين يدي مسلمة فقال : اتري هؤلاء القوم خرجوا علينا كانوا يظنون ان الخلافة فيهم ، لكن ظنوا ذلك فلقد ظنوا افكا وزورا . فانشد جرير :

آل المهلب جز الله دابرهم

اصحوا رفاتا فلاصل ولاطرف

ان الخلافة لم تخلق ليملكها

(١)

عبد لازدية في خلقها عنف

ونجد القول هنا على لسان مسلمة ، في ظن المعالبة

صيرورة الخلافة اليهم ، وقول جرير حول ذلك .

ثم امر مسلمة بصلب يزيد بن المهلب ، فصلب بجسر بابل

(٢)

على دقل سفينة منكسا وعلق معه خنزير الى جنبه سمكة وزق

(٤)

خمر وقد علقا على قلنس من قلوس السفينة ، لذا يقول رجل من

اهل الشام :

(١) ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥٥/٤ .

(٢) دقل : الدقل والدوقل : خشبة طويلة تشد في وسط

السفينة يمد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الماري ،

وقيل الدقل سهم السفينة . انظر : اللسان (دقل) .

(٣) الزق : الذي يسوى سقاء او وطبا او حميحا . والزق

السقاء ، وجمع القلة أزقاق . وهو من الالهب ، كل وعاء

اتخذ لشراب ونحوه ، وقيل : هو الذي ينقل فيه الخمر .

انظر : اللسان (زق) .

(٤) قلنس : القلنس : حبل ضخيم من ليف او خوص . وقيل : حبل

غليظ من حبال السفن . انظر : اللسان (قلنس) .

لقد عجبت من الأزدى جاء به

يقوده للمنايا حين معزور

حتى راه عباد الله فى دقل

(١)

منكس الراس مقرونا بخنزير

ومع ذلك فان مسلمة كان يعرف قدر ابن المهلب ، فقد

نال منه رجل عند مسلمة بقوله : ما استرحنا من حائك كنده

حتى جاءنا هذا المزونى ! فقال مسلمة : اتقول هذا لرجل سار

اليه قريبا قريب - يعنى نفسه والعباس - ان يزيد حاول

(٢)

عظيما ومات كريما .

وبعث براس يزيد ومن قتل معه من اهل بيته مع خالد بن

الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، الى الخليفة يزيد بن عبد

الملك . فامر الخليفة ان يطاف برؤوسهم فى اجناد الشام .

ثم اتى به بعد ذلك ، فغصب على باب توما بدمشق ، ونصبت

رؤوس اخوته عن يمينه وشماله .

وفى ذلك يقول سالم بن وابصة الاسدى :

الم تر ان الله انزل نمره

علينا واعطانا به اعظم الاجر

(١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٠ ، (وعلق على الخبر بقوله : ان هذا الاسلوب من التشهير يراد به انه نجس كالخنزير ، مرتكب للمعاصى كشرب الخمر ، كما ان تعليقه على سفينة ومعه سمكة ، اشارة الى انه من ازد عمان الذين اشتهروا بركوب البحر) - ابن حبيب : المحبر رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، عناية وتمحيص ايلزه ليختن شذير ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٦١هـ - ص ٤٨٢ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، طه ، ٩٩/٢ .

(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ - ابن كثير : البداية ، طه ، ٢٤٧/٩ - ابن الصبرى : تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، ص ١١٥ .

لهذا بغى اهل العراق فشايعوا  
لواء يزيد بن المهلب ذى الغدر  
فجئنا به لايسمع الموت فى الثرى  
ولا يشتكى شكوى انين ولا فقر  
تعرف اهل الشام بالشام راسه  
به بدت الاحداث من حادث الدهر  
كما امر الخليفة بحرب رقاب الاسرى الذين بعث بهم  
مسلمة فما ابقى على احد .<sup>(١)</sup>  
ومع هذا فان الخليفة كان يعرف لابن المهلب قدره ،  
وهذا ما اوضح من قوله لاحد جلسائه عندما نال منه حين جرى  
براسه ، اذ قال : مه ان يزيد طلب جسيما ، وركب عظيما ،  
ومات كريما .<sup>(٢)</sup>  
وبعد ان اتينا على النصوص التاريخية المتعلقة بوقعة  
العقر بين جيش الخلافة بقيادة مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن  
المهلب الخارج على الخلافة ، والتي تمثل ذروة الفتنة  
ومرحلة الحسم فى حركة استهدفت تقويض اركان البيت الاموى  
الحاكم ، فانه يتبين للمحس اسباب تلك العزيمة السريعة  
والشنيعة التى منى بها ابن المهلب فى العقر ، بعدما توفر  
لحركته من عوامل النجاح ما كان من شأنه تحقيق اهدافها .  
ولعل السبب الاول فى نجاح جيش الخلافة ، ادراك الدولة  
ممثلة فى شخص الخليفة حجم الحركة وخطورة قائدها ، حيث

(١) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٥/٤ - ٢٥٦ .  
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ،  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ،  
١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ٣٣٥/٢ - الباقى : مرآة ، ٢٤١/١ -  
ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦ .

اتخذ موقفا حازما وسريعا لاجمادها ، فقد قام بعد خطواته  
 الاولى ، بارسال جيش قوى اختيرت له القيادة الفذة ، وهو <sup>(٢)</sup>  
 مسلمة بن عبد الملك ، الذى كانت قيادته المحنكة للجيش ،  
 ولجوؤه الى الحيلة من عوامل النصر الاولى فى المعركة  
 خموما أمره باحراق الجسر وما اشتر عنه من ارباك لجيش ابن  
 المهلب ، وفرار جله من ارض المعركة . كما اننا نجد الجيش  
 الاموى دخل المعركة كجيشين ، فمسلمة له ميمنة وميسرة ،  
 والعباس له ميمنة وميسرة <sup>(٤)</sup> ، والظاهر ان وراء ذلك خطة كانت  
 تهدف الى الاطباق على جيش ابن المهلب من جهتين ، وجعله بين  
 كماشتي مسلمة والعباس . كما ان الطاعة التى عرف بها الجندي  
 الشامى لقيادته مكنت مسلمة من تهيئة جيشه الكبير مفا  
 واحدا وكلمة واحدة ، بل انه سعى الى المزيد فاستمد الرجال  
 من الكوفة ، وعزل أميرها عبد الحميد عندما استقل من بعثهم  
 اليه ، بل لعله رمى الى أبعد من ذلك وهو تأمين ظهره  
 وايجاد رجل موال له ، وحسن يلجا اليه ، اذا ماسارت  
 المعركة على غير مايريد ، فعين على الكوفة محمد بن عمرو .  
 والعكس نجده عند الفريق الآخر ، فان القيادة المحنكة  
 التى توفرت فى يزيد بن المهلب ، وجيشه الكبير ، لم يكتب  
 لها النجاح ، لاختلاف الامواء ، وتفرق الكلمة ، مما اضعف  
 قوته وقلل من شأنه . فابن المهلب الذى اراد ان يسبق مسلمة  
 بالحيلة ، ويضيع عليه فرصة التمكن ، عندما اراد تبليته

(١) نافع المبود : آل المهلب ، ص ٩٣-٩٦ .

(٢) انظر قبل : ص ١٣٧-١٣٩ ، ١٤١-١٤٥ .

(٣) انظر قبل : ص ١٧٣-١٧٥ .

(٤) انظر قبل : ص ١٩٣ .



بعد نزوله العقير ، ومفاجئته بهجوم ليلي ، خالفه أصحابه من القراء وأصحاب الخرق . وبعد أن احتدم القتال سرعان ما فتر حماس أصحابه ، ووجد ابن المهلب نفسه في قلة أمام جيش الشام ، حينما انفق من حوله جنده ، وبالأخص قبيلة ربيعة التي كانت تنزل حوله . وذلك عندما أشعل الوضاح بأمر مسلمة النار في الجسر ، فلاد جل جند ابن المهلب بالفرار . ومما سبب الهزيمة قلة الخبرة في جيش ابن المهلب ، وعدم الصدق في القتال والولاء . وهذا ما اتضح في أقواله وأقوال الحسن البصري ، بينما هم أمام جيش دولة يضرب بين المشارق والمغارب ، فتحا ودفعا ، اكتسب من جراء ذلك فنون الحرب ، وحسن التدريب والخبرة .

واننا نلمس بين ثنايا الأخبار خيانة حدثت من قبيلة تميم في معركة العقير ، إذ انهزموا بالناس ، يريدون المثوبة من الدولة ، فما كان جزاؤهم إلا الأسر والقتل . ويظهر لنا عامل آخر ذلك هو مرض القائد يزيد بن المهلب نفسه ، مما أعجزه عن مباشرة القتال في أول المعركة ، وساعد على تيسير قتله للقحط بن عياش . كل هذه العوامل كانت وراء هزيمة ابن المهلب في العقير ، ولعل مما عجل بالنهاية السريعة لحركته ، رفضه الهزيمة وامتناعه عن ترك أرض المعركة ، استتقالاته ، مع علمه أن النصر قد أصبح في

- 
- (١) انظر قبل : ص ١٨٧ .  
 (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٤ .  
 (٣) انظر قبل : ص ١٩٤-١٩٥ .  
 (٤) انظر قبل : ص ١٨٦ .  
 (٥) انظر قبل : ص ٢٠٢، ٢٠١ .  
 (٦) انظر قبل : ص ١٩٣ .

يد مسلمة ، حيث فضل الموت بكرامة على عار الفرار والهزيمة وهذا ماعقد العزم عليه قبل المعركة ، وإبانه في خطبه (١) وأقواله . وقد كان من الممكن أن يطول أمد الفتنه ، في حالة التجائه الى مكان آخر والتحصن فيه ، حتى ياتيه المدد ويعد نفسه للحرب من جديد . الا أن نفسه الابية أبت الفرار والهزيمة ، لتنفيذ المشيئة الالهية بانتهاء الفتنه ، واجتماع الكلمة .

#### تتبع آل المهلب بعد العقر وتصفيتهم :

كان يزيد بن المهلب قد استخلف ابنه معاوية على واسط وترك عنده الاموال والاسرى الذين أخذهم في حربه مع عدى بن ارمطة في البصرة ، ونساء آل المهلب وذرائعهم فيما يبدو . (٢) فلما جاء الخبر الى معاوية بهزيمة ابيه ومقتله في العقر اخرج اثنين وثلاثين اسيرا كانوا في يده على رأسهم عدى بن ارمطة وابنه وابنا مسمع وغيرهم ، فقتلهم ، الا ربيع بن زياد بن الربيع ، فانه عفا عنه ، لانه من أشرف قومه . بل (٣)

(١) عن خطبه وأقواله ، انظر / الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٩٢/٦ - ٥٩٦ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٥١/٤ .

(٢) انظر قبل : ص ١٨٢ .

(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ .

(٤) أورد ابن أعثم عددهم "ثلاثة وثمانون" . انظر : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ - الا أن ابن كثير قال : نحو من ثلاثين ، وابن خلدون قال : في ثلاثين . (انظر : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - العبر ، ٧٩/٣) . وهذا يسند العدد الذي أوردناه في المتن ويقويه .

(٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٩ - ٦٠٠ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١١/٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٤/٤ - ابن كثير : نفس المصدر والجزء والمقدمة . والثلاثة الاخيرة لم يذكروا استثناء ربيع بن زياد - وكذلك ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٦ - ٢٢٥ - الياقنى : مرآة ٢٤٢/١ - الذهبى : دول الاسلام ، ٥٢/١ - ٥٣ (أخبر انه قتلهم بالبصرة ، والصحيح بالاجماع ، فى واسط) .

انه اراد قتل نساء آل المهلب خشية ان يقعن فى الاسر ،  
 فغلن عليهن الابواب . واحتمل معاوية بن يزيد الخزائن وسار  
 بمن معه الى البصرة ، وقد اجتمع اليه عمه المفضل ومن  
 انهزم معه من العقرب من اخوته وبنى اخوته ، ومن بقى معهم  
 من الجند . وكانوا يتخوفون العاقبة ، فاعدوا السفن  
 وتجهزوا ، معدين انفسهم للحرب ، فجاءهم النذير بامر  
 الخليفة فيهم ، وهو انه كتب الى مسلمة بطلب آل المهلب  
 وقتلهم اينما كانوا .<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

#### خروج المهالبة الى قنابيل :

فركبوا سفنهم ، ومعهم الاموال والنساء والذرية ،  
 محتملين الدواب والسلاح ، قاصدين قنابيل ، وكان يزيد ابن

- (١) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ (وقد اورد ان من جاء بالخبر الى معاوية هو : خالد بن يزيد بن المهلب . الا ان فى الخبر غرابة ، حيث ان خالد بن يزيد ، ذكر ان عبد الحميد بن عبد الرحمن ، أمير الكوفة ، قبض عليه ، حين هروب أبيه من السجن ، وأمر الخليفة لأميرى الكوفة والبصرة باستقباله ، والقبض على آل . فأرسله عبد الحميد الى الخليفة يزيد فى الشام ، فسجن هناك حتى هلك . (انظر ذلك فى / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٩/٤ . ولعله اراد ابنا آخر ليزيد ، نجا من معركة العقرب ، فذكر اسم خالد بدلا منه خطأ .
- (٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٠ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٤/٤ - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة (لم يذكر احتماله الاموال ، واجتماعه بالمفضل) - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والصفحة .
- (٤) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

المهلب قد بعث عليها وداع بن حميد الأزدي أميرا من قبله ،  
على أن يكون ملجأ لاهله أن هُزم ، يتحتمون عنده حتى يأخذوا  
لأنفسهم الأمان ، وأخذ عليه الأيمان بالنصح لهم .<sup>(١)</sup>

فركبوا البحر حتى مروا بهرم بن القرار العبدى ، وكان  
يزيد قد استعمله على البحرين ، فأشار عليهم بعدم النزول  
من السفن لئلا يخطفهم الناس يتقربون بهم إلى بنى مروان ،  
فمفوا حتى حاذوا جبال كرمان ، فخرجوا من سفنهم واحتملوا  
أهلهم وأموالهم وعثادهم على الدواب . وقد أراد معاوية بن  
يزيد أن يتامر عليهم ، إلا أنهم اجتمعوا على المغفل ، فهو<sup>(٢)</sup>  
أكبرهم وسيدهم . واجتمعت اليهم بكرمان فلول كثيرة .<sup>(٣)</sup>

- (١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٠٠/٦ - ابن الأثير : الكامل ،  
١٧٥/٤ - ابن أعثم : الفتح ، م ٢٥٤/٤ (لكنه لم يقل  
بالاتفاق الذى تم بين يزيد بن المهلب وداع الأزدي ،  
على الجاء أهله عنده ونصرتهم) .
- (٢) المغفل بن المهلب بن أبى صبرة ، الأزدي ، أبو غسان .  
وال من أبطال العرب ووجوههم فى عصره ، كانت إقامته فى  
البصرة ، ولاء الحجاج خراسان ، وولاه سليمان جند  
فلسطين ، شارك مع أخيه حرب بن أمية ، سار بعد  
هزيمة أخيه فى العفر بمن معه إلى واسط ثم البصرة  
ومنها إلى قنذابيل ، فادركه ابن أهوز ، فقتل على  
أبوابها سنة ١٠٢هـ . (الزركلى : الأعلام ، ٢٨٠/٧) .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر ، ٦٠٠/٦ - ابن الأثير : نفس  
المصدر والجزء والصفحة - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ،  
٣١١/٢ (قال : وركب أى معاوية إلى قنذابيل) وهذا يعنى  
أن تميمير المغفل كان بعد نزولهم كرمان ، وقد كان الأمر  
قبل ذلك لمعاوية بن يزيد - ابن أعثم : نفس المصدر ،  
م ٢٥٧-٢٥٦/٤ (لسم يذكر مرورهم على العبدى ، وقال :  
وافوا أرض فارس ، فخرجوا منها إلى كرمان ، ومن كرمان  
إلى قنذابيل) . والظاهر أن كلامه صحيح ، إذ أننا سنرى  
أن مدرك الكلبي سيلحق بهم فى عقبة وهى من أرض فارس ،  
ثم سيكون القضاء عليهم فى قنذابيل - ابن كثير :  
البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (ولم يذكر مرورهم بالعبدى) -  
ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ .

معركة عقبة :

وكان مسلمة قد بلغه خبر القوم ، فوجه في طلبهم ، وفي آخر الغل ، مدرك بن ضب الكلبي ، فادركهم بفارس ، فتبعهم حتى لقيهم في عقبة ، فقاتلوه واشتدوا عليه ، وقد قتل ممن مع المغفل النعمان بن ابراهيم بن الاشتر ، ومحمد بن اسحق ابن محمد بن الاشعث ، وغيرهم ، واسر وفر آخرون ، ورجع اناس من اصحاب ابن المهلب وطلبوا الامان ، فؤمنوا ، منهم مالك ابن ابراهيم بن الاشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي ، وهو ممن شهد مع ابن الاشعث مواعنه وايامه ، وسار آل المهلب ومن معهم من الغل حتى وصلوا قنذابيل .<sup>(٢)</sup>

مقتلة المهالبة في قنذابيل :

(٣)

بعث مسلمة الى مدرك بن ضب فرده ، وسرح هلال بن احوز

- (١) عقبة : موضع بفارس . (ياقوت : معجم ، ١٣٤/٤) .  
 (٢) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ٣٠٤ (نقلا عن الطبري : تاريخ الامم ، ١٥٨/٨ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦) . لكنه قال بقتل المغفل وبعض خواصه في وقعة عقبة . وحيث ان الصحيح انه قتل في قنذابيل . رجعنا الى مصدرى الاعظمي فوجدناه اعتمد على ابن خلكان ، الذي ذكر ذلك ، وقد يكون خطأ منه في فهم النص ، اذ يرجعنا الى مصدره الثاني . الطبري : نفس المصدر ، الطبعة الثالثة ، ٨٧هـ/٦٧ م ، ٦٠٠/٦-٦٠٢ . وجدناه قد ذكر القتال في عقبة ثم لحاق المهالبة بقنذابيل ، وقتل المغفل في قنذابيل . وليس في عقبة كما قال الاعظمي - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (الحبس عليه امر القيادتين فقال : وجه مسلمة هلال بن احوز فامروا عليهم مدرك بن ضب . كما انه اشار الى قتالهم آل المهلب في جبال كرمان ، ولم يشر الى معركتي عقبة وقنذابيل) .  
 (٣) هلال بن احوز بن اربد المازني المالكي التميمي ، قائد من الشجعان القساء ، عرفه ابن حزم : بقاتل آل المهلب في قنذابيل ، توفي سنة ١٠٢هـ . الزركلي : الاعلام ، ٩٠/٨ .

(١)  
التميمي للحاق بهم ، فلحقهم بقندابيل . وكان آل المهلب قد  
ارادوا الدخول الى قندابيل ، الا ان اميرها وداع بن حميد  
اغلق ابوابها في وجوههم ، ومنعهم من دخولها . فكاتبه هلال  
ابن احوز ، الا انه لم يظهر مباينته لآل المهلب ، الا حين  
امطفوا للقتال ، فقد كان وداع على ميمنة آل المهلب وعبد  
الملك بن هلال على ميمنتهم وكلاهما ازدي ، فلما وقفوا  
للقتال رفع ابن احوز راية الامان ، فمال اليه وداع وعبد  
الملك وانفض الناس من حول آل المهلب . فلما راوا ذلك اراد  
مروان بن المهلب قتل نساءهم لئلا يعملوا اليهن ، فمعه  
المفضل ، وقاتلوا القوم ، قتال من يخنس ، فقتلوا من اهل  
الشام مقتلة عظيمة ، حتى قتلوا عن آخرهم الا ابا عيينة بن  
المهلب وعثمان بن المفضل ، فالتصا نجوا ولحقا بخاقان  
ورتبيل ، بعد ان لاذا بالحرب . وكان ممن قتل بقندابيل مدرك

(١) اورد البلاذري والمسعودي ان من سرح هلال بن احوز هو  
الخليفة يزيد ، ولعل في ذلك تفسيراً لبعض قيادتين  
لقتال المهالبة من قبل مسلمة كما اشارت الى ذلك بعض  
المصادر . اذ يبدو ان مسلمة بعث في آخر آل المهلب  
مدرك بن حب الكلبي ، وكان الخليفة قد وجه من قبل هلال  
ابن احوز . فلما فشل مدرك الكلبي من القضاء عليهم في  
وقعة عقبه امر مسلمة برده ، ووجه اليهم القائد الذي  
بعثه الخليفة وهو هلال بن احوز . انظر : فتوح البلدان ،  
ص ٤٢٩ - مروج ، ٢١١/٢ - ٢١٢ .

(٢) يظهر من النص ان وداع اعتل بعذرهما لآل المهلب في عدم  
ادخالهم قندابيل ، وتظاهر بنصرهم ، حتى صفوا للقتال  
هلال ، فمال اليه .

(٣) الهاف ابن الاثير وابن خلدون الى الناجين "ممر بن يزيد  
ابن المهلب" . انظر : الكامل ، ١٧٥/٤ - المعبر ، ٧٩/٣

(٤) الطبري : تاريخ الامم ، ٦٠٢/٦ - اليعقوبي : تاريخ ،  
٣١١/٢ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والمفحة -  
ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥٦/٤م - ٢٥٧ (اورد عدد الجند  
الشامي المطارد "عشرة آلاف" . الا انه لم يميز بين  
الجيشين الذين بعث لآل المهلب ، كما لم يشر الى وقعة  
عقبه واورد قتلها ممن من قتل في قندابيل مما يدل على =

(١) ابن المهلب والمفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بنى المهلب ، كما قتل معاوية بن يزيد وآخرين .  
وبعد نصر هلال بن أحوز على بنى المهلب فى قنءابيل وقبائله عليهم ، بعث بالاثقال والاموال والنساء والذرية ، ورؤوس من قُتل منهم ، الى مسلمة بن عبد الملك ، بالحيرة .  
وكان هلال بن أحوز قد قتل اناسا من آل المهلب ، فقد ذكر ان الخليفة امره ان يقتل من بلغ الحلم منهم ، فغرب عنق غلامين ادركا . الا انه عامل النساء معاملة حسنة ، فلم يفتشهن ولم يعرض لهن ، وكان عدد من أسر منهن فى قنءابيل خمسين امرأة ، وتسعة من الغتية الاحداث .

- جهله بها) - ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ .  
(لكنه قال : بان آل المهلب بعد اقتراق الناس عنهم ، استامنوا ، فؤمنوا ، ثم قتلوا جميعا ، وهذا خبر شاذ لم أجده عند غيره من المؤرخين الذين اطلعت على مؤلفاتهم ، مما يدعونا الى ابطال الخبر) .  
(١) هذا خطأ ، فمدرك بن المهلب قتل فى معركة العفر . انظر ذلك قبل : ص ١٩٦-١٩٧ .  
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٢٩ - الزركلى : الاعلام ، ٩٠/٨ .  
(٣) عند ابن خياط والمؤرخ المجهول ، ثم بعثها الى الخليفة يزيد . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - العيون ، ٧٤/٣ . والظاهر الى مسلمة ومنه الى يزيد . وقد يكونا قد عنيا بالنهاية ايجازا .  
(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٧/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ ، ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ .  
(٥) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة ، ص ٣٢٦ - المسعودى مروج ، ٢١٢-٢١١/٣ - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ .  
(٦) مواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٢٠٥-٢٠٦ - ابن خياط : نفس المصدر والصفحة - الذهبى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

### موقف مسلمة والخليفة من أسرى قنءابيل :

أما الرؤوس فقد بعثها مسلمة الى يزيد بن عبد الملك ،  
(١)  
والاخير بعثها الى العباس في حلب ، حيث نصب رؤوسهم هناك ،  
وحلف مسلمة ان يبيع نساءهم وذراريهم ، فقام الجراح الحكمي  
واشتراهم بمائة الف درهم ، ليبر يمين مسلمة ، وليطلقهم  
فباعه ، ثم استحق مسلمة ان يبيع قوما احرارا ، فطلب من  
الجراح ان يقيله من بيعته ، فأقاله ، فحلى سبيلهم مسلمة ،  
والحقهم بقومهم بالبصرة ، وقيل لم يطلب الاقالة من الجراح ،  
(٢)  
لكنه لم ياخذ منه شيئا ، وحلى سبيلهم الا تسعة فتية منهم  
أحداث ، بعث بهم الى الخليفة .  
(٣)

أما الخليفة يزيد بن عبد الملك فقد ظهر ان اصرار ابن  
المهلب على استمرار الفتنة ، وعدم قبوله الامان ودعوة  
السلام ، قد دعاه الى القسوة على آل المهلب خاصة بعد  
انحصار جيشه في العقفر ، فقد امر بقتل أسرى العقفر ، وأمر

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٢/٦ - ابن الاثير : الكامل ،  
١٧٥/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦ (خالف غيره بقوله  
انه بعثها الى يزيد وكان على حلب . والصحيح ما قدمناه  
يمسده الاخبار التي سترد عن موقف يزيد من الأسرى ،  
وقتلهم في دمشق . ان يتضح ان العباس ترك العراق بعد  
انصارهم على ابن المهلب في العقفر ، واستقر في حلب ،  
بينما بقي مسلمة في الحيرة اميرا على العراق من قبل  
الخليفة ، وتولى امر تتبع آل المهلب ، والقضاء  
عليهم) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٧/٩ (قال :  
نصبت الرؤوس في دمشق ، ثم أرسلها الخليفة يزيد الى  
حلب فنصبت هناك) وهذا يعزز ما ذهبنا اليه قبل .

(٢)

ابن اعثم : الفتح ، م ٢٥٧/٤ .

(٣)

الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٢-٦٠٣ - ابن الاثير  
نفس المصدر والجزء والصفحة (الا انه قال : ان عدد  
الفتية ثلاثة عشر) - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة  
والجزء والصفحة (أورد ان مسلمة بعث الفتية مع الرؤوس  
وكوننا عرفنا من طريقه انها نصبت في دمشق ثم حلب ،  
فهذا يدل على ان يزيد كان في دمشق لا حلب) - ابن خلدون  
العبر ، ٧٩/٣ .



مسلمة بتتبع من انهزم من آل المهلب ومن معهم ، وتمفيتهم .  
 لذا فان أسرى قنذابيل لما قدموا عليه من عند مسلمة ، أمر  
 بقتلهم ، ولم تفلح قصيدة كثير عزة المتوسلة في العفو عنهم  
 فقتلوا وكانوا ثلاثة عشر من ولد يزيد والمفضل وقبيصة بنى  
 المهلب .<sup>(١)</sup> وقيل بل كانوا نحواً من ثمانين ، دفعهم يزيد الى  
 من كان له قبل آل المهلب دم ، فقتلوا جميعاً . وذكر<sup>(٢)</sup>  
 اليعقوبى منفرداً ان النساء حملن الى الخليفة فحبسهن في  
 دمشق . والارجح ما قدمناه . من تخلية سبيلهن من قبل مسلمة  
 وعودتهن الى البصرة بين قومه . اما ابو عيينة بن المهلب  
 وعثمان بن المفضل وعمر بن يزيد بن المهلب ، الذين نجوا من  
 معركة قنذابيل ، فان هند بنت المهلب ، قد استأمنت لابی  
 عيينة من الخليفة ، فامنه وظل عثمان وعمر حتى ولى أسد  
 ابن عبد الله القسرى خراسان ، فكتب اليه بامانها ،<sup>(٣)</sup>  
 فامنها ، وقدمها خراسان .<sup>(٤)</sup>

وقد ذكر اليعقوبى ان ابن هبيرة في طريقه الى العراق  
 عندما وليها من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لقي

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ١٧٥/٤ - ١٧٦ (وقد اورد اسماء أحد عشر شخصاً ، بينما ذكر انه قتل ثلاثة عشر) - اليعقوبى تاريخ اليعقوبى ، ٣١١/٢ (ذكر ان عثمان بن المفضل ممن قتلهم يزيد من أسرى قنذابيل في دمشق . وهذا خطأ ، اذ انه كان قد نجا من معركة قنذابيل ، والتجأ برتبيل حتى استأمن ، فؤمن) انظر قبل : ص ٢١٢ - ابن خلدون : العبر ، ٧٩/٣ (ولم يذكر موقف كثير) .  
 (٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ .  
 (٣) نفس المصدر والمجلد ، ص ٣١٢ .  
 (٤) كانت ولايته عليها (سنة ١٠٦هـ) . انظر : الطبرى : تاريخ الأمم ، ٣٧/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ص ١٩٥ .  
 (٥) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .

جماعة من آل المهلب في الحديد ، قد وجه بهم مسلمة ، فردهم وكتب الى يزيد في العفو عنهم ، فأنبه يزيد ، فعاد الكتابة اليه بان ذلك ممانعة لقومهم وتالف لعشائهم ، فوافق الخليفة <sup>(١)</sup> . الا ان هذا الخبر فيه غرابة ، ان ان اماره ابن هبيرة على العراق جاءت بعد وقت طويل من مواقع مسلمة مع المعالبة ، فلا يصح ان يكونوا من اسرى العقر وقنابيل ، فخير هؤلاء تقدم . فان مع الخبر ، فانه يعنى ان مسلمة قام بعملية تمغية لالراد الاسرة المملبية وان لم يكونوا ممن شاركوا يزيد في حركته . الا ان هذا الخبر مشكوك فيه ، فابن هبيرة كان قد لقى في طريقه مسلمة نفسه وهو متوجه الى الخليفة في الشام <sup>(٢)</sup> .

#### مصادرة اموال المعالبة :

ويبدو ان يزيد بن عبد الملك قد أدرك اثر الخراء المالى في المكانة التى وصلها اعداؤه المعالبة ، وانه من العوامل التى مكنتهم من جمع الناس حولهم ، ووقوفهم فى وجه الدولة . فسعى بعد احراق منازلهم فى البصرة عقب خروجهم الى قنابيل <sup>(٣)</sup> . فى محاولة منه لاجتذاب جذورهم منها وهى موطنهم الرئيسى بين قومهم ازد عمان ، ومبالغة منه فى التكنيل بهم ، سعى الى سلبهم عنصر القوة لديهم وهو المال فعمد الى مصادرة اموالهم واملاكهم ، اذ اصاب لهم اربعة آلاف

(١) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ (وفى ذلك اشارة الى رغبة الخليفة فى تالف العشائر اليمانية) .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٥/٦-٦١٦ .

(٣) مجهول : العيون ، ٧٤/٣ .

(١)  
جاموسة نقلها مع جماعة من الزط الى المصيمة ، وصادر  
اقطاعات يزيد ابن المهلب التي منحه اياها الخليفة سليمان  
ابن عبد الملك في البطيحة ، واقطاعات خيرة بنت ضمرة  
القشيرية (زوج المهلب) التي اقطعها اياها الحجاج . فقد  
كان لابن المهلب اقطاعات في بطائح العراق . اذ اقطعه  
سليمان ما اعتمل من البطيحة ، فاعتمل الشرقى ، والجبان ،  
والخست ، والريحيه ، ومغيرتان ، وغيرها ، فصارت حوزا .  
وفيما يبدو أن هذه المصادرة تمت على يد ابن هبيرة أمير  
العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، الذي كتب اليه : أن  
يستولى على أموال يزيد بن المهلب ، واخوته وولده . وهذا  
العمل ليس بدعا من الخليفة يزيد ، بل سبقه اليه غيره من  
الخلفاء والأمراء ، فقد عرف نظام المصادرة في تاريخ صدر

- 
- (١) المصيمة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام ،  
بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . والمصيمة أيضا  
قرية من قرى دمشق قرب بيت لها . (ياقوت : معجم ،  
١٤٤/٥-١٤٥) .
- (٢) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٢ - البلاذري : فتوح  
البلدان ، ص ٣٦٢ (قال : اقطعها الحجاج عباسان) .
- (٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديما  
قرى متملة ، وأرضها عامرة ، فغاض دجلة والغرات ،  
فتبسط الماء فيها ، وطرد أهلها ، فلما نقص أصبتح  
صالحة للعمارة . (ياقوت : معجم ، ٤٥٠/١) .
- (٤) الحوز : من الأرض أن يتخذها الرجل ويبين حدودها  
قيسحقها ، ولا يكون لأحد فيها حق معه . والحوز : الجمع  
وكل من ضم شيئا الى نفسه من مال وغيره . انظر /  
اللسان (حوز) . والحوز : قرية من شرقى مدينة واسط  
قبالتها متملة بالخرامين . (ياقوت : معجم ، ٣١٨/٢) .
- (٥) فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٩ - عواد  
الاعظمى : مسلمة ، ص ٤٣ - البلاذري : فتوح البلدان ،  
ص ٣٦٢ .
- (٦) فرج الهونى : نفس المرجع والصفحة .

(١)

الاسلام قبله .

اسباب فشل الحركة :

شاء الله لحركة ابن المهلب التي عاشت مايقارب الخمسة اشهر ، ان تنتهى بالفشل ، والاسباب التي ساعدت على النصر الاموى فى العقى على ابن المهلب ، يبرز فى مقدمتها كون هذه الحركة لم تقوم على مبادئ سامية ، ولافكرة او مذهب ، بل جمع انتصارها ، دوافع شخصية وقبلية ، وشارت قديمة . وعداء اقليمى تخالطه نزعة استقلالية ، وكره للبيت الاموى الحاكم كما اتحدت هذه الحركة مقومات التنظيم ، حيث لم يتوفر لصاحبها الوقت الكافى للاعداد الجيد ، وقد كان نفسه يقول : "لا اخرج حتى احج واحفظ القرآن ، وتموت امي" . يغاف الى ذلك ثبات القبائل اليمانية الشامية على ولائها لبنى امية ،

(١) لقد شرعت فى اعداد بحث عن المقاسمة والتفريم والمصادرة منذ قيام الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر الاموى . وانظر بعض ذلك عند / الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٤/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠٠٩٩/٤ - يحيى بن الحسين : غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ٩٧/١ - نافع العبود : آل المهلب ، ص ٦٦-٦٩ - محمد امين صالح : العرب والاسلام ، ص ٢٦٦ وغيرها .

(٢) انظر قبل : ص ٢٠٥-٢٠٨ .

(٣) عن اسباب فشل ثورة ابن المهلب . انظر : نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٤ .

(٤) اذ شارك فيها بعض سلاسل مالك الاشتر وابن الاشعث وغيرهم انظر قبل : ص ٨٥ - وفتح عثمان : الحدود ، ص ١٠٩-١١٠ .

(٥) حابت الراوى : العراق ، ص ٢١٨ .

(٦) ابراهيم بيثون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٣٢-٣٣٣ . الا اننا لانوافقها بانها حركة اضطرابية ، خصوصا بعد علمنا ان الخليفة اعطاء الامان بعد هربه الى البصرة ،

(٧) وفى المقرر من مسلمة مرة اخرى . انظر قبل : ص ١٨٩، ١٤٤ . نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٩٣ .

وعدم انحيازها الى ابن المهلب بدافع العصبية وأمرة  
(١)  
النسب .

كما ان غياب جزء كبير من قبيلته الازد في خراسان ،  
وهؤلاء لم يتمكنوا من الانضمام للحركة ، ونمرة صاحبها ،  
اشارارا للعاقبة ، وخشية من فشل الحركة ، ولوقوف تميم في  
وجههم ، وهى التى اخذت موقفا مشابها في البصرة ، ذلك  
عندما اجتمعت مع قيس على قتال ابن المهلب . اذ كانوا يرون  
ان نجاح الحركة يعنى التحقال الخلافة وهى عنوان سلطان مضر ،  
الى اليمانية وحلفائها من ربيعة . وكان خروجه من البصرة  
وواسط الى الكوفة خطأ عسكريا ، اذ كان اهل الشام قد سبقوه  
اليها ، مما اضطره الى ان يعسكر في العقر بدون تحصينات .  
(٢)

كما ان حسد الحاسدين من قومه وحرصهم على المراكز  
التى تبوؤها ، قد اضعف موقفه ، وهذا ما تمثل في موقف امير  
خراسان عبد الرحمن بن نعيم ، الذى اغرى تميم بالوقوف في  
وجه مدرك بن المهلب عندما بعثه يزيد الى خراسان .  
(٣)

ان هذه الاسباب مجتمعة ، كانت وراء فشل الحركة  
المهلبية ، وعجلت بنهايتها .

- 
- (١) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٥ .  
(٢) نافع العبود : نفس المرجع ، ص ٩٤-٩٦ (الا اننا  
لانوافقه على ان معسكره في العقر كان اضطراريا ، فقد  
خرج من واسط ، بعد ان اختار العقر ميدانا للمعركة ،  
وقد كان تقدمه الى العقر ، ليقترب من الكوفة ، آتلا  
في انضمام اهله اليه . وان كان قد حاول ضمها اليه  
بعد نزوله العقر ، من طريق حملات بعثها من هناك ، لكن  
محاولاته باءت بالفشل) . انظر ذلك قبل : ص ١٨١-١٧٨ .  
(٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٨ .

### تفاعل فئات المجتمع مع الحركة ومواقفها منها :

استجاب معظم العراقيين والمناطق المجاورة ، لحركة يزيد بن المهلب ، بدافع من الخنافس الاقليمية الذي يهيجه نزعة استقلالية وكره للبيت الاموي الحاكم وحسد لاهل الشام<sup>(١)</sup> على ماجلوه من مكتسبات الحكم تمكنا وثروة، بحكم ولائهم للحكم الاموي وقيامه بينهم . حتى ان البصرة التي غلبت عليها الصفة التجارية ، وقاومت كل حركة رمت الى عرقلة نشاطها الاقتصادي ، هدت مسرحا لحركة ابن المهلب ، واعتمد ابن المهلب في حركته على اهلهما ، اما الاقاليم المجاورة للعراق ، فانضمت اليها بحكم ارتباطها بالعراق اداريا او قبليا او بدافع الجوار والمصلحة . كما كادت الحركة ان تكسب اقاليم كبيرة كخراسان ، التي ابدى اهلهما من الازد وحلفاؤها ، تعاطفهم مع ابن المهلب ، لولا وقوف مضر في وجهها .

(١) ظل شعور العداء لبني أمية عند العراقيين يتنامى منذ زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، حتى شمل ولائهم واهل الشام ، وهو شعور لم يقتصر على فئة بعينها من اهل العراق بل الكل منهم حتى العلماء والزهاد . فقد قيل للحسن البصري وهو يخذل الناس عن ابن المهلب : (كأنك والله يا أبا سعيد راض عن اهل الشام ؟ قال : أنا راض عنهم قبحهم الله ...) . لذا عبروا عنه بمحاولة التخلص من الحكم الاموي في كل مناسبة . انظر هذا الراي عند / ثابت الراوي : العراق ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) ثابت الراوي : العراق ، ص ١٣٧ . لكنه اشار الى ان ثورة ابن المهلب ، كانت الثورة الوحيدة التي اشترك فيها اهل البصرة . وهذا قول غير دقيق ، فقد شاركت بايجابية في ثورة ابن الاشعث ، وبايعه جميع اهلهما من قرانها وكهولها . انظر ذلك في / الطبري : تاريخ الامم ، ٣٤١/٦ وما بعدها .

ومن العلامات المميزة لهذه الحركة تاييد بعض الفرق لها ، والانضمام اليها . وعلى راسها فرقة الخوارج ، وقد تمثل ذلك في انضمام السميذع الخارجي واصحابه الى ابن المطلب ، بل اننا نجد عوض خليفات يقدم اخبارا تفيد (١) بمشاركة بعض افراد فرقة الاباضية الخارجية ، في حركة ابن المطلب ، فيقول : ان جابر بن زيد الأزدي امام الاباضية ، بحكم انتمائه الى قبيلة الأزدي ، استطاع ادخال عدد كبير من قبيلته الأزدي في فرقته ، وكان على راس هؤلاء بعض افراد الاسرة المطلبية ، اللذين اصبح بعضهم من دعاة الفرقة وحماتها البارزين ، كعاتكة بنت المطلب ، وعبد الملك بن (٢) المطلب الذي كان على اتصال دائم مع جابر من خراسان فقد اشارت المصادر الى مراسلات متبادلة بين الرجلين حول امر الدعوة . وقد ساعده على انخراط الأزدي في الحركة الاباضية ، كراهية الأزدي للحجاج بسبب سوء المعاملة التي وجدوها من

- (١) انظر ذلك قبل : ص ١٤٩، ١٥٢-١٥٣ .  
 (٢) الاباضية : أحد فرق الخوارج ، وهم اصحاب عبد الله بن ابي ، الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، ولهم آراء ومعتقدات منها ، أن في مخالفتهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكرتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وحرام قتلهم وسلبهم غيلة ، الا بعد نصب القتال واقامة الحجة ، واجمعوا ان مرتكب الكبيرة كفر كفر النعمة لا كفر الملة ، وغيرها . وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم . (الشعرستاني : الملل والنحل ، ص ١٣٤-١٣٥) .  
 (٣) نشأة الحركة الاباضية ، طبعة عمان ، ١٩٧٨م ، ص ٩٧-٩٨ (وقد اشار في هامش ٣٤ ، ص ١١١ ، الى عدم تطرق المصادر لغير الاباضية للعلاقة بين المصالحية والأزدي وبين الحركة الاباضية ، معللا ذلك بجعل هذه المصادر بطبيعة العلاقة بين الطرفين ، وبالحركة الاباضية في تلك الفترة السرية من مراحل تطورها) .  
 (٤) عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ١٠١-١٠٤ .  
 (٥) عوض خليفات : نفس المرجع ، ص ٩٨ .

عامله جماعة المزنى فى اعقاب قبائله على حركة ازد عمان بقيادة ابنى الجلندى ، وموقفه من يزيد بن المهلب واخوته ، ومالهم على يديه من سجن وتعذيب وهوان . ومع ان الاباضية عاشت فى سلام ابان عهد سليمان فى ظل حماية آل المهلب الذين كانوا على علاقة وثيقة بالخليفة<sup>(١)</sup> ، الا ان التطورات السياسية بعده ، وما اسفرت عنه من قيام ابن المهلب بحركته ، ولارتباط بين الاسرة المهلبيه وفرقة الاباضية لانتفاء بعض افرادها اليها ، وكون جزء من اتباع الاباضية من الازد ، قبيلة يزيد بن المهلب ، فان من المؤكد اشتراك افرادها فى الحركة ، بل ان عددا ممن لقي مصرعه على يدى الامويين من اتباع ابن المهلب ، كانوا من الاباضية ومن بينهم عبد الملك ابن المهلب . كما ادت المعاملة السيئة لبنى المهلب قادة الازد وزعمائهم وتمفيتهم الى سخط الازد على الحكم الاموى ، ونقمة الاباضية عليه ، مما جعل بعض مشايخهم يدعون الى الانتقام وعلان الحركة ، ومن بين هؤلاء : الشيخ الاباضى ابو نوح صالح الدهان ، لكن الامام ابا عبيدة كان يرى ان الوقت لم يحن لعلان الحركة المسلحة ، واستطاع مقاومة آراء اتباعه المنادين بالعصيان . وبقي الاباضية طيلة حكم الخليفة يزيد ابن عبد الملك محافظين على سرية حركتهم<sup>(٢)</sup> . وهذا يعنى ان اشتراك الاباضية فى الحركة كان سريا ، لان الحركة فى ذلك الوقت كانت تعيش مرحلتها السرية . كما ان التزامهم اليها

(١) موسى خليفات : نشأة الحركة الاباضية ، ص ١٠١ .  
 (٢) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ١٠٤ .  
 (٣) قتل عبد الملك بن عبد الملك بن المهلب على ابواب قنابيل عندما ادركهم هلال بن احوز . (انظر قبل : ص ٢٣٣) .  
 (٤) موسى خليفات : نفس المرجع ، ص ١١١ .



لكون بعض أفرادها من المهالبة ، واستجابة لنزعة الكراهة والنسب .

والجدير بالذكر أيضا انضمام فرقة المرجئة الى حركة (١)  
ابن المهلب ، بعد ما كان الامويون يتخذونهم سلاحا ضد أعدائهم (٢)  
فقد ناهضوا بهم الخوارج ، حيث كانوا يرجئون الامويين الى  
يوم القيامة ، ويرون شرعية حكومتهم ، اذ انهم يرون ان  
الايمان هو المعرفة بالله ورسله وأداء الفرائض والكف عن  
الكبائر ، فمن آمن بالله ورسله وترك الفرائض ، وارتكب  
شيئا من الكبائر ، كان مؤمنا عند المرجئة ، كافرا في نظر (٣)  
الخوارج .

لقد ترك المرجئة تأييدهم لبنى أمية ، وخرجوا مع ابن (٤)  
المهلب لقتال الامويين واهل الشام ، حيث يبدو ان جناحا  
منهم غير موقفه ، اذ لم يعد يحتمل كل ماجرى على يد  
الامويين ، ولعل عدم رغبتهم عن يزيد بن عبد الملك دفعهم الى  
مناصرة الداعي الى الكتاب والسنة ، بل لعل موقفهم حتى تلك  
الفترة ، الذي كان موضع اتهام بالنسبة للمواقف الايجابية  
للفرق الاسلامية الاخرى ، قد جعلهم يجدون في الحركة فرصة  
سائحة للدفاع عن مبادئهم ، فعمدوا الى القوة لتقويض ملك  
بنى أمية . (٥)

- 
- (١) انظر ذلك قبل : ص ١٤٩ .  
(٢) على حسنى الخربوطلى : الدولة العربية الاسلامية ، دار  
احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ،  
ص ٢٨٨ .  
(٣) على الخربوطلى : نفس المرجع ، ص ٢٦٥ .  
(٤) سبق ان خرجت العرجة على بنى أمية قبل ابن المهلب ،  
بمخرجها مع ابن الاشعث . (انظر / على الخربوطلى : نفس  
المرجع ، ص ٢٨٨) .  
(٥) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٨٨ .

(١) كما دعم الفرس حركة يزيد بن المهلب ، وان كنا نرى ذلك أمرا طبيعيا ، خصوصا أنه استطاع ضم فارس وكرمان وغيرها مما حولها الى حوزته ، مع وجود كثير من الموالي بين العرب في العراق ، اعتادوا الخروج الى الحرب معهم .

الا أننا لانجد ذكرا في المصادر لاشتراك اهل الذمة في هذه الحركة ، او الحركات التي قامت في العراق بشكل عام . (٢)

بل أننا نجد المردة قد ساهموا في اخضاع هذه الفترة زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك . كما كانت فرقة الوضاحية جزءا من الجيش الشامي الذي حقق النصر الاموي على ابن المهلب في المعر . (٣)

#### نتائج وآثار حركة ابن المهلب :

توفر لحركة ابن المهلب من أسباب القوة ما اكسبها هالة وخطرا ، الا انها قامت على اساس لم تكن معها مؤهلة للنجاح ، ومع ذلك فقد كان لها خطير النتائج ، فلئن كان المعالمة قبل الحركة على خصام مع الحجاج ومن ناصره ، فهم بعدها ومن

(١) توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ اهل الذمة في العراق ، ص ٣١٠ (نقلا عن المسعودي : مروج ، ١٣٤/٣ . الا أننا بالعودة اليه ، طبعة دار الفكر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٢١٠/٣-٢١٢ لم نجده قد نص على ما نقله اليوزبكي . لذا عللنا قوله في المتن ، ونبهنا على ما نقل).

(٢) انظر قبل : ص ١٥٩ .

(٣) ثابت الراوي : العراق ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٤) فيليب حتي : تاريخ سورية ، ٥٤/١ . ان اشار الى انضمام جزء منهم الى الجيش السوري ، بعد ان تمكن مسلمة بن عبد الملك في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك من القضاء على خطر المردة نهائيا ، بتدمير معامتهم الجرجومة ، فهلك بعضهم ، وهاجر البعض الى الناطوليا ، بينما انضم من بقي الى جيش الاسلام .

(٥) انظر دور الوضاحية قبل : ص ١٩٤ .

تبعهم من ازد عمان على حرب مع بنى امية عامة ، وكان لابد لليمانية ان تنكف الى جانبهم . وهكذا فان بنى امية خلفوا هدمهم منذ حركة ابن المهلب عدوا يتربص بهم . <sup>(١)</sup> الا انه ليس من الدقة اطلاق هذا القول بلا حدود ، وتعميمه على القبائل اليمانية . كما انه ليس من الصحة بمكان القول ان حرب الامويين للمهالبة بمشابة حرب على قبائل اليمن .

وقد حاول فتحى عثمان تمحيص هذا القول ، وتحديدده ، <sup>(٢)</sup> بقوله : الا اننا نستطيع ان نقصر ذلك على العراق ، اذ انقلبت الحكومة الاموية فيه الى حزب يحكم باسم قيس ، اما فى الشام فان يزيد بن عبد الملك لم يحاب قيسا على قفاعة ، التى كانت نواة الجيش الذى انتصر فى العفر ، فقد كان الذى قتل ابن المهلب رجلا من كلب ، كما كان الكلبيون هم الذين تعقبوا المهالبة الهاربين واستاصلوا شافتهم . وفى قوله شئ من الصحة ، والاصح ان الحكومة لم تنقلب الى حزب يحكم باسم قيس فى العراق ، ولكنها اعتمدت على القيسية بشكل اكبر .

وهكذا فقدت القبائل اليمانية سيطرتها على العراق ، باستئصال وتنحية من يمت الى المهالبة بملة القربى او الولاء من ادارة الدولة ، بل تعداهم الى بنى تميم ، الذين كانوا يتوقعون الاعتراف لهم بالجميل اثر انهزامهم وتيسير <sup>(٣)</sup> النصر لاهل الشام . لكن خيانتهم لابن المهلب لم تشفع لهم

(١) يوسف العث : الدولة الاموية ، ص ٢٨١ .

(٢) الحدود ، ص ١١٠-١٠٩ .

(٣) ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٩ .

عند بنى أمية ، بعد انضمام الكثير منهم الى الحركة اول الامر .

ولقد اورثت مقتلة بنى المهلب على يد بنى أمية وماترتب عليه بالنسبة لليمنية ، عصبية ابن المهلب وقومه من الاثار ، وخصوصا ابعادهم عن ادارة المشرق في زمن يزيد ، ومالقيوه من عمال يزيد ، اورثت حقدا وغفيلة في نفوس بعض اليمنيين لم تمحه الايام ، حتى وجدوا الفرصة المناسبة لتفجيره ، والانتقام من اعدائهم بنى أمية ، بمساندة خصومهم من آل البيت وتقويض سلطان البيت المرواني . فقد كان التمرد الذي قام به الكرمانى على نصر بن سيار امير خراسان لغاية في نفسه عبر عنها بقوله : "كانت غايى في طاعة بنى مروان ان يقلد ولدى السيوف فاطلب بخار بنى المهلب" (٢) .

وكان آل البيت حريين بان يستفيدوا من هذا العدو ، فاستغل ابو مسلم الخراسانى ذلك النزاع ومال الى ابن الكرمانى حين ارسل اليه يستنصره على نصر بن سيار . لذا نجد يوسف العشى يقول : "فعلينا ان نؤرخ بداية الدعوة

(١) الكرمانى : هو جديع بن على الازدى المعنى ، شيخ خراسان وفارسها في عصره ، واحد الدهاة الرؤساء . ولد بكرمان ، واليهما نسبته ، اقام في خراسان الى ان وليها نصر بن سيار ، فخاف الكرمانى ، فسجنه ، فغضب له الازد ، وفر الكرمانى فاجتمعوا عليه ، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو ، فمفت له ، وظهر ابو مسلم الخراسانى ، فاتفق معه على قتال نصر ، فكتب نصر الى جديع يدعوه للملح ، فرلى به ، وخرج في مئة فارس ليكتبا بينهما كتابا ، فوجه اليه نصر ثلاث مئة فارس قتلوه في الرحبة . (الزركلى : الاعلام ، ١١٤/٢) .

(٢) ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ، ص ٢٧-٢٨ .

(٣) عن الخلاف بين الكرمانى ونصر (اليمانية والنزارية) في خراسان ، (انظر / الطبرى : تاريخ الامم ، ٢٨٥/٧ ومابعدها) .

(٤) ثريا حافظ عرفة : نفس المرجع والمفحة .

(٥) الدولة الاموية ، ص ٢٨٩ .

العباسية من هذه الحركة - يعنى حركة ابن المهلب - التى امدت اهل البيت بعصبية يمانية كبيرة ضد البيت الاموى . وان كنا لانوافق فى هذه المبالغة ، فالدعوة العباسية قامت على تنظيم تميز بالدقة والسرية وامتد طويل لغرس الفكرة وتهيئة البيئة لاقامة الدولة ، صحيح انه بالامكان ان نؤرخ للدعوة بالثورة لان ابتداء الدعوة كان فى نفس الفترة تقريبا نهاية الاول ومطلع الثانى<sup>(١)</sup> . لكن الدعوة لم تقم على جهد اليمانية ، واليمانية لم تصاند الدعوة الا فى مرحلتها الاخيرة ، بعد ظهور ابي مسلم الخراسانى الذى تم على يديه اعلانها . بل ان اليمانية عاشت بعد حركة ابن المهلب اياما سعيدة ، وعلاقات وطيبة مع الحكم الاموى فى بعض فترات ، كعهد الخليفة هشام وبالذات ابان ولاية خالد القسرى على العراق (١٠٦ - ١٢٠هـ) . وان مما نستنتجه امتدادا لذلك ان الانتماء الاقليمى والمصالح القبلية اصبحت تطفئ على التعصب القبلى والتحالفات القبلية القديمة . وهذا مالمسناه من تقديم يمن الشام ولاءهم لبنى امية رمز الحقوق الاقليمى الشامى والتميز مكانة ومالا ، على امرة النصب التى تربطهم بابن المهلب الازدى اليمنى ، وهذا ماينطبق على يمن خراسان ، الذين وان ابدوا تاييدهم للحركة ، الا انهم آثروا العافية وتقديم المصلحة وامن الاقليم . بل ان ربيعة العراق ، لم يكن الحلف دافعها الوحيد الى نصره الحركة بل المصلحة ونزعة الاقليمية ،

(١) قيل بعث محمد بن على العباسى دعائه عام ١٠٠هـ . (اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٢/٣٠٨) . وقيل سنة ١٠١هـ (انظر / ابو هذيفة الدينى : الاخبار الطوال ، دار السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٢٣٠هـ ، ١/٣١٨-٣١٩) .  
(٢) انظر ظهور الدعوة العباسية على يد ابي مسلم فى : (الطبرى : تاريخ الامم ، ٢٥٣/٧ وما بعدها) .

ولذلك وجدناها لم تمدق القتال وسرعان ما انفقت من حول  
(١)  
يزيد .

كما ان هذه الفترة قد كلفت الدولة الكثير من الجهد  
والمال ، وعرضت الجبهة الداخلية للانقسام ، اذ انها اخطرت  
حدث داخلي في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، الذي شغلته  
هذه الفترة عن توجيه امكانيات الدولة الى ميادينها  
الحقيقية في جبهات القتال ، امام الاعداء المتربصين ، في  
الشرق والشمال والغرب ، وان كان قد نجح في القضاء عليها  
في وقت وجيز ، استطاع بعدها ان يعيد للجبهة الداخلية  
وحدتها وتماسكها .

ولحسن لانتسب بعد ان انشغال الدولة بهذه الفترة ،  
وانشغال العرب في خراسان باحداثها بعد ان احييت فيهم روح  
العممية القبلية ونعراتها ، قد زاد من اشتعال الحركات في  
ماوراء النهر ، وتمادى العصاة في التمرد على سلطان  
المسلمين ، حتى تمكن اخيرا سعيد الحرشي من اعادة النفوذ  
الاسلامي على تلك المناطق . بل نغزو اليها ايضا الهجوم الذي  
شنه الشعوب التركية والقوقازية على الحدود الارمينية ،  
والتي منى فيها الجيش الاسلامي بهزائم متكررة ، خصوصا بعد  
(٢)  
(٣)  
(٤)  
عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك لعمر بن هبيرة عن ولاية

- 
- (١) انظر قبل : ص ٢١٧ .  
(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٠ .  
(٣) عن فتوح سعيد الحرشي وحروبه في ماوراء النهر ، (انظر  
الفصل الرابع ، ص ٣٢٧ وما بعدها) .  
(٤) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، منذ ما قبل المبعث  
وحتى سقوط بغداد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة  
الثالثة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٢١٨-٢١٩ .

(١)  
الجزيرة وتأميره على العراق ، في أعقاب عزل مسلمة عنها ،  
وقد تمكن الخليفة يزيد من إعادة الهيبة الإسلامية هناك  
عندما بعث اليها الجراح الحكمي الذي أوقف تقدمهم وحقق  
النصر على جيوشهم .

لقد كانت حركة يزيد بن المهلب التي تمكن الخليفة  
يزيد بن عبد الملك من القضاء عليها (سنة ١٠٢هـ) على يد  
أخيه مسلمة بن عبد الملك ، فتنة لأمة محمد ، أهلك فيها ابن  
المهلب نفسه وأهله ، وسفك الدماء ، وفرق الجماعة ، ونكث  
البيعة . وهي في الحقيقة حلقة في سلسلة من الحركات التي  
حدثت زمن يزيد بن عبد الملك ، والتي تمكن من إخمادها ،  
وحافظ طوال حكمه على سلامة البناء الداخلي للدولة ، وأبقى  
على وحدة الأمة .

---

(١) كانت ولايته على العراق أواخر سنة ١٠٢هـ أو أوائل سنة ١٠٣هـ . (انظر بعد / الفصل الخامس ، ص ٤٧٥-٤٧٦) .

المبحث الثاني

## حركات الخوارج

- (١) حركة شاذل
- (٢) حركة مسعود العبدى
- (٣) حركة مصعب الوالى
- (٤) حركة سعيد بن بحدل
- (٥) حركة علفان



## المبحث الثاني

حركات الخوارج

## (١) حركة شوذب والقضاء عليها :

ما ان تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة حتى تجددت حركة شوذب الخارجى ، الذى كان قد خرج (سنة ١٠٠هـ) فى خلافة عمر ابن عبد العزيز ، ومخرجه بجوخى من ارض العراق ، وامير الكوفة يومئذ عبد الحميد بن عبد الرحمن . وقد بلغ اصحابه ثمانين فارسا ، اكثرهم من ربيعة ، وقيل : مائتين . وقيل (١) (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) اسمه بسطام بن مرة من بنى يشكر ، شاعر جبار ، خرج فى أيام عمر بن عبد العزيز بمكان قريب من الكوفة اسمه "جوخا" وكان اصحابه ثمانين ، تريت عمر فى قتالهم الى ان مات ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قاتلهم ، وقد تم القضاء عليه عندما جهز مسلمة جيشا من عشرة آلاف بقيادة سعيد الحرشى ، فاحاطوا بشوذب وقتلوه (سنة ١٠١هـ) .

الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٥/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٥/٤ - مجهول : العيون ، ٤١/٣ - الزركلى : الاعلام ، ٥١/٢ .

(٢) جوخا : اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد ، وهو بين خانقين وخوزستان . (ياقوت : معجم ، ١٧٩/٢) . وجوخى : هى الاراضى التى تحف بجانبى نهر المزار - وهو القسم الاسفل من مجرى دجلة الشرقى - وهى تمتد الى الشمال الغربى حتى كسكر ، كورة واسط . (كى لسترلج : بلدان ، ص ٦٣) . وانظر منها هامش (١) اعلاه .

(٣) ابن قتيبة : الامامة ، ١٠٠-٩٩/٢ - المسعودى : مروج ، ٢٠٢-٢٠٠/٣ (قال الدينورى : كان خروجه بالحيرة ، وقال المسعودى : بالجزيرة) . ويبدو ان هذا اللبس حدث ، لأن كثيرا من المؤرخين قالوا بخروج شوذب وحده على عمر ، بينما خرجت الحرورية على عمر فى أكثر من مكان ، ولعل هذه المواطن أماكن للشورات الأخرى . وسنلتعرض لذلك لاحقا عند الرد على من ظن ان عمر سالم الخوارج ولم يحاربهم . حيث ان عمر سالم من كفته الكلمة واقنعتته الحجة كشوذب ، وحارب من اعرض عن الحق ومات فسادا .

(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - الاربلى : خلاصة ، ص ٢٥ (ولم يحدد مكان قيامها) .

(٥) ابن خلدون : المعبر ، ١٦٢/٣ (كما لم يقل من ربيعة ، وحرف جوخى بـ "خوخى") .

(١)

غير ذلك .

فكتب عمر الى عبد الحميد الا يحاربهم الا ان يفسدوا في الارض ، وأن يبعث بازائهم رجلا صلبا في قوة ، على أن ياتمر بما كتب اليه . فوجه اليهم عبد الحميد محمد بن جرير البجلي في ألف رجل . كما بعث عمر من قبله هلال بن احوز في ألف مقاتل ، ووقف مع ابن جرير بازاء الخوارج ليقاثلونهم .<sup>(٢)</sup> وسارت الرسل بين عمر والمحكمة ، فبعثوا اليه من يناظره ، فآخذا عليه : انه تولى بدون مشورة ، ودعوه الى التبرؤ من اهله ولعنهم ورد احكامهم ، واحتجوا على جعل الامر ليزيد من بعده ، فحاجهم في اقوالهم ، وقال في صيرورة الامر من بعده ليزيد ، بان الذي ولاه غيره ، والمسلمون اولى بمن كان فيهم بعده . فرفضوا قوله ، ورجع واحد منهما عن رأى الخوارج ، وعاد الآخر بقول عمر الى جماعته . وقيل : بل استنظرهما في مسألة ترك الامر ليزيد بعده ثلاثة ايام ، فخاف بنو مروان ان يخلع يزيد ، فدسوا من سقاء سما ، فما لبث بعد خروجهما من عنده ثلاثة ايام حتى مات .<sup>(٣)</sup>

(١) مجهول : العيون ، ٤٧/٣ (قال : كان بسطام في ثلاثمائة ويقال في ستمائة) .

(٢) مجهول : نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٣-٤٦ - ابن قتيبة : الامامة ، ١٠٠-٩٩/٢ - المسعودي : مروج ، ٢٠٢-٢٠٠/٢ (والاخيرين لما يشارا الى اعتراضهم على يزيد) .

(٤) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٥٦-٥٥٥/٦ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢١٠-٢٠٩/٩ (لكنه فيما يظهر قد خلط بين ثورة شاذب وغيرها ، ان اشار الى الثورة في العراق ولم يحدد من قام بها ، ثم محاربة عبد الحميد لهم وهزيمة جيشه ، وقيام عمر بارسال جيش بقيادة مسلمة قضي عليهم ، ثم ذكر طلب عمر من بسطام مفاوضته . والذي يبدو لنا ان هذه حركة سبقت ثورة بسطام وقضي عليها عسكريا ، بعد ان دعوا فلم يجيبوا . يؤيد ماذهبنا اليه ورود النص بذلك عند : الطبري ، نفس المصدر والجزء ، ص ٥٥٥ - ابن سعد الطبقات ، ٣٥٨-٣٥٧/٥ .

وعطفا على الرواية الاولى ، فان الرجل الذى ناظر عمرا  
 اخبرهم بما جرى بينه وبين الخليفة ، فلما بلغهم حسن سيرته  
 ورده المظالم ، اجتمعوا على عدم مقاتلته ، وقالوا : كفوا  
 عنه ما ترككم . فقال رسول عمر : وهو يكف عنكم ما لم تفسدوا  
 فنزل بسطام واصحابه حزة من الموصل ، كما كتب عمر الى عبد  
 الحميد ، بنتيجة المفاوضات ، وامره بالكف عنهم الا ان  
 يقاتلوه . فظل محمد بن جرير البجلي وابن احوز بازانهم لم  
 يقاتلوه حتى مات عمر . ولما ان نستبعد القول بتفكير عمر  
 فى عزل يزيد ، وسم بنى امية له . فما كان عمر لينكت بيعة  
 شملت يزيد معه بعهد سليمان ، بل نجده يومى الى ولى عهده  
 فى مرضه ، بالانصح للامة وتقوى الله ، وهذا يبطل من ادعى  
 سمه . لكن الغالب انه قد نجح فى اقناع مناظريه من الخوارج  
 وكانت سيرته وعدالته شفيعا له عند جماعتهم ، فى عدم قيام  
 حجتهم عليه وبالتالي التوقف عن حربه ، فحمى الامة والدولة  
 من شر فتنة مستطيرة ، ووفر كثيرا من الجهد والمال لجند  
 الدولة وبيت مالها .

#### تجدد الحركة فى عهد يزيد بن عبد الملك :

نقف حائرين امام الخلاف حول ما انتهت اليه المناظرة  
 بين رسولى شوب والخليفة عمر بن عبد العزيز ، حيث ان

- 
- (١) حزة : بليدة قرب اربل من ارض الموصل ، وقد كانت قعبة  
 كسورة اربل قبل . وقد بناها اردشير بن بابك ، وقالوا  
 حزة من ارض الموصل . (ياقوت : معجم ، ٢/٢٥٦) .  
 (٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٦٧ - مجهول  
 العيون ، ٤٦/٢ - ٤٧ - الاربلى : خلاصة ، ص ٢٠ .  
 (٣) مجهول : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٧ .

الخلافاً سيستمر بين الطبرى والمؤرخ المجهول فى سبب تجديد الحركة زمن الخليفة يزيد وكيفيته <sup>(١)</sup> . فالطبرى كمؤرخ له ميزة الاقدمية اتبعه آخرون كابن الاثير وابن خلدون ويظهر انهما نقلوا عنه . لنا على روايته

بعض المتأخذ ، كقوله ان عمر طلب من مناظريه ان يمهله ثلاثة ايام ، ليبت فى صيرورة الامر من بعده ليزيد . وقد استبعدنا عزم عمر على تحويلها عن يزيد <sup>(٢)</sup> . كما اشار الى سم بنى امية لعمر ، وهذا ما لانقره فهناك روايات اثبتت مرفه ، كما ان بنى امية لم يكن ليعجزهم ذلك قبل اذا ما عزموا عليه . وسنرى الطبرى كما سيتبين بعد يقول بممارعة عبد الحميد بن عبد الرحمن الى قتال شاذب تقربا الى يزيد . وهذا القول بعيد عن شخصية عبد الحميد التى عرفناها من مواقفه تجاه حركة ابن المهلب . والذى ظهر من خلالها تجنبه الفتنة وكرهه للقتال . وقد دعانا كل هذا الى العودة الى ترجمة معمر بن المثنى ابو عبيدة التيمى راوى هذا الخبر عند الطبرى ، فوجدناه مع سعة علمه خاصة فى الادب والنسب والاخبار ، قد رمى برأى الخوارج <sup>(٣)</sup> . وهذا يفسر جنوح الرواية الى جانب الخوارج ، بتوقف عمر عند رايهم فى يزيد ، ومباداة عبد الحميد لهم فى القتال بعد وفاة عمر .

ومن هنا فاننا نقدم رواية المؤرخ المجهول ، وان تاخر زمنيا عن الطبرى ، لقربها من المنطق وتناسبها مع الاحداث .

(١) انظر الخلافاً بين الطبرى والمؤرخ المجهول حول ذلك فى الصفحة السابقة .

(٢) انظر الصفحة قبل السابقة .

(٣) انظر ترجمته عند : ابن حجر : تهذيب ، ١٠/ ٢٢١-٢٢٢ - ابن حجر : تقريب التهذيب ، ص ٥٤١ .

فقد روى انه "لما مات عمر بن عبد العزيز وولى يزيد ابن عبد الملك عادت الخوارج الذين كانوا مع بسطام فتجمعوا وطلبوا الفتنة ، وكان يزيد بن عبد الملك قد أقر عبد الحميد على الكوفة فوجه عبد الحميد تميم بن الحباب في الفين الى بسطام" (١) . وفيما يبدو انه قد تعرض لهم قبل ذلك محمد بن جرير وهلال بن أحوز ، فهزما ، مما دعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى التدخل بنفسه في الامر ، فأقر عبد الحميد على الكوفة وبعث من قبله تميم بن الحباب في الفين للقضاء على شوذب ، فحاربهم ، فكان نصيبه القتل وهزم جيشه فلجا بعضهم الى الكوفة ورجع الآخرون الى يزيد ، فوجه جيشا آخر بقيادة نجدة بن الحكم الأزدي فقتلوه ، وهزم أصحابه . ثم بعث اليهم الشجاع بن وداع في الفين ، فلم يكن حظه أوفر ممن سبقه ، حيث كان نصيبه القتل ، وان كان قد قتل من أصحاب شوذب في حربه بعض كبار أصحابه . وفي هذا القول (٢) ما يوضح ما وصلت اليه قوة شوذب ، يملأها مدق قتال الخوارج وان قل عددهم .

- (١) العيون ، ٦٤/٣ ، لكن الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٧٥/٦-٥٧٦ فيما ذهب اليه ، أشار الى مباداة ابن جرير لهم بالقتال ، بأمر عبد الحميد ، فاقتتلوا ، وكان النصر للخوارج على جند ابن جرير الذي عاد الى الكوفة منهزما ، وقد أصيب هو نفسه ، كما قتل الكثير من جنده وكان شوذب وأصحابه قد طاردوهم حتى الكوفة ، ثم عاد الى موقعه . وانظر ذلك أيضا عند / ابن الأثير : الكامل ، ١٦٦/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ١٦٣/٣ . لكنه لم يذكر سبب حرب عبد الحميد لهم .
- (٢) ذكر المؤرخ المجهول أن الجيوش قد وجهت من قبل عبد الحميد ، كما أنه لم يذكر حملة نجدة الأزدي . انظر : العيون ، ٦٤/٣-٦٥ .
- (٣) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحات - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٦-١٦٧ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة .

القضاء على شوذب :

ثم القضاء على شوذب وأصحابه على يد مسلمة بن عبد الملك أثناء مسيره للقضاء على حركة ابن المهلب . فانه لما دخل الكوفة شكوا اليه أهلها مالمقيوه من شوذب ، وخوفهم منه فجهر جيشا من عشرة آلاف جعل قيادته لسعيد بن عمرو الحرشي ، ووجهه اليهم ، فدارت سنة ١٠١هـ الواقعة بين بسطام وجند الخلافة ، استبسل فيها الخوارج وكشفوا جند الشام ، فخشى الحرشي الفخيمة ، واستحث جيشه ، وحمل بهم على شوذب وأصحابه ، فالحق العزيمة بهم ، حيث قتل شوذب ، وكل أصحابه .<sup>(١)</sup>

- (١) لم نجد مسلمة قد دخل الكوفة أثناء مسيره الى ابن المهلب ، وانما مسكر في النخيلة من أرضها . (انظر ذلك قبل في مسيره أثناء عرضنا لاحداث ثورة ابن المهلب) .
- (٢) سعيد بن عمرو الحرشي ، يعود نسبه الى الحريش بن كعب ابن ربيعة ، قائد من الولاة الشجعان ، كان ثقيا بطلا ، وصفه ابن هبيرة بفارس قيس . من أهل الشام ، هو الذي قتل شوذب الخارجي ، وقتل بمن معه سنة ١٠١هـ ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٢هـ ، ثم عزله وسجنه ، لعلمه بمكاتبتة للخليفة وانه لايعترف بامارته ، ثم عاد الى الشام بعد أن أخرجه خالد القسري ، فولاه هشام سنة ١١٢هـ غزو الخزر ، ثم أمره بالعودة من أرمينية ، وله ولد بها . (الزركلي : الاعلام ، ٩٩/٣) .
- (٣) أورد يحيى بن الحسين خاطبا أن القضاء على شوذب كان سنة ١٠٤هـ . (انظر : غاية الاماني ، ص ١١٩) .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٧/٤ - مجهول : الميرون ، ٦٥/٣ قال : (أن يزيد أرسل مسلمة واليا على العراق ، فوجه سعيدا الى الخوارج) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ - ابن خلدون : العبر ، ١٦٣/٣ (وقد عرف نسبه من الحرشي الى "الحريشي") - شابت الراوي : العراق ، ص ٢٣٩ (الا انه قال : أن القضاء عليها كان بعد قتل يزيد بن المهلب ، كما أنه ذكر اسم قائد الجيش محرفا "عمرو بن حريث" ولم يذكر مصدره) .

وبهذا النصر أراح مسلمة الدولة من شائر كلفها الكثير  
من الجهد والمال والرجال ، وأمن أهل الكوفة ، وتخلص من  
عدو متربص ، يخشى خطره ، فلم يكن بوسع مسلمة أن يتجه إلى  
ابن المهلب ويترك الخوارج وراء ظهره ، حتى لا يجد نفسه أمام  
جبهتين قتاليتين في آن واحد . فقد يشغله هؤلاء من مهمته  
الرئيسية ، ويستولي خطرهم على اهتمام جنده الكوفيين .<sup>(١)</sup>

---

(١) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٧٢-١٧٣ . .

## (٢) حركة مسعود العبدى فى البحرين واليمامة :

لم تكن حركة شاذى هى الحركة الوحيدة للخوارى فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد حفل عهده بعدد من الحركات ، من أهمها حركة مسعود بن أبى زينب العبدى فى البحرين واليمامة .

اذ خرج مسعود بالبحرين على الاشعث بن عبد الله بن الجارود ، فترك الاشعث البحرين وغبطها مسعود ، ثم مار الى اليمامة ، وكان أميرها سفيان بن عمرو العقيلي ، ولاء اياها عمر بن هبيرة . فخرج اليه سفيان فى بنى خليفة بالخمرة ، حيث دارت بينهما معركة شديدة ، انتهت بقتل مسعود بن أبى زينب . فتولى امر الخوارى بعده هلال بن مداح فقاتل سفيان بقية يومه ، فقتل اناس من الخوارى منهم زينب اخت مسعود العبدى . وفى الليل تفرق عن هلال أصحابه وبقي فى عدد قليل فتحصن بأحد القصور ، فلصبوا عليه الملالم وصعدوا اليه فقتلوه ، واستأمن أصحابه ، فؤمنوا ، وقيل ان مسعود غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي .

(١) مسعود بن أبى زينب العبدى ، من بنى عبد القيس ، شاذى حرورى ، من الأمراء الشجعان ، وثب فى البحرين على الاشعث بن عبد الله بن الجارود ، فخرج الاشعث منها ، وسار مسعود الى اليمامة فامتلكها ، ثم قتله سفيان العقيلي ، وقيل غلب عليهما تسع عشرة سنة . (الزركلى : الاعلام ، ٢١٧/٧) .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٩٠/٤ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٦ - عبد الرحمن عيسى الكريم النجم : البحرين فى صدر الاسلام وأثرها فى حركة الخوارى ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧١م ، ص ١٧٨ (نقلا عن / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٤٤ - انساب الاشراف ، ج ٧ ، ورقة ١٢٥ - الكامل ، ١١٨/٥ - ١١٩ - ياقوت : معجم ، ٥٧٠/١ - ٥٧١ - ديوان الفرزدق ، ١١٩/١ - ٢٢٦ قال : وفى الديوان قيل : مولى لعبد القيس "يعنى مسعود" - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .



وعلى قول من خبر أن القضاء عليها قد تم سنة ١٠٥هـ ،  
فهذا يعنى نشؤها (سنة ٨٦هـ) . وقد كان أمير البحرين آنذاك  
قطن بن زياد بن الربيع الحارثي ، وليس الأشعث .<sup>(١)</sup>  
ويبدو أن مقتلة الخوارج كانت في مكان يعرف "ببرقان"<sup>(٢)</sup>  
نستدل على ذلك من قول الفرزدق في هذا اليوم مادحا بني  
حنيفة :

أرين الحروريين يوم لقائهم

ببرقان يوما يجعل الموت اشقرا<sup>(٣)</sup>

لكن مع اتفاق هذه المصادر على نهاية هذه الحركة على  
يد سفيان بن عمرو العقيلي ، أمير اليمامة ، المولى من قبل  
ابن هبيرة كما زعم ، إلا أننا نجد اختلافا على بداية الحركة  
فابن خياط الذي نجده يقول بخروجه في ولاية ابن هبيرة<sup>(٤)</sup>  
- كانت ولايته على العراق من قبل يزيد سنة ١٠٢هـ حتى سنة  
١٠٦هـ عندما عزل بخالد القسري من قبل هشام - نجده في مكان  
آخر من نفس المصدر ، يقول بخروج مسعود في البحرين على<sup>(٥)</sup>  
الأشعث بن عبد الله بن الجارود سنة ٩٦هـ عندما ولاه إياها  
يزيد بن المهلب أمير العراق من قبل سليمان . وحيث أن  
مصدرنا الرئيسي في تفصيلات القتال هو ابن الأثير ، الذي لم  
يحدد زمن خروجه ، ولكنه قال على الأشعث ، وقد عرفنا تاريخ ولاية

- 
- (١) من أجل ذلك : انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،  
ص ٣١٠ .  
(٢) برقان اليوم في جنوب الكويت ، وهو من حقول الزيت  
المهمة . (انظر / عبد الرحمن النجم : البحرين ، هامش  
ص ١٧٨) . وقال ياقوت : برقان موضع بالبحرين قتل فيه  
مسعود بن أبي زينب . (معجم ، ٢٨٧/١) .  
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٩٠/٤ .  
(٤) نفس المصدر ، ص ٣٣٦ .  
(٥) ص ٣١٣ .

الاشعث وهى سنة ٩٦هـ . وهو لم يكن بعد ذلك أميراً للبحرين  
 فى خلافة يزيد بن عبد الملك . فانا نستبعد على ضوء هذا<sup>(١)</sup>  
 القول استمرار حركته تسع عشرة سنة اعتماداً على أنها بدأت  
 سنة ٨٦هـ ، لاجتماع الممدرين الرئيسيين على حدودها فى اماره  
 الاشعث سنة ٩٦هـ ، وهى على هذا الأساس يكون عمرها مايقارب  
 عشر سنوات فقط اذا ماصح القول بالقضاء عليها أواخر عهد  
 يزيد . غير أننا لانتوقع سكوت بنى أمية على حركة خارجية  
 هذه المدة الطويلة من الزمن ، وهى فترة كان صدرها زمن  
 سليمان ثم عمر ، وقد امتازت بقوة الدولة وتمكنها من اخماد  
 حركة كهذه بيسر . وعليه فأننا نجد فى رواية المؤرخ  
 المجهول مخرجاً من هذا الاضطراب . اذ قال : أن الذى خرج<sup>(٢)</sup>  
 بالبحرين هو أخو مسعود بعد قتل أخيه . ويبدو من قوله أن  
 مسعود هو الذى خرج على الاشعث سنة ٩٦هـ ، بل أننا وجدنا<sup>(٣)</sup>  
 أن سليمان قد ولى اليمامة سفيان العقيلى ، ويظهر أنه تولى  
 مهمة القضاء على حركة مسعود عندما تقدم نحو اليمامة ، وأن  
 هذا قد تم زمن سليمان بن عبد الملك لايزيد ، وهو الاولى .  
 حيث أننا وجدنا أن يزيد بن عبد الملك قد رد على  
 ولاية البحرين واليمامة ابراهيم بن العربى ، أى بعد القضاء<sup>(٤)</sup>  
 على حركة ابن المهلب التى شملت سيادتها هذه المناطق وكان  
 ابن المهلب قد ولى البحرين ابان حركته هزم بن القرار

- 
- (١) انظر ولاية البحرين فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، بعد :  
 الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٩٤-٤٩٥ .  
 (٢) العيون ، ٧٥/٣ .  
 (٣) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٩ .  
 (٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٣ . كان أميرها منذ خلافة  
 عبد الملك ، فلما مات أقره عليها الوليد . (انظر :  
 ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٢٩٨-٣١١) .

(١) العبدى . وهذا يعنى أن الأشعث بن عبد الله الذى قامت عليه الحركة ، وسفيان العقيلى الذى قضى عليها ، كانا أميرى البحرين واليامة زمن سليمان ، مما يؤكد قيامها والقضاء عليها فى عهده ، لازم يزيد بن عبد الملك . الذى فيما يظهر أن الحركة التى قامت زمنه كانت بقيادة أخ مسعود ، فخلط بينهما المؤرخون ، ووسموا الأخيرة بسمات الأولى وأحداثها . إلا أن المصدر الوحيد الذى وجدناه قد أشار إلى حركة أخى مسعود لم يقدم لنا معلومات عن أحداثها وكيف تم القضاء عليها .  
(٢)

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦٠٠/٦ .  
(٢) المصدر الوحيد الذى وجدناه أشار إليها هو : العيون والحدائق ، للمؤرخ المجهول ، ٧٥/٣ .

## (٣) حركة مصعب الوالبي :

نجد عند ابن الاثير والمؤرخ المجهول ذكرا لحركة (١) (٢)  
 حرورية جديدة ، تزعمها رجل من رؤساء الخوارج ، هو : مصعب  
 ابن محمد الوالبي ، في العراق ، على عمر بن هبيرة أمير (٣)  
 العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، والذي تسبب في قيامها  
 كما يبدو لنا ، ان مصعبا كان من رؤساء الخوارج فطلبه ابن  
 هبيرة وطلب معه مالك بن الصعب ، وجابر بن سعد ، فخرجوا  
 واجتمعوا بالخورنق ، وأمروا عليهم مصعب ومعه أخته آمنه ، (٤)  
 فساروا عن ابن هبيرة ، فلما استعمل خالد القسري على  
 العراق من قبل هشام بعد ابن هبيرة ، بعث اليهم جيشا ،  
 كانت قيادته لسيف بن هاني ، وكانوا قد صاروا بحزة من  
 أعمال الموصل فالتقوا ، واقتتلوا ، فهزم الخوارج وقتل  
 زعيمهم مصعب الوالبي ، وقيل : كان قتلهم آخر أيام يزيد بن  
 عبد الملك ، لكننا لم نجد لهم خبرا في ولاية القسري ، مما  
 يرجح القضاء عليهم زمن يزيد ، اذ كيف يتركهم ابن هبيرة  
 وقد خرجوا على الامام ، وكان قد طلبهم قبل الخروج واعلان  
 الحركة .

- 
- (١) الكامل ، ١٩٠/٤ .  
 (٢) العيون ، ٧٥/٣ .  
 (٣) مصعب بن محمد الوالبي ، أمير شاعر ، كان له شأن في  
 العصر المرواني ، خرج على ابن هبيرة فطلبه ، وسار  
 بمن معه الى حزة بالموصل ، حتى بعث خالد القسري ،  
 جيشا ، تمكن من القضاء على حركته وقتله . (الزركلي :  
 الاعلام ، ٢٤٧/٧-٢٤٨) .  
 (٤) الخورنق : موضع بالكوفة ، وقيل هو نهر ، والذي عليه  
 اهل الاخبار والاثار انه قصر كان بظاهر الحيرة . (ياقوت  
 معجم ، ٤٠١/٢) .

## (٥) حركة عقفان :

(١)

خرج عقفان الحروري على يزيد بن عبد الملك ، بناحية

(٢)

دمشق ، وكان عدد أصحابه ثمانين رجلا من الخوارج .

ولقد كانت حركته تجربة ونهجا جديدا اتبعه الخليفة

يزيد في مواجهة الخوارج والتعامل مع حركاتهم . حيث سلك

الطريق السلمي في اخماد هذه الحركة .

فعندما اراد يزيد القضاء عليه عسكريا ، اشير عليه أن

يبعث الى كل رجل من أصحاب عقفان رجلا من قومه يرده عن رأى

الخوارج ، على أن يؤمنهم الخليفة . فقد قالوا للخليفة :

(٣)

ان قتل بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة . فوافقهم

الخليفة على رأيهم . وسار اليهم اهلهم ، وقالوا لهم انا

نخاف أن نؤخذ بكم ، وامنهم ، فرجعوا عن رأيهم وانفضوا من

حول زعيمهم عقفان ، فبقى وحده ، فارسل اليه يزيد اخاه

فاستعطفه وامنه ، فردده وقد ترك رأى الخوارج ، بل أنه خدم

الدولة فتولى زمن هشام امر العمارة ، ثم استعمل على الصدقة

(١) عقفان الحروري : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٥/٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٩/٤ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ،

ص ٥٩٨ .

(٣) لم تكن الشام مسرحا لثورات الخوارج ، حيث كان العراق

مركزها ، لذا خشي الشاميون أن يسقى الدم البذرة

الخارجية في أرض الشام فتنبؤ بها ، وثورث الاحقاد

مراعا حروريا سنيا لا ينتهي هناك . فان الخوارج اذا

ماقامت لهم ثورة في مكان ما ، اعتبروه دار هجرة وجب

على من على رأيهم الهجرة اليه ، بل أن الازارقة ،

كفسروا القعدة ولو كانوا على دينهم . (انظر :

الشهرستاني : الملل ، هامش ص ١١٨-١١٩، ١٢١ - على

الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ، ص ٢٢٧) .

(١)

حتى توفي هشام .

ولقد نجح هذا النهج ، وأخمدت هذه الفتنة ، دون عناء  
 ويعلق عماد الدين خليل على نجاح سياسة يزيد السلمية ازاء  
 عقفان بقوله : ان بمقدور يزيد ان يتأسى بسياسة سلفه ازاء  
 هذه الكتلة بدل العنف واراقة الدماء ومايجره ذلك على  
 الدولة من خسائر فى الارواح والاموال ، وتفتت الوحدة وتغلغل  
 الحقد فى النفوس . خصوصا بعد نجاح تجربته مع عقفان ، مما  
 يعنى انه ليست اساليب عمر وحدها التى نجحت فى هذا المجال .  
 وهو هنا يرمز الى اسلوب عمر السلمى فى معالجة حركة شاذب  
 الخارجى . لكننا وان وافقناه على نجاح عمر سلميا فى تعطيل  
 حركة شاذب ، ويزيد فى انهاء حركة عقفان ، وان الحل السلمى  
 خير على الدولة والامة . الا اننا نخالغه فيما يرمى اليه من  
 وراء قوله ، وهو انه كان على يزيد ان يعالج الحركات  
 الخارجية التى ظهرت فى عهده سلميا كما فعل عمر ونجح هو مع  
 عقفان . فعمر لم ينجح فى التعامل مع كل الحركات الخارجية  
 التى قامت فى عهده سلميا ، بل اضطر الى اخماد بعضها  
 عسكريا عندما لم تستجب الحرورية الى توجيهاته . وماكان  
 (٢)

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٩/٤ - ١٩٠ - مجهول : العيون ،

٧٥/٣ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ص ٢٩٨ ،

نفس المرجع والصفحة .

(٢) انظر قبل : ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٣) خرجت الحرورية على عبد الحميد بن عبد الرحمن امير  
 الكوفة ، زمن عمر ، فلما دماهم بأمر عمر ، ولم  
 يستجيبوا أمره عمر بقتالهم ، فحاربهم وهزم جيشه ،  
 فبعث عمر اليهم جيشا من قبله بقيادة مسلمة بن عبد  
 الملك فهزمهم . ويبدو ان هذه الخارجة سبقت شاذب فى  
 القيام على عبد الحميد فى العراق . (انظر عن ذلك /  
 ابن سعد : الطبقات ، ٣٥٧/٥ - ٣٥٨ - الطبرى : تاريخ  
 الامم ، ٥٥٥/٦) . كما خرجت خارجة أخرى فى الموصل على =

يزيد ليسعى الى الحرب مع امكانية دك الفتنة سلميا ، خصوصا  
وقد رايناه قد عمل بذلك مع عققان ، ودعى ابن المهلب من  
قبل الى السلم ، وماظن جنده قد قاتلوا خارجيا قبل أن  
يدعوه الى الجماعة وترك الفرقة والخلاف . وهل ردت الدعوات  
السلمية من على رضى الله عنه قبل فرقة المحكمية عن غيرها .  
اننا نرى يزيد بن عبد الملك قد تمكن من تتبع الخوارج  
واخماد حركاتهم المتعددة ، فى شىء من السرعة واليقظة  
والقوة . ولقد أدت هزائهم المتلاحقة فى عهده ، الى ضعف  
(١)  
أمر الخوارج لسنوات لاحقة .

= يحيى الغسانى عامل عمر بن عبد العزيز على الموصل ،  
فدعوا ولم يجيبوا ، اذ لم تغلح معهم الطرق السلمية ،  
ولم تقنعهم الحجة ، وأبوا الا القتال (انظر حركتهم  
عند ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ،  
ص ٩٤-٩٦) .  
(١) نايف محمد معروف : الخوارج فى العصر الاموى ، ص ١٧٥ .  
(\*) هذا وقد أورد المؤرخ المجهول صاحب العيون والحدائق ،  
٧٥/٣ ، أنه فى عهد يزيد بن عبد الملك حدثت حركة أخرى  
من حركات الخوارج ، ينسبها الى سعيد بن بحدل . ولكن  
برجعنا الى المصادر السابقة والموشوق بها ، اتضح  
لنا أن هذه الحركة انما حدثت فى عهد يزيد بن الوليد  
ابن عبد الملك (الناقص) سنة ١٢٦هـ . عن ذلك انظر /  
ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٧١ وما بعدها -  
الطبرى : تاريخ الأمم ، ٣١٦/٧ وما بعدها - ابن الاثير :  
الكامل ، ٢٨٩/٤ - ٢٩٠ ، ٢٩٥-٢٩٦ . وقد ورد اسم هذا  
الخارج فى المصدرين الاخيرين (سعيد بن بهدل) ، ولعل  
ذلك تحريف لاسمه .

### المبحث الثالث

## حركة شيريم اليهودي

نعم أهل الذمة برعاية الدولة الإسلامية والأمن في حماها وحسن المعاملة من المسلمين في ظل ساحة مبادئ الإسلام وإنسانية تعاليمه ، كما تمتعوا بحريتهم الدينية التي تبيحها شريعة الإسلام لرعايا دولته . وهكذا تم التعايش السلمى بين الديانات تحت مظلة الدولة الإسلامية وشريعتها السمحة ، إلا أن بقاء بعض الأفكار والمعتقدات عند غير المسلمين والتفكير في أحيائها ، ولو كان ذلك مخالفا لشرائع الإسلام أو سيادة دولته ، أدى إلى قيام بعض الحركات التمردية ، والصدام بين تلك الفئات غير المسلمة مع سلطان الدولة الإسلامية .

(١)

فإن الكنيس اليهودي لم يحل في قلوب اليهود محل

(١) الكنيس اليهودي : مكان يجتمع فيه اليهود للعبادة منذ أيام موسى عليه السلام ، واستعملت الكلمة للدلالة على جماعة من اليهود يتلاقون لفرض ديني ، وبعد هدم الهيكل لأول مرة ، ازدادت أهمية الكنيس ، وأصبح في القرون الوسطى المركز الاجتماعي والثقافي للحياة اليهودية ، وكانت إقامة الطقوس والعبادات فيه بسيطة لا تحتاج إلى كاهن معين (رسمي) ، أما الآن فيعين لكل كنيس كاهن يقوم بالشعائر الدينية فيه . (الموسوعة العربية الميسرة : تاليف مجموعة من الأساتذة المتخصصين برئاسة الأستاذ/محمد شفيق غريبال ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ١٤٨٦/٢ - ١٤٨٧) . وهو غير (الكنيست) ، وهي كلمة عبرية تعني حرفيا (مكان الاجتماع) ، ويسمى المعبد اليهودي "بيت هاكنيست" أي المكان الذي يجتمع فيه اليهود ، وتستخدم هذه الكلمة الآن في إسرائيل للإشارة لمجلس البرلمان الإسرائيلي ، وقد تم تكوينه لأول مرة في فبراير ١٩٤٩م ، ويتكون من (١٢٠) عضوا . (انظر / عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٣١٤) .



- (١) الهيكل بكل معاني الحلول ، فقد ظل أمل اليهودى أن يقدم  
(٢) القربان ليهوه ، فى يوم من الايام أمام قدس الاقداس على تل  
(٣) صهيون ، مما عرضه لخداغ من ادعى أنه "المسيح المنتظر" فى  
(٤)

- (١) الهيكل : هو أهم مبنى للعبادة اليهودية فى فلسطين شيده سليمان عليه السلام ، وهدمه البابليون عام ٥٨٦ ق.م ، ثم أعيد بناؤه عام ٢١٥ ق.م ، وأدخل المكابيون والحشمونيون بعض التعديلات والتجديدات عليه ، ثم قام هيرود بتوسيعه ، وبلى حوله سورا عاليا ولكن الرومان حطموا الهيكل عام ٧٠م على أثر ثورة قام بها اليهود . (عيد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم ، ص ٤٢٥) . وانظر بتوسع : حسن ظاظا : أبحاث فى الفكر اليهودى ، الطبعة الاولى ، مطبوعات دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ . ص ٥٣٠، ٥٢٠، ٤٥٠ .
- (٢) يهوه : اسم لله ورد فى سفر الخروج ، وهو لفظ عبرى ، معناه الموجود أو الكائن ، أو الذى كان ، وقد أطلقت التوراة اسم يهوه على الله فى المواضع التى اعتبرته فيها اله اليهود وحدهم ، وهو الذى أعلن نفسه بهذا الاسم لموسى النبى - عليه السلام - وكلفه أن يبلغه لليهود كى يعرفوه بهذا الاسم ، إذ جاء فى سفر الخروج "فقال موسى لله هاأنا آتى الى بنى اسرائيل وأقول لهم اله آبائكم أرسلنى اليكم ، فإذا قالوا لى مااسمه ، فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى ... هكذا تقول لبنى اسرائيل ، يهوه اله آبائكم ، اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى الابد (الخروج ٣/١٣-١٥) . انظر / زكى شنودة : اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٠م ، ص ٢٩٢-٢٩٣ . وأشار الى ذلك (محمد خليفة التونسى (مترجم) : الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) ، الطبعة الرابعة ، ص ٦١، ٢٦) صهيون : قيل هى : الروم ، وقيل : البيت المقدس ، قلت موضع معروف بالبيت المقدس ، محلة فيها كنيسة صهيون . (ياقوت : معجم ٣/٤٣٦) . وقالت أبقار السقاف : هو آخر حصون كنعان ، وقد امتلكه داود . انظر كتابها : اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧م ، ص ٣٦٦ .
- (٤) المسيح المنتظر : ينتظر اليهود مسيحا يخلصهم من الخضوع للأفقيين على شرط ألا يكون فى صورة قديس ، كما ظهر عيسى بن مريم - عليه السلام - كى يخلصهم من الخطايا الخلقية ، لذلك أنكروه ، لكنهم يشترطون أن يكون فى صورة ملك من نسل داود يعيد الملك الى اسرائيل ، ويخضع الممالك كلها لليهود ، وذلك بالقضاء =

(١)

كل الاوقات .

وهذا ما استغله بعض الدجالين اليهود ، فقامت على ايديهم بعض الحركات اليهودية ، من ذلك ما حدث عام (١٠١) - (٢) ١٠٢هـ / ٧٢٠م) حين أعلن شيريم (Sereme) وهو يهودى سورى انه المسيح المنتظر ، والمنقذ لليهود ، وسير حملة لانتزاع فلسطين من المسلمين . فغادر يهود بابل واسبانيا مواطنهم ليشتركوا فى هذه المغامرة . بل قيل : انه لما سمع بخبره عرب الاندلس ، وكان بعضهم من اهل الشام ، صدقوا مقالته ، فعادوا الى سوريا وقد تركوا الغنائم التى غنموها ، والمساكن التى ارتضوها ، فحبط غلبة بن سحيم الكلبى (امير الاندلس ١٠٣ - ١٠٧هـ) ، الاملاك التى تركوها ، وحولها لبيت

= على السلطة فى كل الاقطار الاممية ، اذ يعتبرون السلطة على شعوب العالم من اختصاص اليهود ، حسب وعد الله وتقديره . (محمد التونسى : نفس المرجع ، ص ٥٨) . وأضافت ابيكار السقاف : ان هذه الفكرة باستعادة الدولة الزائلة فى الارض الموعودة ، على اعتبار ان فلسطين منحة من الرب يهوه لبنى اسرائيل منذ عهد ابراهيم ، تولدت عند اليهود فى غضون الاسر البابلى ، فتحولت الى عقيدة . (انظر : نفس المرجع ، ص ٣٦٨-٣٧٤) .

(١) ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٦/١٤ .

(٢) اورده شكيب ارسلان اسم هذا الدعى "زونايريا" . حيث قال "خرج فى سورية نبي كذاب اسمه زونايريا" . انظر : غزوات العرب ، ص ١١٢-١١٣ .

(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٧-٧٦/١٤ - توفيق اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة فى العراق ، ص ٣٠٩ (نقلا عن : ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٨-٧٧/١٤) الا انه حرف النص فقال : ان شيريم أعلن انه سيسير باليهود ويحملهم على انتزاع فلسطين من المسلمين . ولم يقل سِير حملة .... كما انه أشار الى ان يهود فارس تبعوه ويهود العراق والاندلس . واخيرا ، قال : بان القائم بها قبض عليه ، ولم يقل أسر ، كما نص على ذلك ديورانت . وهذا يعنى انه أراد ان يقول ان شيريم أعلن عن عزمه ، لكنه قبض عليه قبل تسيير الحملة . وهذا يخالف مانص عليه ديورانت ، الذى أخبر بتسيير الحملة ، واسر صاحبها . وهذا ما جعلنا نقف عند قول اليوزبكى ان مصدره الوحيد ديورانت ، فلم نجد مبررا لتحريفه ، واثافته .

(١)

المال .

الا ان القائم بها أسر ، وعرضه الخليفة يزيد بن عبد الملك على الناس على أنه مهرج دجال ، ثم أمر به فقتل .<sup>(٢)</sup>  
ويغلب على الظن ان هذه الحركة ، لم تصل الى مرحلة التنفيذ ، فيبدو انه قد تم اكتشاف أمر شيريم وهو لا يزال يدعو الى حركته ، ويعد نفسه للقيام بحملته . واليهود أجدر الناس بأبرام المؤامرات وتدبير الدسائس في سرية تامة وتنظيم دقيق . نقول هذا مع ان ديورانت قد نص على تسييره الحملة لانتزاع فلسطين ، ووقوع القائم بها في الأسر . وهذا يعنى مواجهة الدولة في عهد الخليفة يزيد لهذه الحركة ، واخمادها . لكن اغفال المصادر الاسلامية لهذه الحركة اليهودية ، دعانا الى القول باحتمال انكشاف أمر القائم عليها ، وان حركته لازالت في مرحلتها السرية ، وان قيامها - ان صح ذلك - كان نتيجة لعقائد يهودية باطلة ، رعى اصحابها ان تتحقق ، فكانوا ضحية الادعاء منهم .

- 
- (١) شبيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١١٢-١١٣ .  
(٢) هو في الحقيقة دجال ، لانه ادعى ماليس حقا ، ففكرة المسيح المنتظر ، دعوى يهودية باطلة . (انظر / قبل : هامش ٤ ص ٢٤٩-٢٥٠) .  
(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٧-٧٦/١٤ .  
(٤) نفس المرجع والجزء والصفحة .

#### المبحث الرابع

### حركة بلای

لم يعد المشرق الاسلامی وحده موطنًا للحركات التمردية ، فان توسع رقعة الدولة الاسلامية ، وما انضوى تحت لوائها من اجناس وقوى ، لم تدخل فی دين الاسلام ، ولم يجد الولاء لحکومتہ طريقًا الى نفوس بعض اهلها، جعلها حربًا على الاسلام ودولته . ومن تلك القوى ، بقايا القوط فی الاندلس ، الذين التحفوا حول رجل منهم يدعى بلای ، خرج بهم على سلطان المسلمين فی الاندلس ، وقاد حركة المقاومة النصرانية هناك .

#### منشأ الحركة :

تختلف المصادر العربية وغير العربية على منشأ حركة بلای من حيث التاريخ والكيفية ، بل وتقدم لنا روايات متفاربة عن أحداث هذه الحركة ، نموها وموقف المسلمين منها، حتى تعذر على المؤرخ الوصول الى الحقيقة التي لاشك فيها ، بل وقلما يتفق مؤرخان على شيء منها ، وان حدث فالاختلاف وارد على غيره .

فتختلف المراجع على بلای وكيفية قيامه بالامر ، فمنها ما يذهب الى انه كان حامل سيف لذريق (آخر حكام القوط الذي تم الفتح فی زمنه، بعد ان قضى عليه المسلمون سنة ٨٩٢هـ) وانه هرب مع الغل الى جليقيہ ، فجمع الناس حوله ، وحارب بهم المسلمين . ومنها ما يشير الى انه كان منفيًا من طليطلة

بسبب خلاف حدث بينه وبين غيشطة وقيل مع لذريق ، ففر الى كنتبرية واشترى فلما لجأ القل الى هذه النواحي دعاهم الى حرب الفاتحين ، فلولوه أمرهم .

(١) وبعض المصادر ، كالمقرئ يشير الى أن بلای من أهل اشتوريش من جليقية ، كان رهينة عن طاعة أهل بلده ، فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن (سنة ٩٨هـ) ، وشار (٢) النصرى معه ، على نائب الحر ، فطردوه ، وملكوا البلاد .

(٣) وبلای كما يذكر حسين مؤنس ابنا لقافيلادوق كنتبرية ، وأن قافيلاد كان قد استقر في تودة عاصمة كنتبرية في ذلك الحين ، بعيدا عن البلاط القوطي في طليطلة ، على أثر نزاع قام بينه وبين الملك "أجبكا" ، وقد تجدد النزاع بعده مع خلفه الملك غيشطة ، لطمع غيشطة في زوجه "ام بلای" أو لسبب آخر ، ففر مرة أخرى الى كنتبرية ، حيث مات هناك مخلفا ابنه بلای ، الذي انضم الى لذريق وأعاناه عندما وُثب على غيشطة ، فلما أدرك العرش ، كافأ بلای بأن جعله "حامل سيفه" واستمر على هذا حتى فتح المسلمين لشبه الجزيرة الايبيرية .

(١) نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، والمجلد الاول ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ٣٥٠/٤ .

(٢) جمع هذه الروايات المتناقضة حسين مؤنس في كتابه : فجر الاندلس ، ص ٣١٤-٣١٨ ، ٣٢٠ . وقد حاول التوفيق بينها والوصول الى تسلسل منطقي للأحداث . انظر : نفس المرجع ، ص ٣٣٣-٣٣٥ . ورايه اجتهدا منه خالفه فيه أو في بعضه ، بعض المؤرخين كخليل السامرائي . (انظر كتابه : الثغر الأعلى ، ص ١٠٨) .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٣٣-٣٣٤ - وخليل السامرائي : نفس المرجع ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) هناك رواية تذكر أنه كان على خلاف مع لذريق فنفاه عن طليطلة ، فأقام نفسه أميرا على اشتريش . انظر ذلك عند / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٣١٨ .

وأيا كان بلاى وقصته حتى تزعم المقاومة ضد المسلمين ،  
فانه ظهر كمنافىء للسيادة الاسلامية على اسبانيا فى ولاية  
الحر بن عبد الرحمن على الأندلس ، اذ يخبرنا المقرئ : أن  
اول من جمع قل النصارى بالأندلس بعد غلبة العرب لهم شخص  
يدعى بلاى من أهل اشتوريش من جليقية ، كان رهينة عن طاعة  
أهل بلده ، فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن ، سنة  
٩٨هـ ، وخرج معه النصارى على نائب الحر فطردوه ، وملكوا  
البلاد . كما نجد شكيب أرسلان يشير الى قيامه على الحكم  
الاسلامى زمن الحر وانه أول ملك لاسبان بعد دخول العرب  
للأندلس . لكن الأمر على ما يبدو لم يصل الى اخراج حاكم  
الاقليم المسلم من خيخون مركز الناحية . وانما كان اعلانا  
للمتدرد ، ادى فى الغالب الى مفاوضات بين نائب الحر  
والمتمردين ، الا أن عزل الحر وتولية السمع الأندلس ، لم  
يمكن السلف من مباشرة الأمر بنفسه ، وتولى السمع هذه  
المهمة ، فبعد أن اطمأن على استقرار الأمور داخلها ، وأعد

- (١) الحر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفى ،  
أمير الأندلس لسليمان بن عبد الملك ، وليها بعد مقتل  
عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وكانت الأندلس فى أيامه  
تابعة لوالى افريقية . (الزركلى : الأعلام ، ١٧٢/٢) .  
لكنه أخطأ عندما قال باستمراره الى سنة ١٠٦هـ وعزل  
بعنيسة بن سحيم . اذ الصحيح أنه عزل من قبل عمر بن  
عبد العزيز بالسمع بن مالك سنة ١٠٠هـ . (انظر /ابن  
عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ،  
تحقيق ج.م. كولان ، أليفى بروفنسال ، ج ١ دار الثقافة  
ببيروت ، ج ٢ ليدن هولندا ، مطبوعات ا.ج. بريل ١٩٥١م ،  
٢٦/٢ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ،  
من الفتح الى بداية عهد الناصر - العصر الأول - القسم  
الأول ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ،  
١٣٨٩هـ ، ص ٧٤ .  
(٢) نفخ الطيب ، ٣٥٠/٤ - خليل السامرائى : الشجر الأعلى ،  
ص ١٠٣ .  
(٣) غزوات العرب ، ص ٦٧ .

جيشه لخوض غمار الحروب ، توجه الى المناطق الشمالية من  
الاندلس ، فحارب عصاة المسيحيين ، وهزمهم ، واجبرهم على  
اللبوء الى المعقل الجبلية في الاسترياس . غير أن هزيمة<sup>(١)</sup>  
المسلمين واستشهاد قائدهم السمح بن مالك في معركة طولوشة  
في بلاد الغال ، قد أوجد الفرصة للمتمردين بقيادة بلاى من<sup>(٢)</sup>  
معاودة نشاطهم ضد المسلمين . لكن عبد الرحمن الغافقى -  
الذى ارتد بالجند بعد الانكسار في معركة طولوشة الى الاندلس  
فولاه أهلها أمرهم حتى قدوم الوالى الجديد - تمكن من اخماد<sup>(٣)</sup>  
بوادر الخروج التى ظهرت في الولايات الجبلية الشمالية .

#### قيام بلاى اiban ولاية عنبة الكلبى :

أخذت حركة بلاى في ولاية عنبة بن سحيم (١٠٣ - ١٠٧هـ)  
بعدا أكبر ، إذ تشير مجموعة من المصادر والمراجع الى أن  
بلاى قام بجليقية في ولاية عنبة - أمير الاندلس زمن يزيد بن  
عبد الملك - فحرض أهل البلاد ، ودعاهم الى حرب المسلمين ،

- 
- (١) محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، دار  
الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٩٧ .  
(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقى ،  
أمير الاندلس ، من كبار القادة الغزاة الشجعان ، أصله  
من غافقى من قبيلة عك باليمن ، رحل الى إفريقية ،  
كثرت جموعه بعد مقتل السمح سنة ١٠٢هـ ، فانتقل الى  
أربونة ، فانتخب أميراً من المسلمين ، وأقره والى  
إفريقية ، فنشأ خلاف بينه وبين عنبة بن سحيم (أحد  
القادة) فعزل عبد الرحمن وولى عنبة مكانه ، ثم ولاه  
هشام إمارة الاندلس سنة ١١٢هـ ، فخرج لفتح بلاد الغال  
وتوغل فيها ، إلا أنه استشهد في معركة بلاط الشهداء  
سنة ١١٤هـ . وذكر في حاشيته أن من المؤرخين من أرخ  
لوفاته سنة ١١٥هـ و١٢٢هـ والاصح ما قدمناه . (الزركلى :  
الاعلام ، ٣/٣١٢-٣١٣) . وترجم له في ايجاز ابن حجر .  
(انظر : تهذيب ، ١٩٧/٦) .  
(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١-٨٢ .

(١) ودافع عن أرضه ، فأخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم من أرضهم ، وكانوا لا يطمعون في ذلك . ويغهم من هذا القول أن بلای يعتبر منشاء حركة المقاومة النصرانية ، ومجدد دولة النصرانية في الأندلس ، وأن نهوضه بها كان الحجر الأول في بنائها الجديد . وأن زمن عنبسة كان بدايتها (٢) عندما استجاب أهل جليقية لبلای وعملوا على حرب المسلمين ومدافعتهم عن أرضهم ، وإن كان نجاحهم قد تحقق بعد ذلك . وبطبيعة الحال تصدت لهذه الحركة القوة الإسلامية المتواجدة في المنطقة الشمالية ، فقد سكن المسلمون تلك المناطق ، وتركوا بعد الفتح حامية في خيخون ، ونائب يحكم المنطقة تحت إمرة الوالى ، إلا أنه ليس لدينا تفصيلات عن القوات التى تولت اخماد الحركة . غير أن القول بمدافعته عن أرضه ومدافعة النصارى المسلمين عما بأيديهم ، يعنى مقاومة الجيش الإسلامى الذى حاول القضاء على الحركة . ويشير (٤) منطق الأحداث الى فشل الحامية الإسلامية وحاكم الاقليم فى التصدى للمتمردين ، واخماد حركتهم ، فمارت الامور فى صالح بلای ، الذى بادر الى اخراج المسلمين . اذ نجد حسين مؤنس يشير الى قيام بلای على الحاكم المسلم ، الذى يملك اطراف جهته ، فنفاهم عنها . أى اخرج المسلمين عنها . ونحن نعلم

- 
- (١) فى هذا القول اشارة الى أن بلای كان مستقلا بناحيته ، وله أرضه التى فيما يبدو أنها الصخرة وماحولها .  
 (٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٢٤-٣٢٥ ، ٣٢٧ - المقرئ :  
 نفح الطيب ، ١٧/٣ ، ١٦-١٥/٤ ، ٣٥١-٣٥٠ - خليل  
 السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٠٥ .  
 (٣) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٢٤ .  
 (٤) خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٥ .  
 (٥) نفس المرجع ، ص ٣٢٧ .



أن حاكم الاقليم كان مركزه خيخون ، وهذا يعنى اخراج بلای للمسلمين من خيخون واستيلائه عليها . يعزز ماذهبنا اليه ، رواية تقول أن العرب استولوا على خيخون مدة قصيرة من (سنة ٩٥هـ/٧١٥م - ١٠٣هـ/٧٢٢م) لأن الأمير بلای أول أمير اسباني مستقل بعد مجيء العرب ، استرجعها وصارت مركزا لملوك اشتوريث . وهذه السنة التي استعاد فيها بلای خيخون كما تشير الرواية ، هي أول حكم غنبة في الأندلس (سنة ١٠٣هـ) . مما يعنى أنه استولى عليها فعلا عندما قام على نائب غنبة وهذا مادفع غنبة الكلبي أن يقوم بنفسه الى بلای لاختناد حركته واعادة السيادة الإسلامية على تلك الانحاء ، ان يُذكر أن غنبة توجه على رأس قوة عسكرية الى منطقة جليقية ، فقام بتوطيد سلطة الدولة وقضى على مظاهر المقاومة فيها ، عدا بلای ومن التف حوله ، فقد لجأوا الى الجبال وأبوا أن يلقوا السلاح ، فتركهم المسلمون . وهذا يعنى دحر بلای ومن معه الى المناطق الجبلية ، واستعادة خيخون وفرض السيطرة الإسلامية على جليقية من جديد، مع بقاء المقاومة تتربص بالمسلمين ، منتظرة الوقت المناسب للانقضاض عليهم .

- 
- (١) شبيب أرسلان : الحل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٥٥هـ ، ٥٨/٢ .
- (٢) خالد الصوفي : تاريخ العرب في الأندلس ، الفتح وعمر الولاة (٩٢-١٣٨هـ/٧١١-٧٥٦م) ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، بنغازي ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، دار النجاح ، بيروت ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

### الحركة بعد عهد يزيد بن عبد الملك :

ظل بلاى فيما يبدو يرقب الأوضاع ، فعندما رأى اضطراب المسلمين بعد انكسارهم فى بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ ، قوى أمره مرة أخرى ، لكن عقبة بن الحجاج السلولى والى الأندلس (١١٦ - ١٢٣هـ) تمكن من رد بلاى الى الصخرة ، وعمت فتوحاته جليقية كلها . (١) إلا أنه فى أعقاب فترة هذا الوالى ، واضطراب أمر الأندلس ، بفتنة أبى الخطار وشوابه ، وحركات البربر فى شمال افريقية ، استفاد بلاى من هذه الظروف ، فأخرج المسلمين من اشتريس ، ويبدو أن أهل استورقه من المسلمين حاربوه ، لكنه هزمهم ، إذ تشير المصادر الى معركة تسمى "كوفادونجا" لقى فيها المسلمون الهزيمة ، واستطاع بلاى (٢) على أثرها اخراج المسلمين من جليقية كلها ، وتنصر كل مذبذب فى دينه . ويرجع حسين مؤنس أن هذه المعركة حدثت سنة ١٢٣هـ أو مابعدا . وأن وفاة بلاى كانت بعد ذلك بقليل من

- 
- (١) خليل السامرائى : الخضر الأعلى ، ص ١٠٨ .
  - (٢) انظر أخبار هذه الفتنة التى قامت على أساس العصبية بين المفرية واليمينية ، عند / أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ص ٩٤-٩٥ .
  - (٣) عن شورات البربر العامة سنة ١٢٢هـ ، بزعامة ميسرة المطفرى ، ومن خلفه . (انظر / أحمد العبادى : نفس المرجع ، ص ٩٠-٩٣) .
  - (٤) انظر أخبارها عند / حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٢١-٣٢٢ . خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٥-١٠٦ .
  - (٥) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٢٦ - خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٠٩ .

(١) نفس السنة . لقد كانت هذه الواقعة حاسمة ، فقد مهدت لدولة  
اشتريس ، فثبتت قواعدها ، على نحو لم يستطع المسلمون  
ازالتها بعد ذلك ، وبذلك كانت حركة بلاى حادشا فاصلا فى  
التاريخ الاسباني ان انها كانت البداية الحقيقية لحركة  
المقاومة النصرانية ضد المسلمين فى الاندلس .  
(٢)

- 
- (١) فجر الاندلس ، ص ٣٣٠-٣٣١ - وقد وافقه خليل السامرائى  
الشجر الاعلى ، ص ١٠٩ . حيث ان بعض المؤرخين ذهبوا  
الى ان هذه المعركة حدثت فى ايام غنبة الكلبى .  
(انظر هذا القول عند / حسين مؤنس : نفس المرجع ،  
ص ٣٢٩) . لكننا نذهب الى ما وصل اليه حسين مؤنس فى  
التاريخ لهذه المعركة ، وان بلاى وان قام على غنبة ،  
الا ان معركة كوفادونجا لم تحدث فى زمنه ، لانها كانت  
تعنى نجاح حركة المقاومة ، وتأسيس دولتها النصرانية  
وهذا لم يحدث الا بعد عهد غنبة الكلبى .  
(٢) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٣٣٦-٣٣٧ - السيد عبد  
العزیز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ،  
ص ١٦٩ .

### المبحث الخامس

## حركة أخيلا

خروجه على السمع بن مالك فى الأندلس والقضاء على حركته :

لم يكن بلاى الرجل الوحيد الذى سعى الى اعادة الحكم القوطى فى اسبانيا ، بل أن هناك من شاركه هذا الأمر ، وهو أخيلا بن غيطة ، الذى تعاون مع المسلمين الفاتحين ظناً منه أنهم سيكتفون بالفنائم ، ويتركون له البلاد ، فلما تبين له هدفهم ، وأن الفتح للفتح والدعوة للإسلام ، مما يعنى البقاء والاستقرار ، تمرد عليهم ، وخرج على سلطانهم .  
(١)  
وقد كان أخيلا يقيم فى مدينة طركونة الأندلسية ، عندما

(١) كان غيطة ملكاً على اسبانيا من سنة (٨١-٨٩٠هـ/٧٠٠-٧٠٩م) وقد قام ببعض الأعمال التى أشارت عليه نقمة أهل البلاد ، حيث عمل على تولية ابنه الطفل "أخيلا" حاكماً على ولايتى أربونة وطركونة ، تحت وصاية عمه رخشدش ، فلما توفى غيطة ، تولت زوجته تدبير ملكه فى طليطلة فتغلب عليها لذريق ، فلجأ آل غيطة الى جليقية ، وحاولوا استرداد عرشهم ، لكنهم هزموا أمام لذريق ، ويبدو أن أخيلا هرب الى افريقيا وأقام عند يوليان حاكم سبته ، ودعا المسلمين الى فتح اسبانيا . وكان أبناء غيطة يأملون من وراء تعاونهم مع المسلمين أن يعود اليهم ملك أبيهم ، وأن المسلمين سيكتفون بالفنائم ويتركون البلاد لهم . وقد كان لأخوى أخيلا وهما بالمندو وأرطياس دور فى هزيمة لذريق أمام المسلمين فى معركة وادى بكة (سنة ٨٩٢هـ) ، إذ كانا معه فخذلاه وتعاونوا مع المسلمين . (خليل السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ٣٨٢-٣٨٥) .

(٢) طركونة : بلدة بالأندلس ، متصلة بأعمال طرطوشة ، وهى مدينة قديمة على شاطئ البحر ، وهى بين طرطوشة وبرشلونة ، بينها وبين كل واحدة منهما سبعة عشر فرسخاً . (ياقوت : معجم ، ٣٢/٤) .

(١) استولى عليها المسلمون على يد الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، ضمن النواحي التي استكمل المسلمون فتحها بعد حركة الفتح الاولى للاندلس . وقد ظن أخيلا أن المسلمين سيتركون ناحية طركونة له ، كما ظن غيره من آل غيطشة أن المسلمين يتركون البلاد لهم ، فلما وجد أخيلا المسلمين مقيمين في البلاد وأنه لن يصل إلى العرش على أيديهم ، خرج عليهم في طركونة ، فسار إليه السمع بن مالك الخولاني (١٠٠ - ١٠٢هـ) ، وأخضع البلد وأحمد التمرد . ومن المحتمل أن السمع قضى على هذه الحركة وهو في طريقه إلى بلاد الغال (فرنسا) غازيا (سنة ١٠١هـ) ومواصلا فتوحات المسلمين فيها .

- (١) كانت ولاية الحر بن عبد الرحمن على الأندلس بين عامي (٩٧-١٠١هـ) . (انظر / أحمد العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٦) .
- (٢) عن فتح الأندلس . (انظر / أحمد العبادي : نفس المرجع ، ص ٥١-٧٨) .
- (٣) السمع بن مالك الخولاني ، أمير من بني خولان من قضاة، استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس ، وأمره أن يميز أرضها ، ويخرج ما كان فتحه عنوة فيأخذ منه الخمس ، وأن يكتب إليه بصفة الأندلس ، فقدمها سنة ١٠٠هـ ، وفعل ما أمره به عمر ، واستشهد غازيا بأرض الفرنجة ، وكانت قرطبة عاصمته ، وهو الذي بنى قنظرتها (ت ١٠٢هـ) . (الزركلي : الأعلام ، ١٣٩/٣) .
- (٤) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ (نقلا عن / ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥ - سيمونيت ، ص ١٧٠-١٧١) . لكنه أشار إلى أنزال السمع شيئا من التخريب بطركونة ، كما سنجد بعد ذلك يقول بنهب عنيسة لها عند حديثه عن قبائله على نفس الحركة بعد تجددتها في ولايته . وهذا القول ، لا يتناسب مع شخصية السمع التي عرفت بحسن السيرة والتدين ، بل أنه يظهر أن المؤلف استقاهها من المراجع الأجنبية والتي ما انفكت تسعى إلى تشويه التاريخ الإسلامي ، وأعمال قادته وفتوحاتهم المجيدة ، وهم براء من ذلك ، فقد اتهمت بعض المراجع الغربية السمع بالقسوة وتهديم الإدارة والكنائس في الغال كذلك ، وهذا ما سنناقشه لاحقا أثناء الحديث عن فتوحاته - خليل السامرائي : الثغر الأعلى ، ص ٣٨٥-٥٨٦ . ولم يشر إلى ما يسمى لطبيعة الفتح من تخريب ونهب .
- (٥) خليل السامرائي : نفس المرجع والمصحة .

وهذا يدفعنا الى التاريخ لعمل السمع هذا باواخر عهد  
عمر بن عبد العزيز ، او مطلع زمن الخليفة يزيد بن عبد  
الملك ، وهذا مانقدمه ، لارتباط هذا العمل بخروج السمع الى  
بلاد الغال . والذي فيما يبدو انه حدث مطلع زمن الخليفة  
(١)  
يزيد بن عبد الملك .

وبالنظر فى هذه الاقوال يتضح ان هذه الحركة لم تقم  
لاخراج المسلمين من الاندلس ، فقد تبين لابناء غيطشة ، عزم  
المسلمين على الاستقرار ، وانهم لم يأتوا ليعيدوا اليهم  
ملك ابيهم ، وقد اتضح هذا بجلاء فى اعقاب الفتح الاول ،  
عندما اسرع طارق بن زياد الى طليطلة ، ليمنع محاولة اخيلا  
نفسه الذى ما ان تحقق النصر للمسلمين على لذريق فى معركة  
وادي البرباط (سنة ٩٢هـ) ، حتى عجل الى طليطلة لاسترجاع  
ملك ابيه ، فوملها طارق قبل ان يوافق مجمع طليطلة الدينى  
على قرار تعيينه ملكا على اسبانية ، ليؤكد اخيلا واخوته ،  
ان هدف المسلمين هو البقاء ، والعمل على نشر الاسلام فى  
اسبانية وماوراءها ، فرفضوا على مضض بالضياع التى كانت  
لابيهم وحصلوا على عهد بذلك من المسلمين . لكن اخيلا فيما  
(٢)  
يبدو كان يطمح ان يترك له المسلمون له ناحيته وهى تركونة  
فلما وجدهم جاءوا لفتحها واستولوا عليها ، تمرد عليهم ،  
(٣)  
ساعده على ذلك مكائته بين اهلها منذ عهد ابيه ، بل وربما  
(٤)  
يكون لوجود كنيسة جامعة على رأسها مطران ، فى هذه المدينة

(١) سنبين ذلك اثناء حديثنا عن حملة السمع على بلاد الغال  
محاولين الوصول الى التاريخ الصحيح لخروج الحملة .  
(٢) خليل السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ٣٨٢-٣٨٥ .  
(٣) انظر قبل : ص ٢٦٠ ، هامش (١) .  
(٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ .

اثر فى دفع اهلها الى هذه الحركة وتحريضهم على المسلمين .  
ويبدو أن القضاء على هذه الحركة لم يكلف السمع كبير عناء  
اذ كان يقود حملة أعدت لما هو اعظم من هذا التمرد ، فلم  
يسزد على اخمادها ، بل ظهر تسامحه مع الخارجين ، اذ عفا  
عن أخيل ، وتركه على حاله فيها ، وهذا ماسيؤدى الى تجدد  
حركته بعد ذلك .

#### تجدد الحركة فى ولاية عنبة بن سحيم وقضائه عليها :

يبدو أن أخيل بن غيطشة حاول استغلال هزيمة المسلمين  
فى بلاد الغال فى معركة طولوشة سنة ١٠٢هـ ، واضطراب امر  
الولاية بعد استشهاد أميرها السمع بن مالك فى هذه المعركة  
فاعلم التمرد من جديد ، وانتفض اهالى طركونة على عنبة بن  
سحيم الكلبي ، لكن الامير الجديد لم يكن اقل همة من سلفه  
فقد سارع الى اخماد حركتهم ، حيث زحف اليهم ، فدك حصونهم  
واقترض من زعمائهم ، وقد استسلم أخيل ، وانتقل الى طليطلة

- (١) انظر عن هذه المعركة : أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧ . وسنعرض لهذه الواقعة بالتفصيل فى الفصل الرابع من هذا البحث ، فى ثنايا الحديث عن فتوحات المسلمين فى بلاد الغال .
  - (٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ - خليل السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ٣٨٥-٣٨٦ .
  - (٣) عنبة بن سحيم الكلبي ، فاتح من الغزاة الشجعان ، كان عاملا على الاندلس ، وليها سنة ١٠٣هـ ، وأوغل فى غزو الفرنج ، يرى ايزيدور اسقف باجه فى ذلك العصر ، أن فتوحات عنبة كانت فتوحات حذق ومهارة أكثر منها فتوحات بطش وقوة ، وتضاعف خراج بلاد الغال فى أيامه ، وقد افتتح قرقشونة صلحا ، وأوغل فى بلاد فرنسا فعبر نهر الرون الى الشرق ، أصيب فى بعض الوقائع فمات شهيدا سنة ١٠٧هـ . (الزركلى : الاعلام ، ٩١/٥) .
- لكنه قال : كان عاملا على الاندلس من قبل هشام ، والاصح تولاهما من قبل يزيد ، ثم أقر زمن هشام حتى استشهد .  
(انظر / أحمد العبادى : نفس المرجع والمفحة) .

(١) فاقام فيها ، ولم يحاول الخروج على المسلمين بعد ذلك .  
ويظهر أن عنيسة اخرجته من طركونة لالتفاف أهلها حوله ،  
فأزال رأس الفتنة لئلا تظهر من جديد ، كما فرض على أهل  
طركونة غرامة مفاعفة .<sup>(٢)</sup> وأظنه يقصد الجزية أو ماصولحوا  
عليه ، فاستقرت بذلك البلاد داخليا واستتب الأمن فيها ،  
وساد النظام والعدل ربوعها .<sup>(٣)</sup>

أما أخىلا ، فقد استعرب أبناؤه من بعده ، إذ نجد فى  
أحد النصوص اسم أحد أحفاده وهو حفص بن البرق قاضى العجم .<sup>(٤)</sup>  
ان تجاوز المسلمين جبال البرتات الى بلاد الغال ، وقد  
خلفوا وراءهم بعض الخصوم ، أوجد مجالا لهؤلاء المتربمين ،  
فى تنظيم حركاتهم ، والخروج على سلطان الفاتحين ، فان  
المسلمين وان تمكنوا من القضاء على حركات بعض هؤلاء ،  
كتمرد أهل طركونة بقيادة أخىلا ، الا ان غيرها تمكن من  
الخبثات فى ظل غياب قوة المسلمين ، واحتقار شان المتمردين  
وقد تمثل هذا فى حركة بلای ، التى استغلت كثيرا من العوامل  
لتصبح نواة المقاومة المسيحية للوجود الاسلامى فى الاندلس .

(١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٠٦-٥٠٧ - خليل  
السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ٣٨٥-٣٨٦ - شكيب أرسلان :  
غزوات العرب ، ص ٨٥ - محمد محمد زيتون : المسلمون فى  
المغرب والاندلس ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ،  
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ٢٠٠ .

(٢) شكيب أرسلان : نفس المرجع والصفحة .

(٣) محمد زيتون : نفس المرجع والصفحة .

(٤) حسين مؤنس : نفس المرجع والصفحة .



# الفصل الثالث

مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك  
بتكسير الأصنام وإتخاذ لصلبان وإزالة الصور وهدم  
الكنائس المستحدثة

الفصل الثالث**مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك**

بتكسير الاصنام والتماثيل والصلبان  
وازالة الصور وهدم الكنائس المستحدثة

كان للخليفة يزيد بن عبد الملك سياسته الادارية والمالية تجاه اهل الذمة ، والتي اتسمت بشيء من التشدد (١) والعسف في النواحي المالية . وان كانت تلك السمة لم تقتصر على اهل الذمة بل شملت جميع رعايا دولته .

ومن اهم تلك الاجراءات التي اتخذها الخليفة يزيد حيال النصارى ، المرسوم او القرار الذي أصدره بخصوص النصارى ومعابدهم وبعض مظاهر عبادتهم . والذي يؤسف له انه لم يصل اليانا منه ، لافى المصادر العربية ولاغير العربية من يونانية ، ولاتينية ، وسريانية ، وارمينية .

لكننا عرفنا بهذا المرسوم مما ذكر عنه في عدد من المصادر العربية الخاصة بمصر الاسلامية ، اربعة منها مصادر اسلامية ، ومصدر واحد قبطى كتب باللغة العربية ، وهى :

ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) : فتوح مصر ، والكندى (ت ٣٥٠هـ) : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، والمقريزى (ت ٨٤٥هـ) : الخطط المقريزية ، وابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة ، والمصدر القبطى ل : ساويرس بن المقفع (٢) (عاش في القرن الرابع الهجرى) : سير الالاء البطارقة .

(١) أوردنا سياسته الادارية والمالية ، نحو اهل الذمة في ثنايا حديثنا عن مجمل سياسته الادارية والمالية ، (انظر : الفصل الخامس) .

(٢) تجدر الاشارة الى اقتمار ذكر هذا المرسوم في المصادر العربية اسلامية ومسيحية على المصادر الخمسة المشار اليها اعلاه ، والخاصة بمصر الاسلامية . الى جانب ما ذكر =

ونستعرض الآن ما أورده كل مؤرخ من هؤلاء المؤرخين الخمسة حول هذا المرسوم ، لنصل الى صيغة ذلك القرار وما تضمنه ، ولناقشه في ضوء ما ذكر عنه في المصادر والمراجع الأجنبية القديمة والحديثة .

(١)  
أولا : نص ابن عبد الحكم ، قال خلال حديثه عن حمام زبان : "وكان فيه صنم من رخام على خلقة المرأة عجب من العجب حتى كسر في السنة التي أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الأصنام ، وكان أمر بكسرها في سنة اثنين ومائة" .  
(٢)  
ثانيا : نص الكندي ، قال : "وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة أربع ومائة يأمر بكسر الأصنام فكسرت كلها ، ومحيت التماثيل ، وكسر فيها صنم حمام زبان بن عبد العزيز الذي يقال له حمام أبي مرة وله يقول كريب بن مخلد الجيشاني :  
من كان في نفسه للبيض منزلة

فليات أبيض في حمام زبان

(٤) عبل لطيف هضيم الكشح معتدل (٥)

(٦) على تراثبه في الصدر ثديان"

- = عنه في المصادر الأجنبية التي تبين صداه وأهميته فيها أكثر من المصادر العربية . والحق أننا لم نعثر له على ذكر في مصادر التاريخ الاسلامي العام أو غيرها من المصادر العربية ، ولانعلم لذلك سببا .
- (١) فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ، ص ١١٣-١١٤ .
- (٢) ما أورده ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم جاء عرضا ، عند ذكره لحمام زبان ، فلم يقدم معلومات وافية عنه .
- (٣) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتمحيص رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص ٧١-٧٢ .
- (٤) عبل : هضم ، وامرأة عبلة ، أي تامة الخلق ، والاعبل حجارة بيض . انظر : اللسان (عبل) .
- (٥) الكشح : مابين الخاصرة الى الضلع الخلفي ، وهو من لدن السرة الى المتن ، وقيل جانبا البطن ، وقيل الخمر . وهضيم الكشح أي دقيق الخصرين . انظر : اللسان ، (كشح) .
- (٦) التراثب : موضع القلادة من الصدر ، وقيل مابين الترقوة الى التندوة ، وقيل عظام الصدر ، وقيل ماولى الترقوتين منه ، وقيل مابين الثديين والترقوتين . انظر : اللسان (ترب) .

(١) ثالثا : نص المقرئى بقوله : "ثم هدمت الكنائس وكسرت الصلبان ومحيت التماثيل وكسرت الاصنام باجمعها وكانت كثيرة فى سنة اربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك" .  
 رابعا : نص ابن تفرى بردى الذى قال : وخرج - يعنى حنظلة بن صفوان عامل يزيد بن عبد الملك على مصر (١٠٢) - سنة ثلاث ومئة الى الاسكندرية واستخلف على مصر عقبة ابن مسلم التجيبى ، "ثم ورد عليه كتاب الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان بكسر الاصنام والتماثيل ، فكسرت كلها ومحيت التماثيل من ديار مصر وغيرها فى ايامه" .  
 خامسا : المصدر القبطى للمؤرخ ساويرس بن المقفع فتمه "ثم تولى بعده - يعنى بعد عمر بن عبد العزيز - يزيد ومانحس بشرح ماجرى فى ايامه ولانذكره من سوء والبلاء لانه سلك طريق الشيطان وحاد عن طريق الله ، واول ماأخذ المملكة أعاد الخراج الذى كان عمر قد رفعه عن البيع والاساقفة سنة واحدة وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى شاق كل من فى بلاده ، ولم يكتف بهذا فقط حتى أمر بكسر الصلبان فى كل مكان وكشط الصور الذى فى البيع لانه كان قد أمر بذلك ، لكن السيد المسيح اهلكه لاجل ذلك وأخذ نفسه بعد أن ناله قبل موته بلاء كثيرة وكان مدة مقامه فى الملك سنتين واربعة شهور" .

- 
- (١) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقرئية ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٤٩٣/٢ .  
 (٢) النجوم ، ٢٥٠/١ .  
 (٣) كتاب سير الاء البطارقة ، باريس ، ١٩٠٣م ، ١٥٣/١ .  
 (وتجدر الإشارة الى خطأ مدة خلافة يزيد التى ذكرها ، والمصحح انها اربع سنوات وشهر) .

ومن هذه النصوص نستخلص أن المرسوم تناول المسائل  
الآتية الخاصة بالنصاري وعبادتهم :

أولا : الأمر بتكسير الأصنام ، ذكر ذلك ابن عبد الحكم  
والكندي والمقرئزي وابن تغري بردي . ولم يذكره ساويرس ابن  
المقفع . ويتضح من هذا أن البلاد المفتوحة كان بها بقايا  
من آثار الوثنية القديمة ، ممثلة في بقاء نماذج من الأصنام  
كمنم حمام زبان الذي ورد في نص ابن عبد الحكم والكندي، وهو  
عبارة عن تمثال لجسد امرأة حسناء . ويتبين أن الخليفة<sup>(١)</sup>  
يزيد أراد بذلك تطهير الدولة الإسلامية من بقايا الوثنية  
ومظاهرها ، وصيغ مظاهر الحياة في دولته بالنسبة الإسلامية .  
ثانيا : وتضمن المرسوم محو التماثيل ، أورد ذلك<sup>(٢)</sup>  
الكندي والمقرئزي وابن تغري بردي .

ويرجع أن المقصود بمحو التماثيل ، هو محو الصور<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) انظر وصف هذا التمثال شعرا في نص الكندي ، قبل :  
ص ٢٦٧ .
- (٢) محو : محو الشيء يمحوه ويمحاه محوا ومحيا، أذهب أثره،  
والمحو لكل شيء يذهب أثره . ومحو لوحه يمحوه محوا ،  
فهو محو ، والمحى من أسماء الرسول صلى الله عليه  
وسلم محو الله به الكفر وأثاره . انظر : اللسان  
(محو) .
- (٣) ورد لفظ التماثيل بمعنى الصور في عدد من الأحاديث  
النبوية المحرمة للتموير ، منها : ما روى عن عائشة  
رضي الله عنها قالت : دخل على النبي صلى الله عليه  
وسلم وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل ، فلما  
راه هتكه وتلون وجهه وقال : "يا عائشة أشد الناس  
عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" قالت  
عائشة فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين . رواه  
مسلم . (انظر هذا الحديث وأحاديث أخرى أوردت لفظ  
التماثيل بمعنى الصور عند / الشيخ عبد العزيز بن باز،  
الجواب المفيد في حكم التماثيل ، الرئاسة العامة  
لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ،  
إدارة الطباعة والنشر ، المطابع الأهلية للأوقاف ،  
الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ ، ص ٥  
ومابعداها) .

وازالة التماثيل الدينية ، وبخاصة ماوجد منها داخل الكنائس . وليس المقصود من ذلك فيما يبدو تكسير الاصنام ، لان النصوص فصلت في ذلك وقالت بكسر الاصنام ومحو التماثيل ، كما ان ساويرس بن المقفع افصح عن المقصود بذلك ، فلم يقل بمحو التماثيل ، وقال : "وكشط الصور" <sup>(١)</sup> .

والصور المستهدفة بهذا المرسوم هي عموم الصور لكل ذي روح ، يتضح ذلك من عمومية اللفظ في النصوص الواردة حول المرسوم ، وماوردته المصادر من ان تنفيذ المرسوم شمل فيه التخطيط عموم الصور بناء على امر الخليفة . وقد جاء هذا التعميم لان الاسلام يحرم التصوير وصور وتماثيل كل ذي روح ، وان كان بعض المؤرخين الاجانب اشاروا الى اسباب اخرى وراء اصدار المرسوم بمحو الصور والتماثيل <sup>(٢)</sup> .

وقد جاء تحريم الصور والتماثيل في ديننا الحنيف لحكمة بالغة ، هي البعد عن مظاهر الوثنية وحماية العقيدة من الشرك وعبادة الاصنام ، فنهى القرآن عن عبادة الاصنام وشنع على من كان يعكف عليها وندد بمن يتخذ الاصنام والاولهان آلهة ، من ذلك قوله تعالى : {قال اتعبدون ما تهنئون . والله خلقكم وما تعملون} . وقال : {ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} . وايضا قوله تعالى : {وقالوا

(١) انظر كامل النص في الصفحة قبل السابقة .  
 (٢) انظر ماسنكتبه عن تنفيذ مرسوم يزيد ، وماثم على اثر تنفيذه ، بعد : ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ .  
 (٣) سنشير الى المصادر الاجنبية التي اشارت الى هذا المرسوم وماوردته من اسباب اصداره ، انظر بعد : ص ٢٨٦ ومابعدها .  
 (٤) المافات : ٩٦ ، ٩٥ .  
 (٥) المائدة : ٩٠ .

لاتذرن المعتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا . وقد  
 اضلوا كثيرا ولا تذن الظالمين الا ضلالا<sup>(١)</sup> . وقوله : { انما  
 تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ... }<sup>(٢)</sup> .

كما نهت السنة النبوية المطهرة عن اتخاذ الصور  
 والتنفيذ منها<sup>(٣)</sup> . ومعلوم ان عبادة غير الله شرك ، وعبادة  
 الاصنام والتماسثيل والصور شرك ، وقد بين عز وجل حكم من  
 اشرك به فقال : { ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون  
 ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا }<sup>(٤)</sup> .

اما فيما يخص حكم التصوير والصور وماهى فيه ، فيقول  
 الشيخ عبد العزيز بن باز : " جاءت الاحاديث الكثيرة عن  
 النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحاح والمسانيد والسنن  
 دالة على تحريم تصوير كل ذى روح آدميا كان او غيره ، وهتك  
 المستور التى فيها الصور ، والامر بطمس الصور ولعن المصورين  
 وبيان انهم اشد الناس عذابا يوم القيامة " . ثم ذكر جملة  
 من الاحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الباب ، سنورها نحن  
 بالفاظ النصوص التى خرجناها ، ومنها : مارواه البخارى  
 بسنده عن الاعمش عن مسلم قال : " كنا مع مسروق فى دار يسار  
 ابن لمير ، فرأى فى صُفَّة تماثيل فقال : سمعت عبد الله قال  
 سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان اشد الناس عذابا  
 عند الله يوم القيامة المصورون<sup>(٥)</sup> " .

- 
- (١) نوح : ٢٣ ، ٢٤ .  
 (٢) العنكبوت : ١٧ .  
 (٣) حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ،  
 دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، دار  
 وهدان للطباعة والنشر ، ص ١١٠-١١١ وهامش (١٦) منها .  
 (٤) النساء : ١١٦ .  
 (٥) الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ٣ .  
 (٦) البخارى مع فتح البارى ، ١٠ / ٣٩٦ ، ٤٠٠ - صحيح مسلم ،  
 ٣ / ١٦٧ - مسند الامام احمد ، ١ / ٣٧٥ ، ٤٢٦ ، ٢ / ٢٦ ، ٥٥ .

ومارواه البخارى بسنده عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها اشترت نمرقة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت فى وجهه الكراهة ، فقالت يارسول الله اتوب الى الله والى رسوله ، ماذا اذنبت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال هذه النمرقة ؟ قالت فقلت اشتريتها لك لتضع عليها وتوسدها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم احيوا ما خلقتم ، وقال : ان البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة " (١) .

ومارواه مسلم عن سعيد بن ابى الحسن قال : جاء رجل الى ابن عباس فقال : انى رجل اصور هذه الصور ، فافتنى فيها ، فقال له : ادن منى ، فدنا منه ، ثم قال ادن منى فدنا حتى وضع يده على راسه . فقال : انبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كل مصور فى النار ويجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه فى جهنم " (٢) .

ومارواه ابو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه : " ان النبى صلى الله عليه وسلم امر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء ان يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبى صلى الله عليه وسلم حتى محيت كل صورة فيها " (٣) .

(١) البخارى مع فتح البارى ، ٣٥٩/٦ ، ١٥٧/٩ ، ٤٠٢، ٣٩٦/١٠ ، ٤٠٦ - صحيح مسلم ، ١٦٦٩/٣ .  
(٢) صحيح مسلم ، ١٦٧٠/٣ - مسند الامام أحمد ، ٣٠٨/١ .  
(٣) سنن ابى داود بشرح عون المعبود ، ٢١٢/١١ - مسند الامام أحمد ، ٣٩٦، ٣٨٣، ٣٣٦، ٣٣٥/٣ .



ومارواه مسلم بسنده الى أبى الهياج الاسدى قال : "قال  
لى على بن أبى طالب : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، أن لاتدع تمثالا الا طمسته ،  
ولا قبرا مشرفا الا سويته " . وروى عن أبى بكر بالاسناد  
المتقدم بلفظ "ولاصورة الا طمستها" <sup>(١)</sup> .

ومن ذلك أيضا ، مارواه البخارى بسنده عن ابن عباس  
رضى الله عنه يقول : سمعت أبا طلحة سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول : "لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب  
ولا صورة تماثيل" <sup>(٢)</sup> . وغيرها من الاحاديث الكثيرة فى هذا  
الباب <sup>(٣)</sup> .

- (١) صحيح مسلم ، ٦٦٦/٢ - النسائى ، ٨٨/٤ - مسند الامام  
أحمد ، ١٣٨٠٨٧/١ - سنن البيهقى ، ٣/٤ بدون لفظ  
"ولاصورة الا طمستها" - جامع الترمذى ، ١٥٠/٤ وقال حديث  
على حديث حسن والعمل على هذا عند بعض أهل العلم .  
وقال الألبانى فى هذا الاسناد علة وهى عنعننة حبيب فقد  
كان مدلسا ولم يصرح بالتحديث فى شيء من هذه الطرق  
اليه ، لكن الحديث صحيح فان له طرقا أخرى يتقوى بها  
(ارواء الغليل ، ٢٠٩/٣) .
- (٢) البخارى مع فتح البارى ، ٤٤٦٠٤١٤٠٣٥٩/٦ ، ٣٦٧/٧ ،  
١٥٧/٩ - صحيح مسلم ، ١٦٦٥-١٦٦٦/٣ - سنن أبى داود  
بشرح عون المعبود ، ٢١٠٠٢٠٧/١١ - جامع الترمذى بشرح  
تحفة الأحوذى ، ٨٨/٨ - ١٠٧٠٨٩-١٣٩٠١٤٦٠١٤٨٠١٥٠٠٢٧٧ ،  
٩٠/٣ ، ٣٠٠٢٩٠٢٨/٤ ، ٣٣٠٠٢٤٦٠١٤٣/٦ .
- (٣) لمزيد من هذه الاحاديث فى هذا الباب ، انظر كتب  
الحديث باب الصور والتصوير ، وكذلك : عبد العزيز بن  
باز : الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ٤-١٠ -  
وكذلك كتابه الفتاوى ، كتاب الدعوة ، سلسلة نصف  
سنوية تصدر عن مؤسسة الدعوة الاسلامية الصحفية ،  
المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الثالثة ،  
١٤٠٩ هـ - ١٩/١ - ٢٠ . وهناك احاديث أخرى عنده ، وانظر  
أيضا / أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، أخرجه وزاد  
عليه الدراسات الفنية والتعليقات ، زكى محمد حسن ،  
القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،  
١٩٤٢ م ، ص ١١٩ .

وعلى أساس هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نجد أن الإسلام حرم التصوير والمصور والتماثيل ، وتبين أن التحريم للتصوير جاء على العموم لكل ذى روح ، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهى حرمة عامة لأنواع التصوير ، سواء كان للمصورة ظل أم لا ، سواء أكان التصوير فى حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو مرآة أو غير ذلك ، واستعمال ما هو فيه ودخول البيت الذى هو فيه ، إلا إذا كانت فيما يمتحن أو قطع رأس المصور ، ولا يجوز تعليقها أو نصبها فى أى مكان ، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله ولأن فى ذلك مفاهاة لخلق الله وتشبها بأعداء الله .<sup>(١)</sup>

ونقل الشيخ عبد العزيز بن باز قول النووي فى شرح مسلم فى باب تحريم التصوير قوله : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور فى الأحاديث ، وسواء صنعه بما يمتحن أو بغيره ، فصنعه حرام بكل حال ، لأن فيه مفاهاة لخلق الله تعالى فى أى شئ كان ، وأما تصوير ما ليس فيه روح كالشجر فليس بحرام . هذا حكم التصوير ، أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإنه إن كان معلقا على حائط أو ثوبا ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك ، مما

(١) عما كتبه أعلاه وتفصيل أوفى وأشم : انظر : الشيخ عبد العزيز بن باز : الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ١٠-١٣ - وله أيضا : الفتاوى ، ١/ ١٨-٢٠ - أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٢٠ - زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) الجواب المفيد فى حكم التصوير ، ص ١٣-١٤ ، ولمزيد من الفائدة حول هذا الموضوع انظر كامل الكتيب .

لا يعد ممتنعا ، فهو حرام ، وان كان فى بساط يداى ومخدة ونحوهما مما يمتن فليس بحرام ، ولا فرق فى هذا بين ماله ظل ومالا ظل له . وقال : ان هذا تلخيص مذهبنا وبمعناه قال جمهور العلماء من المحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهو مذهب الثورى ومالك وأبى حنيفة وغيرهم .<sup>(١)</sup>

وليس شمة شك فى أن تحريم الاسلام للصور والتماثيل - بناء على ماورد بشأنه فى القرآن والسنة - كان هو الدافع وراء قرار الخليفة يزيد بن عبد الملك بتكسير الأصنام ومحو الصور والتماثيل .<sup>(٢)</sup>

ثالثا : وتضمن المرسوم أيضا الأمر بهدم الكنائس . وقد انفرد بذكر ذلك من المصادر العربية المقرريزى . والبين أن المقصود بقوله هدم الكنائس أى الكنائس المستحدثة ، التى

(١) تجدر الإشارة الى أن من الدارسين المحدثين من يرى أنه لايراد تعميم تحريم التصوير فى كل زمان ومكان ، خصوصا اذا أمن جانب العبادة والتعظيم ، وذلك لما فى التصوير من قوائد ، ويرى بعضهم أن حكم التصوير الكراهة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لاالتحريم ومن المستشرقين من قال : ان القرآن لم ينه عن عمل الصور والتماثيل ، وان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينه عن ذلك ، وان هذه الكراهة نشأت بين الفقهاء فى القرن الثانى الهجرى ، وأن الأحاديث المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم حول ذلك موضوعة . ونحن نشير الى هذه الآراء ، للعلم والاحاطة لا تصديقا لها أو تسليما بها ، بل ندفعها وندحضها ، لثبوت تحريم التصوير والتماثيل ، بما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة ثابتة ، ذكرنا بعضها منها فى الصفحات السابقة .

من أجل هذه الآراء الآتفة الذكر ، (انظر / أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩ - زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ١٦٣-١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧ . وانظر أيضا فى هذا الصدد بحث كريزول :

Creswell, K.A.C : The Law Fulness of Painting in Early Islam, in Ars Islamica, XI-XII, 1946).

(٢) حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ،

ص ١١١ .  
(٣) انظر النص الذى أورده قبل : ص ٢٦٨ .

بناها المسيحيون بعد الفتح الاسلامى . حيث أن الملح جرى بين المسلمين وأهل الذمة على أن لاتهدم بيعهم ولاكنائسهم ، والا يحدثوا بناء بيعة ولاكنيسة ، فان فعلوا شيئا من ذلك عوقبوا (١) واخذ منهم .

ونستعرض الآن مقتطفات من عقود الملح التى أبرمها المسلمون مع أهالى البلاد المفتوحة فيما يخص اعطاءهم الامان على ما يديهم من الكنائس وعدم استحداث غيرها .

فقد ذكر أبو يوسف أن خالد بن الوليد صالح أهل الحيرة على أن لا يهدم لهم بيعة ولاكنيسة ، وبقراءة الكتاب الذى كتب بينهم - وكان قد أورده - وجدناه لم ينص على ذلك ، كما صالح أهل عانات وقرقيساء وغيرها على ذلك . ومن نصوص الملح التى حفظتها لنا المصادر ، كتاب الامان الذى اعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل اللد وسائر كورها وقد جاء فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، اعطاهم امانا لانفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ، أنه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا مللها ، ولا من صلبيهم ، ولا ... " (٢)

وورد فى ملح أهل مدينة دمشق : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق اذا دخلها ،

(١) أبو يوسف : الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٩-٢٩٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٩/٣ .

أمانا على أنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم  
(١)  
ولا يمكن شيء من دورهم ، .... " .

كما ورد في كتاب الأمان الذي أعطى لخصاري أهل الشام  
مأمنه : "بسم الله الرحمن الرحيم ، ....، وعلى الأئمة أحدا  
من المسلمين أن ينزل كنائسنا في الليل والنهار ، ونفيهم  
فيها ثلاثا ، ونطعمهم من الطعام ، ونوسع لهم أبوابها ،  
ولا نضرب فيها بالنواقيس إلا ضربا خفيا ، ولا نرفع أصواتنا  
بالقراءة ، ولا نؤوي فيها ولا في شيء من منازلنا جاسوسا  
لعدوكم ، ولا نحدث كنيسة ، ولا صومعة ، ولا قلعة ، ولا نجدد ما خرب  
منها ، ولا نقصد الاجتماع فيما كان منها من خطط المسلمين  
وبين ظهرائهم ، ولا نظهر شركا ، ولا ندعو إليه ، ولا نظهر  
مليبا على كنائسنا ، ولا في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم ،  
ولا ..... ، شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا ، فإن  
خالفناه ، فلأمة لنا ولأعداء ، وقد حل لكم منا ما يحل لكم من  
(٢)  
أهل الشقاق والمعاندة " .

وقد ورد في كتاب صلح أهل إيلياء الذي يعتبر الأساس في  
كتب الصلح والأمان لأهل الشام مأمنه : "بسم الله الرحمن  
الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء  
من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم  
وملبائهم ، وسقيمتها وبريختها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن

(١) شريفا حافظ عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في  
العصر الأموي ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لقسم الدراسات  
العلية التاريخية والحضارية ، بكلية الشريعة ، جامعة  
أم القرى ، بمكة ، المملكة العربية السعودية ،  
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، غير مطبوعة ، ص ٥٥ .  
(٢) شريفا عرفة : نفس المرجع ، ص ٥٦-٥٧ .

كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ... " .<sup>(١)</sup>

أما صلح أهل مصر فقد ورد فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ، ... " .<sup>(٢)</sup>

ويتبين أن من أهم بنود عهود الصلح التي أبرمها المسلمون مع أهل الذمة ، أن يحترموا الشعائر الدينية للمسلمين ، ولا يظهروا من طقوسهم ما يؤذي مشاعر المسلمين ، وأن يؤمنوا أهل الذمة على كنائسهم التي جرى عليها الصلح ، والا يحدثوا أي كنائس أو دور عبادة غيرها .<sup>(٣)</sup>

وعلى هذا الأساس تركت البيعة والكنائس القديمة ، فلم تهدم ، ولذلك قال أبو يوسف : "ولست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح ، ولا يحول ، ويمضى الأمر على ما أمضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ، فإنهم لم يهدموا شيئاً مما كان الصلح جرى عليه ، فأما ما أحدث من بناء بيعة أو كنيسة فإن ذلك يهدم" .<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>

- 
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٩/٣ .  
 (٢) الطبري : نفس المصدر ، ١٠٩/٤ .  
 (٣) شربا عرفة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، ص ٥٩ .  
 (٤) الخراج ، ص ٢٩٤-٢٩٥ .  
 (٥) جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خلفائه ذمته لنصارى نجران على بيعهم . (انظر : توفيق اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، ص ١٠٠) .  
 (٦) وانظر أيضاً عن إعطاء المسلمين العهد لأهل الذمة بالابقاء على بيعهم وكنائسهم ، على ألا يستحدثوا غيرها ومما قيل حول ذلك / المناوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٢٧ - المقرئزي : خطط ، ٤٩٢/٢ - توفيق اليوزبكي : نفس المرجع ، ص ١٠٠-١٠٣ - ترتون : أهل الذمة في الإسلام ، ص ٤١٠٣٩٠٩ .

(١)

ونقل أبو يوسف أن ابن عباس سئل عن العجم ألهم أن يحدثوا بيعة أو كنيسة في أمار المسلمين ؟ فقال : "أما مصر ممرته العرب فليس لهم أن يحدثوا فيه بيعة أو كنيسة ، ولا يفرّبوا ناقوسا ، ولا يتخذوا فيه خنزيرا ، وكل مصر كانت العجم ممرته ففتح الله على العرب ، فنزلوا على حكمهم ، فللعجم ما في عهدهم ، وعلى العرب أن يفوا لهم بذلك " .

إلا أن بعض الأمراء الأمويين تسامحوا مع أهل الذمة ، فتركوا لهم الفرصة في استحداثها ، والسماح بتجديد بعض ماخرب منها ، والاعانة على ذلك أحيانا وإقراره ، من ذلك أمر معاوية رضي الله عنه بتجديد بيعة الرها الكبرى عقب زلزال هدم بعض أجزائها . وموافقة عبد العزيز بن مروان حين بنى مدينة حلوان بمصر ، على استحداث كنيسة لخادمين ملكانيين عرفت بكنيسة الفراشين . ولكاتبه اثناسيوس ، ببناء كنيسة في قصر الشمع ، فلم يكتب اثناسيوس بواحدة ، بل شيد اثنتين هما كنيسة مار جرجس ، وكنيسة أبي قير داخل قصر الشمع ، وأقام ثلاثة بالرّها . وما ذكر من قيام خالد

(١) الخراج ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٢) عن تسامح بني أمية مع أهل الذمة في تجديد الكنائس واستحداثها . (انظر / صالح الحمارنة : المسيحية في أرض الشام في أوائل الحكم الإسلامي ، بحث ضمن مجموعة أعمال المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام (من القرن ٦-١٧م) ، المنعقد في الجامعة الأردنية ، نشر الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٥٥٦ - سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠م ، ص ١٩٠-١٩١ - تروتون : أهل الذمة في الإسلام ، ص ٤٤-٤٥ ، ٥٣-٥٤ - توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، واسماعيل النجراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م ، ص ٨٤-٨٥ .

القسرى أمير العراق فى عهد هشام ببناء كنيسة لأمه - وكانت نصرانية - فى ظهر المسجد الجامع بالكوفة ، وأنه سمح للنصارى بوجه عام ببناء كنائس أخرى .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن المسيحيين ، بالغوا فى استغلال هذا التسامح وتمادوا فى استحداث كثير من الكنائس والبيع . لذلك نجد سلف يزيد وهو الخليفة عمر بن عبد العزيز يأمر بهدم الكنائس المستحدثة ، كما أكد على ألا يحدث كنيسة ولا بيت نار بينما أمر بالاهدم دور العبادة من بيع وكنائس وبيوت نار التى كان قد صولح عليها أهلها .<sup>(٢)</sup>

ومن هنا فيما يبدو جاء مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك متضمنا الأمر بهدم الكنائس المستحدثة . بل يتضح أنه أخذ سياسة متشددة نحو أهل الذمة فى هذا الشأن ، فلقد ذكر أنه أمر بإعادة بعض الكنائس التى أقطعها بعض أسلافه من الخلفاء الأمويين لأشراف من العرب ، إلى من أقطعت لهم بعد أن ردها عمر بن عبد العزيز إلى النصارى .<sup>(٣)</sup>

(١) شربا عرفة : الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام ، ص ٦٧-٦٨ .

(٢) من أجل سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه هذا التجاوز وتطبيق ماتضمنته مواثيق الملح . (انظر / أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٦٢ - نجدة خماش : الشام فى صدر الإسلام ، ص ٩٩ - نادية مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ، ص ٧١-٧٢ - شربا عرفة : نفس المرجع ، ص ٦٧ - فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول) ، تحقيق ادورد جرجى وجبرائيل جبور ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦١م ، ص ٣٠٢/١-٣٠٣ .

(٣) عن تلك الكنائس التى أعادها يزيد إلى من أقطعت لهم . (انظر ماذكرناه عنها بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى ، ص ٦٠٨) .



رابعاً : الأمر بكسر الملبان ، نص على ذلك المقرئ وساويرس بن المقفع .

وكان المسلمون قد منعوا أهل الذمة واشتروا عليهم في الملح معهم من اخراج ملبانهم الا في يوم عيدهم الاكبر ، خارج المدينة بلارايات ولابنود ، والا يظهرُوا ملبانهم داخل بيوت المسلمين ومساجدهم . يقول أبو يوسف : "حدثني بعض أهل العلم عن مكحول الشامي : أن أبا عبيدة بن الجراح صالحهم بالشام واشترط عليهم حين دخلها على أن يترك كنائسهم وبيعهم ، على أن لا يحدثوا بناء بيعة ولاكنيسة ، ولا يرفعوا في نادي أهل الاسلام صليباً ، ولا يخرجوا الرايات في يوم عيد ، ، ، ، ، فان فعلوا شيئاً من ذلك عوقبوا وأخذ منهم " .

وقال في موضع آخر ينقل أمر عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما ورأيه فيما أعطاه أهل الذمة من العهد : "وأما اخراج الملبان في يوم عيدهم فلا تمنعهم من ذلك خارج المدينة بلارايات ولابنود على ما طلبوا منك يوماً في السنة ، فأما داخل بيوت المسلمين ومساجدهم فلا تظهر الملبان" . فأذن لهم أبو عبيدة في يوم من السنة ، هو يوم

(١) عيدهم الاكبر : عيد الفصح ، وهو يوم الفطر من موهم الاكبر وفيه - كما يزعمون - قام المسيح بنفسه بعد الملبوت بثلاثة أيام ، وخلص آدم من الجحيم وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم بعد إلى السماء ، وفي الفصح يوقدون المشاعل ، ويدعون أيضاً الفصح بالقيامة ، لتذكّار قيامة المسيح من الموت يوم الفصح . (توفيق اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٩٠-٢٩١) .

(٢) من أجل ذلك انظر / أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٨١-٢٨٢ ، ٢٨٥-٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

عيدهم الذى فيه صومهم ، واما غير ذلك فلم يكونوا يخرجون  
(١)  
ملبانهم .

وقد نص على عدم اظهارهم للملبان امان المسلمين  
لنصارى الشام حيث ورد فيه مائمه : "....، ولانظر ملبا  
على كنائسنا ، ولافى شىء من طرق المسلمين واسواقهم ،...." (٢)  
وهناك مايدل على تجاوز المسيحيين لشروط الملع  
(٣)  
واظهارهم لملبانهم ، فيذكر ترتون : ان عبد العزيز بن  
مروان امير مصر (٦٥ - ٨٦هـ) ، امر بتحطيم جميع الملبان  
(٤)  
الموجودة بمصر . كما ذكر ابو يوسف ان الخليفة عمر بن عبد  
العزيز كتب الى احد عماله يامره بقوله : "اما بعد ،  
فلتدعن ملبا ظاهرا الا كسر ومحق ...." . مما يشير الى وجود  
تجاوز ادى الى فعل عبد العزيز وامر ابنه عمر .  
ولعل هذا مادعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى ان  
(٥)  
يفمن مرسومه الامر بكسر تلك الملبان .

- 
- (١) ابو يوسف : الخراج ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .  
(٢) شريا عرفة : الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام ، ص ٥٧ .  
(٣) اهل الذمة فى الاسلام ، ص ١٠٩ .  
(٤) الخراج ، ص ٢٦٢ .  
(٥) مما تجدر الاشارة اليه ، وقوع الاختلاف بين عهد الامان  
التي اعطيت لاهل الذمة فى الاقطار المختلفة ، اجمالا  
وتفصيلا ، فنجد من الشروط فى عهد بلد ما لانجده فى عهد  
آخر . وانى لارى ان ذلك راجع لشخص القائد وظروف الفتح  
والتفاوض . مع التسليم بان هناك اشياء تعتبر من  
الثوابت والمسلمات ، لايعنى عدم ذكرها فى شروط الملع  
عدم تطبيقها على اهلها ، خصوصا فيما يتعلق باحترام اهل  
الذمة للمسلمين وشعائرهم الدينية ، وحدود الحرية  
الدينية لاهل الذمة . فعلى سبيل المثال ، اذا لم يذكر  
فى شروط ملح ما النص على عدم استحداث الكنائس او رفع  
الملبان ، فان ذلك لايعنى الاباحة لهم ، باعتبار ذلك  
منهج اسلامى يطبق على الكل وان لم يذكر . اما مايسلم  
به من الاختلاف والالتزام بحرفيته فقد يكون ذلك فى  
النواحى المالية التي راعى فيها الفاتحون اختلاف ظروف  
البلاد واهلها .

خامسا : عموم امر الخليفة وسريان تنفيذه على سائر الاقطار الاسلامية ، مصر وغيرها ، أشار الى ذلك بوضوح ابن تفرى بردى فى نصه حيث قال : ".... فكسرت كلها - أى الأمنام - ومحيت التماثيل من ديار مصر وغيرها فى أيامه" .<sup>(١)</sup>  
وكذلك ساويريس بن المقفع الذى اورد فى نصه : "....، ولم يكتف بهذا فقط حتى امر بكسر الصلبان فى كل مكان ،..."<sup>(٢)</sup>  
كما أشارت الى عمومية مرسوم الخليفة وتنفيذه فى جميع الولايات الاسلامية ، عدد من المصادر والمراجع المسيحية القديمة والحديثة .<sup>(٣)</sup>

سادسا : ان تأريخ صدور هذا المرسوم كما ورد فى المصادر العربية ، مختلف فيه ، فابن عبد الحكم يؤرخ له ب (سنة ١٠٢هـ/ ١٢ يولييه ٧٢٠م - ٢ يونيه ٧٢١م) . بينما يؤرخ له كل من الكندى والمقرئى ب (سنة ١٠٤هـ/ ٢١ يونيه ٧٢٢م - ١٢ مايو ٧٢٣م) . أما ابن تفرى بردى فقد قال : ان كتاب الخليفة يزيد وصل الى عامله على مصر بعد خروجه الى الاسكندرية (سنة ١٠٣هـ/ ١ يولييه ٧٢١م - ٢٢ مايو ٧٢٢م) . الا ان ساويرس بن المقفع أرخ له باوائل خلافة يزيد التى بدأت فى (رجب سنة ١٠١هـ/ ١٧ يناير ٧٢٠م) . لكنه لم يحدد . ويفهم من قوله ان صدور هذا المرسوم تم فى اواخر سنة ١٠١هـ أو سنة ١٠٢هـ/ ١ يولييه ٧٢١م . فيكون بذلك تأريخ ابن عبد الحكم

(١) انظر كامل النص قبل : ص ٢٦٨ .

(٢) انظر كامل النص قبل : ص ٢٦٨ .

(٣) سنستعرض ماورد فى تلك المصادر والمراجع حول هذا المرسوم فى الصفحات التالية ، وسيكون لنا تعليق على عمومية أمره ، واتساعه وتبين أثره فى بعض البلدان الاسلامية دون الأخرى .

وساويرس بن المقفع للمرسوم متقارباً ان لم يكن متوافقاً ،  
 اذا كان ساويرس عنى بأول خلافته ، صدر خلافته ، لأول شهر  
 منها أو نحوه على وجه الدقة ، واللفظ يحتمل ان يكون أولها  
 فى حدود العام من البداية ، خصوصاً اذا كنا نعلم ان يزيد  
 شغل منذ تولى الخلافة بحركة ابن المهلب والتي لم تنته الا  
 فى صفر سنة ١٠٢هـ ، فيكون المرجح انه أصدر امره بعد فراغه  
 من تلك الحركة ، يسند ذلك ان هناك روايات أشارت الى اشراف<sup>(١)</sup>  
 اخيه مسلمة بن عبد الملك على تنفيذ مرسومه فى العراق ،  
 ومسلمة هو الذى تولى اخمد حركة ابن المهلب ، مما يعنى ان  
 صدور المرسوم كان بعد القضاء على ابن المهلب ، أى فيما  
 بعد (صفر سنة ١٠٢هـ) . كما ارى ان تاريخ ابن تغرى بردى  
 للمرسوم لا يخالف تاريخ ابن عبد الحكم وساويرس ، بل اراه  
 موافقهما ، اذ انه اخبر ان امر يزيد ورد على عامله بمصر  
 (سنة ١٠٣هـ) ، ولم يقل أصدر امره (سنة ١٠٣هـ) ، فلا خلاف  
 صريح بينهما ، فلعل يزيد أصدر امره اواخر سنة ١٠٢هـ كما  
 اخبر ابن عبد الحكم ، وورد امره على عامل مصر اوائل (سنة  
 ١٠٣هـ) .

وحيث اننا سنستعرض روايات اجنبية أرخت لهذا المرسوم ،  
 فاننا نترك امر الوصول الى التاريخ المرجح الى ما بعد  
 ذكرها<sup>(٢)</sup> .

هكذا كان مرسوم الخليفة يزيد فى مصادر مصر الاسلامية  
 والقبطية ، وقد قام على تنفيذ مرسومه فى مصر عامل الخراج

(١) انظر هذه الروايات بعد : ص ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .  
 (٢) انظر ماكتب عن هذا المرسوم فى المصادر الاجنبية ، بعد  
 ص ٢٨٦ وما بعدها .

عليها في زمنه أسامة بن زيد الذي قام بمهاجمة الدير ،  
 وهدم الكنائس ، وكسر الأصنام والمصابان والتماثيل ومحو  
 الصور ، ولم تلج خلال هذه الحركة بعض الآثار الفرعونية  
 القديمة من الهدم والتخريب .<sup>(١)</sup>

كما قام مسلمة بن عبد الملك أمير العراق (سنة ١٠٢هـ)  
 من قبل الخليفة يزيد ، بتنفيذ مرسومه فأمر بمحو الصور  
 جميعها سواء ما كان منها في الكنائس ، أو على الجدران أو  
 في البيوت والكتب ، كما قام بتحطيم جميع الأصنام والتماثيل  
 سواء أكانت من الحجر أم العاج .<sup>(٢)</sup>

ومن الواضح أنمنية أدركت الخليفة يزيد بن عبد  
 الملك ، والذي لم تطل مدة خلافته قبل أن يتم تنفيذ أمره .<sup>(٣)</sup>

(١) سيدة كاشف : ممر في فجر الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - ترتون :  
 أهل الذمة في الاسلام ، ص ٤٥-٤٦ ، ١١١ .

(٢) ترتون : نفس المرجع ، ص ١١١ (نقلا عن : Anonymous :  
 Syrenc chronicle, lp 308) .

لكن الجدير بالإشارة أن إصدار مرسوم الخليفة يزيد قد  
 جاء بعد عزل مسلمة عن إمارة العراق (آخر سنة ١٠٢هـ أو  
 أوائل سنة ١٠٣هـ) ، إذا كان اعتمادنا على تاريخ صدور  
 المرسوم عند المؤرخين المسلمين الذين أرخوا له بسنة  
 ١٠٤هـ . أما مارجحه المؤرخ فازيليف من التواريخ  
 المختلفة لصدور هذا القرار ، وهو (شهر يوليو سنة  
 ٧٢١م أي الموافق المحرم من سنة ١٠٣هـ) فيمكن أن يكون  
 موافقا لآخر ولاية مسلمة على العراق ، فأشرف على  
 تنفيذ المرسوم هناك في الشهور الأخيرة من ولايته ، هذا  
 إذا كان عزله تم في سنة ١٠٣هـ ، وذلك لوجود الاختلاف  
 في سنة عزله ، ولعدم تحديد الشهر الذي عزل فيه . (عن  
 تاريخ عزل مسلمة انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث  
 الأول ، ص ٤٧٤-٤٧٥) .

وفي قول ترتون أن صح قرينة على صحة أو مقاربة الصحة  
 في التاريخ الذي توصل اليه فازيليف لهذا المرسوم .  
 (انظر ما توصل اليه بعد : ص ٢٩٤) . وسنناقش هذا  
 التاريخ نحن ، وسيكون لنا فيه رأيا . (انظره بعد :  
 ص ٢٩٥) .

(٣) انظر : ترتون : نفس المرجع ، ص ٤٥-٤٦ .

(١)

ويخص المؤرخ (فازيليف A. A. Vasiliev) مرسوم الخليفة يزيد ببحث جمع فيه ماوردته المصادر المصرية الاسلامية والقبطية والاجنبية حول هذا المرسوم ، اسبابا ، وتاريخا ، ومضمونا ، ونتائج . وسنعرض الآن لاهم ماورد فيه :  
لقد ذكر اولا اربعة من المصادر العربية التى تحدثت عن المرسوم وهى الكندى ، المقرئى ، ابن تغرى بردى ، ساويرس ابن المقفع ، اى ثلاثة اسلامية ، وواحد قبطى ، والتى ناقشنا نموصها فى الصفحات السابقة ، بينما لم يشر الى ماورده (٢)  
ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم .

ثم ذكر ان اول اشارة الى هذا المرسوم وردت فى المصادر الاغريقية ، وجاء ذلك فى الخطاب الذى القاه بطريك القدس حنا ، والذي كان من قبل بطريركا لانتاكية ، وكان يمثل بطارقة الروم ، فى مجمع نيقية المسكونى المنعقد (٣)  
(١٧٠هـ - رجب ١٧١هـ / ٧٨٧م) وذلك بقصد ايفاح تاجر الامبراطور البيزنطى ليو الايسورى فى سياسته الخاصة بتحريم الصور بما

(1) The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II, A.D. 721 .

(٢) اوردنا مذكره ابن عبد الحكم عن هذا المرسوم وناقشناه مع ماورد فى المصادر العربية الاخرى . (انظر قبل : ص ٢٦٧ ومابعدها) .

(٣) عقد مجمع نيقية المسكونى ، سنة (١٧٠-١٧١هـ / ٧٨٧م) بامر الامبراطورة ايرينى ، واصدر اعضاؤه القرار بتحريم صور المسيح والقديسين وتعليقها فى كل مكان ، لالعبادتها . وقد جاء هذا المجمع ردا على المجمع الذى انعقد (١٣٦-١٣٧هـ / ٧٥٤م) بامر الامبراطور قسطنطين الخامس وقرر تحريم اتخاذ الصور والتماثيل فى العبادة (انظر / محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، تبحث فى الادوار التى مرت عليها عقائد النصارى وفى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم ، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٧٦-١٧٧) .

حدث فى الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد  
(١)  
الملك .

وفى هذا الخطاب اشار حنا الى ان يزيد بن عبد الملك  
(٢)  
كان مدفوعا فى سياسته تلك بساحر يهودى كان يعيش فى طبرية  
اسمه (Tessarakontapechys) ، كان من الد اعداء المسيحية ،  
وكان الخليفة يزيد قد قرب به اليه بعد ان تنبأ له ، بانه ان  
استمع الى نصيحته سيحكم ثلاثين سنة ، ونصيحته ان اراد  
الخليفة ان يحكم هذه المدة الطويلة ان يصدر مرسوما ينفذ  
فى جميع بلاد الدولة الاسلامية ويقضى بتدمير وازالة كل  
التصاوير سواء اكانت على المواثد او من الفسيفساء على  
الجدران ، او على الاوانى المعدنية ، او مطرزة على الاغطية  
التي تغطى الهيكل المقدس ، وعلى كل مثل هذه الاشياء التي  
توجد عادة فى الكنائس المسيحية . وقد استمع الخليفة الى  
نصيحته وارسل مبعوثين من قبله الى كافة الولايات الاسلامية  
قاموا بتحطيم الصور التي كانت فى الكنائس واحرقوها .

- 
- (١) اورد وسام عبد العزيز فرج نص الوثيقة التي قدمت الى  
مجمع نيقية المسكونى المنعقد سنة (١٧٠-١٧١هـ/٧٨٧م)  
حول مرسوم الخليفة يزيد ، لكنه لم ينص على انها خطاب  
حنا بطريرك القدس ، او غيره ، وقد وافقت هذه الوثيقة  
تقريبا ما جاء فى خطاب حنا الذي ذكر مضمونه فازيليف ،  
لذا يظن ان تكون هذه الوثيقة هي نص خطابه فى هذا  
الشان . (انظر نص الوثيقة فى كتابه : دراسات فى  
تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، (١)  
الامبراطورية البيزنطية من (٣٢٤-١٠٢٥م) ، مطبعة مهنع  
اسكندرية الكراس ، ١٩٨٢م ، ص ١٨٠-١٨١) .
- (٢) طبرية : بلدية مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة  
طبرية ، يطل عليها جبل الطور ، تقع فى طرف الفور ،  
بينها وبين دمشق ثلاثة ايام . (ياقوت : معجم ، ١٧/٤) .
- (٣) قال وسام فرج انه احد زعماء اليهود السحرة ، وانه  
كان يسمى ذو الاربعين ذراعا (طولا) . (نفس المرجع ،  
ص ١٧٩) .

واضاف : ولم يعمر الخليفة يزيد بعد ان امر بذلك الا سنتين ونصف . كما ذكر ان ابن الخليفة يزيد وهو الخليفة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، امر بقتل هذا الساحر اليهودى الذى سيطر على ابيه ودفعه الى هذه السياسة ، ولم تتحقق (١) تنبؤاته .

واشار الى هذا المرسوم أيضا بطريرك القسطنطينية نقفور (١٨٩ - ٢٠١هـ / ٨٠٥ - ٨١٦م) ذاكرا لتأثير ذلك اليهودى على يزيد بن عبد الملك ، وانه استطاع التأثير عليه ، لأن الخليفة كان يعانى من المرض ، فأعطاه الأمل بأنه ان نفذ وصيته سيشفى من مرضه وينعم بحياته ويعيش سعيدا ، وردد كلام بطريرك القدس حنا - الذى اشرنا اليه فى الصفحتين السابقتين - لكنه اضاف ، انتحال عدوى هذه السياسة الخاصة بتحريم الصور الى الامبراطورية البيزنطية ، وتأثر الامبراطور ليو بهذه السياسة . وقد ذكر نقفور ان الخليفة يزيد توفى بعد سنتين وخمسة أشهر من اصدار هذا المرسوم . (٢)

كما اشار الى هذا المرسوم فى المصادر الاغريقية أيضا المؤرخ (جيورجىوس مرناخوس Georgius Mrnachus) ، وردد (٣) كامل التفاصيل .

(١) A. A. Vasiliev : op. cit, p 28-30 . ويضيف وسام فرج : دراسات فى تاريخ وحفارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٠-١٨١ أن الولاة والأمراء أذاعوا ونشروا مرسوم الخليفة يزيد ، فقام العرب واليهود بأحراق الأيقونات المقدسة ، وطلاء حيطان بعض الكنائس بينما كشطوا حيطان البعض الآخر ، كما اشار الى مشاركة بعض المسيحيين فى تنفيذ أمر الخليفة عندما سمعوا به كاسقف ناكوليا Nacolea وأتباعه ، ويبدو أنهم ممن يحرم عبادة الصور وتقديسها .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 31-33 .

(3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 31 .



ووردت الإشارة كذلك الى هذا المرسوم فى الخطاب الذى ألقاه فى نفس الانعقاد السابق لمجمع نيقية (سنة ١٧٠ - ١٧١هـ/٧٨٧م) أسقف مدينة ميسيتا والذى قال فيه : كنت طقلا فى الشام عندما أمر خليفة المسلمين بتحطيم الصور .<sup>(١)</sup>

وممن أشار الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك المؤرخ ثيوفانوس الذى كتب تاريخه فى بداية القرن التاسع الميلادى/الثالث الهجرى ، لكنه ذكر أن ذلك الساحر من (اللاذقية/لاوديكية Laodicea) ، وأنه أمل الخليفة يزيد بالحكم أربعين سنة .

كما ذكر أن الخليفة يزيد بن عبد الملك صمم أن يفعل مانمحه به الساحر اليهودى من تحطيم للصور المقدسة ، لكنه توفى فى نفس العام . وقد عرفت الناس بعزمه ، كما عرف بذلك الامبراطور البيزنطى ليو الاسورى عن طريق أحد المسيحيين ويدعى (باسر Baseor) ، والذى كان يعيش فى ذلك الوقت فى سورية ، وكان - على حد زعمه - قد أرغم على اعتناق الاسلام ، الا أنه نجح فى الفرار الى القسطنطينية ، وفى القسطنطينية نجح باسر الذى عاد الى المسيحية أن يكسب ود الامبراطور ليو

(١) A. A. Vasiliev : op. cit, p 30 .

(٢) اللاذقية : ميناء مشهور على ساحل بلاد الشام . (ياقوت معجم ، ٥/٥) .

(٣) أجمعت المصادر والمراجع على أن يزيد أصدر مرسومه ونفذ ذلك المرسوم ، وأشارت بعض المصادر والمراجع الى ما أزيل وحطم بمقتضاه وبقاء آثاره الى عهد قريب . يتبين ذلك من مجمل الروايات العربية والأجنبية التى ذكرناها ، مما يثبت تنفيذه لالعزم عليه كما يقول المؤرخ ثيوفانوس أعلاه .

(٤) لم يعرف التاريخ ارغام المسلمين للناس على الاسلام ، اعتمادا على قوله تعالى : {لاكره فى الدين} . البقرة : ٢٥٦ .

الايصوري ، فنقل اليه ماشاع في سورية عن تحريم عبادة المور وعيل قازيليف الى أن باسر هذا هو اليهودي الذي ورد اسمه في خطاب البطريك حنا .<sup>(١)</sup>

كما تكررت الإشارة الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك في المصادر الاغريقية ، في الخطاب الذي وجهه البطارقة الثلاثة الملكانيين الى الامبراطور ثيوفيل (٢٢١ - ٢٢٢هـ / ٨٣٦م) ، والخاص بعبادة المور ، والذي نشر اولاً في القرن السابع عشر الميلادي ثم أعيد نشره فيما بعد سنة ١٩١٢ - ١٩١٣م ، ورددوا نفس الاقوال الخاصة بهذا اليهودي وتأثيره على الخليفة يزيد ، وأن يزيد مات بعد سنة من اصدار هذا المرسوم .<sup>(٢)</sup>

كما أشارت المصادر السريانية الى مرسوم الخليفة يزيد ابن عبد الملك ، وذكرت أن الخليفة عهد الى أخيه مسلمة بتنفيذ مرسومه الخاص بازالة المور من الكنائس وغيرها . كما أشارت الى أن الامبراطور ليو الايصوري في حملته ضد عبادة المور كان متأثراً في ذلك بسياسة يزيد بن عبد الملك في هذا الصدد .

وتفصح الرواية السريانية المعروفة باسم (بسيودو ديونيوس Pseudo Dionys) أنه في سنة ١٠٣٥ من العصر السلوقي / الموافق ١٠٤ - ١٠٥هـ - اي ٧٢٣ - ٧٢٤م ) أمر الخليفة يزيد بازالة جميع المور أينما وجدت سواء في

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 30-31 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 34-35 .

(١)

الكنائس ، أو المعابد ، أو فى المنازل .

كما ذكر ذلك المرسوم فى القرن الثانى عشر الميلادى /  
السادس الهجرى ميخائيل السريانى ، وأوضح أنه نص فيه على  
ازالة صور الكائنات الحية ، من المعابد والكنائس والمباني  
والجدران والحجارة ، بل وازالة الصور الموجودة فى الكتب  
كما ربط بين سياسة يزيد والامبراطور ليو الثالث الايسورى  
فى ذلك .<sup>(٢)</sup>

كما ذكره فى القرن الثالث عشر الميلادى /السابع الهجرى  
المؤرخ السورى اليعقوبى جريجورى أبو الفرج ، وأبان تأثر  
الامبراطور ليو الثالث بيزيد فى هذا الصدد .<sup>(٣)</sup>

كما كتب مؤرخ مجهول كان يعيش فى النصف الاول من القرن  
الثالث عشر الميلادى /السابع الهجرى ، والذي كتب تاريخ  
الخليقة والمسيحية حتى (سنة ١٢٣٤م) ، أنه فى (سنة ١٠٢هـ /  
٧٢٠ - ٧٢١م) قام مسلمة بن عبد الملك بتكليف من أخيه يزيد  
بازالة الصور حيثما وجدت سواء فى المعابد أو على الجدران ،  
أو فى المنازل ، وكذلك الصور التى فى الكتب ، كما قام  
بتكسير التماثيل ، سواء أكانت على الخشب أو العاج ، أو  
الابنوس .<sup>(٤)</sup>

هذه الروايات السريانية والمسيحية لم تحدد أى البلاد  
كلف مسلمة بن عبد الملك من قبل أخيه الخليفة بتنفيذ  
المرسوم فيها ، وكنا قد أوردنا خبرا عن ترتون ، يذكر فيه<sup>(٥)</sup>

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 37 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(4) A. A. Vasiliev : op. cit, p 38-39 .

(٥) انظر قوله قبل : ص ٢٨٥ .

ان مسلمة أشرف على تنفيذها في العراق والمشرق ، فلعل هذه الروايات السريانية والمسيحية تقصد اشرافه على تنفيذ هذا المرسوم في العراق .

أما المصادر اللاتينية، فإنها تنقل مذكرته المصادر الاغريقية عن مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك ، مثال ذلك ان (انستاسيوس بيلوثيكاريوس Anastasius Binliothecarius) والذي كان يعيش في القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري ينقل مذكره المؤرخ الاغريقي ثيوفانوس .

كما نقل عن ثيوفانوس في هذا المدد ايضا ، المؤرخ الروماني (لاندولفوس ساكس Landulfus Sagax) الذي كان معاصرا للامبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٣٦٥ - ٤١٥هـ/ ٩٧٦ - ١٠٢٥م) والامبراطور البيزنطي قنسطنطين الثامن (٤١٥ - ٤١٨هـ/ ١٠٢٥ - ١٠٢٨م) وقد ورد ذلك في تاريخه المعروف باسم (١) تاريخ ميسلا Historid Miscella .

كما كان اعتماد المجمع الديني الذي عقد في باريس في نوفمبر (٢٠٩ - ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) لبحث قضية تقديس الصور في مناقشته هذه القضية منذ اثارها الامبراطور البيزنطي ليو الايسوري ، على التقرير الذي قدمه بطريرك القدس حنا الى مجمع نيقية المسكوني الذي انعقد (١٧٠ - ١٧١هـ/ ٧٨٧م) ، والذي اشار فيه الى مرسوم الخليفة يزيد . (٢)

كما اشارت المصادر الارمنية لمرسوم الخليفة يزيد ، اشار الى ذلك المؤرخ الارمني (جيفوند Ghevond) في كتابه

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 35 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 36-37 .

"تاريخ حروب وفتوح العرب في أرمينية" . وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، وأوائل القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري ، فروى ما أمر به يزيد (١) في هذا الشأن ، ذاكرا أن يزيد حكم ست سنوات ، وأنه كان (٢) ميلا لسفك الدماء .

أما بخصوص ماورد عن هذا المرسوم في المراجع الحديثة فإن فازيليف ينقل عن المستشرقين (فلهوزن Wellhausen) في كتابه الدولة العربية أنه يشك في وجود مرسوم ليزيد بن عبد الملك في هذا الصدد . (٣)

لكن فازيليف ينقل لنا عن مؤرخين محدثين مايدحض قول فلهوزن فينقل عن المؤرخ (كروفت I. Crowfoot) الذي كتب في (سنة ١٩٣٨م) في كتابه عن (الكنائس المسيحية في جرش) . 1938 . The Christian Churches at Gerasa, ed . أن آثار مرسوم يزيد شوهدت في أماكن كثيرة ، في فلسطين ، وشرق الأردن ، ومصر . وأن هذا المرسوم طبق في جرش (شرق الأردن) في قسوة شديدة . فالنقوش ، والزخارف ، والصور التي كانت توجد في الكنائس والمنازل نزعمت ، بل أن كل مايتعلق بصور الكائنات الحية قد حطمت وأزيلت وأن آثار ذلك التخطيم كانت لاتزال معالمها واضحة حتى مدور كتابه هذا منها في (٤) الكنائس المسيحية في جرش .

(١) الصحيح أن مدته خلافته أربع سنوات وشهر واحد .  
 (2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 43-44 .  
 (3) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .  
 (4) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .

كما ينقل فازيليف عن الاثرى (كريزويل J. E. Quibell) الذى قام بحفائر (سنة ١٩٠٨ - ١٩١٠م) فى دير الانبا جريمياس Jeremias فى سقارة فى مصر ، ماشاهده فى هذا الدير من تشويه ماكان به من صور ، وماذكره من انه يعزو ذلك الى مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك .<sup>(١)</sup>

واخيرا استعرض فازيليف التاريخ الذى أورده المؤرخون لهذا المرسوم ، فرأى أن اصحها (محرم ١٠٣هـ/يوليو ٧٢١م) . اعتمادا على ماذكره بطريك القدس حنا عن مرسوم يزيد وتاريخه فى التقرير الذى قدمه لمجمع نيقية (١٧٠ - ١٧١هـ/ ٧٨٧م) ، أى بعد صدور المرسوم ب (٦٦ عاما) . وقد قال حنا : أن الخليفة لم يعمر بعد أمره بذلك الا سنتين ونصف . الى جانب بعض الروايات المدعمة له ، خصوصا رواية نقفور بطريك القسطنطينية (١٨٩ - ٢٠١هـ/ ٨٠٥ - ٨١٦م) الذى قال : أن يزيد توفى بعد سنتين وخمسة أشهر من اصدار هذا المرسوم . لأن هاتين الروايتين اليونانيتين هما اقدم ماذكر فى هذا الشأن واعتمادا فى ذلك أيضا على ماأورده المؤرخ القبطى ساويرس ابن المقفع ، وقد أرخ له بأوائل خلافة يزيد ، والمؤرخ السريانى المجهول الذى أرخ له ب (١٠٢هـ/ ٧٢٠ - ٧٢١م) . وهو بذلك يستبعد تاريخ كل من الكندى والمقرئى اللذين أرخا له ب (سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢ - ٧٢٣م) .

فنرى أن المؤرخ فازيليف قد قارب المواب أن لم يكن أصابه . فقد أرخ له ب (يوليه ٧٢١م/الموافق محرم ١٠٣هـ) .

(1) A. A. Vasiliev : op. cit, p 45 .

(2) A. A. Vasiliev : op. cit, p 46 .

ونحن ، اعتمادا على تاريخ ابن عبد الحكم وهو أقدم مؤرخ مسلم تحدث عن هذا المرسوم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠ - ٨٧١م) ، وساويرس ابن المقفع ، وابن تفرى بردى ، وكذلك رواية المؤرخ المريانى المجهول الذى أرخ لهذا المرسوم ب (١٠٢هـ/٧٢٠ - ٧٢١م) ، نرجح ان يكون الخليفة يزيد قد أصدر أمره فيما بعد (شهر صفر سنة ١٠٢هـ) ، والى تنتهى بذى الحجة ، الموافق ٢ يونيه ٧٢١م ، أى الشهر الذى يسبق الشهر الذى حدده فازيليف لمدور هذا المرسوم وهو يوليه ٧٢١م/محرم ١٠٣هـ .

وكان فازيليف قد التزم بحرفية رواية بطيريك القدس حنا الذى قال : ان يزيد قد توفى بعد اصدار المرسوم بسنتين ونصف .

وحيث اننا لاحظنا ان فازيليف لم يشر الى تاريخ ابن عبد الحكم لهذا المرسوم ، الذى خفى عليه فيما يبدو ، وهو أقدم المؤرخين المسلمين ، فلعله كان يغير ما توصل اليه فى حالة اطلاعه على خبره .

وبناء على ماتقدم يكون الخليفة يزيد بن عبد الملك قد أصدر مرسومه هذا فى (اواخر سنة ١٠٢هـ/٧٢١م) ، على أساس ما توصلنا اليه ، او (المحرم سنة ١٠٣هـ/٧٢١م) على مارجحه فازيليف ، والفرق بينهما كما هو واضح قد يكون أياما ، وعلى الأكثر شهورا لاتتعدى أصابع اليد الواحدة ، وعلى كل حال ، فانه ليس لدينا ما يتوقف الحكم عليه بتحديد التاريخ لمرسوم الخليفة يزيد ، ولكن في هذه المناقشة شيء من جدية البحث ، وعدم التسليم بما عند الغير ، ورغبة فى الوصول الى الحقيقة ، ولعل قادم الايام يخرج من الاحداث ما يترتب

على هذا التاريخ .

ونخلص من هذه الروايات التي أوردها فازيليف في بحثه أن الخليفة يزيد بن عبد الملك كما ذكرت المصادر الاغريقية واللاتينية كان مدفوعا في هذا القرار من قبل ساحر يهودي ، زين له ازالة الصور والتماثيل عموما بشتى أنواعها واينما وجدت ، وعلى أى شيء صورت ، إلا أن بعض الروايات قالت أن الأمر اختص بازالة صور الكائنات الحية . وقد شمل هذا القرار كافة اقاليم الدولة الاسلامية ، ولم يقتصر على مصر ، الذى اقتصر ذكر المرسوم على مصادرها ، ودل على ذلك عمومية الأمر كما اشارت اليه بعض المصادر الاسلامية والقبطية ، وكذلك الاجنبية ، حيث ورد ذلك على لسان بطريرك القدس هنا في خطابه الذى القاه في مجمع نيقية السابق ، فقد أخبر أن الخليفة يزيد ، اصدر امره ، وارسل مبعوثين من قبله الى كافة الولايات الاسلامية ، قاموا بتحطيم الصور في الكنائس واحرقوها . وكذلك ماوردته المصادر السريانية حول اشراف مسلمة بن عبد الملك على تنفيذ مرسوم أخيه الخليفة في العراق والمشرق ، وما أثبتته الدراسات الاثرية والحفائر ، من وجود آثار هذا المرسوم بوضوح في فلسطين وشرق الاردن ومصر ، وبخاصة في جرش بالاردن ، وسقارة بمصر .

(١) لم يرد القول بهذا السبب في الروايات الاسلامية والقبطية والسريانية والآرمنية ، (انظر ذلك في الصفحات السابقة) .

(٢) انظر : A. A. Vasiliev : op. cit, p 38 .

(٣) انظر ماكتبناه عن ذلك ، قبل : ص ٢٨٣ .

(٤) انظر روايته قبل : ص ٢٨٧ .

(٥) انظر ماوردته حول ذلك ، قبل : ص ٢٨٥ .

(٦) انظر نتائج تلك الدراسات ، قبل : ص ٢٩٣-٢٩٤ .



واتضح من خلال هذه الروايات أن الصور والتماثيل التي بالكنائس قد تعرضت للإزالة والتعطيم ، محو أو كسح أو احراق أو طلاء ، ومن هنا جاء قول بعضهم ، أن المقصود من هذا المرسوم هو إزالة الصور والتماثيل المقدسة التي في الكنائس ، وأن تعميم المرسوم على كافة أنواع الصور ماجاء إلا بنصيحة من الساحر اليهودي ، مكيدة خبيثة منه لئلا يشك الخليفة في نواياه الحقيقية كعدو للمسيحيين .<sup>(١)</sup>

والحق أن في الروايات الواردة في هذا الصدد ما يشكك فيها ، فهي تختلف على اسم الساحر اليهودي ، كما أنها تختلف على المدينة التي كان يسكن بها ، كما اختلفت في المدة التي منى الساحر اليهودي الخليفة يزيد أن يحكمها ، إذا فعل مانحه به ، من إصدار هذا القرار ، وبعد ذلك فإن الخليفة لم يحكم تلك المدة وتوفي بعد صدور قراره بمدة وجيزة .<sup>(٢)</sup>

أما القول ، بأن المرسوم خص به صور الكائنات الحية ، فلعل ذلك أن المسلمين في تنفيذه عنوا بإزالة صور الكائنات الحية أكثر من غيرها ، لأن الصور المحرمة في الإسلام ، هي صور ذات الأرواح دون غيرها .<sup>(٣)</sup>

أما القول بأن المرسوم استهدف الصور المقدسة عند

(١) وسام فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية ص ١٧٩-١٨١ .

(٢) انظر ذلك في ثنايا الروايات التي عرضناها في الصفحات السابقة ، وكذلك : وسام فرج : نفس المرجع ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٣) انظر عن ذلك : قبل : ص ٢٧٠ . وكذلك : أحمد تيمور : التماثيل عند العرب ، ص ١٠٠-١٠١ . وقد أورد حديثاً عن ابن عباس ينهى ويحذر من تصوير ذوات الأرواح ، لكنه يبيح تصوير ما ليس فيه روح .

النمارى ، فان التعرض لها لم يكن الا لان المرسوم كان يتضمن ازالة الصور كلها واينما وجدت ، كما أن الصور المقدسة عند النصارى كانت هى الصور الشائعة عندهم سواء فى كنائسهم وأديرتهم وبيعهم وبيوتهم .

وشمة سبب آخر ، وهو الاله ، وهو أن الصور المقدسة عند المسيحيين لم تكن مجرد صور تقام أو تعلق للزينة أو الذكرى وإنما أصبحت تعبد وتقديس ، وهو ما عرف عندهم بعبادة الأيقونات ، أى عبادة الصور . وذلك مظهر من مظاهر الوثنية (١)

(١) لم تكن عبادة الأيقونات جديدة على النمارى ، فترجع بدايتها الى القرن الرابع الميلادى عندما تم الاعتراف بالمسيحية وبدأ المسيحيون يزينون الكنائس بصور المسيح والعذراء والقديسين والتماثيل الدينية ، مما يدل على ذلك أن المجلس الذى عقد فى مدينة القيرا باسبانيا فى بداية القرن الرابع الميلادى حرم إقامة الصور فى الكنائس ، وأنها بدعة . والاصل أن المسيحية تنهى عن الصور والتماثيل ، لكن انتمار المسيحية فى عهد قسطنطين وماكان للبيئة والتقاليد اليونانية من أثر أدى الى دخول بعض المظاهر الوثنية القديمة على الكنيسة ، فزينوا كنائسهم بالصور والتماثيل ، وقد اعتبر بعضهم ذلك مظهرا من مظاهر الوثنية ، فنقده بعض المؤرخين وبعض القديسين ، كما قامت حركة فى انطاكية فى القرن السادس الميلادى ضد عبادة الصور ، الى جانب بعض حوادث الهجوم على الصور وتحطيمها فى القرن السابع الميلادى ، ومع ذلك فقد اعترف بشرعية الاستخدام الصحيح للأيقونات فى مجمع عقد فى القرن السابع الميلادى ، ثم حرمت فى مجمع عقد فى العقد الاخير من ذلك القرن كما حرم اتخاذ الصور والتماثيل فى العبادة فى مجمع عقد بامر قسطنطين الخامس (سنة ٧٥٤م) ، لكن الملكة ايرينى أمرت بعقد مجمع نيقية (سنة ٧٨٧م) الذى قرر تقديس صور المسيح والقديسين لآبائهم . ومع ذلك انتشرت الصور المقدسة فى كل مكان ، وتحول الامر ، من تعليقها للزينة والذكرى ، الى عبادة تلك الصور والسجود لها والتماس البركة وتحقيق المعجزات منها . حتى اتكل عليها فى دفع الاخطار ، وغدت الصورة الجليل الالى يفهم منها ما لا يقرأه من الكتاب المقدس . =

ليس له أصل فى المسيحية . ولعل هذا ما حدا بال خليفة يزيد ابن عبد الملك الى اصدار مرسومه لأن الاسلام يحرم التصوير ، ومور ذات الارواح ، كما يحرم أى مظهر من مظاهر الوثنية والشرك .

وعبادة الصور والتماثيل شرك بالله ، وقد نصت بعض عقود الصلح بعدم اظهار اهل الذمة للشرك والدعوة اليه ، والا برئت منهم الذمة ، وحل عليهم مايحل على اهل الشقاق والمعاندة . من ذلك مانص عليه صلح نصارى اهل الشام <sup>(١)</sup> .

ويتضح من خلال الروايات الاجنبية التى عرضت لهذا المرسوم انه تم على اثره محو الصور من الكنائس ، والمنازل وكل مكان ، ماكان منها على جدار او قماش او الواح او آنية او كتب ، فى جميع اقطار الدولة الاسلامية ، وفى هذا دلالة واضحة على تفشى التصوير وانتشار الصور وخاصة المقدسة . وحيث ان النصارى يعيشون رعايا اهل ذمة بين المسلمين وفى ديارهم فقد خشى الخليفة يزيد بن عبد الملك اقتتان المسلمين بذلك ومحاكاة النصارى فى عمل الصور واتخاذها

= وفى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أدرك المسيحيون حاجة الكنيسة الى الاصلاح والتطهير ، فعملوا على تحريم عبادة الايقونات . عن ذلك انظر : حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٩ - هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رافت عبد الحميد ، مكتبة سعيد رافت ، مؤسسة الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ص ١٣٣-١٣٤ ، وهامش (١) ص ١٣٣ - محمد ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، ص ١٧٦-١٧٧ - وانظر عن الايقونات ايضا : اسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، منشورات المكتبة البولسية ، لبنان ، بيروت ، طبعة ١٩٨٨م ، ٩٧-٧٩/٢ . وقد تحدث خلال حديثه عن الايقونات ، عن مرسوم الخليفة يزيد تجاهها ، وان ليو الثالث ماثلة فى ذلك ، ولم يصف جديدا .

(١) انظر نص ذلك الصلح قبل : ص ٢٧٧ ، ٢٨١ .

وتقديسها خصوصا انهم كانوا قريبى عهد بالجاهلية ومظاهر  
وثنيتهما ، فلعله رأى من الحكمة استئصال ذلك الداء قبل  
استفحاله .

كما نخلص من دراسة هذه الروايات الى امر غاية فى  
الاهمية ، وهو القول بان الامبراطور ليو الثالث الايسورى  
تأثر بسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك فى ازالة الصور  
(١)  
المحرمة .

فقد اصدر الامبراطور ليو الثالث الايسورى سنة (١٠٧ -  
(٢)  
١٠٨هـ / ٧٢٦م) ، وبموافقة الاساقفة ، واعضاء مجلس الشيوخ ،  
مرسوما يقضى بازالة جميع الصور والتماثيل الدينية من  
الكنائس ، وأمر أن يغطى بالجص ماعلى جدران الكنائس من صور  
وذلك فى كافة ولايات الدولة البيزنطية .

وقد اتخذ ليو الثالث الايسوى سياسته هذه بشئ من  
الحذر والتمس لها الاسباب ، وسعى لتنفيذها بشكل تدريجى ،  
لكن ثورة الجماهير والرهبان فى وجه سياسته ، ومنع جنوده من  
تنفيذها ، بل وقتلهم القائد المكلف بتنفيذها وبعض معاونيه،  
كان مما دعا الامبراطور الى الاستعانة بالقوة العسكرية فى  
تنفيذ امره ، والقيام بسلسلة من اعمال القتل والنفى ضد  
المعارضين لسياسته . ويقال ان أوامره فى هذا الصدد لم

(١) قال بهذا التأثير أيضا / سيدة كاشف : مصر فى فجر  
الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ  
الدولة البيزنطية ، ص ١١٠ - هسى : العالم البيزنطى ،  
ص ١٣٥ - أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٣٠ -  
ابراهيم العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، ص ٢٩٣-٢٩٤ -  
السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، دار  
النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٢٠١ .  
(٢) أى بعد مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك بنحو خمس  
سنوات .

تقتصر على ازالة الايقونات المعلقة فى الكنائس بل شملت كافة أنواع الصور سواء المرسومة على جدران الكنائس ، أو تلك المطرزة على النسيج الذى يغطى الهياكل المقدسة ، كما احترقت آثـار القديسين ، وازيلت جميع التماثيل والصور (١) المقامة خارج الكنائس .

(٢) ولعل هذا ماأدى الى تساؤل وسام فرج ، لماذا تبنى الامبراطور البيزنطى الحركة اللايقونية (أى تحريم عبادة الصور) فى القرن الثامن الميلادى بالذات ، بينما كان التيار المعادى لعبادة الايقونات موجودا منذ عدة قرون ؟

وجوابه على ذلك هو تآثر الامبراطور ليو الثالث الايسورى والامبراطورية البيزنطية بقرار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وبمؤثرات أخرى .

وهنا يظهر سؤال جديد ، كيف تآثر الامبراطور ، وماهى المؤثرات الأخرى ؟

يقال ان أصل ليو الثالث من أسباب تأثره بسياسة الخليفة يزيد تجاه الصور ، فيذكر فى هذا الصدد أن ليو من

(١) عن أمر ليو الثالث بتحريم الصور وإزالتها . (انظر / عمر كمال ثوفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧م ، ص ١١٣-١١٤ - أومان : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى طه بدر ، الناشر دار الفكر العربى ، ١٩٥٣م ، ص ١٥٢ (لكنه أرخ لأمر ليو هذا بسنة ٧٢٥م/١٠٦-١٠٧هـ) - وسام فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية ، ص ١٨٤-١٨٥ - هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٥ ، وهامش (١) منها - محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٧٦ .

(١) مواليد مرعش ، وان أصله في الواقع من أيسوريا ، في إقليم قليقية ، ولد من أبوين أرمنيين ، ثم انتقل مع أبيه الى تراقية ، ثم انخرط في سلك العسكرية حتى أصبح قائد فيلق الاناضول . وقيل ان أصله سوري وكان مولى للخليفة - ولم يحدد المرجع أي خليفة - يجيد التحدث بالعربية واليونانية . بل قيل ان الخليفة يزيد أدخله الاسلام سرا . وقيل أيضا ان سياسته اللايقونية لم تكن الا تزلفا للمسلمين ومجاملة لهم وان كان ذلك لا يعقل ومواقفه العسكرية وحروبه ضد المسلمين تدل على عكس ذلك . (٧)

والحق ان من أهم المؤثرات التي أدت الى احتكاك ليو بالمسلمين والتاثر بفكرهم ، ما ثبت من مرافقته لهم واختلاطه بهم ابان حملتهم الشهيرة على القسطنطينية (سنة ٩٨هـ) في خلافة سليمان بن عبد الملك . فقد ورد في عدد من المصادر والمراجع ، ان ليو الايسوري ، الذي كان قائدا لفيلق الاناضول ، سار مع الجيش الاسلامي بقيادة مسلمة بن عبد الملك ليكون دليلا يهديهم الطريق الى القسطنطينية ، حتى وصلوا

- 
- (١) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . (ياقوت : معجم ، ١٠٧/٥) .
  - (٢) ايسوريا : أو (ايزورية) ، امارة في داخل آسيا الصغرى على حدود منطقة الثغور اليونانية القديمة . (كي لسترنج : بلدان ، ص ١٧٦) .
  - (٣) تراقية أو تراقيا : ولاية بيزنطية تطل على بحر مرمرة من جهة أوروبا .
  - (٤) محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٣ - عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٤ .
  - (٥) عمر كمال توفيق : نفس المرجع والصفحة - فيليب حتى : تاريخ سورية ، ٥٠/٢ .
  - (٦) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥٢ .
  - (٧) عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ١١١-١١٢ - فيليب حتى : نفس المرجع والجزء ، ص ١١٧ .

اليها ، مشيرة الى قيامه بالتفاوض مع مسلمة على أساس تسهيل دخول المسلمين اليها وتسليمها صلحا ، وانه نجح في مخادعة مسلمة واستغل الثورة التي قامت في القسطنطينية وقت حصار المسلمين لها ، وتمكن من أن يسيطر على الموقف ، ثم بعد أن نصبه البيزنطيون امبراطورا عليهم ، تمضى للمسلمين ومصد امام حصارهم ، حتى تكالبت عليهم الظروف ، وأمر عمر ابن عبد العزيز خليفة سليمان بفك الحصار وانسحاب المسلمين سنة ٩٩ هـ . وبلاشك فان اختلاط ليو بالمسلمين خلال مسيرهم الى القسطنطينية ، كان فرصة لاطلاعه على الفكر الاسلامي ، ومبادئ الدين الحنيف ، وبخاصة صفاء العقيدة ، ومحاربة الشوكيات . ولعل ذلك من اهم اسباب تاثره بمرسوم الخليفة يزيد . ومن هنا جاء القول بأن ليو الايسوري كان ذا عقلية اسلامية . (١)

ويذكر وسام فرج في هذا الصدد ايضا أن الامبراطور ليو تاثر بجماعة من رجال الدين في الاقاليم الشرقية ، منهم قسطنطين اسقف ناكوليا في فيرجيا بآسيا الصغرى ، وهذا الاسقف تاثر بفكر المسلمين ، واليهود ، ثم نقل ذلك الى

- 
- (١) عن قيام ليو الايسوري بدور الدليل لهذه الحملة وتفاوضه مع المسلمين ، ووصوله الى كرسى الامبراطورية وتمديه لمسلمة وجيشه ، (انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٤٧-٢٥٠ - يوسف العث : الدولة الاموية ، ص ٢٥٦-٢٥٧ - محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٤-٩٨) .
- (٢) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١٢ .
- (٣) دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧١-١٧٢، ١٧٧، ١٨١ ، وهوامشها .
- (٤) نقل وسام فرج عن وثيقة رسمية قدمت للمجمع المسكوني المنعقد (سنة ٧٨٧ م) : أن اسقف ناكوليا عندما سمع بمرسوم الخليفة يزيد ، قام هو وأتباعه ، بإزالة الصور والتمائيل من الكنائس ، شأنهم شأن المسلمين واليهود الذين شاركوا أيضا في هذه المهمة بالدولة الاسلامية . (انظر : نفس المرجع ، ص ١٨١) .

الامبراطورية البيزنطية ، وقام بدور الدموه الى تحريم الصور داخلها ، وكذلك توماس اسقف كلاوديوبولس ، وكانا قد اقاما لبعض الوقت فى العاصمة البيزنطية (١٠٧ - ١٠٨هـ/ ٧٢٦م) ، وان كان هناك من يرى ان ليو هو العقل والمفكر الرئيسى وراء سياسته .

ولعل قيام الامبراطور ليو بذلك كان هدفة اصلاح الكنيسة وفى نفس الوقت لايمكننا اغفال الاسباب السياسية التى دعت الى ذلك ، فليس لنا ان نتجاهل مراعاة مصلحة الامبراطورية من وراء هذا القرار ، فقد ادى انتشار الاديرة الى نقصان موارد الدولة ، لاعفائها من الضرائب ، وجذبها لاعداد كبيرة من الناس كان من الممكن ان يقوموا بدور كبير فى خدمة الدولة ، الى جانب تزايد نفوذ الرهبان حتى أصبحوا مصدر خطر على السلطة ، فقد كان ذلك بلا شك من الاسباب التى كانت وراء الحركة اللايقونية <sup>(١)</sup> .

ويبدو أن التأثير بسياسة الخليفة يزيد لم يقتصر على الامبراطور ليو الثالث ، فقد ادى اتصال اهالى الولايات الآسيوية فى الامبراطورية البيزنطية بالاسلام واهله ، لعدد من العقود قبل تلك الحركة ، الى معرفة موقف الاسلام من تحريم الصور والتماشيل . اذ لم يحمل المسلمون معهم الى آسيا الصغرى أثناء فتوحهم ابان تلك الفترة فكرة الجهاد فقط ، بل نقلوا عقائدهم وثقافتهم وحضارتهم ، ومنها تحريم الصور والتماشيل وبالأخص ماقدس منها . فلم يكن التحدى الاسلامى

(١) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ .



البيزنطى عسكريا فحسب ، وانما فكريا وحضاريا ، أثر فى العقيدة نفسها ، وأشار أزمة حول الصور المقدسة عند المسيحيين .<sup>(١)</sup>

وفى هذا الصدد يشير أومان ، الى أن المثقفين العلمانيين البيزنطيين كانوا يفكرون عبادة الصور وازدادت كراهيتهم لذلك بتأثير الدين الاسلامى على عقولهم ، فحدث رد فعل قوى على تلك العقائد الفاسدة بين هذه الفئة ، كما جاء التأثير بالعقيدة الاسلامية والحضارة الاسلامية فى آسيا الصغرى بحكم قربها من بلاد الاسلام ، أكثر منه فى أوروبا ، فازدادت الحركة ضد عبادة الصور هناك . وفى آسيا الصغرى نشأ البيزنطيون اللايكونيون ، فكان ليو من آسيا الصغرى وكان معظم جنده من هذه المنطقة التى تأثرت بعقيدة الاسلام وبحضارته ، لذلك ناصر هذا الجيش سياسة ليو اللايكونية ، بينما تمثلت قوة المعارضة لهذه السياسة فى الاساقفة ورجال الخدمة المدنية فى أوروبا .<sup>(٢)</sup>

وقد عزا بعض المؤرخين سياسة ليو اللايكونية الى مؤثرات يهودية الى جانب المؤثرات الاسلامية ، فقالوا : انهم شروا موافقته على تحطيم التماثيل بالمال ، وانه حاول

(١) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥١ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ .  
(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥١ .  
(٣) عن التأثير بالاسلام وتأثير ذلك على الحركة اللايكونية فى الدولة البيزنطية ، (انظر / مجهول : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ١١٤ - عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١١ - السيد الباز العريضى : الدولة البيزنطية ، ص ٢٠١ - أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، ص ١٣٠ ) .

ارضاءهم ، ولعل هذا القول قد جاء لان اليهودية تحرم عبادة  
(١)  
الصور .

ونحن لانستبعد أن يكون لليهودية دور فى ذلك ، بل  
أن المسيحية نفسها تحرم الصور ، لكن الواقع يقول أن عبادة  
الصور قد عاشت مع وجود هذه المؤثرات ، وهذا مايدفعنا  
لإعادة القول ، لماذا قامت حركة تحريم عبادة الصور على يد  
الامبراطور فى القرن الثامن بالذات ؟ انه بلا شك المؤثر  
المباشر الذى حدث فى هذا القرن ، الا وهو مرسوم الخليفة  
يزيد .

ان الاهمية الكبرى لاتكمن فى اصدار الامبراطور ليو  
قراره بتحريم عبادة الصور تأسيا بالخليفة يزيد بن عبد  
الملك ، بل فيما نتج عن هذا التاثر ، فقد عاشت الدولة  
البيزنطية حروبا داخلية خطيرة بسبب الحركة اللايقونية بين  
المؤيدين والمعارضين مدة تزيد على قرن من الزمان ، فعمت  
بلاد اليونان وايطاليا عدد من الثورات التى تمتد لسياسة  
الامبراطور ، ووضع البابوات انفسهم على رأس المعارضة ، لذلك  
حالفوا المبارد ، وطلبوا العون من الحكام الفرنجة ،

(١) عن القول بتأثير اليهودية أيضا على الحركة  
اللايقونية ، (انظر / عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة  
البيزنطية ، ص ١١١-١١٢ - أومان : الامبراطورية  
البيزنطية ، ص ١٥٢ - حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ  
الدولة البيزنطية ، ص ١١٠ - هسى : العالم البيزنطى ،  
ص ١٣٥) .

(٢) السيد الباز العريضى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٩-  
٢٠٠ ، ومما يستحب الإشارة اليه هنا أن الحركة  
اللايقونية قد أوقفت تماما ، وأعيدت عبادة الصور فى  
المجمع المسكونى الذى عقد سنة ٨٤٣م بدعوة من  
الامبراطورة تيودورا التى تولت بعد زوجها تيوفيلوس  
(توفيل) ، الذى أصدر قراراته بإعادة قوانين مجمع  
نيقية (سنة ٧٨٧م) ، القاضى بتقديس الصور . (عن هذا ،  
انظر / هسى : نفس المرجع ، ص ١٣٦ وهامش (٢) منها - =

فانتقم ليو بفصل مناطق جنوب ايطاليا عن السيادة البابوية ، وقد ساعد ذلك حكام الفرنجة على التدخل ، وجعل شارل العظيم نفسه حاميا للارشودكسية ، فبدأت دولة الفرنجة فى الظهور كإمبراطورية منافسة لبيزنطة ، فترتب على هذه الاحداث ، انسحاب روما من الشرق ، وخروج بيزنطة من الغرب اللاتينى ، فانهارت بذلك فكرة الوحدة التى تمسكت بها كل من الامبراطورية البيزنطية والبابوية .<sup>(١)</sup>

تلك كانت الحركة المعادية لعبادة الصور فى بيزنطة بتأثير مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك الا انه بالرغم من ان اول قرار ضد عبادة الصور لم يصدر فى القسطنطينية بل فى دمشق عاصمة الخلافة فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، فان المسلمين فى تنفيذهم لمرسوم الخليفة يزيد ، اقتصروا على ازالة الصور والتمائيل وتحطيمها أو محوها، بينما الامبراطور ليو وابنه قسطنطين ورجاله تعدوا ذلك الى اضطهاد الرهبان وقتلهم وتعذيبهم .<sup>(٢)</sup>

ومن علامات سياسة المسلمين الحكيمة فى هذا الصدد اعطاؤهم حرية الرأى للرعايا المسيحيين فى التعبير عن رأيهم فى هذه الحركة ، تمثل ذلك فى افساح المجال للتقديس يوحنا الدمشقى فى الدفاع عن استخدام الصور كوسيلة للعبادة،

= - أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٥ - فازيليف : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، مراجعة فؤاد حسن على ، دار الفكر العربى ، ص ٣٦٥-٣٦٨ .

(١) عن هذه النتائج الخطيرة للحركة اللايقونية فى الدولة البيزنطية ، (انظر / أومان : نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥٣ - هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٥-١٣٦، ١٣٨ - السيد الباز العربى : الدولة البيزنطية ، ص ٢٠٨ .

(٢) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٩٥ .

حيث قدم عددا من الرسائل الشهيرة صاغ منها الأدلة اللاهوتية لاستخدام الصور ، فغدت سلاحا ماضيا بيد مؤيدي عبادتها ، كما قام بجولة واسعة فى سورية داعيا الى مقاومة مبطلات الايقونات ، فاعتبر الزعيم الاساسى المدافع عن الايقونات . كل ذلك فعله وهو داخل الدولة الاسلامية ، التى لاتقر عبادة الصور وأمرت بآزالتها من أراضيها .<sup>(١)</sup>

وقد ذكر فيليب حتى ، ان يوحنا هذا ، قد خلف أباه سرجون فى استلام الادارة المالية فى الدولة الاسلامية ، ولم يزل مشرفا عليها حتى أوائل خلافة هشام ، حينما اعتزل الادارة وانصرف الى حياة الزهد والتعبد وأقام فى دير القديس سابا بالقرب من بيت المقدس حيث قضى نحبه . ولعل تركه العمل فى ادارة الدولة الاسلامية ، وانصرافه للتعبد والزهد ، ان صحت هذه الرواية ، بسبب مرسوم الخليفة يزيد ، لما علمنا من الدور الذى قام به فى الدفاع عن عبادة الصور والتصدى للحركة اللايقونية التى تزعمها الامبراطور ليو .

الا ان من الواجب الاشارة هنا ، اننا لم نجد ليوحنا بن سرجون بن منصور الرومى دورا فى الادارة المالية فى الفترة السابقة لهشام ، منذ ان عربت الدواوين فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان . كما ان عبد الملك عزل سرجون والد منصور ولم يول ابنه يوحنا بن سرجون ، بل ولاها سليمان بن سعد

(١) عن يوحنا الدمشقى ، وتصدية لسياسة ليو الثالث اللايقونية ، ودفاعه عن الايقونات من داخل الدولة الاسلامية ، (انظر / أسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ص ٦٣-٧٨ - ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - فيليب حتى : تاريخ سورية ، ١١٧/٢ - هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٧) (٢) تاريخ العرب (م) ، ٣١٤/١ - وتاريخ سورية ، ١١٦/٢ .

الخشنى ، وقيل بل ظل سرجون على الدواوين حتى عزله عمر بن عبد العزيز عندما وجد عليه شيئا .<sup>(١)</sup>

ويتبين أن سياسة تحريم عبادة الصور والأمر بإزالتها يخالف معتقد مسيحي الشام ، وتجلى هذا فى موقف يوحنا الدمشقى الذى أشرنا إليه ، وكذلك فى موقف مسيحي مصر ، حيث قام بطريك اليعاقبة فى مصر المدعو قسيما بمناظرة الامبراطور تيوفيل (٢١٤هـ / ٨٢٩م - ٢٢٨هـ / ٨٤٢م) فى سياسته المعادية لعبادة الصور .<sup>(٢)</sup>

ومعنى هذا أن مرسوم الخليفة يزيد وما ترتب عليه ، قد ساء المسيحيين ، من رعايا الدولة الاسلامية ، لكنهم فيما يبدو لم يستطيعوا عمل شيء يذكر لتصدى لسياسة الخليفة يزيد داخل الدولة الاسلامية فى عهده .

(١) عن تولية سرجون بن منصور ، وعزله على أثر تعريب الدواوين . (انظر / فرج الهوى : النظم الادارية ، ص ٢٠٩، ٢٠٥، ١٩٦ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٩٩، ٢٢٨ ، والصفحات التى أورد فيها ذكر عمال الخلفاء بعده .

ويؤيد أسد رستم خبر عزل يوحنا الدمشقى عن العمل فى ادارة الدولة الاسلامية ، من قبل عمر بن عبد العزيز بعد أن كشف خيائته ، وقد ذكر أن ذلك كان بفعل حيلة لجأ اليها الامبراطور البيزنطى ليو الثالث ، أظهر فيها للخليفة عمر خيانة يوحنا للمسلمين وأنه كتب اليه يشكو ما يلاقيه النصارى من ذل فى دولة الاسلام ، ويبين للامبراطور مواطن الضعف فى الدولة الاموية . مشيرا أن هدفه من هذه الحيلة اغضاب الخليفة عليه ، للتخلص منه بعد أن تصدى لسياسته اللايقونية فى الدولة البيزنطية (كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، ص ٧٠-٧١) . وهذا الخبر من أساسه يكون باطلا ، لأن ليو الثالث لم يتخذ سياسته اللايقونية الا سنة (٧٢٦م / ١٠٧-١٠٨هـ) ، وعلى أثر مرسوم الخليفة يزيد ، أى أن ذلك تم بعد عهد عمر بل وبعد عهد خليفته يزيد . فكيف يكيد الامبراطور ليو الثالث عند عمر ليوحنا لكونه تصدى لسياسته اللايقونية ، وهو لم يشرع فى هذه السياسة بعد .

(٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٨٠-١٨١ - المقرئى : خطط ، ٤٩٤/٢ .

ومع ذلك فمن المرجح أن مرسوم يزيد إلى جانب سياساته المالية المتشددة مع أهل الذمة ، وخاصة بمصر ، كان من الأسباب التي أدت إلى ثورة أقباط مصر على الحكم الإسلامي (سنة ١٠٧هـ) في أوائل خلافة أخيه هشام بن عبد الملك ،

(١) لم يكن يزيد متشددا مع أهل الذمة في كل شيء ، فيذكر أن يزيد بن عبد الملك أذن في أول سنة من حكمه ، للبطريرك الملكاني مار الياس ، بدخول أنطاكية ، في موكب حافل من الرهبان والاتباع ، بعد مضي مائتين وثلاث سنوات ، من خروج ساويرس رأس المسيحيين الملكانيين الأرثوذكس في أنطاكية ، والتي لم يسمح لهم فيها بتتميم بطريرك منهم . وصارت البطريركية في هذه المدة لليعاقبة (البلديين) ، فقالوا الحظوة عند حكام المسلمين .

(انظر : نجدة خماش : الشام في صدر الاسلام ، ص ٩٦-٩٧) . ومثل هذا أذن الخليفة هشام سنة ١٠٧هـ ، بإقامة بطرك ملكاني على الاسكندرية ، بعث من قبل ملك الروم ، وذلك بعد أن نزع البطريركية من الملكانيين في مصر وصارت لليعاقبة منذ زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبقيت في أيديهم سبعا وسبعين عاما . (انظر / المقرئ : خطط ٤٩٣/٢) .

ولعل هذا حدث بعد أن أمن الخلفاء الأمويون ، تحزب الملكانيين للبيزنطيين ، خصوصا بعد الحركة اللايقونية وانقسامهم على أنفسهم . (نجدة خماش : نفس المرجع ، ص ٩٥) .

ويبدو لي أن هناك سببا آخر دعا هشام بن عبد الملك إلى ذلك ، وهو غضبه على أقباط مصر ، إذ قاموا (١٠٧هـ ٧٢٦م) بثورات ضد الحكم الإسلامي . فكان نزاع بطريركية الاسكندرية منهم ، واعطاؤها للملكانيين ، عقابا على موقفهم . ولعله كذلك نوعا من التقارب مع الحكومة البيزنطية ، التي اتخذ امبراطورها في السنة نفسها السياسة اللايقونية ، كما تم في عهد الخليفة يزيد بالدولة الإسلامية قبل ذلك . لكننا لانعرف سببا محددا لسماح الخليفة يزيد بدخول البطريرك الملكاني أنطاكية في أول سنة من حكمه وربما يكون قد فعل ذلك عقابا لليعاقبة بعد أن لمس منهم منذ أن تولى الخلافة ما يدعوا للغضب عليهم ، فأذن للبطريرك الملكاني بدخول أنطاكية ثم أصدر مرسومه ، ولعل ما تضمنه المرسوم ، كان ظواهر استشرت بين المسيحيين اليعاقبة ، فاستثارت غضب الخليفة ، ودعته لهذه السياسة ، إذ رأهم خرجوا عن حدود ما كان لهم في عهد ملحم .

والتي تعددت واستمرت حتى أخدمت نهائيا (سنة ٢١٦هـ) في  
(١)  
خلافة المأمون العباسي .

---

(١) عن شورات القبط في مصر ، (انظر / المقرئ : خطه  
٤٩٤-٤٩٣/٢ - الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٣-٧٤، ١٩٠-١٩٢-  
ساويرس بن المقفع : سير الأباء البطارقة ، ١٥٤/١-١٥٥).

# الفصل الرابع

الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

المبحث الأول : الفتوح في بلاد ما وراء النهر .

المبحث الثاني : الفتوح في أرمينية .

المبحث الثالث : الفتوح في أرض الروم .

المبحث الرابع : الفتوح في بلاد الغال .



الفصل الرابع

الفتوحات الاسلامية فى عهد  
الخليفة يزيد بن عبد الملك

نشطت الفتوحات الاسلامية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، بعد حالة الفتور التى عاشتها أيام سلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والذى لجا لذلك فى شيء من التوازن من أجل التفرغ لحركة الإصلاح الكبرى التى شهدتها عهده .

وقد عاود الجيش الاسلامى نشاطه العسكرى فى زمن الخليفة يزيد ، مدفوعا بثلاثة عوامل : اما لاختفاء بعض الحركات التمردية فى اقاليم الاطراف ، واعادة نفوذ الدولة على تلك الاقاليم ، ويتمثل ذلك فى الجهود العسكرية التى وجهت لاختفاء تمرد المغد فى بلاد ماوراء النهر .

واما لصد العدوان الخارجى على الممالك الاسلامية ، كالتصدى لهجوم الخزر على أرمينية . او للبقاء على زمام المبادرة العسكرية بايدى المسلمين ، خصوصا مع عدوهم اللدود ، وخصمهم العنيد ، الدولة البيزنطية ، وذلك بالاستمرار فى غزو اراضيها برا وبحرا .

او استمرارا فى حركة الفتوحات ، ومواصلة الجهاد ، ونشر الدعوة فى البلاد التى لم تطاها اقدام الفاتحين من قبل ، كحملاتهم فى بلاد الغال .

وسنعرض فى هذا الفصل للجهود العسكرية زمن يزيد فى الجبهات الأربع التى اشرنا اليها ، وما أسفرت عنه تلك الجهود .

المبحث الاولالفتوح فى بلاد ماوراء النهر

(١)

توقفت الفتوحات الاسلامية الكبرى فى بلاد ماوراء النهر

بمقتل قتيبة بن مسلم الباهلى (سنة ٩٦هـ) ، على يد جنده من

القبائل العربية ، عندما أراد مخالفة الخليفة سليمان بن

عبد الملك . ذلك القائد الذى يعود له الفضل فى اتمام

الفتح الاسلامى لذلك الاقليم ، وفرض السيادة الاسلامية عليه ،

(٢)

وضمه الى دولة الاسلام .

(٣)

لكن شكرى فيصل يقول : أن مقتله لم يكن مجرد توقف

للفتوح الاسلامية فى آسيا الوسطى حتى ولاية نصر بن سيار

- مابين ١٢٠ و ١٣١هـ - بل كان بداية انحسار وتراجع للنفوذ

(١) ماوراء النهر : اسم أطلقه العرب على المنطقة

المتحضرة الواقعة فى حوض نهري أموديا (جيحون)

وسيردريا (سيحون) . (بارتولد : تركستان من الفتح

العربى الى الغزو المغولى ، نقله عن الروسية صلاح

الدين عثمان هاشم ، أشرف على طبعه قسم التراث العربى

بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،

١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ١٤٥) . ويعتبر نهر جيحون الحد

الفاصل بين الاقوام المتحدثة بالفارسية والمتحدثة

بالتركية ، كما أنه الحد الفاصل بين مناطق ايران

وتوران ، والعرب اول من سمى المناطق الواقعة وراءه

"بما وراء النهر" أو بلاد الهياطلة . (ناجى حسن :

القبائل ، ص ٢٠٧ - وانظر أيضا : كى لمترنج : بلدان ،

ص ٤٧٦) .

(٢) عن مقتله ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ،

ص ٢٤٠ - راضى عبد الله عبد الحليم : تاريخ خراسان ،

ص ٤٣-٤٤ .

(٣) انظر قبل : التمهيد ، ص ٣٧ .

(٤) حركة الفتح ، ص ٢١٨ (وسيكون لنصر بن سيار دور مميز ،

انظر اشارتنا له بعد : ص ٣٤٦) .

(١)  
الاسلامى هناك .

اذ يبدو ان الولاة الذين جاءوا بعده ، لم يكونوا على استعداد للاضطلاع بمهمة الفتح وماأخذ به نفسه ، فقدوا سيطرتهم على ولايات حوض سيحون فى العام التالى لمصرعه ، وتحولوا من دور الهجوم الى دور الدفاع .<sup>(٢)</sup>

واذا ماتجاوزنا عهد سليمان بن عبد الملك ، لنرقب الموقف الحربى فى ماوراء النهر زمن عمر بن عبد العزيز ، سلف الخليفة يزيد ، لتبين ان سياسة عمر بن عبد العزيز الحربية ، وبخاصة فيما وراء النهر ، حينما أمر بايقاف الغزو والاكتفاء بما فتح ، بل ومحاولته اجلاء المسلمين من تلك البلاد الى خراسان ، كما نص على ذلك الطبرى ، بقوله :<sup>(٣)</sup>  
"وكتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم - عامله على خراسان - يأمره باقفال من وراء النهر من المسلمين بذرايرهم . قال : فابوا وقالوا : لايسعنا مرو . فكتب الى عمر بذلك ، فكتب اليه عمر : اللهم انى قضيت الذى على ، فلا تغز بالمسلمين ، فحسبهم الذى فتح الله عليهم " .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) سنعرف من خلال هذا البحث فى الصفحات التالية ، دورا بارزا لسعيد الحرشى عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على خراسان ، فى اعادة الفتح والسيادة الاسلامية على بلاد ماوراء النهر .  
(٢) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٤ - الهادى الغزى : الشعر الاموى فى خراسان ، ص ٣٣ .  
(٣) تجاوزناه لان عامله على خراسان يزيد بن المهلب ، كان قد وجه فتوحاته الى جرجان وطبرستان ودهستان . (انظر راضى عبد الله عبد الحليم : تاريخ خراسان ، ص ٤٥-٤٩)  
(٤) انظر حديثنا عن مجمل سياسته الحربية قبل : التمهيد ، ص ٦٤-٦٧ .  
(٥) تاريخ الامم ، ٥٦٨/٦ .  
(٦) مرو : وهى مرو الشاهجان ، او مرو العظمى ، اشهر مدن خراسان وعاصمتها . (ياقوت : معجم ، ١١٢/٥ - ١١٦) .

وان كان مبعث هذه السياسة هو الخشية على المسلمين ،  
 من راع يرى مسئوليته عن رعيته ، الى جانب تغليب طريق نشر  
 الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، على الجهاد الحربى ،  
 وذلك عن طريق دعوة ملوك ماوراء النهر الى الاسلام ، والمبرر<sup>(١)</sup>  
 على اهل الفتن ، ومعالجة الامور بالعدل ، ثقة فى ظاهر  
 اسلامهم ، وتالفا لهم ، وهذا مادفعه الى عزل الجراح الحكيم  
 عامله على خراسان ، الذى اراد استخدام أسلوب العنف والشدّة  
 لضرب على يد اهل الفتن ، واختبار صحة اسلام من أظهر  
 اعتناق الاسلام ، وتولية عبد الرحمن بن نعيم ، لما عرف<sup>(٢)</sup>  
 عنه من لين وايشار للعاقبة . ومع مالهذه السياسة من  
 ايجابيات ، كاسلام بعض ملوك واهالى هذه المناطق ، لتبين  
 انها اطمعت آخرين فى المسلمين ، وحفزتهم الى التمرد وشق  
 عصا الطاعة .<sup>(٣)</sup>

(٤)

فقد تمرد الصفد على سلطان المسلمين ، وهاجم الترك

- 
- (١) انظر حديثنا عن ذلك قبل : التمهيد ، ص ٦٥-٦٦ .  
 (٢) انظر ذلك فى / الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٨-٥٦٢ -  
 ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ - البلاذرى : فتوح  
 البلدان ، ص ٤١٥ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ - ١٥٩ .  
 (٣) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى ، ص ٢١٨ .  
 (٤) الصفد : كورة قمبتها سمرقند ، وهما صفدان ، صفد  
 سمرقند وصفد بخارى . ذكر أن مساحته ستة وثلاثين فرسخا  
 فى ستة واربعين ، ومنبرها الاجل سمرقند ثم كش ثم نصف  
 ثم كشانية ، وقيل قمبته اشتيخن ، والبعض يجعل بخارى  
 من الصفد . (ياقوت : معجم ، ٤٠٩/٣ - ٤١٠) .  
 ويذكر كى لسترنج : أن الصفد (صفديانا القديمة) كان  
 يشمل الاراضى الواقعة بين سيحون وجيحون ، والتي  
 يسقيها نهري زرفشان ، وعليه تقوم بخارى وسمرقند ،  
 والنهر حيال مدينتى كش ونصف . الا أنه قال : من الاوجه  
 أن يعد الصفد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند . فان  
 بخارى وكش ونصف ، كانت كل واحدة منها تعد كورة  
 بذاتها . (انظر/بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٣) .  
 والصفد اهل هذه البلاد .

تلك البلاد وعاونوا الصفد في حربهم المسلمين ، خلال ولاية  
عبد الرحمن بن نعيم الغامدي (١٠٠ - ١٠٢هـ) وظلت مستعرة  
الآوار حتى ولاية سعيد بن عبد العزيز (١٠٢ - ١٠٣هـ) ، الذي  
تولى خراسان بعده من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ،  
الذي كان عليه اخماد ذلك التمرد .

#### سعيد بن عبد العزيز وسياسة المسالمة تجاه الصفد :

استمرت ولاية عبد الرحمن بن نعيم على خراسان منذ سنة  
١٠٠هـ في خلافة عمر بن عبد العزيز ، حتى سنة ١٠٢هـ زمن  
يزيد بن عبد الملك ، حيث دامت نحو ستة عشر شهرا . واستمرت  
مع ولايته الاضطرابات التي عمت مناطق الصفد منذ أيام عمر ،  
ولم يكن مقدم امير خراسان الجديد زمن يزيد بن عبد الملك ،  
وهو سعيد بن عبد العزيز (١٠٢ - ١٠٣هـ) ، نهاية لتلك  
الاضطرابات ، بل ظل الصفد بالتعاون مع الترك على تمردهم  
ومخالفة المسلمين ، رغم ما بذله الوالي الجديد من جهد في  
استمالة دهاقنتها وتسكين أهلها ، واتباع سياسة المسالمة  
تجاههم ، لدرجة وسم معها بالضعف وثقل على الناس .

- (١) لم أشر على ترجمة له .
- (٢) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص  
الأموي ، ختن مسلمة بن عبد الملك . (الطبري : تاريخ  
الأمم ، ٦٠٥/٦) . ولم أشر على ترجمة له .
- (٣) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ - وانظر ما سنكتبه عن تمرد  
الصفد منذ زمن عمر ، والقضاء على ذلك زمن يزيد في  
الصفحات التالية .
- (٤) الطبري : نفس المصدر ، ٥٦٢/٥ .
- (٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٢-٦١٤ - بارتولد :  
نفس المصدر ، ص ٣١٨ (وقد أشار الى ضعف سعيد بن عبد  
العزيز ، وقال من أجل ذلك لقبوا سعيد ب "خديفة" .  
والمصحيح انما لقب بذلك كما يقول الطبري : أنه كان  
رجلا ليناً سهلاً منعماً ، دخل عليه ملك ابغر عندما قدم =

لقد تمسك أهل المدن الكبرى في ماوراء النهر بموقفهم وهو عدم دفع الضرائب ، والامتناع عن تنفيذ أوامر الحكومة الإسلامية ، ومقاومة جيوشها . ويبدو أن من هذه الضرائب ، الجزية التي أعاد الخليفة يزيد فرضها على من أسلم بعد أن أسقطها عنهم عمر بن عبد العزيز . وعمل عماله على جبايتها بالعنف والقوة ، فآدى ذلك إلى نقض أغلب ممالك ماوراء النهر كالمغد وفرغانة وكش ونسف عهدها مع المسلمين ، بل وارتد كثير من الأهالي عن الإسلام .

ولعل مما ساعد على استفحال الفتنة ، انشغال المسلمين بحركة ابن المهلب ، وماورشته من نزاع قبلي ، واضطراب داخلي . إلى جانب اضطراب سياسة بنى أمية وترددها بين

= خراسان ، فوجده في ثياب ممبغة ، وحوله مرافق ممبغة ، فلما خرج ، سألوه عن الأمير ؟ فقال : خذينية لمتة سكينية ، فلقب خذينة . وتعنى عندهم الدهقانة ، ربة البيت . (انظر : تاريخ الأمم ، ٦/٦٠٥) ، ويشير البلاذري أن سعيد بن عبد العزيز دافع عن نفسه ، وبين أسباب هذا اللقب ، بقوله : سميت خذينة لأنى لم أطاوع على قتل اليمانية ، فضعفونى . (انظر : أنساب الأشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٣٦م ، ٥/١٦١-١٦٢) . وفي قوله هذا إشارة إلى سياسة الدولة نحو القبائل اليمانية ، وعدم ملاحقتهم بعد القضاء على حركة ابن المهلب اليمنى ، وتلك رغبة القبائل المضربة هناك ، كما يبدو ، وأن صح هذا الخبر ، فإن الذى أطلق عليه اللقب هم العرب لأمك أبفر .

(١) عبد الله مهدي الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، رسالة جامعية مطبوعة ، منشورات مؤسسة الأعلسى ، بيروت دار التربية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص ١٢٤ . لكنه أشار إلى انضمام المزارعين العرب إلى أهل البلاد في مقاومة الحكومة ، وهذا ماخطئه دلائل الأحداث ، إذ نجد الترك وأهل الصفد قد حصروا العرب في قصر الباهلى (انظر / الطبرى : نفس المصدر ، ٦/٦٠٨) وهذا يعنى حربهم للمسلمين الذين لديهم ، لمقاومة جيوش الخلافة فحسب مما ينفى هذا التحالف .

(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٠-٣١١ (نقلا عن : فلهاوزن : الدولة العربية ، ص ٣١٢ - ماجدة : التاريخ السياسى ، ٢/٢٧٨ - الطبرى : تاريخ ، ٦/٦٠٥-٦٠٧ - ابن الأثير : الكامل ، ٥/٩٢) ، وسناقش القول بإعادة يزيد فرض الجزية على من أسلم . انظر ذلك بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى ، ص ٥٥٢ .

(١)  
الكين والقوة .

(٢)  
لكن فيما يبدو أن بارتولد الحبس عليه الامر ، حين قال  
باستمرار التمرد في ماوراء النهر منذ قيامه خلال ولاية عبد  
الرحمن بن نعيم ، حتى ولاية خلفه سعيد بن عبد العزيز أمير  
خراسان ، من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، إذ تشير بعض  
المصادر إلى أن أهل الصفد عادوا إلى الملح في ولاية عبد  
الرحمن الفامدي بعد انتقامهم عليه . والظاهر ، أنهم  
انتقموا مرة أخرى في ولاية سعيد بن عبد العزيز ، وتحالفوا  
مع الترك على حرب المسلمين ، إذ يشير الطبري أن دهاقين  
الصفد بايعوا الترك على حرب المسلمين ماعدا ملك قى .

ونجد أن علاقة خدينة مع الصفد كانت في بدايتها في  
منتهى الوفاق ، فقد ولى شعبة بن ظهير عاملاً عليهم بمشورة  
الدهاقين ، لكون أبيه أحد أصدقاء الصفد القدامى ، فاستطاع  
معالجة الموقف هناك . غير أن أمير الصفد شعبة ، شكى ضمن  
مجموعة من الأمراء ، لاتهمهم بممالة أهل البلاد ، فعزل عنها  
وولى عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير مكانه .  
ويتبادر إلى الذهن أن الوالى الجديد سعى إلى تنفيذ سياسات  
الخليفة يزيد بن عبد الملك وخامة المالية منها . وكان  
الناس قد ضعفوا سعيد بن عبد العزيز ، فطمع فيه الترك ،

- 
- (١) عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٣٣ - الهادى الغزى :  
الشعر الأموى في خراسان ، ص ٣٣ .  
(٢) انظر قوله في الصفحة قبل السابقة .  
(٣) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦/٦٠٥-٦٠٦ - ابن الأثير :  
الكامل ، ١٧٧/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .  
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٨ .  
(٥) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧١-١٧٠ .  
(٦) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧ .

وجمع خاقانهم جيشا ، وجهه الى الممالك الاسلامية فيما وراء  
النهر بقيادة كورصول ، فانضم اليهم الصفد وبايعوهم على  
حرب المسلمين ، فسار بهم حتى نزل على قصر الباهلى وحاصر  
المسلمين فيه .<sup>(١)</sup>

موقعة قصر الباهلى (سنة ١٠٢هـ) :

كنا قد ذكرنا بان الترك والصفد قد حاصروا المسلمين  
فى قصر الباهلى ، وقد اشارت بعض المصادر الى سبب آخر غير<sup>(٢)</sup>  
استغلال الترك لضعف امير خراسان وعزل عامله على الصفد شعبة  
ابن ظهير . وهو ان احد الدهاقين اراد ان يتزوج امرأة من  
باهلة ، كانت فى قصر الباهلى ، فابت ، فاستجاش الترك ،  
راجيا ان يسبوا من فى القصر ، فيأخذ المرأة وان كنا  
لانستطيع ان نعلم الى هذا السبب ، فليس من المنطق ان يبعث  
خاقان الترك جيشا لحرب المسلمين من اجل ان ينال دهقان من  
الصفد امرأة مسلمة ، وان صح هذا السبب فيكون على الاكثر  
عاملا مساعدا دفع الى تحالف هذا الدهقان وقومه مع الترك .  
اما بقية اهل الصفد وتمردهم فان وراءه من الاسباب السياسية<sup>(٣)</sup>  
والمالية ما كنا قد اشرنا اليه .

وكان فى قصر الباهلى مائة اهل بيت من المسلمين  
بذراريهم ، وامير سمرقند آنذاك عثمان بن عبد الله ، ويظهر

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٧/٦ - ٦٠٨ - ابن الاثير :  
الكامل ، ١٧٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ -  
ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .  
(٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧-٦١٠ - ابن الاثير :  
نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٨-١٧٩ .  
(٣) انظر ذلك فى المبحثين السابقين .



ان المسافة بين القصر وسمرقند كانت بعيدة ، فخشى المحصورون ان يبطل عليهم المدد ، فصالحوا الترك على اربعين الف ، واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة حتى ياخذوا صلحهم ، فبعث اليهم أمير سمرقند المسيب بن بشر الرياحي ، في أربعة آلاف لمساعدة من بقصر الباهلي من المسلمين وانقاذهم ، فانصرف عنه أثناء الطريق جل الجند حتى لم يبق منهم معه وقد أصبح على بعد قرسخين من قصر الباهلي ، الا سبعمائة ، اذ كان يخطبهم كلما نزل منزلا ، ينوه فيهم بشأن العدو قوة وكثرة ، وكأنه لا يريد ان يسير معه الا من عزم على الغزو وصدق النية والصبر . وقد لقيه في الطريق ترك خاقان ملك قى في ثلاثمائة من قومه ، فأخبره بانتقاض كافة المغد ماعداه ومبايعتهم الترك ، وان الترك المحاصرين قد قتلوا الرهائن عندما علموا بمقدمه من قبل أمير سمرقند . فبعث المسيب رجلا يستطلعان خبر القوم ، فوجد الترك قد أجروا المياه حول القصر لئلا يتمكن الوصول اليه ، وتمكنا من محادثة أحد المسلمين المحصورين ، فوجداهم قد اعتزموا الخروج من الغد ، وتقديم النساء للموت قبلهم حتى لا يبقى منهم أحد ، فأخبراهم بمقدم النجدة ، وحث القوم على الصبر حتى ومولها .

أما المسيب فقد اعتزم المسير وبإياعه من معه على الموت ، وكانت خطته ان يبيت القوم ، فحث رجاله على الصديق والصبر ، وجعل على يمينته كثير بن الدبوسي ، وعلى يسارته ثابت قنطة ، وهاجم القوم ، فصبر لهم الترك ، وانهزم المسلمون الى المسيب ، فترجل أناس من المسلمين وثبتوا ،

فانهزم المشركين ولاذوا بالفرار ، فأمر المسيب رجاله بقصد القمر ، وحمل المال ، ومن لا يقدر على المشى من الشيوخ والنساء والمبنيان ، أما حصة أو باجر ، واحتمال أهل العهد ، فاحتملوهم ، وانزلوهم قصر ترك خاقان ملك قى الذى بقى على ولائه للمسلمين . وعاد البعث الى سمرقند ، فرجع الترك من الغد ، فلم يجدوا فى القمر أحدا ، ولم يعثروا على أثر للمسلمين .<sup>(١)</sup>

وينجلى لنا من هذا الخبر عن وقعة قصر الباهلى تعرض الديار الاسلامية للغزو الخارجى من قبل الترك وتمرد أهل الصفد فى الداخل ، وتحالفهم مع العدو ضد المسلمين . ومع تحقيق المسلمين للنصر فى الميدان العسكرى فى هذه الوقعة ، إلا انها مع ذلك قد أسفرت عن جلاء المسلمين عن قصر الباهلى ، إذ ان القوة الاسلامية كانت نجدة انقذت المسلمين كافرين ، ثم ارتدت الى مركزها سمرقند . بل ان عودة الترك فى اليوم الثانى يعنى بقاء القوة المعادية فى الديار الاسلامية والاستيلاء على بعضها مما أوجب على المسلمين وأمير خراسان خاصة ، طرد الأعداء وحماية الثغور ، وإعادة السيادة

- 
- (١) قال ابن الأثير : "حمل الماء" والأصح ما قدمناه ، فليس أكثر من مياه الصفد وأنهارها . انظر : الكامل ، ١٧٨/٤ - ١٧٩ .
- (٢) حدد الأجر : أربعون ألف درهم . انظر : الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦١٠/٦ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحات .
- (٣) هنا إشارة الى وفاء المسلمين بعهدهم لأهلهم ، ووجوب منعهم لقاء الجزية ، والمساواة فى أحلك الظروف .
- (٤) عن وقعة قصر الباهلى : (انظر / الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٠-٦٠٧ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ (فى شئ من الاختصار) - ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .
- (٥) الهادى الغزى : الشعر الأموى فى خراسان ، ص ٢٨ .

الإسلامية على الصفد والقفاء على تمرد أهله .

### غزو سعيد بن عبد العزيز الصفد وحربه الترك :

عبر سعيد بن عبد العزيز (سنة ١٠٢هـ) ، نهر جيحون غازيا الصفد ، ومحاربا الترك ، فقد غزا الترك بلاد الصفد وفرغانة ، وتكررت هجماتهم ، وقد أعانهم الصفد في حربهم للمسلمين ، ويذكر أن سعيد بن عبد العزيز عبر النهر مرتين،<sup>(١)</sup> كانت الثانية منها سنة ١٠٣هـ ، لكنه في كليهما لم يتعد مدينة سمرقند . واكتفى بالنمر الذي حققه على الترك في معاركه ، ولم يتكلف تتبعهم وإخراجهم من البلاد ، وإعادة سلطان المسلمين عليها .

والمصادر لتمييز بوضوح بين غزواته ، وإن كانت قد اتفقت على آخر نقطة وصل إليها (وهي سمرقند) ونتائج غزوه ، فيصف لنا الطبري وغيره إحدى غزواته فيقول : أن الناس استحثت سعيد بن عبد العزيز على الغزو بعد أن رأوا غزو الترك لبلادهم فيما وراء النهر وأعانة أهل الصفد لهم ، فقطع النهر إلى الصفد ، وهناك التقى مع الترك وطائفة من أهل الصفد ، فهزمهم المسلمون ، إلا أن سعيدا منع المسلمين من تتبعهم ، محتجا بأن الصفد بستان أمير المؤمنين ، وأنه لا يريد بوارهم ، فلما رأت الترك مسير المسلمين عنهم ، كروا عليهم

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦/٦١٢-٦١٤ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ .

(٣) الهادي الفزري : الشعر الأموي في خراسان ، ص ٢٨ (لكن قوله ليس من الدقة بمكان فكما سقري أنه سيميل إلى اشتيخن شمال سمرقند ، ويبعث سرية إلى ورغسر شرق سمرقند أيها . انظر الصفحات التالية) .

وقد جعلوا لهم كميناً ، فقاتلوهم ، وانحازوا حتى جازوا  
الكمين فخرج على المسلمين ، فانهزموا ، وتبعهم الترك ،  
فثبت المسلمون ، حتى انكشف عنهم العدو ، فلم يتبعوهم ايضاً  
وقد انهزموا ، ومن الغد خرجت مسلحة للمسلمين عليها شعبة<sup>(١)</sup>  
ابن ظهير ، فخرج عليهم الترك فجأة ، فهزم المسلمون وقتل  
منهم نحو خمسين على رأسهم شعبة بن ظهير ، فخرجت لاغاثة  
المسلحة جماعة من تميم بقيادة الخليل بن أوس العبشمي ،  
فكفوا الترك عن الناس ، حتى جاء الأمير ، فانهزم العدو .<sup>(٢)</sup>

والخبر السابق ينقصه مكان القتال وعلى ماذا تقاتل  
الغريقان وهذا مانجده عند البلاذري الذي وان خالف لفظ<sup>(٣)</sup>  
الطبري ، فانه اتم هذا النقص ، ووافقه في سمة الحادثة  
العامية . اذ يخبرنا : ان سعيد لما عزم على الغزو قدم سورة  
ابن الحر الحنظلي ، فتوجه الى ماوراء النهر ، ففزل اشتيخن<sup>(٤)</sup>  
<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) مسلحة : مسلحة الجند خطاطيف لهم بين ايديهم ، ينقضون  
لهم الطريق ويتجسسون خبر العدو ، ويعلمون لهم علمهم ،  
لئلا يهجم عليهم ، ولا يدعون أحداً من العدو يدخل بلاد  
المسلمين ، وينذرون المسلمين بتقدم الجيوش نحوهم .  
(ياقوت : معجم ، ١٢٨/٥ - ١٢٩) .
- (٢) تاريخ الأمم ، ٦١٢/٦ - ٦١٣ - ابن الاثير : الكامل ،  
١٨٠ - ١٧٩/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨١/٣ .
- (٣) فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - انساب الاشراف ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (٤) اورد البلاذري اسمه في فتوح البلدان : سورة بن الحر ،  
وفي الانساب : سورة بن أجر . ووجدناه عند الزركلي :  
كما جاء في فتوح البلدان ، وقد قال عنه ايضاً : أمير  
سمرقند واحد رؤساء تميم ، انتدبه الجنيد لنجدته وهو  
يقاتل الترك ، فجاءه من سمرقند باثني عشر ألف ،  
فاعترضها الترك ، فقاتلهم حتى كشفهم وكانوا قد اوقدوا  
نارا خلفهم ، فلما اغار سوره واصحابه سقطوا في  
اللهيب ، فقتل مع اكثرهم . (انظر : الاعلام ، ١٤٥/٣) .
- (٥) اشتيخن : مدينة تقع على بعد سبعة فراسخ شمال سمرقند  
نعتها الاصطخرى بقلب السفد لخمبها . (كي لسترنج :  
بلدان ، ص ٥٠٩) .

وقد صارت الترك اليها فحاربهم ، وهزمهم ، ومنع الناس من طلبهم ، خشية أن تكون منهم كره ثم لقي الترك بعد ذلك ، فهزموه ، واكثروا القتل في أصحابه ، واظنه قصد بذلك الهزيمة التي لحقت بالمسلحة التي أشار اليها الطبري قبل .  
 أما الغزوة الثانية ، فإن المصادر لا تميزها ، لكننا نجد عند الطبري إشارة اليها ، اذ يخبر أن سعيدا نزل بازاء العدو ، فقبل له : فاجز أهل الصفد فأبى ، فرأى دخانا سال عنه ، فأخبر أنهم متمردي الصفد ومعهم بعض الترك ، فقاتلهم حتى النصر ، إلا أنه منع طلبهم وتبعضهم .

وفي العام التالي لغزوة سعيد الأولى ، بعث سرية من بنى تميم إلى ورغسر ، وكانوا يأملون لقاء العدو ، ليطاردوه ، اذ كان سعيد بن عبد العزيز يمنعهم من تتبعه ، واذا ما وجد السرية قد أصابت وغنمت وسبت ، رد ذراري السبي وعاقب السرية .<sup>(١)</sup>

ومن عرضنا لجهود سعيد بن عبد العزيز العسكرية في بلاد الصفد ، تبين أنه عمل على طرد الترك مما وراء النهر ، واتباعه سياسة اللين والتودد مع الصفد ، آملا عودتهم للطاعة دون تعريضهم للبوار والابادة ، كما حرص على تجنب بلادهم الحرب ، لئلا تكون ميدان قتال ، فيلحق بها الخراب والتدمير . اذ يشير عبد الله الخطيب إلى وجود منشآت<sup>(٢)</sup>

(١) تاريخ الأمم ، ٦١٣/٦ - ٦١٤ .

(٢) ورغسر : قرية كبيرة ، خصبة تسقيها أنهار تأخذ من نهر السفد ، وتقع بين مدينتي سمرقند وبنجيكت ، الواقعة على بعد تسعة فراسخ شرق سمرقند . (كي لمسترنج : بلدان ص ٥٠٨ - ٥٠٩) .

(٣) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٤ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٠/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨١/٣ .

(٤) الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

أرواثية ، تتمثل في قنوات مائية يروى منها الفلاحون الصغار مزارعهم وتعود ملكيتها للحكومة أو الاقطاعي الكبير أو الى المشاعة ، وقد كان الفلاحون يعملون مجاناً في أوقات معينة من السنة لميانة هذه المنشآت ، وأن الأمير سعيد كان الى جانب خوفه على الأراضى الزراعية العائدة للخليفة أو لأمراء العرب وأشرافهم <sup>(٢)</sup> ، يسعى الى تجنب توتر العلاقات مع الخانات الحاكمين .

ونخلص أن سياسة اللين التى اتبعتها سعيد بن عبد العزيز مع الصغد وغزواته التى كانت تهدف الى محاولة كسبهم وارجاعهم الى حظيرة الاسلام ، لم تفلح فى إعادة الصغد الى الطاعة ، حيث ظلوا على حلقهم مع الترك ، واستمر عميانهم على المسلمين ، كما ازداد الوجود التركى فى الاقليم ، وضاعت هيبة المسلمين ، بانتصار العدو أحياناً ، واحجام المسلمين عن طرده ، فقد أجلوا المسلمين عن قصر الباهلى ، وتقدموا نحو اشتيخن ، فى محاولة منهم لاجراج المسلمين وتقليص النفوذ الاسلامى وراء النهر ، ويظهر أن تمرد الصغد والوجود التركى كان واضحاً شرق وشمال شرق ماوراء النهر ،

(١) لم تشر المصادر الى وجود ملكيات خاصة للخلفاء فيما وراء النهر ، ويبدو أنه يقصد الأراضى العائدة للحكومة وهى أرض الخراج والصوافى .

(٢) نجح بعض الاثرياء فى شراء بعض الأراضى الخراجية فى العصر الأموى ، وتحولت الى عشرية ، حتى منع ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وسار على نهجه خليفته يزيد ثم هشام ، وأن كان الأمر لم يتوقف نهائياً ، ففرض الخراج على الأرض الخراجية وأن ابتاعها المسلم . (انظر/ عبد العزيز الدورى : العرب والأرض فى بلاد الشام فى صدر الاسلام ، بحث مقدم للمؤتمر الدولى الاول لتاريخ بلاد الشام ، من القرن السادس الى القرن السابع عشر ، المنعقد فى الجامعة الأردنية ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٢٩ ) .

لذا أجل أمر التخلّص منه . أما المحصورين في الحصن ، فقد طلبوا المّلع بعد مسير الديواشنى عنهم ، عارضين على ابن أبى السرى تسليم المدينة بما فيها ، شريطة أن لا يعرض المسلمون للأهالى ، فوافقهم على المّلع ، وبعث الى الحرشى بذلك ليرسل من يقوم بقبض ماقى الحصن ، فقبض مافيه ، وبيع مزايده ، فأخرج منه الخمس ، وقسم الباقي بين الجنّد ، هكذا تم الاستيلاء على حصن أبغر صلحا ، وقضى على فتنة من لجأ اليه ، أما زعيمهم الديواشنى ، فقد أورد الطبرى ، أن سعيدا الحرشى بعد أن صالح كس ، وخرج الى ربّنجن ، أمر بقتله ، وصلبه ، وبعث برأسه الى العراق . ولعل ذلك كان بعد تسليم قومه الذين بحصن أبغر ، ومما احتّم لسليمان بن أبى السرى .

#### مصالحة كس :

توجه الحرشى بجيشه الى كس ، بعد المراسلات التى دارت بينه وبين قائده ابن أبى السرى المحاصر لأبغر ، والتى عرف من خلالها تمكّن المسلمين هناك من عدوهم . ويبدو أن الضربة

(١) ربّنجن : مدينة كبيرة بين سمرقند وبخارى ، تقع على مرحلة بريد من شرق الدبوسية . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٥١١-٥١٢) . وانظر قول الطبرى عن مقتل الديواشنى فى كتابه : تاريخ الأمم ، ١١/٧ ، إلا أن ابن الأثير خالفه فى ذلك وقال : قتله فى زرنج . انظر : الكامل ، ١٨٦/٤ ، وبالرجوع الى كتاب بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٧٣ ، لكى لسترنج ، وجدنا أن زرنج ، قاعدة إقليم سجستان . وحيث أن ميدان الأعمال العسكرية التى قام بها الحرشى هو إقليم ماوراء النهر لاسجستان ، فإن كون مدينة ربّنجن هى مكان مقتل الديواشنى ، هو الأصح . فعلى فى ميدان غزوه والأقرب الى مدينة كس التى خرج منها الحرشى ، والواقعة أيضا فيما وراء النهر . (انظر : الهامش السابق) .

(٢) انظر عن اخضاع أبغر ، والقضاء على الديواشنى : الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ .

القاصمة للمغد فيخندة قد اورثت الجزع في قلوب أهل الاقليم حتى أن دهقان كس خرج الى الحرشى يدموه للملح ، على (١)  
 أن يعطوه عشرة آلاف رأس ، وقيل : ستة آلاف رأس ، يقدمونها خلال أربعين يوما . فقبل منهم ذلك ، وولى نصر بن سيار قبض (٢)  
 ملحهم . ثم سار من هناك نحو ربنجن .

#### غزو طخارستان :

ويغلب على الظن أن الحرشى سير قائده سليمان بن أبى السرى بعد انتهائه من أبغر الى طخارستان ، إذ يشير الطبرى أن الحرشى عندما قتل الديواشنى فى ربنجن بعث بيده اليسرى الى سليمان بن أبى السرى فى طخارستان . وكنا قد تركناه محاصرا لحصن أبغر ، وليس هناك مكان للقول ، بأن وجوده هناك كان كوال . إذ يشير الطبرى نفسه الى استعمال الحرشى لابن أبى السرى على كس ونسف . وقد تم هذا غالبا بعد غزو طخارستان ، الذى لاتسعدنا المصادر بأكثر من ذلك عنه .

- 
- (١) لأعلم من أى شىء ، فقد يكون من الناس ، ليكونوا فى خدمة الجيش الإسلامى ، أو من البهائم ، أن كانوا رعاة .  
 (٢) انظر ممالحته لأهل كس فى / الطبرى : تاريخ الأمم ، ١١/٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ . إلا أنه قال : وسار منها الى زرنج ، والاصح ما ذكره الطبرى ، إذ أن زرنج فى سجستان ، وهو فى ما وراء النهر . انظر هامش (١) الصفحة السابقة .  
 (٣) طخارستان : ناحية عظيمة فى شرق بلخ ، تمتد بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان ، تحتوى على عدد من المدن . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٤٦٩) .  
 (٤) نفس المصدر ، والجزء والصفحة .  
 (٥) نفس المصدر ، والجزء والصفحة .



مصالحة خزار :

(١) كانت خزار من المنعة بمكان ، وهذا مادفع الحرشى الى قبول نصيحة من أشار عليه بأن يوجه اليها المسربل بن الخريت بن راشد الناجى ، لما كان بينه وبين ملكها سبغرى من الصداقة ، عسى أن ينجح فى فتحها صلحا وبلا كبير غناء . فسار الى فتحها ، وفاوض الملك سبغرى ، ذاكرًا له فعل الحرشى بأهل خجندة ، وخوفه عاقبة العصيان ، فصالح المسلمين ، وأعطى أمانًا له ولبلاده .

ويتضح أن الحرشى سعى الى ضمان الولاء ، وعدم رجوع المغد الى العصيان ، فسير عظماءهم فى جيوشه ، وامطحب بعضهم . لذلك نجده قد أخذ سبغرى معه ، فلما نزل أسنان ، قتل سبغرى وصلبه ومعه أمانه ، ويقال : كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة ، فأخذ أمانًا لأهل المغد ، فحبسه الحرشى فى قهندز مرو ، فلما قدم مرو ، دعا به ، وقتله وصلبه فى الميدان .

- 
- (١) خزار : موضع بغرب دخن من نواحي بلخ ، وقيل : خزار موضع بقرب نسف بما وراء النهر . ياقوت : معجم ، ٣٦٤/٢ . والقول الأخير الأقرب ، لقربه من المكان الذى وصله الحرشى فى طريق غزوه ، إذ كان خارجًا من كس (القريبة من نسف) الى ربنجن .
- (٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ١١/٧ - ١٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ (وقد أشار الى ذلك بدون تفصيل) .
- (٣) أسنان : من قرى هراة . (ياقوت : معجم ، ١٨٩/١) .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٢ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، والمفحة (أشار الى مقتله ، ولم يحدد مكان ذلك) - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة (أورد اسمه قشقرى ، وقال قتله فى مرو ، ولم يشر الى ابن ماجر) .

(١)  
وقد استغل هذا الخبر عبد الله الخطيب فقال : "كان  
الحرشى سىء السمعة فى اقليم خراسان ، وكان لا يلتزم بشروط  
المعاهدات ولا يحترم الالتزامات التى كان يعقدها مع دهاقين  
الترك خلافا للاخلاق الاسلامية وقوانين الحرب التى كان العرب  
الاولائل يتبعونها فى فتوحاتهم الاولى فى الشرق او فى الغرب  
كان الحرشى يقتل من يعقد معه معاهدة او امان او بعد ان  
يعطى الامان الشخصى لهم كما فعل - بملك خزار - وكان اسمه  
سبقرى ، صلبه ومعه امانه " . فكان لزاما علينا تجاه هذا  
القول ان نعيد النظر فى موقف الحرشى من الصفد ، للتحقق من  
صحة القول ، او اجحافه . فالحرشى عندما امر بقتل الصفد فى  
خجندة بعد عقد الصلح والامان ، لم يكن غدرا منه ، كما قال  
بارتولد ، الذى اتبعه الخطيب فى النيل من قادة المسلمين (٢)  
وسمو تعاملهم . فالصفد هم الذين نقضوا الصلح ولم يلتزموا  
بشروطه ، عندما قتلوا امرأة عربية غيلة ، ودفنوها تحت احد  
الحيطان ، فاكتفى الحرشى بقتل القاتل ، وكان قد جاز له  
حرب الصفد جميعا بعد نقضهم ماصولحو عليه ، ثم غدر الصفد  
بالمسلمين وهاجموا عسكرهم ، وقتلوا من بأيديهم من الاسرى ،  
تماديا فى الباطل ونقضا للعهد . فحاربهم دفاعا عن النفس ،  
وردعا للناسكثين ، ومع ذلك نجد من يعتبر قتاله للغادرين  
غذرا . اما قتله الديواشنى وهذا كان حربا على المسلمين ،  
فنزل على حكم الحرشى ، وكان حكمه فيه القتل ، وليس فى ذلك

(١) الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢٦ (نقلا عن / الشيبانى :  
شرح كتاب السير الكبير ، ٣٥٨/١ - الطبرى : تاريخ  
الامم ، ١٢/٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١١٠/٥) .  
(٢) تركستان ، ص ٣٠٨ (نقلا عن / الطبرى : القسم الثانى ،  
ص ١٤٣٩-١٤٤٩ - البلاذرى : فتوح ، ص ٢٢٧) .

مخالفة . أما المثال الذى ضربه الخطيب لغدر الحرشى ، وهو مقتل سبقرى ، فقد وجدنا الطبرى وهو المصدر الاقدم قد اشار الى ذلك بخبر يكتنفه الشك اذ قال مانم : "ورجع الحرشى الى مرو ومعه سبقرى ، فلما نزل اسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحرشى ، وامره ان يوافيه ببرذون بن كشاينشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه امانه ، ويقال : كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فاخذ امانا لاهل الصفد ، فحبسه الحرشى فى قعندز مرو ، فلما قدم مرو دعا به ، وقتله وصلبه فى الميدان" .

فليس من المؤكد اذا قتل سبقرى . وعطفا على ما ذكرناه من سلامة سيرة الحرشى ، فان الاظهر ان يكون المقتول ابن ماجر وليس سبقرى ، واذا ما قال قائل : والاخير ايضا كان لديه امان من ابن هبيرة ، نقول : الامير فى خراسان هو الحرشى ، والاعلم بما يستحقه اهل خراسان ، فقد يكون ابن هبيرة اعطى ابن ماجر الامان قبل ارتحال الصفد عن بلادهم عميانا . فلما وصل خراسان ، كان الصفد قد خرجوا الى خجندة وابغر ، بعد ان رفضوا دعوة الحرشى لهم بالبقاء ، والعودة الى الطاعة ، فرأى وجوب حربهم .<sup>(١)</sup>

ولنا ان نتساءل عند من كان الحرشى سيء السمعة ، وقد قال من معه فيه : "كان يذكر بشجاعة وديانة ، فلما صار

(١) تاريخ الامم ، ١٢/٧ .  
 (٢) انظر عن محاولة ابن هبيرة ، شنى الصفد عن الخروج ، قبل : ص ٣٢٨ .  
 (٣) انظر قبل : ص ٣٢٨ .

(١) (٢) بالعراق ماق" . وماقالوا ذلك عنه الا لانه لم يكن مسارعا  
لحرب الصفد ، فجبئوه .

وقبل ان نصل الى عودة الحرشى الى مرو ، نجد خبرا  
ينقرد به فامبرى ، اذ يشير الى ان فرغانة نقضت عنها حكم  
العرب ، ابان الاضطرابات التى اعقبت مقتل قتيبة بن مسلم  
(سنة ٩٦هـ) وعزل يزيد بن المهلب (سنة ٩٩هـ) ، فلما كانت  
ولاية الحرشى سير الجند لحرب اميرها خج ، وظلت الحرب سجالا  
بعض الوقت حتى قضوا عليه اخيرا ، ثم عادوا الى بخارى  
بغنائم وفيرة . ونحن لانعلم من اين استقى فامبرى معلوماته  
هذه اذ ان المصادر الاسلامية التى اعتمدنا عليها فى فتوحات  
سعيد الحرشى فى ماوراء النهر ، اظهرت تعاون ملك فرغانة مع  
المسلمين ، وامتناعه عن مساعدة الصفد عندما لجأوا اليه ،  
بل ظهر واضحا ان خجندة كانت آخر نقطة وصل اليها الحرشى ثم  
عاد الى مناطق الصفد وراءه لاختضاعها من جديد . وهذه قرائن  
كافية لاثبات ولاء اهل فرغانة وبقائهم على الطاعة . وان كنا  
نجد ابن اعثم يذهب الى محاربة الحرشى لملك فرغانة فى  
خجندة ، لكن ذلك من باب اللبس فهو يشير الى حادثة ايقاع  
الحرشى بالصفد ، ولكنه جعلها مع ملك فرغانة خطأ .

(٥) ورجع الحرشى الى مرو ، وقد افتتح عامة حصون الصفد ،  
واعادهم الى الطاعة صلحا او عنوة . بعد سلسلة من المعارك

- 
- (١) فى الطبرى "بخراسان" . (انظر : تاريخ الامم ، ٨/٧) .  
(٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٥/٤ (قال : وماق . اى تاخر) .  
(٣) تاريخ بخارى ، ص ٧٥ .  
(٤) الفتوح ، ٢٥٨/٤٢ - ٢٥٩ .  
(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - قدامة بن جعفر :  
الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤١٠ .

التي خاضها اiban حملته على ماوراء النهر مابين عامي (١٠٣-١٠٤هـ) وبذلك اعاد المسلمون سيطرتهم التامة على تلك المنطقة من جديد . وقضى الحرشي على أعنف انتفاضة قامت بها شعوب ماوراء النهر ، مكنه من ذلك سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك المسندة من ملاك الأرض الكبار والعسكريين العرب ، والدهاقين . فقد شارك الموالي في جيش الحرشي بقيادة سليمان بن أبي السرى ، كما نجد ذكرا للمجنديين من أهل بخارى وخوارزم وشومان الى جانب تأييد غورك أمير سمرقند بصورة ظاهرة .<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>

ونحن ان كان لنا من كلمة اخيرة عن حملة الحرشي فاننا نؤكد ان النصر الذي حققه المسلمون ، كان بغفل من الله ثم توفر القيادة الجادة والقديرة ممثلة في شخص سعيد الحرشي ، وجنده من المسلمين الذين استشعروا خطر هذه الانتفاضة ، والمهم ضياع مكتسبات الفاتحين السابقين ، ليعيد الحرشي حكم العرب على ماوراء النهر ، ويبسط السيادة الاسلامية على تلك المنطقة ، مخلصا اسمه بين مشاهير الفاتحين في هذا الميدان .

#### التحول من دور الهجوم الى الدفاع :

لم يدم للمسلمين ما حققه سعيد الحرشي من تمكن وسيادة

- 
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٣ - بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ .
  - (٢) عبد الله الخطيب : الحكم الاموي في خراسان ، ص ١٢٥ .
  - (٣) محمد شعبان : نفس المرجع والمفحة .
  - (٤) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧١ . (أظنه يعنى أميرهم الوطني ، لأمير سمرقند من قبل المسلمين) .

فى ماوراء النهر ، فقد تحول المسلمون من دور الهجوم الى الدفاع فى ولاية خلفه على اماره خراسان مسلم بن سعيد الكلابى (١٠٤ - ١٠٦هـ) . فقد غزا الاخير الترك فيما وراء النهر (سنة ١٠٥هـ) ، فلم يفتح شيئا ، وعاد ادراجه ، بل أن الترك تعقبوه ، فلحقوا به وهو يعبر نهر جيحون بجنده ، فاتم ذلك فى حماية الساقة <sup>(١)</sup> .

وقد كانت هذه الحملة آخر الغزو فى عهد الخليفة يزيد ابن عبد الملك ، وهى فى ظاهرها حملة ناجحة ، وان لم تحقق مكتسبات جديدة ، الا أن لحاق الترك بمسلم وتعقبه ، كان فيه دلالة على طمع الترك به ، وبداية لضعف سيطرة المسلمين على ماوراء النهر ، وعودة الاضطراب اليها . الا أنه قام فى آخر العام نفسه ، صدر خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) بغزوة ناجحة على أفشين ، لكن الأمر تطور بسرعة نحو الاسوا ، عندما فشلت حملة قام بها مسلم بن سعيد (سنة ١٠٦هـ) على ماوراء النهر ، عرفت بيوم العطش ، حيث بلغ فرغانة ، وفى طريق عودته نال منه الترك ، فانصرف متقهقرا الى سمرقند <sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠١ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٣/٤ .  
 (٢) أفشين : ثانى أكبر مدينتين فى غرجستان قريبا من الضفة الشرقية لاعلى نهر مرغاب ، وعلى أربع مراحل فوق مرو الروذ . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٤٥٨) .  
 (٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢١/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ .  
 (٤) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٩ - بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٨ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ .

وقد كانت هذه المعركة آخر معركة توسعية فيما وراء  
النهر<sup>(١)</sup> خلال الخمسة عشر عاما التالية ، وتحول المسلمون الى  
دور الدفاع ، وظلوا يتراجعون فيما وراء النهر ، ويخسرون  
مكتسبات فتوحاتهم المجيدة . فلم يبق في ايديهم سنة ١١١هـ/  
٧٢٩م من بلاد ماوراء النهر ، سوى سمرقند وبخارى وماحولها<sup>(٢)</sup>  
وظل الوضع على هذا الحال حتى تولى نصر بن سيار خراسان  
(١٢٠ - ١٣١هـ) ، وبذل جهدا كبيرا في اعادة النفوذ الاسلامي  
الى هذه البلاد .<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٩ .  
(٢) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٩-٣١٠ .  
(٣) عن جهود نصر بن سيار في اعادة النفوذ الاسلامي في بلاد  
ماوراء النهر وأهم أعماله هناك ، انظر : الطبري :  
تاريخ الأمم ، ١٥٤/٧ ومابعدها - ابن الاثير : الكامل ،  
٣٨/٤ ومابعدها - راضي عبد الله عبد الحليم : دراسات  
في تاريخ خراسان ، ص ٧٨-٩٣ .

## المبحث الثانى

الفتوح فى أرمينية

كنا قد أشرنا الى سمة الفتح الاسلامى فى أرمينية ،<sup>(١)</sup>  
والتي ظلت طوال العصر الاموى ميدان قتال من جراء ثورات  
الارمن وتمردهم المستمر على الحكم الاسلامى ، وكذلك تدخل  
البيزنطيين والخزر فى شئون ذلك الاقليم ، اما بغزوه ، أو<sup>(٢)</sup>  
بالتحالف مع اهله ضد المسلمين ، أو بتحالف البيزنطيين  
والخزر ضد المسلمين أو الارمن . وكان آخر امثلة ذلك الصراع<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

- (١) انظر قبل : التمهيد ، ص ٣٧-٣٨ .  
(٢) يقصد باقليم أرمينية ، المنطقة الجبلية الوسطى  
العالية فى غرب آسيا ، ويحد هذه المنطقة من الغرب  
آسيا الصغرى وهضبة أذربيجان والشاطئ الجنوبى لبحر  
قزوين من الشرق والجنوب الشرقى ، وساحل البحر الاسود  
والقوقاز من الشمال والشمال الشرقى ، ومن الجنوب  
الركن الشمالى الغربى من أرض الجزيرة . (ابراهيم  
العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ١٢١-١٢٢) .  
ويقول كى لسترنج : كانت أرمينية الكبرى تنقسم الى  
أرمينية الداخلية وأرمينية الخارجية ، وكانت قصبة  
أرمينية الاسلامية فى الأزمنة الاولى "دبيل" وتسمى أيضا  
دوين أو توين . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٦)  
ويذكر صابر دياب : أن أول حملات المسلمين على أرمينية  
كانت بقيادة عياض بن غنم سنة ١٩هـ ، وأن أشهر الحملات  
الاسلامية التى فتح على اثرها أهم مدن ومناطق ذلك  
الاقليم ، هى حملة سليمان بن ربيعة الباهلى وحبيب بن  
مسلمة الفهرى (٢٤-٢٥هـ) . مشيرا الى اختلاف المصادر  
الاسلامية والأرمنية على سير الفتح وحملاته وزمنه . (انظر:  
أرمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس  
الهجرى ، ص ١٩-٣٦) .  
(٣) الخزر : من أصل جرمانى (هونى) . فيليب حتى : تاريخ  
سورية ، ٦٩/٢ . ويضيف هاشم اسماعيل الجاسم : أنهم  
قوم استقروا فى منطقة القوقاز تقريبا ، لكن نفوذهم  
يتسع وينكمش حسب التطورات السياسية ، وقد عرفوا  
بتحالفهم مع البيزنطيين ، فاستخدمتهم الدولة  
البيزنطية أثناء حروبها مع الامويين . (انظر : دراسة  
تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية ، هامش  
(١) ، ص ٩٦ - وانظر أيضا : كى لسترنج : نفس المرجع ،  
ص ٢١٥) .  
(٤) عن أرمينية فى العصر الاموى ، انظر : صابر دياب : نفس  
المرجع ، ص ٤٠-٦٠ .



(١)  
تعرض أرمينية واذربيجان (٩٩٩هـ) ، لغزو الخزر ، الذين  
هاجموا المسلمين على غرة ، وامابوا جماعة منهم ، لكن أمير  
أرمينية عبد العزيز بن حاتم الباهلي ، تصدى لذلك الغزو  
والحق بالخزر هزيمة منكرة ، حتى لم ينج منهم الا القليل  
وقدم على الخليفة عمر بن عبد العزيز بخمسين أسيرا منهم .  
ويظهر أن الضربة التي تلقاها الخزر على يد عبد  
العزيز بن حاتم ، كفتهم عن العودة الى مهاجمة هذه المناطق  
طوال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والشطر الاول من  
خلافة يزيد بن عبد الملك .

(١) اذربيجان : عرف قديما باسم "اتروباتين" ، ويحده من  
اعلاه نهر آرس ، ومن أسفله النهر الأبيض ، وكلاهما يصب  
في بحر قزوين ، وأبرز العوارض الطبيعية في هذا  
الاقليم بحيرة أرمية الملحة ، وبقرها تبريز ومراغة  
قاعدتا الاقليم ، والى شرقها أردبيل ، وهي من كبار  
مدنه وأقربها الى بحر قزوين . قيل : أن به سبعين  
لسانا ، يتكلم بها أهله ، وليس بين مدنه مدينة عظيمة  
الكبر . (كي لسترنج : نفس المرجع ، ص ١٩٣، ١٩٤-١٩٤ .  
وقال ياقوت : أن قصبته أردبيل ثم تبريز . معجم ،  
١/١٢٨-١٢٩) .

(٢) عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، قائد من  
الأمراء ، كان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة ،  
(ت ١٠٣هـ) ، (الزركلي : الاعلام ، ١٦/٤) . وكان على  
أرمينية زمن الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي بنى  
مدينة بردعة بأرمينية ، أو أبيه ، زمن عبد الملك بن  
مروان . (انظر : صابر دياب : أرمينية من الفتح الاسلامي  
الى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص ٤٩، ٤٢) .

(٣) عن هجوم الخزر هذا ، وتصدى عبد العزيز بن حاتم له .  
انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٠ -  
اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣٠٢/٢ - الطبري :  
تاريخ الأمم ، ٥٥٣/٦ - الذهبي : تاريخ الاسلام ،  
٣/٣٣٣ .

نظام الموانئ والشواطئ في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك :

- (١)  
استؤنفت الحملات العسكرية المنظمة الى الثغور ، وهو  
(٢)  
معارف بنظام الموانئ والشواطئ ، بعد وفاة الخليفة عمر بن  
(٣)  
عبد العزيز ، فقد ظل نظاما معمولاً به طوال العصر الأموي .  
الا أن تغييرا في ذلك التنظيم قد حدث ، إذ نجد ظهور نوعين  
من الموانئ ، هما : المائفة اليمنى ، والمائفة اليسرى ،  
(٤)  
واستقلال كل واحدة منهما في الغزو والقتال .  
فقد كانت هذه الحملات توجه من ثغور الشام ومن ثغور

- (١) الثغر : كل مكان قريب من أرض العدو من ناحية البر أو البحر ، سواء كان مدينة أو حصنا ، واتخذ كقاعدة عسكرية ، وضيقتها التصدي لهجمات العدو ، والدفاع عن المدن الداخلية ، وانطلاق الهجمات الإسلامية منها الى ديار الأعداء ، برا كان ذلك أو بحرا . (هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية، ص ٧٤-٧٥ .
- (٢) الموانئ والشواطئ : اسم للجيش الإسلامي الذي يجمع مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويجهز ، ويخرج للإغارة على مواقع العدو ، ومقاتلته في أرضه . وتخرج الحملة الربيعية لعشر أيام تخلو من أيار "مايو" بعد أن يكون الناس قد ربيعوا دوابهم ، وحسنت أحوال خيلهم ، فيقيمون ثلاثين يوما ، ثم يقفلون ، فيقيمون خمسة وعشرين ، حتى يقوى ويسمن الظهر ، ويجمع الناس لغزو المائفة ، ثم يغزون لعشر من تموز "يولية" فيقيمون لوقت قفولهم ستين يوما ، ولا يقدم عليها الا وقت الضرورة . (انظر : هاشم الجاسم : نفس المرجع ، ص ١٠٢ .
- عمر سليمان العقيلي : خلافة معاوية بن أبي سفيان ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٧-٩٨ .
- (٣) وفريق الدقذوقى : الجندي في عهد الدولة الأموية ، ص ٢٠٩ .
- (٤) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ٢٣١ (وقد أورد في هامش (٣) ، (٤) من نفس الصفحة ، تفسيراً للمائفة اليمنى واليسرى فقال : أصبحت المائفة اليمنى تعنى الغزو من نحو الثغور الجزرية باتجاه نواحي أرمينية وأذربيجان والخزر . واليسرى : تعنى الغزو من نحو الثغور الشامية ، باتجاه أرض الروم) .

الجزيرة ، وأصبح لكل جبهة نشاطها المستقل ، فتركز نشاط الثغور الجزرية حول البند الأرمنى ، لمراقبة الحدود الغربية الأرمينية ، وجرى على هذا التنظيم الخليفة يزيد بن عبد الملك وخليفته هشام بن عبد الملك . لقد شغلت أرمينية الأمويين المتأخرين ، لمحاولة الروم الاستفادة من غارات الخزر ، والمناقشات الداخلية بين الأسر الأرمينية ، فقد كان منها مايوالى المسلمين مثل (Bamikonian) ، ولهؤلاء خصوم (٢) يحقدون عليهم ويحتمضون لاضطهادهم ، مثل : (Mamikonian) . لذا حاول ليو الايسورى (امبراطور الروم) ان يفيد من هذه الأوضاع ، مستغلا حسن علاقته بجيرانه من الخزر ، فسعى الى تعزيزها ، بتزويج ابنة قسطنطين الخامس من ابنة خان الخزر فكان لزاما على الخليفة يزيد بن عبد الملك ان يحول دون استغلال بيزنطة لمتاعب المسلمين الداخلية فى أرمينية ، فكان هدفه ازعاج البند الأرمنى ومراقبته بتيقظ . بل ان (٤) تغيير نظام اخراج الحملات الثغرية الموسمية (الموائف والشواتى) . كان فيما يبدو لاشغال كل من الروم والخزر ، وتفويت فرصة التحالف بينهما والتعاون فى حرب المسلمين ، وسنرى من العرض التاريخى للجهود العسكرية فى عهد الخليفة يزيد ، تمكنه من صد الخزر ، واستمرارية الغزو والبقاء فى آسيا الصغرى .

(١) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٨ .  
 (٢) فتحى عثمان : نفس المرجع ، ص ٩٩ .  
 (٣) هسى : العالم البيزنطى ، ص ١٣٠ .  
 (٤) فتحى عثمان : نفس المرجع والمفحة .

غزو معلق بن صفار الخزر سنة ١٠٣هـ :

- (١) يشير الطبري وغيره الى اغارة قام بها الترك (سنة ١٠٣هـ) ، على اللان ، ومنها يتبين عودة الخزر الى التحرش بالمسلمين ومهاجمة ممالكهم في ارمينية . وهذا مادفع امير ارمينية آنذاك معلق بن صفار البهراني الى القيام بحملة على الخزر ، فلقبهم بمرج الحجارة ، في شهر رمضان من نفس العام ، وقد كلب الشتاء . فدارت المعركة ، وهزم المسلمون وقتل جماعة منهم ، واستولى الخزر على عسكرهم وغنموا ما فيه لكن ابن اعثم ، يورد اسم القائد شبيت النهراني ، من اهل حمص ، ويوافقه على هذا الاسم ابن الاثير ، الذي ارخ للمعركة ب (سنة ١٠٤هـ) وأشار الى تحالف حدث بين الخزر والقفجاق ،

- (١) تاريخ الامم ، ٦١٩/٦ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٥/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٤/٤ .  
 (٢) يبدو انه يعنى الخزر (انظر التعريف بهم قبل : ص ٣٤٧ .  
 (٣) اللان : بلاد واسعة في طرف ارمينية قرب باب الابواب مجاورة للخزر . (ياقوت : معجم ، ٨/٥) . ويقول عنها كي لمترنج : انها احد الولاياتين اللتين تكونا بلاد الخزر ، اذ تحالف بلاد الخزر من ابخاز واللان . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٣) .  
 (٤) معلق بن صفار بن فلحس بن جنب الجمار بن موقد النار البهراني ، من اهل حمص ، ولاء يزيد بن عبد الملك ارمينية سنة ١٠٣هـ ثم عزله سنة ١٠٤هـ . (ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣) .  
 (٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٨ .  
 (٦) الفتوح ، ٢٥٨٠/٢٦٠/٤م (وقد ذكر ان عدد الخزر في هذه المعركة ثلاثين الفا ، ولم يشر الى تحالفهم مع الترك) شبيت النهراني : لم اعثر على ترجمة له . كما لم يرد ذكره بين عمال يزيد بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان والجزيرة (انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٩٦ وما بعدها) ، حيث وجدنا ان عامل يزيد (سنة ١٠٣هـ) هو معلق بن صفار البهراني الحمصي ، وهذا مايقوى اعتقادنا بوروده عند ابن اعثم وابن الاثير محرفا ، والمصحح ماقدماه .  
 (٨) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦ .  
 (٩) القفجاق : هم سكان قوقاسية . (انظر / سيد امير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م ، ص ١٣٣-١٣٤) . في المنطقة التي تقع بين شمال بحر قزوين والبحر الاسود ، وهم من الترك .

وغيرهم من أنواع الترك ، ضد المسلمين . ويتضح أن ابن الأثير ذكر هذا الاسم نقلا عن ابن أعثم المتقدم عليه ، حيث يتفقان في تقديم معلومات عما آل إليه أمر المسلمين بعد انكسارهم أمام الخزر وحلفائهم ، فيذكران أن المنهزمين لاذوا بالشام ، وعلى رأسهم قائدهم ، فلما مثلوا بين يدي الخليفة لامهم ووبخهم على انهزامهم ، فكان عذر قائدهم ، يامير المؤمنين ماجنت ولانكبت عن لقاء العدو، ولقد المقت الخيل بالخيول والرجل بالرجل، ولقد طاعتت حتى انقمف رمحي ، وضربت حتى انقطع سيفي، غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد .

إذا فما أسباب هذه الهزيمة ، وقد علمنا صدق المسلمين في القتال ؟

إن المتخصص لكبر هذه الغزوة قد يجد في ثناياه بعض العوامل التي لم تكن في صالح المسلمين ، وعلى رأسها يأتي تحالف الخزر مع القفجاق وغيرهم من الاقوام التركية ، إلى جانب حدوث المعركة في فصل الشتاء ، وبرده القارس الذي يصعب على العرب تحمله والقتال فيه ، كما أن حدوثها في شهر رمضان ، ودخول بعض الجند أو الكل المعركة وهم صيام ، قد أثر على قدرتهم القتالية ، لذلك كنا نجد الكثير من القادة ينصحون جنودهم بالافطار ابان الحرب .

أما الاختلاف على قائد هذه الحملة ، فامر أورثه اختلاف المصادر على ولاية أرمينية ، وهو اختلاف انحصر في قائد<sup>(١)</sup>

(١) سنعرض لهذا الاختلاف حول ولاية أرمينية ابان خلافة يزيد ابن عبد الملك ، عند دراستنا لسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الادارية في الفصل الخامس .

الحملة وسنة حدوثها ، أما الغزوة واحداها فقد اتفقت عليها تلك المصادر ، فيما عدا بعض التفاصيل . وقد أخذنا بقول أقدمها .

#### غزوة الحارث بن عمرو الطائي :

ينفرد البلاذري بالإشارة إلى غزوة قام بها الحارث بن عمرو الطائي ، وإلى أرمينية بعد معلق بن صفار على حد قوله (١) (٢)  
فيذكر : أنه غزا أهل الكز ففتح رستاق حسمدان . (٣) (٤)  
ويتجلى لنا محدودية هذه الحملة ، وأثر قيادتها ، ولعل ذلك مادفع الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى عزله واسناد ولاية أرمينية وأمر الخزر إلى رجل ذي قدرة وتجربة . لكن ولاية الحارث أرمينية من قبل يزيد بن عبد الملك ، وقيامه بهذه الجهود الحربية ، موضع شك للاختلاف على ولايته أرمينية زمن يزيد ، ولقول ابن خياط ، أن ذلك قد حدث زمن هشام بن عبد الملك ، فإن صح ذلك ، كان قوله أرجح ، لتقدمه (٥)

- 
- (١) فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .  
(٢) الحارث بن عمرو الطائي ، وال من القادة ، ولي أمرة البلقاء لعمر بن عبد العزيز ، وأرمينية سنة ١٠٧هـ ، وأذربيجان سنة ١٠٨هـ ، وسد الترك سنة ١١١هـ وهزمهم واستباح عسكرهم ، وقد كان حيا سنة ١١٢هـ . (الزركلي : الاعلام ، ١٥٦/٢) . وهو في هذه الترجمة لم يشر إلى ولايته أرمينية زمن يزيد بن عبد الملك ، وعند النظر في هامشه وجدناه لم يعتمد على المصدر الذي اعتمدنا عليه في هذا الخبر ، وقد أشرنا إلى تفرد به بذلك من خلال ما اطلعنا عليه من مصادر .  
(٣) لكز : بليدة خلف الدربند تتاخم خزران ، سميت باسم بانيتها ، وقيل : لكز والكز والخزر ومقلب وبلنجر بنو يافث بن نوح عليه السلام ، عمر كل واحد منهم مكانا عرف باسمه . (ياقوت : معجم ، ٢٢/٥) .  
(٤) رستاق حسدان : لم أجد له تعريفا .  
(٥) انظر ما كتبناه عن هذا الاختلاف ، وما أورده ابن خياط ، بعد : الفصل الخامس ، المبحث الأول ، ص ٤٩٦ .

على البلاذرى .

### فتوحات الجراح الحكيم فى أرمينية :

أطمعت الهزيمة التى تلقاها المسلمون سنة ١٠٣هـ على يد الخزر فى أرمينية ، الاقوام القوقازية والتركية فى المسلمين ، فاندفعوا نحو الحدود الأرمينية ، وشنوا غاراتهم (١) وتوغلوا فى البلاد . مما دعى الخليفة يزيد بن عبد الملك الى استعمال الجراح بن عبد الله الحكيم ، على أرمينية (٢) وأذربيجان (سنة ١٠٤هـ) ، وأسند اليه مهمة صد الخزر وأمر حربهم ، وأمدّه بجيش كبير ، وأمره بحرب الأعداء ، وقصد بلادهم (٤) . وفى ذلك دلالة على جدية الخليفة فى مواجهة الموقف بالجهة الأرمينية ، فقد اختار القيادة القديرة ، وزودها بالجيش الكافى لتحقيق الأهداف ، ولم يكن همه تطهير البلاد

- (١) ابن الأثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ١٨٧ - سهيل زكار : تاريخ العرب والإسلام ، ص ٢١٨-٢١٩ .
- (٢) الجراح بن عبد الله الحكيم ، دمشق الأصل ، من الإشراف الشجعان ، ولى البصرة للحجاج ، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك أرمينية وأذربيجان ، غزا الخزر وافتتح بعض حصونهم ، أقره هشام ، ثم عزله (سنة ١٠٨هـ) ، وأعادته (سنة ١١١هـ) ، فاستشهد فاتحاً فى حروبه مع الخزر (سنة ١١٢هـ) قال الواقدي : كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيماً فبكوا عليه فى كل جند . (الزركلى : الأعلام ، ١١٥/٢) .
- (٣) جعل المؤرخ المجهول ، غزو الجراح (سنة ١٠٢هـ) ، وأشار الى فتوحه بأجمال موجز فحسب . (انظر : العميون ، ص ٧٥) . الا أن هذا التاريخ لا يتناسب مع منطق الأحداث التى قدمنا ذكرها ، ويخالف إجماع المصادر الإسلامية على كون (سنة ١٠٤هـ) ، هى عام ولاية الجراح ، وغزوة الخزر .
- (٤) ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٦٠/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٢ - مابر دياب : أرمينية من الفتح الإسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠ .

الاسلامية من وجود الغزاة ، بل مهاجمتهم فى بلادهم ، ردعا لهم ، واحياء لهيبة المسلمين فى نفوسهم ، حتى لا يعودوا لحربهم مرة أخرى . فسار الجراح بجيشه حتى وصل ارمينية ، فنزل برذعة <sup>(١)</sup> ، ليعطى جنده قليلا من الراحة ، بعد عناء السفر من دمشق الشامية حتى برذعة فى الديار الارمينية ، وليعد نفسه وينظم صفوفه ، لمواجهة الخزر . الذين ما ان سمعوا بمقدم الجراح فى جيشه ذاك ، حتى ارتدوا عن البلاد الاسلامية التى كانوا قد استولوا عليها ، وانسحبوا عائدين حتى نزلوا مدينة الباب والابواب . <sup>(٣)(٤)</sup>

وبعد ان اخذ الجراح وجنده قسما من الراحة ، توجه نحو الخزر فى عامه ذاك (١٠٤هـ) ، فعبر نهر الكر ، واجتاز <sup>(٥)</sup>

- (١) برذعة : قصبة (مركز) اقليم الران ، الواقع بين نهري الكر والرس عند التقائهما ، وتقع على بعد ثلاثة فراسخ من نهر الكر ، قائمة على أحد روافده ، وكان بيت المال زمن بنى أمية فى هذه المدينة . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٢١١-٢١٢) ، وقد كانت برذعة دار الامارة والجنود فى ولايتى ارمينية واذربيجان . (اديب السيد : ارمينية فى التاريخ العربى ، المطبعة الحديثة ، حلب الطبعة الاولى ، ١٩٧٢م ، ص ٩٥) .
- (٢) لم تشر المصادر الى عدد الجيش الذى سيره الخليفة يزيد بقيادة الجراح ، لكن ابن اعثم ، يورد ان عدد جند الجراح فى معركة الران مع الخزر كان (٢٥) الفا . وهذا يعنى ان من سار بهم من دمشق كان اقل من هذا العدد ، باعتبار أنه قد انضم اليه من كان قبله فى ارمينية . (انظر : الفتوح ، م ٢٦٠/٤) .
- (٣) باب الابواب : مدينة فى أقصى الشمال لبلاد شروان ، وهى أجل موانئ بحر قزوين ، يقول كى لسترنج : ان هذه التسمية من العرب لمدينة دربند ، مدينة كبيرة حمينة من شعور الاسلام . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٤-٢١٥) .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٦/٤ - ١٨٧ - ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦٠-٢٦٢ - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ - كما اشار ابن قدامة الى نزوله برذعة . (انظر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠) .
- (٥) نهر الكر : مخرجه من الجبال غرب تغليس ببلاد جورجيا ، أى بلاد الخزر ، يمر بتغليس وشمکور ، ثم يلتقى بنهر الرس أسفل من برذعة بقليل ، بعدها يصب فى بحر قزوين بولاية كشتاسفى . (كى لسترنج : نفس المرجع ، ص ٢١٣) .



(١) اقليم شروان ، حتى قطع نهر السمر متجها صوب مدينة باب  
(٢)  
(٣) الابواب .

ويبدو ان الجراح الحكمي لم يجد مقاومة تذكر من اهالى اقليمى الران وشروان ، بعد انسحاب الخزر وارتدادهم الى باب الابواب على بحر قزوين ، ومع ذلك فان الجراح عمل على تسيير بعض اهل الجبال فى جيشه ، لتثبيت من ولائهم ، وتأميننا لنفسه من ان يقطعوا الطريق عليه ، تعاوننا مع الخزر او من تلقاء انفسهم . حيث ان غالبية اهل تلك المناطق بقيوا على نصرانيتهم ، بعد الفتح الاسلامى ، وفى ظل سيادة الدولة الاسلامية ، الى اعقاب الفتح المغولى واستقرار الترك هناك ، فصار الدين السائد هو الاسلام . وهذا فى الغالب ماسهل للخزر امر التوغل فى البلاد ابان غياب القوة الاسلامية . وابن الاثير يخبرنا بان واحدا من اهل الجبال ، الذين ساروا فى ركاب الجراح قد كاتب ملك الخزر بمسير الجراح اليه ، مما اضطر القائد الى التوقف بعد عبوره نهر الكر ، اذ انه كان يامل ان يلقي العدو على غره ، فخدع ذلك الرجل وكاتب الخزر بتوقف الجراح واقامته ، فما لبث الجراح

- 
- (١) شروان : اقليم يلى نهر الكر على بحر قزوين ، فيه تنتهى جبال القفقاس ، قممته الشماخية (شماخى) . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٢١٤) .  
(٢) نهر السمر : نهر يصب فى بحر قزوين على شئ يسير جنوب دربند ، ويسمى ايضا (نهر الملك) . (كى لسترنج : نفس المرجع ، ص ٢١٥) .  
(٣) ابن قدامة : الخراج ومناعة الكتابة ، ص ٣٣٠ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ - ابن اعثم : الفتوح م ٢٦٠/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ .  
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦-١٨٧ - ابن اعثم : نفس المصدر والجزء ، م ٢٦١/٤ (اخبار ان الذى كتب هو ملك بلاد الكر ويسمى اربيس بن بساس) .

أن عاود المسير من ليله ذاك ، وسار مجدا الى باب الابواب .  
 فوجدها خالية ، بعد أن تركها الخزر ، الذين علموا بمقدمه  
 فيما يبدو . فلحقوا ببلادهم . وخرج الجراح من مدينة باب  
 الابواب وعسكر عند عين باب الجهاد ، على بعد نصف فرسخ منها  
 فبث الجراح سراياه على ما يجاوره من البلاد ، فنصروا وغنموا  
 ويحدد ابن اعثم وجهة أحد هذه السرايا ، وهي أرض حيداق حيث  
 يذكر أن الجراح وجه أحد قادته على رأس ثلاثة آلاف فارس  
 اليها ، فكان غنمها كبيرا .

#### معركة الران :

وكان الجراح قد ارتحل في عشرين ألفا من جنده ، بعد  
 أن بعث سراياه ، فنزل على نهر الران على ستة فراسخ من  
 مدينة باب الابواب ، واجتمع اليه جند السرايا بعد أن ادوا  
 الهدف الذي وجهوا من أجله . فاصبح في خمسة وعشرين ألفا من  
 المسلمين (٧)

- 
- (١) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٠/٤ - ٢٦١ - ابن الاثير :  
 الكامل ، ١٨٧/٤ - لكن مابر دياب الذي أشار الى غزو  
 الجراح في ايجاز ، قال : "ودخل على الخزر ليلا - يعنى  
 فى مدينة باب الابواب - وهزمهم ، وقتل منهم الكثير  
 بسيوف المسلمين" وذكر أن عبيد المسلمين نحو بضع  
 وثلاثين ألفا . (انظر : أرمينية من الفتح الإسلامى حتى  
 مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠) .
- (٢) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد والصفحات .
- (٣) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .
- (٤) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٥) نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .
- (٦) لم نجد لها ذكر بهذا الاسم عند ياقوت وكى لسترنج .  
 ولكننا وجدنا "حيزان" : من مدن أرمينية قريبة من  
 شروان . (انظر : ياقوت : معجم ، ٣٣١/٢) ، فنظننا هي  
 لوجودها فى نفس المنطقة . وقد يكون حدوث الاختلاف  
 تحريفا ، أو خطأ فى النقل .
- (٧) ابن اعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١ .

ويظهر أن تلك الآثار الإسلامية وماحقته من نصر ومغانم قد أثارت الخزر ، ولعل ذلك ماكان يبغيه قائد المسلمين ، فتوجهوا اليه في أربعين ألفا بقيادة ابن ملكهم <sup>بن خاقان</sup> (١) (٢) ونزلوا معه على نهر الران . فدارت بين الفريقين (سنة ١٠٤هـ) معركة عظيمة نصر الله فيها المسلمين وهزم الخزر ، وقتل الكثير منهم وأسر ، وغنم المسلمون جميع مامعهم . بل قيل : وغرق الترك وعامة ذراريهم في الماء . (٣) ويفهم من هذا القول أن الخزر عبروا النهر الى المسلمين ، فلما هزموا لم يتمكنوا من العبور اما لقطع الجسر ، أو لحيلولة المسلمين بينهم وبين الفرار ، فسقط الكثير منهم في النهر ، هروبا من هول الهزيمة وخشية القتل ، وتبع المسلمون من فر .

#### فتوح الجراح بعد معركة الران :

سهل النصر الذي حققه المسلمون في معركة الران ، مهمة

- 
- (١) لم نجد تعريفاً بنهر الران عند ياقوت وكى لسترنج .  
 (٢) ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٦١/٤ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٧/٤ .  
 (٣) عن معركة الران انظر : ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦١-٢٦٢ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ (لم يحدد مكان المعركة) - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٣/٢ - الطبري : تاريخ الأمم ، ١٤/٧ - (ذكر اللقاء ولم يذكر مكانه) - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ - الذهبي : المعبر في خبر من غير ، ١٢٦/١ (لكنه أسى المعركة "بهرازن" وجعلها مع الخاقان) - الذهبي : تاريخ الإسلام ، ٨٧/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٣/٣ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٦/١ - الذهبي : دول الإسلام ، ٥٢/١ (جعلها في رمضان سنة ١٠٥هـ ، ويبدو أنه خلط بينها وبين نصر المسلمين عليهم سنة ١٠٥هـ ، عندما هاجموا أرمينية بقيادة الخاقان . انظر ذلك بعد : ص ٣٦٦-٣٦٧) .

الجراح ، فى اخضاع تلك المناطق لحكم المسلمين وسيادتهم ، وذلك فى اعقاب التخلص من القوة الرئيسية للخزر ، التى لم تعد قادرة على مواجهة المسلمين ذلك الحين على الاقل . فجرد الجراح جيشه لفتح مدن وحصون الخزر هناك . الا أن المصادر الاسلامية تقدم لنا معلومات مضطربة عن تلك الجهود ، ترتيبا وزيادة ونقما ، ولعل ما امامنا الاسماء من تحريف وتصحيف هو ما اورثنا ذلك الخل .

وقد لجأ الجراح فى حروبه مع الخزر الى سياسة التهجير لاهل تلك المناطق والحصون ، ردعا لهم ، واضعافا لقوتهم بتحويلهم عن مكامن القوة والاعتصام فى بلادهم ، الى مناطق اخرى ، ليضمن دوام ولائهم وطاعتهم ، فيقول الطبرى : ففتح  
(١) - يعنى الجراح - الحصون التى تلى بلنجر وجلا عامة اهلها . وهذا أسلوب دفاعى لجأ اليه الجراح الحكيم ، سنلاحظه فى ثنايا حديثنا عن فتوحاته المقبلة . فبعد انتصار المسلمين فى الران تتبعوا المنهزمين ، حتى وصلوا الى حصن يعرف بـ  
(٢) "الحصين" نزل اهلهم على الامان مقابل مال يؤدونهم ، فاعطاهم  
(٣) ذلك ، ونقلهم عنها الى حيزان .

(٤) الا اننا نجد شيئا من اللبس عندما يورد ابن قدامة نوما يوافقه فيه البلاذرى ، يشير الى مقاتلة الجراح لاهل بلاد  
(٥)

(١) تاريخ الامم ، ١٤/٧-١٥ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ .

(٢) لم أجد له تعريفا .

(٣) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٢/٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ (لكنه لم يحدد المكان الذى نقلهم اليه) - ابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ (وهو كذلك لم يذكر المكان الذى نقلوا اليه) .

(٤) الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ .

(١) حمزين ، ومصالحتهم على أن ينقلهم الى رستاق حيزان ، حيث جعل لهم منه قريتين . وحيث أنا لم نعرش على تعريجات بهذه المواضع سوى حيزان ، فيغلب على الظن أن الحمين هو حمزين وخيزان هو حيزان ، فيكون الخبر الذي أورده ابن اعثم وابن الاثير وابن خلدون ، هو الذي ورد عند من سبقهم كابن قدامة والبلاذري ، وجاء ذلك التحريف في الاسماء اثر النقل أو سوء الخط .

الا أن خليفة بن خياط في سياق حديثه عن فتح حصن بلنجر يورد أن أهله حولوا الى رستاق حيزان ، وقد يؤدي هذا الى الشك في أن حصن حمزين هو حصن بلنجر الذي سنتحدث بعد قليل عن فتحه ، الا أن اختلاف الاحداث في فتح كلا الحصنين ، وما ترتب عليها من نتائج ، حيث أن أهل حمزين (الحمين) انتهى الامر معهم صلحا ، بينما تم فتح بلنجر عنوة ، يدل على لبس وقع فيه مؤرخنا ابن خياط . إذ أن أهل بلنجر لم يحولوا عن حصنهم ، وهذا ما سنراه اثناء تحدثنا عن فتحه .

#### فتح رستاق يزعوا :

بعد مباحة أهل حمزين (الحمين) ، سار الجراح الحكمي الى رستاق "يزعوا" ، فحاصر مدينة يزعوا ستة أيام ، فلما وجد أهلها جدية الحكمي في قتاله ، طلبوا الصلح ، فأعطاهم

- 
- (١) لم أعرش لها على تعريف .  
 (٢) لم أعرش على تعريف له بهذا اللفظ ، وقلنا أن الظاهر أنه يعنى حيزان ، فجاء بزيادة نقطة على الحاء .  
 (٣) انظر الخبر في الصفحة السابقة .  
 (٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩ .  
 (٥) لم نعرش له على تعريف .

(١) ذلك وأمنهم ، على أن يحولهم الى رستاق "قبلة" ، فتسلم  
 حصنهم ، وانزلهم بقرية الغانية في رستاق قبلة . ونحن في  
 هذا الخبر نقف حائرين أمام مشكلة التصحيف فابن خياط  
 المؤرخ الاقدم يورد اسم الرستاق يزعوا ، بالزاي ، بينما  
 نجد الاسم مصحفا عند ابن الاثير حيث يورده "يرغوا" بالراء .  
 لكن ابن اعثم يقدمه لنا "برعوا" . وحيث اننا لم نعثر على  
 تعريف لاي من تلك الالفاظ ، لم يكن لنا بد من تقديم اللفظ  
 الذي ورد عند ابن خياط ، المؤرخ الاسبق . أما المكان الذي  
 نقلوا اليه ، فأخذنا بلفظ ابن اعثم وهو "قبلة" لوجود  
 تعريف لهذا اللفظ عما عداه ، مما يعنى صحته . وليس هنا  
 مكان للقول أنها الفاظ لاماكن متعددة ، فصفا الحدث ونتائجه  
 لا تختلف في كل هذه المصادر .

فتح حصن بلنجر (سنة ١٠٤هـ) :

(٣) (٤)  
 تجعل بعض المصادر فتح حصن بلنجر قبل معركة الران ،

- (١) قبلة : قلعة في الجبال القريبة من دربند من أرض  
 شروان . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٢١٥) ، ويبدو أن  
 القلعة قصبة الرستاق ، فلايمح أن ينقل الجراح هؤلاء  
 المحاربين الى حصن يعتصمون به ، ويفسر ابن اعثم في  
 خبره ماذهبنا اليه ، ان يقول : انزلهم بقرية تسمى  
 الغانية في رستاق قبلة .
- (٢) انظر عن فتح يزعوا / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،  
 ص ٣٢٩ (وقد ورد اسم الرستاق عنده "يزعوا") - ابن  
 اعثم : الفتوح ، م ٢٦٢/٤ (وورد اسم المدينة عنده  
 برعوا) - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٤ (ورد عنده اسم  
 المدينة يرغوا) .
- (٣) ورد ذلك عند / اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ -  
 الطبرى : تاريخ الامم ، ١٥-١٤/٧ - ابن كثير : البداية  
 ط ١ ، ٢٥٧/٩ .
- (٤) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب ، قيل :  
 كان فتحها على يد عبد الرحمن بن ربيعة ، وقيل :  
 سلمان بن ربيعة الباهلى . (ياقوت : معجم ، ٤٨٩/١) . =

الا ان غالبيتها ، تسوق ذلك بعد تلك المعركة ، كما اوردناه نحن فى سياق الفتوح التى قام بها الجراح بن عبد الله .  
 فبعد ان خلى الجراح من فتح يزعوا ، توجه بجنده الى حصن بلنجر ، وكان مشهورا بين حصونهم ، فحاصره ، الا ان جيش الجراح الذى كان عدده بضعه وثلاثين الفا ، صعب عليه فتح ذلك الحصن ، حيث لجأ اهله الى طريقة دفاعية تمثلت فى شد ثلاثمائة عجلة ، بعضها الى بعض ، واحاطوا بها حصنهم ، لئلا يمنع المسلمين من الوصول اليه ، فازداد حصنهم بها حصانة وازدادوا بها منعة .

فما كان من المسلمين ، الا ان وهب جماعة منهم انفسهم لله ، وتبايعوا على الموت ، وكسروا جفون سيوفهم ، فحملوا على الحصن ، ولم يثنهم عن الوصول الى ذلك العجل ، وحله ، ما قذفوا به من السهام وما لقيوه من القتال ، فتمكنوا من الوصول اليه ، وقطعوا الحبل الذى شد به العجل ، وجذبوها ، فاندحرت جميعا ، وهنا دار القتال ، والتحم الفريقان فى معركة عظم فيها الامر على الجميع ، حتى كان النصر حليف المسلمين على اعدائهم الخزر ، فاستولى المسلمون على حصنهم عنوة ، وغنموا ما فيه . وكانت غنائم عظيمة ، اصاب الفارس منها ثلاثمائة دينار ، وكان ذلك الفتح يوم الاحد الثالث من ربيع الاول سنة ١٠٤هـ .

اما صاحب بلنجر ، فقد تمكن من الفرار فى خمسين من

---

= وهذا يعنى ان تلك المناطق كان قد تم فتحها من قبل ، لكن السلطة الاسلامية لم تكن ثابتة فيها ، وتعرضت للزوال ، بفعل انتفاض اهله كل ما آنسوا من المسلمين ضعفا .

قومه ، فشرى الجراح زوجته وأولاده وخدمه ، وبعث اليه بالأمان ، فرد اليه حمته وأهله وأمواله ، ليكون منيعة للمسلمين وعينا لهم على أعدائهم .<sup>(١)</sup>

فكان فتح البلنجر ، فتحا مبينا ، كما كان موقف الجراح الحكمي من صاحبه ، بعد نظر سنرى نتائجه الخيرة في سياق الأحداث التالية ، وذلك عندما يخبر المسلمون باتفاق الخزر واجتماعهم على قطع الطريق على المسلمين ، فينقذ المسلمون بذلك من كارثة كادت أن تحل بهم .

#### مصالحة أهل حصن الوبندر (سنة ١٠٤هـ) :

واصل الجراح الحكمي فتوحاته ، فبعد أن فرغ من أمر بلنجر ، توجه إلى حصن الوبندر ، وكان به نحو أربعين ألف بيت من الترك ، وقال ابن خياط : أربعين بيتا . فحاصروهم ، حتى عظم الأمر عليهم ، فسألوه الملع ، على مال يؤدونه فقبل منهم . وقيل : بل صالحوه على أن يكونوا معه على الخزر . فعزم بعد ذلك على المسير إلى سمندر .<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>  
<sup>(٥)</sup>  
<sup>(٦)</sup>

- (١) عن فتح الجراح الحكمي لحصن بلنجر ، انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩-٣٣٠ - ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٦٢-٢٦٣ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٧/٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ (ذكر ذلك بشيء من الإيجاز) .
- (٢) لم أعثر له على تعريف .
- (٣) نفس المصدر ، ص ٣٣٠ (لكنه لم يصرح باسم الحصن) .
- (٤) عن فتح الوبندر . (انظر / ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد ، ص ٢٦٣ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة (لكنه حرف الاسم فأورده "الوبيد") .
- (٥) ابن خياط : نفس المصدر والمفحة .
- (٦) ابن أعثم : نفس المصدر والمجلد والمفحة .



ارتداد المسلمين الى شكى :

(١) كان الجراح قد اعتزم التوجه الى سمندر بعد فتح حصن الويندر ، الا ان صاحب بلنجر ، قد كتب اليه يخبره باجتماع الخزر لحربه ، وانتفاض اهل البلاد التى سار عنها ، وعزمهم على قطع الطريق على المسلمين ، وينمحه بالاسراع فى العودة قبل ان يتم لهم الامر ، فعاد الجراح مجددا بجنده ، الا انه فيما يبدو قد اوقع فى طريقه باهل منطقة تسمى "غوميك" ،<sup>(٢)</sup> فلصر وغنم وسبى . وواصل ارتداده حتى نزل شكى ، وكان الشتاء قد حل ، فاقام المسلمون بها . وقيل : بل قفل الى شكى ، وحتى جفده ببرذعة والبيلقان . وهذا الارتداد ، لايعنى للمؤرخ ، الا ان المسلمين خسروا ماوطنته اقدامهم من البلاد

- (١) سمندر : مدينة خلف باب الابواب ، بارض الخزر ، تبعد عن الباب مسيرة ثمانية ايام ، كانت دار مملكة الخزر فانتقلت مملكتهم الى "اتل" بعد فتح المسلمين لها اول مرة ، التى تقع على مسيرة ثمانية ايام وقيل سبعة ، بعد سمندر . (ياقوت : معجم ، ٢٥٣/٣) .
- (٢) لم اعثر على تعريف لها .
- (٣) ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠-٣٣١ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ . وقد اشار الطبرى الى فتح الحصون التى تلى بلنجر واجلاء اهلها . (انظر : تاريخ الامم ، ١٥/٧) .
- (٤) شكى : ولاية بارمينية ، على نهر الكر قرب تفليس . ياقوت : معجم ، ٣٥٧/٣ .
- (٥) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٣-٢٦٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ (وقد اورد اسمها "ملى" . فلم نجد له تعريفا) - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ (اورد الاسم "سبى" تحريفا) .
- (٦) ابن قدامة : نفس المصدر والصفحة - البلاذرى : نفس المصدر والصفحة - وينفرد ابن خياط بالقول : ان الجراح عاد الى ورشان . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٠) .
- (٧) البيلقان : قرية اقليم الران بعد خراب برذعة ، تقع الى جنوب برذعة وشمال نهر الرس . وهى مدينة عظيمة ، طيبة . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٢١٢) .

وراء مدينة شكى ، ولعل المكسب الوحيد هو الغنم الذى أصابوه . وان كنا لانعدو الحقيقة ان قلنا ان انتصارات الجراح قد احييت الهيبة الاسلامية فى نفوس الخزر وحلفائهم من الاقوام التركية غرب بحر قزوين ، كما انها مهدت الطريق لفتوحات وانتصارات اخرى .

ولا يغيب عن عين المتفحص ، ان هذه النتيجة تبين بجلاء ، ان الفتوحات الاسلامية فى هذه الجبهة ، كانت تعنى حربا مع عالم كبير ، واقوام لم تقبل دين الاسلام ، ولم يذبطها حكم المسلمين . فقد ظل جل اهلها على دياناتهم القديمة ، ولم يكن خضوعهم للسلطان الاسلامى الا ظاهريا ومؤقتا ، فطالما انتكشوا على المسلمين ، ونقضوا ولاءهم ، بل وهاجموا الممالك الاسلامية ، وحاولوا طرد الفاتحين منها ، كلما تيسر لهم ذلك ، وهكذا بقيت هذه الجبهة الارمينية ومثيلاتها بلاد ماوراء النهر ، منطقة حرب لاتنقطع ومراع لاينتهى ، حتى غزا الاسلام قلوب اهلها ، فثبت سلطان اهلها عليها .

وتشير المصادر الى ان الجراح الحكى بعد ارتداده ونزوله شكى ، قد كتب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك بما فتح الله على يديه ، ذاكرا له اجتماع الخزر لحربه ، كما سألته المدد . فوعده الخليفة بذلك ، الا ان الاجل قد أدركه قبل انفاذ المدد اليه . ويظهر ان الموقف على الجبهة لم

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨٧/٤ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٦٣-٢٦٤ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ - صابر دياب ارمنيية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٠-٥١ (وقد ذكر عظمة الفنائم التى حصل عليها المسلمون ، حتى أصاب كل منهم ثلاثة آلاف دينار ، كما ذكر ان الخليفة يزيد بن عبد الملك ، قد أمد الجراح بما طلب . نقلا عن ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة أعلاه ، لكن ابن الاثير قال : وعده فقط)

يكن مطمئنا ، وأن الخطر كان كبيرا باجتماع الخزر على حرب المسلمين ، وانتقاص أهل البلاد عليهم ، مما دفع بالجراح الى الانسحاب ، وطلب العون من الخليفة ، ويبدو أن الخليفة قد أدرك ذلك ، وهو الذى رأيناه جادا فى السيطرة على الموقف فى أرمينية ، عندما بعث جيشا كان هدفه تطهير أرمينية من وجود الأعداء ، ومهاجمتهم فى بلادهم . لذلك بعث الى قائده يعده بالمدد ويقويه .

#### الموقف فى الجبهة الأرمينية بعد يزيد بن عبد الملك :

حرص الخليفة هشام بن عبد الملك على اكمال ما بدأه سلفه ، فأقر الجراح على ولاية أرمينية ، وأمدّه بما يمكنه من ميانة الثغور ، ودفع الأعداء عن ديار الاسلام .<sup>(١)</sup>

ونحن بعد ذلك نقف أمام غزو آخر ، قام به الجراح الحكمى (سنة ١٠٥هـ) ، على اللان ، حتى تجاوز بلنجر ، ففتح كثيرا من المدن والحصون وراءه ، وأجلى أهل بعضها ، فنصر ،<sup>(٢)</sup> وغنم . لكن هذه المصادر لاتحدد الشهر الذى حدثت فيه هذه الغزوة ، مما يحيرنا ، أتمت هذه الغزوة فى عهد الخليفة يزيد ، أم فى زمن خليفته هشام بن عبد الملك . الا أن أخبار بعض المصادر ، عن هجوم قام به الخزر بقيادة ملكهم جابان ،<sup>(٣)</sup>

(١) أديب السيد : أرمينية فى التاريخ العربى ، ص ٩١-٩٢ .  
 (٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣١ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، م ٣١٥/٢ - الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢١/٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٩٣/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ .  
 (٣) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٥٧ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٨٨/٤ - الذهبى : العبر فى خبر من عبر ، ١٢٨/١ .

(سنة ١٠٥هـ) على أرمينية ، وانتصار الجراح عليهم ، في معركة حدثت في الزم بين نهري الكر والرس ، وذلك في شهر رمضان من هذا العام ، يجعلنا نقدم احتمال قيام الجراح بغزوه لبلاد الان ، بعد هجوم الخزر على أرمينية ، أي بعد شهر رمضان (سنة ١٠٥هـ) ، ابان خلافة هشام بن عبد الملك ، حيث كانت وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك في شهر شعبان من سنة ١٠٥هـ ، فنرى انه بعد ارتداد الجراح الى شكي ، في أعقاب غزوته التي تمت (سنة ١٠٤هـ) ، قام الخزر الذين اجتمعوا لحربه ، بالهجوم على المسلمين في أرمينية ، فهزموا في الزم ، وعلى اثر هزيمتهم هناك في شهر رمضان (سنة ١٠٥هـ) ، خرج الجراح في حملة تاديبية رادعة ، وتتبع الخزر ، واعاد فتح كثير من البلدان فيما وراء باب الابواب وبلنجر في أواخر عام ١٠٥هـ . فتكون بذلك غزوة الخزر للديار الاسلامية ، وغزو الجراح لبلادهم مرة ثانية ، واللذان تمثلا (سنة ١٠٥هـ) قد حدثتا في خلافة هشام لايزيد بن عبد الملك .

---

(١) لم أعثر لها على تعريف .

المبحث الثالثالفتوح فى أرض الروم

أبنا الى اى مدى وصلت اليه الفتوحات فى العصر الاموى حتى نهاية عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وأهم منجزات تلك الحقبة ، بما فيها حروبهم مع الدولة البيزنطية ، والفتوحات التى تحققت لهم فى أراضيها .<sup>(١)</sup>

ولقد تمثلت الجهود العسكرية التى تمت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ضد الروم ، فى تحصين الثغور وشحنها ، وميانة الحدود والدفاع عنها ، والفتح برا عن طريق الموانئ والشواطىء ، وفى ماتم خلال ذلك من فتوحات فى آسيا الصغرى ، والغزو بحرا لجزر الحوض الاوسط والغربى من البحر المتوسط عن طريق افريقية ، وهذا ماسنبينه اثناء عرضنا لتلك الجهود والتى سيتضح على ضوءها ان عهد الخليفة يزيد ، كان خاليا من الحملات العسكرية الكبرى ضد البيزنطيين ، وفى معاودة التفكير فى فتح القسطنطينية عاصمتهم العتيقة ، وان كانت الموانئ والشواطىء التى وجهت لآسيا الصغرى ، قد حفلت بكثير من الانتصارات وفتح كثير من المدن والمواقع الرومية ، ولعل السبب وراء عدم التفكير زمنه من محاولة فتح القسطنطينية يعود الى كون عهده لم يكن ببعيد عن آخر محاولة لفتحها ، وهى تلك المحاولة التى تمت فى خلافة سليمان بن عبد الملك . وقد كلفت الدولة الكثير من الرجال والمال . ولم يكن فى

---

(١) انظر ذلك قبل : التمهيد ، ص ٣٩ .

امكان الدولة ان تتحمل تكاليف الانفاق على حملة مثل تلك الحملة ، وبعد فترة قصيرة من حدوثها . <sup>(١)</sup> والتي من المحتمل ان الدولة فى عهده كانت لاتزال مشغولة بتعويض ما استنزفته من أموال . خصوصا ان بيت مال الدولة كان مثقلا بتحمل الانفاق على الاعمال العسكرية التى زخر بها عهده ، سواء فى مجال القضاء على الفتن الداخلية ، او الفتوح الخارجية . هذا فضلا عن ان الحملات الثلاث التى وجهت الى القسطنطينية قد انتهت بثبوت استحالة قيام البحرية الاسلامية التى لاتزال وليدة ناشئة ، بفتح القسطنطينية وهى على ما هى عليه من حصانة الموقع ، وقوة التحصين ، بالإضافة الى ان الدولة البيزنطية لم تكن قد دخلت بعد فترة الضعف والتدهور ، وظلت قائمة بعد ذلك فترة زمنية طويلة ، ولعل ذلك الراى الذى تقول به بعض المصادر الاسلامية من ان المسلمين اتجهوا الى محاولة فتح القسطنطينية براءء عن طريق الالتفاف اليها من جنوب <sup>(٢)</sup> أوروبا ، وهو ما يفسر انطلاق الفتوحات الاسلامية اول القرن الثانى الهجرى الى أوروبا عبر جبال البرتات . اما خلو عهده من الحملات الكبرى ضد الروم ، فيبدو ان وراء ذلك تغير نظام الموانئ والشواطى ، وجعلها على قسمين صائفة اليمنى <sup>(٣)</sup>

- 
- (١) عن الحملة التى وجهها سليمان بن عبد الملك لفتح القسطنطينية ، انظر : هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ١٣٨-١٤٠ .  
ولقد كان بين المحاولة الثانية (٥٤-٦٠) زمن معاوية ، والثالثة التى تمت زمن سليمان (٩٨هـ) ثمان وثلاثون عاما تقريبا .  
(٢) انظر ما كتبناه قبل عن تفكير المسلمين فى فتح القسطنطينية من الغرب عن طريق أوروبا : التمهيد ، ص ٤٠ .  
(٣) انظر ما طرأ على ذلك التنظيم من تغيير قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثانى ، ص ٣٤٩-٣٥٠ .

(١) وأخرى يسرى . واستنزاف التحرك الخزرى على الحدود الأرمينية فى زمنه ، جل جهده فى الميدان الشمالى . الى جانب ماطلبه انتقاس الصفد فيما وراء النهر ، واضطراب الأحوال الداخلية من توزيع الجهد والاهتمام . وعظفا على مذكرناه فليس من الصواب فى شىء القول بتوقف الحملات الإسلامية فى عهده على المواقع البيزنطية ، أو اهمال تلك الجبهة ، وانشغال الخلافة بالفتن الداخلية حتى كادت جهود الدولة أن تتوقف تماما ضد الروم ، أو ماغالى فيه فتحى عثمان عندما قال :  
 "فى عهد الخلفاء الأمويين الأقوياء توغل العرب داخل  
 كليكييا وكبادوكيا . ولكن الدولة البيزنطية فى عهد يزيد  
 الثانى وخلفائه الفعاف استردت المدن التى كان قد احتلها  
 المسلمون" . ولاندرى على أى شىء اعتمد فتحى عثمان فى قوله ،  
 إذ لا تزودنا المصادر والمراجع التى اطلعنا عليها بمعلومات

- (١) يظهر أن حدوث هذا التغيير وجعل المائفة على قسمين يمنى ويسرى ، قد بدأ منذ زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز إذ يقول ابن خياط أثناء حديثه عن المائفة فى عهده : "فرقها - يعنى عمر - بين الوليد بن هشام وبين عمرو بن قيس السكونى" . (انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٤) . ومثل هذا التقسيم لانجده عند من سبقه ، بينما نرى استمراريته ووضوحه عند من خلفه .  
 (٢) قال ذلك نبيه عاقل فى كتابه : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٣١٨ .  
 (٣) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٢١٩ .  
 (٤) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩ .  
 (٥) نفس المرجع ، ص ٥ .  
 (٦) كليكييا وكبادوكيا ، من مناطق الثغور البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وهى مناطق كبرى تحتوى على عدد من المدن والحصون ، ومرت هاتين المنطقتين الشقريتين كغيرها من المناطق الشرقية البيزنطية فى آسيا الصغرى بشىء من التنظيم والتغيير عبر عصورها المختلفة . ولمعلومات أوفى حول ذلك ، (انظر / هاشم الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ١٤-٥٧) .

عما قال ، بل تشير الى فتوحات وانتصارات اسلامية .  
(١)  
منها ما يصفه ويؤكدده وسام فرج بقوله : " اذا كانت  
القسطنطينية قد تم انقاذها بغضل الامبراطور ليو الثالث  
الايسورى فان اجزاء كثيرة من آسيا الصغرى كانت لاتزال تحت  
رحمة اغارت العرب كل عام ، ففي سنة (١٠٤هـ/٧٢٣م) استولى  
العرب على حصن كماخة وعلى بلدة ايكونيون" .  
(٢)

والغزو الوحيد للروم على الديار الاسلامية زمن يزيد بن  
عبد الملك ، ما ذكر من مهاجمة الروم الساحل المصرى ،  
(٤)  
ونزولهم تنيس في رمضان (سنة ١٠١هـ) في ولاية بشر بن صفوان  
(٥)  
الكلبي (١٠١ - ١٠٢هـ) ، حيث قتل أميرها مزاحم بن مسلمة

- 
- (١) دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ،  
ص ١٧٨ . . .  
(٢) كماخة : عند ياقوت وكى لسترنج (كمخ) : مدينة بالروم  
على الفرات الغربى في يساره ، على مسيرة يوم أسفل  
ارزنجان ، وهي قلعة عظيمة ، في أسفلها مدينة على شفة  
النهر ، ومن أعمالها كثير من القرى الخصبة ، وتلغظ  
عند الروم كماخ ، أو كمخا . (انظر : معجم البلدان ،  
٤/٤٧٩ ، وبلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥١) .  
(٣) ايكونيون أو ايكونيوم : هي مدينة قونية ، وقد عرفت  
بهذا الاسم بعد فتح السلاجقة لها ، واتخاذها عاصمة لهم  
(كى لسترنج : نفس المرجع ، ص ١٧٢-١٨١) .  
(٤) تنيس : جزيرة في بحر مصر وبلدة من أجل بلدان مصر ،  
سميت نسبة الى تنيس بن حام بن نوح ، تقع على مقربة  
من البر بين الفرما ودمياط ، وهي جزيرة في وسط بحيرة  
يغسلها شريط برى عن البحر المتوسط ، تتصل بحيرتها  
بالبحر عن طريق فوهتين . (ياقوت : معجم ، ٥١/٢ - ٥٤ -  
المقريزى : خطط ، ١/١٧٦-١٨٢) . وقد اشار للحملة عليها  
زمن يزيد بايجاز) .  
(٥) بشر بن صفوان الكلبي : أمير المغرب ، واحد الشجعان  
ذوى الراى والحزم ، ولى مصر ليزيد بن عبد الملك (سنة  
١٠١هـ) ، ثم وجهه الى اماراة افريقية (سنة ١٠٢هـ) ،  
فخرج اليها ، واقام في القيروان وغزا مقلية وغيرها ،  
ومات بالقيروان (سنة ١٠٩هـ) . (الزركلى : الاعلام ،  
٥٤/٢) .



(١) المرادى فى جماعة من الموالى . ويفيد الخبر الى اشتراك القبط مع المسلمين فى الدفاع عن بلدهم ، كما يفيد ان تلك الحملة وان حققت بعض النجاح الا انها لم تكن الا مجرد غارة خاطفة ، ونوعا من أعمال القرصنة ، او ردة فعل لهجمات المسلمين الدائمة على ثغور بيزنطة البرية والبحرية . فالواقع ان مصر بعد فتح المسلمين الاسكندرية للمرة الثانية (سنة ٢٥هـ) ، استمرت بمفة دائمة تحت الحكم الاسلامى . لكن الروم لم يسلموا بضياع مصر ، فحاولوا استعادتها ، وكانت معركة ذات الموارى (٣٤هـ) ، المحاولة الاولى والاكبر لتحقيق ذلك ، لكنها باءت بالفشل ، ومعهم ان نعرف ان من نتائجها ، انها كانت حدا فاصلا فى سياسة الروم تجاه المسلمين ، وافاقت الامبراطورية البيزنطية على حقيقة ان اى حملات برية او بحرية لاسترداد مصر او الشام ، يعتبر مجهود ضائع ومحاولات فات او انها .

ومع ذلك لم تنقطع الغزوات البحرية الرومية على سواحل مصر والشام ، لكن الطابع الغالب على تلك الهجمات ، طابع القرصنة ورد فعل على الغارات الاسلامية الموجهة الى الممالك

- 
- (١) أورد الكندى اسمه : "ابن احمر بن مسلمة المرادى" . (انظر : كتاب الولاة ، ص ٧٠) .  
 (٢) الموالى : يقصد بهم أهل البلد من القبط .  
 (٣) سيده اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٧٧ - عليا عبد السميع الجنزورى : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ، الفاشر مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٩ - ٥٠ .  
 (٤) عليا عبد السميع الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٣٦ .  
 (٥) عن معركة ذات الموارى ، انظر : عليا الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٣٧ - ٤٤ - عمر العقيللى : خلافة معاوية بن أبى سفيان ، ص ١٠٢ - ١٠٦ .  
 (٦) عليا الجنزورى : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(١) الرومية . وما كانت الغارة على تنيس زمن يزيد الا واحدة منها . والراجع ان هذه الحملة ، والحملة التي سبقتها على اللاذقية سنة ١٠٠هـ أيام عمر بن عبد العزيز ، كانت رد فعل لغزو المسلمين القسطنطينية زمن سليمان بن عبد الملك .<sup>(٢)</sup>

#### اهتمامه بالشغور :

كان عمر بن عبد العزيز قد أمر ببناء اللاذقية التي هدمها الروم ابان اغارتهم عليها (سنة ١٠٠هـ) ، لكنه توفي قبل ان يتم ذلك ، فاتم بناءها وشحنها الخليفة يزيد بن عبد الملك .<sup>(٣)</sup> وان كان البلاذري يؤكد اتمام عمر لها ، وان جهد الخليفة يزيد ، اقتصر على ترميمها وزيادة في شحنها . وليس من المنطق ترميم ماتم انشاؤه حديثا ، والاولى ان الخليفة يزيد اتم ماشرع عمر فيه من بناء اللاذقية وشحنها . ولانعثر للخليفة يزيد في مجال التحمين على عمل آخر ، مما يبين انه قد اقتصر على اصلاح ما تهدم ، ولعل الموقف في الجبهة وكون المسلمين في دور المهاجم ، وخلو فترته من تحرك بيزنطى على الشغور البرية ، هو ماسرفه عن ذلك . الا اننا نجد له جهدا آخر في ميدان الشغور ، وهو تأمين دروب الفاتحين ، فقد كان

- 
- (١) علية الجنزورى : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية ، ص ٤٤ .  
 (٢) اشارت علية الجنزوى الى مثل هذا القول ، (انظر : نفس المرجع ، هامش ١٤ ، ص ٤٩-٥٠) .  
 (٣) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٧ - وان كان هاشم اسماعيل الجاسم يقول : ان يزيد هو الذى اعاد بناءها . (انظر كتابه : دراسات تاريخية عسكرية ، ص ٩٨ . نقلا عن : شعيرة : المرابطون في الشغور البرية الرومية ، بحث في كتاب : الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين) .  
 (٤) فتوح البلدان ، ص ١٣٩ .

(١) (٢)  
 الطريق بين انطاكية والمصيصة مسبعة ، يعترض الناس فيها  
 الاسد ، فلما صادر الخليفة يزيد بن عبد الملك اموال بنى  
 المهلب بعد القضاء على يزيد بن المهلب الذى خلع الخليفة  
 وخرج على سلطان الدولة ، كان مما اصابه ضمنها ، اربعة آلاف  
 جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر . فامر الخليفة يزيد بنقلها  
 الى المصيصة مع زطها . (٣) (٤)

#### الحملات البرية ضد الروم :

سنعرض الآن لما تحقق من فتوحات اسلامية زمن الخليفة  
 يزيد بن عبد الملك فى الاراضى الرومية ، عن طريق الغزو برا  
 بقيادة امراء الموائق والشواتى .  
 فى (سنة ١٠٢هـ) غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية  
 ارمينية ، فانتصر عليهم ، واسر منهم سبعمائة اسير ، وكان

- 
- (١) المصيصة : مدينة تقع على نهر جيحان (نهر بيرامس) ،  
 فتحها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وبنى حصنها  
 واسكنها بعض الجند من ذوى الباس والنخوة ، وبنى بها  
 مسجدا ، ثم عمرها ابو جعفر المنصور ، واسماها  
 المعمورة . (كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦٢-١٦٣) . واذاف  
 ياقوت : انها من شغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم  
 بالقرب من طرسوس . (انظر : معجم البلدان ، ١٤٤/٥-١٤٥)  
 مسبعة : اى تكثر فيها السباع .  
 (٢) الزط : جيل اسود من السند ، اليه تنسب الثياب الزطية  
 (٣) وقيل : الزط امراة جت بالهندية ، وقيل جيل من اهل  
 الهند ، وقيل : الزط السباجة قوم بالبصرة . يقول  
 الشاعر :

فجئنا بحى وائل وبلغها  
 وجاءت تميم زطها والاساور  
 انظر : اللسان (زطط) .  
 (٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٧٢ .

(١) آنذاك أميرا على الجزيرة ، قبل أن يلى العراق . ويبدو أن هذه الغزوة تمثل الماثفة اليمنى ، ان نجد غزوة أخرى قامت فى نفس العام بقيادة الوليد بن هشام ، الى أرض الروم ، فنزل على المخاضة عند انطاكية . ويظهر ان هذه الحملة تمثل الماثفة اليسرى عن طريق الثغور الشامية . لكن المصدر الوحيد الذى اشار اليها لم يقدم لنا معلومات عن نتائجها . وتشير بعض المصادر الى حملة أخرى قام بها العباس بن الوليد على أرض الروم ، سنة ١٠٢هـ ، أيضا ، فافتتح مدينة "دبسة" . الا أن فتحى عثمان ينقل لنا ترجيح الدكتور شعيرة ان هذه الحملة كانت سنة ١٠٣هـ/٧٢١م بحجة أن العباس كان مشاركا فى اخمد فتنة ابن المهلب . الا أن القضاء على ابن المهلب كان فى صفر (سنة ١٠٢هـ) ، وتشير بعض الروايات الى وجود العباس بن الوليد فى حلب فى أعقاب ذلك ، فلا يستبعد أن

- 
- (١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦١٦/٦ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٤/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ (قال وأسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة أسير) . ويبدو أنه خطأ فى النقل ، فالطبرى قال : وأسر منهم بشرا كثيرا قتل سبعمائة فقلبت القيل قتل . مجهول : العيون ص ٧٥ - فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩-١٠٠ .
- (٢) الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبى معيط الاموى ، كان عامل عمر بن عبد العزيز على قنشرين وعاش الى دولة مروان بن محمد . (ابن حجر : تهذيب ، ١٣٧/١١) .
- (٣) لم أعثر على تعريف للمخاضة ، وانطاكية : مدينة على نهر اورنطس ، وهى قصبة الثغور الشامية ، بينها وبين حلب يوم وليلة . (ياقوت : معجم ، ٢٦٦/١-٢٧٠) .
- (٤) اليعقوبى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٥) لم أعثر لها على تعريف .
- (٦) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة (وأورد اسم المدينة "دلسه") .
- (٧) نفس المرجع والصفحات .
- (٨) انظر : الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٢ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٥ .

يكون قد خرج غازيا الى أرض الروم فى أواخر ذلك العام خصوصا أن المصادر التى أشارت الى غزوته سنة ١٠٢هـ ، أشارت أيضا الى غزوة أخرى له سنة ١٠٣هـ . أما هدف الحملة (١) فيرجح أنه لاريسا ، ويقال سيزا .

واستمر انفاذ الصوائف ، فكان على المائفة الكبرى (٣)(٤) (سنة ١٠٣هـ) ، محمد بن مروان ، وعلى الصغرى عثمان بن حيان ، ولايفيف المصدر شيئا عن تلك المائفتين ، من حيث الوجهة والنتيجة . ويبدو أن المقصود بالمائفة الكبرى ، المائفة اليمنى ، وهى التى تخرج من الجزيرة ، والمائفة الصغرى أى اليسرى ، وهى التى تخرج من الشغور الشامية ، حيث أن محمد ابن مروان كان أميرا على الجزيرة ، وفى وصف اليمنى بالكبرى إشارة الى ما اكتسبته الجبهة الأرمينية من أهمية

(١) فتحى عثمان : الحدود ، ص ٩٩-١٠٠ . ويوضح أن خلو المعاجم من تعريفات لكثير من المواضع فى آسيا الصغرى يعود الى ايراد المصادر القديمة لأسماء تلك المدن والمواقع بصورتها المعربة ، بينما انتحلت اليها معظم هذه الأسماء بعد الفتح التركى على غير هذه الصورة ، الى جانب قلة معرفة المصنفين العرب القدماء بجغرافية آسيا الصغرى ، ومخالفة كثير مما ذكروه للواقع . (انظر هذا القول عند / كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦٨) .

(٢) قال : محمد بن مروان ، والأصح ابنه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى ، إذ كانت وفاة محمد بن مروان سنة ١٠١هـ . (انظر : الزركلى : الأعلام ، ٩٥/٧) . أما مروان بن محمد ، فهو آخر خلفاء بنى أمية ، ولد بالجزيرة وتولى أمارتها مع أذربيجان وأرمينية ، فغزا وفتح ، استولى على الخلافة سنة ١٢٧هـ ، وسقطت الدولة الأموية فى زمنه على يد العباسيين (سنة ١٢٢هـ) ، وقتل فى بوضير بمصر . (الزركلى : نفس المرجع والمجلد ، ص ٢٠٨) .

(٣) عثمان بن حيان بن معبد المرى ، وال من الغزاة ، دمشق ، استعمله الوليد بن عبد الملك على المدينة ، وعزله سليمان ، تولى المائفة (سنة ١٠٢هـ) ، وغزا قيصرية (سنة ١٠٤هـ) . شقة عند أهل الحديث . (الزركلى : نفس المرجع ، ٢٠٥/٤) .

(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ .

فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، على أثر التحرك الخزرى ومحاولة الروم استغلال ذلك .

كما غزا العباس بن الوليد فى سنة ١٠٣هـ ايضا ، ارض الروم ، وابن خياط واليعقوبى لم يحددا وجهة الغزوة ، او مانتج عنها ، وان كان اليعقوبى قد اشار الى اصابة الناس فى السرايا ، وفى ذلك قرينة على فشلها . الا ان هناك من يذكر ان هدفه كان مدينة رسة ، وانه تمكن من فتحها . (١) ويتضح ان هؤلاء المؤرخين خلطوا بين حملته على ديبه او رسله (سنة ١٠٢هـ) والحملة التى قام بها سنة ١٠٣هـ ، والتى لم يحدد هدفها .

ومن المرجح ان غزوة العباس كانت الشاتية ، لخروج الصائفة تحت امرة محمد بن مروان وعثمان بن حيان . مما يدل على ان الخليفة يزيد قد عكف على اخراج اكثر من حملة فى العام الواحد وفى نفس الاتجاه ، ليشغل عدوه بالدفاع عن نفسه ، وليبقى زمام المبادرة بيد المسلمين، ويمنع الروم من الاستفادة من تحرك الخزر او التحالف معهم ضد المسلمين ، وكان قد اعطاهم كثيرا من اهتمامه كما رأينا اثناء عرضنا لفتوحه فى ارمينية .

اما (سنة ١٠٤هـ) فقد تمكن عبد الرحمن بن سليم الكلبي قائد الصائفة اليمنى ، وعثمان بن حيان امير الصائفة اليسرى من فتح مدينة "مسرة" . ويتضح من هذه الحملة ، (٣) (٤)

- 
- (١) تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٨ - تاريخ اليعقوبى ، ٣١٤/٢ .  
 (٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٩/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٤/٤ - ابن خلدون : العبر ، ١٣٣/٣ .  
 (٣) لم اعثر لها على تعريف .  
 (٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٠ - اليعقوبى : نفس المصدر ٣١٥/٢ (أورد اسم الكلبي ، عبد الرحمن بن سليمان) .

التنسيق القائم بين المائفتين ، واجتماعهما على هدف واحد ،  
 اذا مادت الحاجة . لذا فمن الغالب على الظن ان هذه  
 المدينة كانت من الحصانة والمنعة بمكان ، مما دفع  
 القائدين على تعاونهما على فتحها . ويتضح ان عثمان بن  
 حيان بعد ان فرغ من فتح سررة اتجه بجنده الى مدينة قيصرية<sup>(١)</sup>  
 وهى حصن من حصون الروم ، فتمكن من فتحها فى نفس العام .<sup>(٢)</sup>  
 وفى (سنة ١٠٥هـ) ، آخر خلافة يزيد بن عبد الملك ،  
 قامت ثلاث حملات ، وفتحت مدينتى قونية ، وكمح . فقد غزا  
 مروان بن محمد على المائفة اليمنى ، وافتتح مدينة قونية<sup>(٣)</sup>  
 من ارض الروم ، وكمح . وحيث ان المسافة بين المدينتين  
 بعيدة ، كما انهما ليسا فى اتجاه واحد ، فكمح فى الشمال  
 بالنسبة للجزيرة ، وقونية فى الغرب منها ، فى قلب آسيا  
 الصغرى الى الجنوب منه ، على الطريق الى عمورية . مما  
 يجعلنا نشك فى قيامه بفتحها فى حملة واحدة ، فقد يكون خرج  
 من الجزيرة الى كل منهما على حدة فى نفس العام . او ان<sup>(٤)</sup>  
 نأخذ بما أورده المؤرخ الاقدم وهو ابن خياط ، الذى اشار  
 الى الغزوة ، لكنه ذكر فتح مروان لمدينة واحدة من ارض<sup>(٥)</sup>  
 الروم ، لم يسمها ، وقال : ناحية عنج .

- (١) هى المعروفة بقيصرية . (انظر هامش ٤ ، ص ٣٣٠ من تاريخ ابن خياط) . وهى من مدن الروم فى آسيا الصغرى . (كى لمترنج : بلدان ، ص ١٦٨) . وتسمى قيسارية ايضا ، وهى مدينة عظيمة كبيرة ، كانت كرسى ملوك بنى سلجوق . (ياقوت : معجم ، ٤/٤٢١) .  
 (٢) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٠ - الزركلى : الاعلام ، ٢٠٥/٤ .  
 (٣) ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٩٣ .  
 (٤) نفس المصدر ، ص ٣٣١ - ووافق ابن خياط فى احتياج مروان لمدينة واحدة ، ابن خلدون فى كتابه : العبر ، ٣/١٣٣ . لم يسمها ، وقال : قريبة من ارض الزوكخ . وهذه لم نعثر لها على تعريف .  
 (٥) عنج : لم نعثر لها على تعريف .

وحيث أنا لم نعثر على تعريف لعنج ، فقد يكون يعنى كمخ  
مما يعنى أن فتح قونية تم فى غزوة أخرى سابقة لها أو لاحقة  
من نفس العام (أى ١٠٥هـ) .

(١)  
وقد أوردنا لوسام عبد العزيز فرج خبرا يشير فيه الى  
فتح كمخ أو كماخنة سنة ١٠٤هـ ، لا ١٠٥هـ ، مما يزيل الشك إن  
صحت روايته ، مع أنه ليس من المستبعد أن يكون المسلمون قد  
فتحوها سنة ١٠٤هـ ، ثم عادوا لفتحها فى السنة التالية ،  
لعودة الروم اليها بعد فتحها الاول .

كما غزا عثمان بن حيان المرى ، بلاد الروم ، سنة  
١٠٥هـ ، أيضا . لكن المصادر التى أشارت الى هذه الغزوة لم  
تبين هدفها ، وماحققت من نتائج . وإن كنا نرى أنها  
المائة اليسرى ، وذلك عطفًا على ما علمناه من امرته على  
تلك المائة فى السنتين السابقتين .

(٢)  
وتشير مجموعة من المصادر الى غزوة قام بها سعيد بن  
عبد الملك على أرض الروم ، فى العام نفسه ، فبعث سرية من  
الف مقاتل ، فأصيبوا جميعا ، وينفرد اليعقوبى ، الذى لم  
يذكر شأن السرية وإصابتها ، بتحويل القائد سعيد بن

- 
- (١) انظر قوله قبل : ص ٣٧١ .  
(٢) الذهبى : العبر فى خبر من غير ، ١٢٨/١ - الذهبى :  
تاريخ الاسلام ، ١٤٩/٤ (لكنه حذف نسبة من المرى الى  
المزنى) - ابن العماد : شذرات ، ١٢٨/١ (وورد نسبة  
مصحفا كما فى تاريخ الاسلام ، والاصح المرى) .  
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢١/٧ - ابن الاثير : الكامل ،  
١٩٣/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ - ابن  
خلدون : العبر ، ١٣٢/٣ .  
(٤) سعيد بن عبد الملك بن مروان : امير أموى ، كان حسن  
المسيرة متعبدا ، كان يقال له سعيد الخير ، ولى الغزو  
لهشام بن عبد الملك ، وتولى فلسطين للوليد ، وكان  
عاملا للموصل ، وقد قتل يوم نهر أبى فطرس سنة ١٣٢هـ .  
(الزركلى : الاعلام ، ٩٨/٣) .  
(٥) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٥/٢ .



عبد الملك لاتجاهه من أرض الروم الى ناحية الترك ، حتى بلغ قصر قطن .<sup>(١)</sup> ويبدو أن غزوة سعيد بن عبد الملك كانت الشاتية فقد سبقه الى الغزو مروان بن محمد وعثمان بن حيان ومعروف أن الاول على المائفة اليمنى ، والثانى على اليسرى . مما يدفعنا الى ترجيح كونه خرج بالشاتية من الثغور الشامية . ويتضح أنه قد سار حتى نزل بأحد الثغور الشامية ، فبعث سرية الى اتجاه لم تحدده لنا المصادر ، فاصيبوا ، فحول اتجاهه الى ناحية الترك . مما يدفعنا الى الشك أن أسباب تلك الهزيمة وما حدث لتلك السرية ، قد حصل بفعل برودة الشتاء ، أو تدخل الترك وتعاونهم مع الروم مما جعل سعيد ابن عبد الملك ، يتتبعهم فى بلادهم ، وأن كنا لانعلم ماذا فعل فى غزاته هناك . وأن كان لنا أن نشير أن هذه الغزوات التى تمت (سنة ١٠٥هـ) لم تحدد المصادر الشهر الذى خرجت فيه مما يجعل من المتعذر التاكيد على حدوثها زمن الخليفة يزيد ابن عبد الملك المتوفى فى شعبان سنة ١٠٥هـ أو زمن خلفه هشام بن عبد الملك .

(٢)

وقد أورد ابن خياط أن عبد الرحمن بن سليم الكلبى ، كان على المائفة حتى مات يزيد بن عبد الملك . وفى ضوء معرفتنا بتولى عدد من القادة ومنهم عبد الرحمن بن سليم ، الخروج على رأس حملات الصوائف والشواتى فى عهد الخليفة يزيد ، فأننا نرى أنه كان أمير المائفة

(١) قصر قطن : لم أجد له تعريفا .

(٢) تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ .

العام . أو أمير الثغور الشمالية الذى يشرف على انقاذ  
الموائف والشواتى ، ويقود بعضها بنفسه .

#### الجهاد فى البحر الابيض المتوسط

زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك :

اعتمد المسلمون فى افريقية فى غزواتهم البحرية للجزر  
البيزنطية فى وسط وغرب البحر المتوسط ، قبل انشاء دار  
لمناعة السفن فى تونس - على بن حسان بن النعمان ٧٤ - ٨٥هـ  
على الاسطول المصرى ، الذى كان يقوم بغزو تلك الجزر  
(١)  
والعودة الى قواعده فى مصر .

(٢)  
وبعد أن أصبح لافريقية اسطولها الخاص ، اتجه المسلمون  
الى اتخاذ سياسة بحرية من اهدافها السيطرة على جزر البحر  
المتوسط الغربى وعلى راسها صقلية ، واتخاذها قواعد بحرية  
امامية تحمى السواحل الافريقية من هجمات الروم ، وتنطلق  
(٣)  
منها الغزوات المنتظمة على الاندلس وغالة .

وقد تابع ولاية افريقية من قبل الخليفة يزيد بن عبد  
الملك ، جهود من سبقهم من الامراء بعد موسى بن نصير - الذى  
وجه اول غزوة للاسطول الافريقى سنة ٨٥هـ - فى غزو الجزر  
البيزنطية فى وسط وغرب البحر المتوسط . فقد قام يزيد بن

- 
- (١) أحمد مختار العبادى ، والسيد عبد العزيز سالم :  
تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الابيض المتوسط ،  
الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ٢٨/٢ - ٣٤ .  
(٢) عن بناء دار صناعة السفن فى تونس ، ونشأة الاسطول  
الاسلامى الافريقى ، (انظر : أحمد العبادى والسيد عبد  
العزيز سالم : نفس المرجع والجزء والصفحات) .  
(٣) أحمد العبادى والسيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع  
والجزء ، ص ٣٥ .

(١)  
أبى مسلم ، أمير إفريقية (١٠١ - ١٠٢هـ) بغزو جزيرة صقلية  
(٢)  
(سنة ١٠١هـ / ٧١٩م) .

كما وجه من قبله (سنة ١٠٢هـ) القائد محمد بن أوس  
(٣)  
الأنصاري ، فى غزوة بحرية الى صقلية أيضا ، فعادت الحملة  
(٤)  
سالمة غائمة . وكان محمد بن أوس أمير بحر تونس تلك السنة  
وقد مات يزيد بن أبى مسلم عامل الخليفة يزيد على إفريقية  
آنذاك ، وابن أوس غازيا فى البحر الغزوة المذكورة آنفا ،  
ولم تكن إمارة ابن أوس للبحر سنة ١٠٢هـ ، وقيادته هذه

(١) يزيد بن دينار الثقفى ، بالولاء ، وال من الدهاة فى  
العصر الأموى ، جعله الحجاج كاتباً له ، واستخلفه على  
الخراج عند وفاته ، لما ظهر من مزاياء ، فأقره  
الوليد ، فعزله سليمان ، وطلبه فأعجبه ، واستبقاه  
عنده ، ثم تولى إمارة إفريقية (سنة ١٠١هـ) من قبل  
الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقتله أهلها سنة ١٠٢هـ  
(الزركلى : الاعلام ، ١٨٢/٨) .

(٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ،  
حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراه ،  
مطبوعة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدار البيضاء ،  
الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م ، ص ٣٣ .

(٣) محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري : من التابعين أهل  
الفيل والدين والفقه ، يروى عن أبى هريرة ، قيل ولى  
إفريقية (سنة ٧٣هـ) ، وقيل بل دخلها (سنة ٩٣هـ) .  
وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ، وهو ممن دخل  
الاندلس للجهاد والرباط ، وكان على بحر تونس (سنة  
١٠٢هـ) . وقد وافته المنية فى نفس السنة . (انظر :  
الضبى : بغية الملتصق فى تاريخ رجال الاندلس ،  
علمائها وأمرائها وشعرائها ، وذوى النباهة فيها ممن  
دخل اليها وخرج عنها ، طبع بمطابع روجس ، مدينة  
مجريط ، ١٨٨٤م ، ص ٥١ - المراكشى : المعجب فى تلخيص  
أخبار المغرب ، تقديم ممدوح حفى ، دار الكتاب ،  
الدار البيضاء ، ص ٢٦ - الدباغ : معالم الايمان فى  
معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق ابراهيم شيوخ ،  
مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م ،  
١٩٦/١ - ١٩٧ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - فوزية محمد عبد  
الحميد نوح : البحرية الاسلامية فى بلاد المغرب فى عهد  
الأنغالبة (١٨٤-٢٩٦) ، رسالة ماجستير ، لم تطبع ،  
مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،  
كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ ، ص ٤٨

الحملة هي الاولى ، فقد ولى بحر افريقية قبل ذلك (سنة (١)

٩٩٣هـ) ، وشارك في غزو المغرب والاندلس مع موسى بن نصير .

وان كنا لم نعلم بنتيجة الحملة الاولى التي قادها

يزيد بن ابي مسلم بنفسه ، فان خروج الحملة الثانية

ونجاحها يدل على نجاح الاولى ، اما تركيز أمير افريقية على

جزيرة مقلية فيعود لأهميتها بالنسبة للروم ، وهي محاولات

منه لضرب تلك القاعدة البيزنطية العامة ، وتهديدا للاعداء

واشغالهم عن مهاجمة الساحل الافريقي .

(٢)

وفي سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) ، اشترك محمد بن يزيد القرشي،

(٣)

في غزوة أخرى لمقلية .

والقول باشتراكه في غزوة أخرى ، يعنى انه كان في

الاولى . والذي كان قائدا للاولى من قبل ابن ابي مسلم هو

محمد بن أوس ، لذا فان الأرجح لدينا ، أن محمد بن أوس هو

(٤)

الذي خرج مرة ثانية ، لغزو مقلية لامحمد بن يزيد ، ان يروى

أن محمد بن يزيد كان في سجن يزيد بن ابي مسلم عندما قتل .

(١) أحمد العبادي والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية ، ٣٠٠،٣٦/٢ .

(٢) محمد بن يزيد القرشي ، بالولاء ، أمير افريقيا من قبل سليمان بن عبد الملك ، عزله عمر ، وقيل تولاهما بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم سنة ١٠٢هـ ، أعاده اليها أهلها ، وأقره الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وكان عندهم وقيل : كان غازيا بمقلية وقدم . ثم عزل ببشر بن صفوان ، ت بعد سنة ١٠١هـ . (الزركلي : الاعلام ، ١٤٣/٧)

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر الاسلامي) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ، ٢٩٥/٢ (نقلا عن ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ - السلاوي الاستقراء ، ص ١٠٣) - فوزية نوح : البحرية الإسلامية ، ص ٣٨ (نقلا عن : السيد عبد العزيز سالم وأحمد العبادي

تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس ، ص ٣٨) .  
(٤) انظر تلك الرواية عند / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤٣ - السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٤ .

وان محمد بن أوس كان غازيا لمقلية ، فلما عاد ولى امرة افريقية بعد ابن أبى مسلم ،<sup>(١)</sup> وان كانت الروايات قد اضطربت حول ذلك ، فمنها من قال أن الغازى الذى تولى بعد ابن أبى مسلم هو محمد بن أوس وأخرى تقول محمد بن يزيد ، وشالطة تقول : اسماعيل بن عبد الله ،<sup>(٢)</sup> والاول الأرجح ، لورود الخبر بسجن محمد بن يزيد ، وكون محمد بن أوس هو أمير البحر آنذاك<sup>(٣)</sup> .

أما ولاية بشر بن صفوان على افريقية (١٠٢ - ١٠٩هـ) فقد كانت حافلة بالغزوات البحرية ، على جزر سردانية وكورسيكا ومقلية ، وربما يعود ذلك لوصول قائد الاسطول الاسلامى فى افريقية ، محمد بن أوس الانصارى ، الى منصب ولاية افريقية ، عندما اختاره اهل الحل والعقد هناك عقب مقتل ابن أبى مسلم أميرا عليهم (سنة ١٠٢هـ) قبل أن يوليها الخليفة يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان . وولايته هذه تعتبر علامة مميزة فى تاريخ البحرية الاسلامية الناشئة فى افريقية ، اذ وصلت تحت امرته لها مع مطلع القرن الثانى الهجرى ، الى مرحلة الفتوة ، وذلك بعد استيلاء المسلمين على السواحل البحرية الشرقية فى اسبانية ، وكانت غزواته سنوية تقريبا ، الح بها على قواعد الروم القريبة ،<sup>(٤)</sup> لارهابهم ، واشغالهم عن مهاجمة سواحل المغرب .

- 
- (١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٨/١ - ٤٩ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥٩ .  
 (٢) انظر مناقشتنا لذلك بعد : الفصل الخامس ، ص ٥١٦ - ٥١٩ .  
 (٣) الضبى : بغية الملتصم ، ص ٥١ - الدبأغ : معالم الايمان ، ١٨٩/١ .  
 (٤) فوزية نوح : البحرية الاسلامية ، ص ٤٨ - ٤٩ .

ومن غزواته في خلافة يزيد بن عبد الملك ، الحملة التي  
(١)  
وجهها بقيادة يزيد بن مسروق اليمصبي الى جزيرة سردانية ،  
وذلك في المحرم من (سنة ١٠٣هـ) ، فكان نصيبها النجاح ،  
(٢)  
حيث غنم المسلمون وسلموا .  
(٣)  
كما وجه (سنة ١٠٤هـ) القائد عمرو بن فاتك الكلبي  
(٤) (٥)  
لغزو البحر ، فغنم وسلم . وتقول فوزية نوح : أن هذه  
الحملة لانعرف وجهتها ، وربما يكون الاسطول قد غزا فيهما  
سردانية وكورسيكا ، هذا اذا لم يكن قد عرج كذلك في طريقه  
على مقلية .

- 
- (١) يزيد بن مسروق اليمصبي : لم أعتثر له على ترجمة .  
(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ - فوزية نوح :  
البحرية الاسلامية ، ص ٤٩ .  
(٣) لم أعتثر على ترجمته .  
(٤) فوزية نوح : نفس المرجع والصفحة - ابن خياط : نفس  
المرجع ، ص ٣٣٠ .  
(٥) نفس المرجع والصفحة .

## المبحث الرابع

الفتوح فى بلاد الغال

- (١) تكررت فتوحات المسلمين فى بلاد الغال ، منذ اجتاز  
 موسى بن نصير جبال البركات ، لأول مرة . (٢) (٣)

(١) بلاد الغال (الأرض الكبيرة ، غالة ، فرنسا) : تعنى عند العرب الأرض الواقعة بين جبال البركات (البرنية) ، وبين جبال الالب والأوقيانوس ، ونهر البيا ومملكة الروم وهذا المفهوم ينطبق على فرنسا أيام شارلمان . وأمامها تحدث بعدة لغات . (شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٥١-٥٠) .

ويقول السيد عبد العزيز سالم : أن بلاد الغال انقسمت بعد سقوط الدولة الرومانية الى عدة ولايات منها : سبتمانيا ، وأكيتانيا ، وبروفانس ، وبرغنديسة والدولة الميروفنجية شمال نهر الوار . (انظر : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٣٧) . وكان الحكم فيها للدولة الميروفنجية ، فلما ضعفت سيطر فرنج الجنوب على ملك أكيتانية ، وسبتمانية ، ودوقها "أود" وبقي بيدي القوط الغربيين قسم من مقاطعة لانغدوق وبروفانس . (شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٦٩، ٣٣) .

(٢) يقول محمد عبد الله عنان : أن بعض الكتاب يسمى جبال البرنيه خطأ بجبال البرانس ، حيث أن جبال البرنيه تسمى فى الجغرافيا العربية بجبال البرت أو البركات ، تحريفاً عن الإسبانية (Puerta) ، ومعناها الباب ، وسميت هذه الجبال بهذا الاسم لأنها تحتوى على خمسة أبواب أو ممرات للعبور . أما جبال البرانس فهي سلسلة أخرى من الجبال الإسبانية تقع شرقى ماردة وجنوبى طليطلة ، وسميت بذلك نسبة لقبيلة البرانس البربرية التى نزلت فى الأندلس على مقربة من هذه الجبال ، وتعرف فى الجغرافيا الحديثة بجبال المعدن ، لوقوعها بالقرب من مدينة المعدن . (انظر : دولة الاسلام ، هامش (١) ، ص ٨٢ ، وهامش (١) ، ص ٥٣) - وانظر ما أورده عبد الرحمن على الحجى ، حول التعريف بها ، وأسماء الممرات التى تخترقها ، فى كتابه : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، الكويت ، الرياض ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ٩٦-٩٨ .

(٣) انظر اشارتنا الى ما ذكر حول اجتياز موسى بن نصير الى بلاد الغال فاتحاً ، وأهدافه ، قبل : التمهيد ، ص ٤٠ .

وقد شهد عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حملة من أهم الحملات التي قام بها المسلمون لفتح بلاد الغال عن طريق الأندلس ، وهي الغزوة التي قادها السمع بن مالك الخولاني (١٠١ - ١٠٢هـ) ، الى تلك الاضغاع .

كما تم الاعداد في عهده لحملة لاتقل أهمية عن سابقتها وهي التي قادها عنبسة بن سحيم الكلبي ، الى تلك الاقطار ولنفس الغرض .

#### (١) فتوحات السمع بن مالك الخولاني في بلاد الغال :

من المتفق عليه أن ولاية السمع بن مالك (رمضان ١٠٠هـ - ذى الحجة ١٠٢هـ) ، قد جاءت من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ، واستمرت باقرار الخليفة يزيد بن عبد الملك ، منذ توليه في رجب (سنة ١٠١هـ) ، حتى استشهاده السمع بن مالك في (١) (ذى الحجة ١٠٢هـ) .

غير أن المختلف عليه والمشوب بالغموض هو تاريخ خروج السمع بن مالك بحملته وهل كان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز ، أم كان في زمن خليفته يزيد بن عبد الملك . إذ لم تمدنا المصادر والمراجع التي تمكنا من الاطلاع عليها بتاريخ دقيق لخروج هذه الحملة .

(٢) فمحمد عبد الله عنان ، يؤرخ لزحف السمع على لانجدوك

(١) من أجل ولاية السمع بن مالك على الأندلس : انظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٣٥-١٤١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٤-١٣٥ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤ - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ١٩٦ .

(٢) دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ .



(سبثما نيا) باواخر (سنة ٧١٩م) أي (أوائل سنة ١٠١هـ) وهذا  
يعنى خروجها فى أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز ، بينما نجد  
شكيب أرسلان يؤرخ لخروج حملة السمع بن مالك الخولانى بقوله<sup>(١)</sup>  
كان ذلك (سنة ٧٢١م) أي (١٠٢هـ) ، فى خلافة يزيد بن عبد  
الملك بعد أن مضى على فتح الأندلس إحدى عشر سنة لاغير .

كما سنرى الاختلاف على التاريخ لفتح مدينة أربونة ،<sup>(٢)</sup>  
وهى أول مدينة تواجه الفاتحين بعد عبورهم جبال البركات  
وأول مدينة فتحها السمع فى حملته تلك بعد عبور البركات .  
فقد كنا عولنا على تاريخ فتحها فى حالة الاجتماع عليه ،  
للتاريخ لبداية الحملة .

وسعيا منا للوصول الى الحقيقة ، عمدنا الى تاريخ  
استشهاد السمع ونهاية حملته ، وإلى تاريخ خلافة يزيد بن  
عبد الملك ، ومنطق الأحداث وسمات الفجرة ، فى محاولة  
لترجيح أصوب الآراء ، والوصول الى حقيقة ذلك التاريخ أو  
ماقارب الحقيقة على الأقل .

فإذا ما أخذنا فى الاعتبار أن استشهاد السمع بن مالك<sup>(٣)</sup>  
ونهاية حملته كان فى التاسع من ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) .

- 
- (١) غزوات العرب ، ص ٨٥ .  
(٢) أربونة : كانت أهم حاضرة فرنسية جوار إسبانيا ، وهى  
أول مدينة تستقبل الخارج من إسبانيا ، تقع على  
ارتفاع عشرة أمصار عن سطح البحر ، وعلى مسافة ١٤ كم  
منه الى الشرق ، يمر بالقرب منها نهر الأود ، ويمر  
بها جدول له اسمه "روبين" . وأربونة من أقدم مدن  
الأرض ، وقد تعاقب على ملكها عدد من الأمم ، من أسبقهم  
السليتون من القرن (١٢ ق.م) ، وآخرهم قبل المسلمين  
القوط . (شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٨٦-٨٧) .  
وقال ياقوت : بلد فى طرف الشجر من أرض الأندلس ، بينها  
وبين قرطبة ألف ميل . (انظر : معجم ، ١٤٠/١) .  
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - حسين مؤنس : فجر  
الأندلس ، ص ١٤٠ - خليل السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٢٥ .

وان قيامها كان فى اواخر خلافة عمر ، فهذا يعنى انها استغرقت ماينيف على العام والنصف ، وهى فترة زمنية كبيرة اذا ماقيست بالانجازات التى تحققت ابانها مع عظمتها ، خصوصا اذا ماوجدنا من يقول أن السمح قد توجه نحو طولوشة التى استشهد بالقرب منها فى ربيع سنة ١٠٢هـ ، حيث أن ذلك يشككنا فى أن يكون السمح قد قضى الوقت الذى سبق خروجه الى طولوشة فى فتح اربونة وماحولها . وتنظيم الامر هناك .

كما أن الناظر الى مقام به السمح فى بداية ولايته من تنظيمات ادارية ومالية ، ومنشآت عمرانية ، واصلاحات داخلية، وجهود عسكرية استهدفت القضاء على الفتن الداخلية كإخماده لحركة العصاة المسيحيين فى المناطق الشمالية . يراها كفيالة بشغل الفترة التى قضاها السمح كامير للاندلس فى

- (١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٠ .
- (٢) قام السمح بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز بمسح الاندلس واخراج الخمس ، والكتابة الى الخليفة بصفتها (انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٨ - المقرئ : نفح ، ١٣/٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٣٥ .
- (٣) من ذلك بناء قنطرة قرطبة ، وسورها ، ومقبرتها ، وجامع سرقسطة ، وغير ذلك . (انظر / مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر أمرائها ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، نشر دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٣٠-٣١) وقد أشار أن بناءها تم سنة ١٠١هـ ، مما يقوى ماسنذهب اليه من القول أن حملة السمح كانت فى خلافة يزيد لاعمر) - حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٣٩ - محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٧ .
- (٤) المراكشى : المعجب ، ص ٢٤ - محمد زيتون : نفس المرجع، ص ١٩٦-١٩٧ - خالد الموفى : تاريخ العرب فى الاندلس ، ص ٢٠٩ .
- (٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ .

أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز ، خصوصا أن معظم تلك الأعمال جاء الأمر بها من الخليفة عمر الى السمع وبدأ في تنفيذها (١) (سنة ١٠١هـ) . بل قيل أن جابر مولى عمر والذي وكل بمهمة مسح الأندلس ، جاءه الخبر بموت الخليفة عمر وهو لم يفرغ من (٢) تخميس أرض الأندلس .

أما منطق الأحداث ، وسمة سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فإنها تصوره غير راغب في التوسع ، مقدما الإصلاح الداخلي ، ونشر الاسلام بين رعايا الدولة ، مع المحافظة على ديار الاسلام وعزة أهله ، على ذلك . وعلى وجه الخصوص سياسته نحو الأندلس ، فإن المصادر تشير الى تفكير الخليفة عمر في نقل المسلمين من الأندلس وأخراجهم منها ، لبعدهم وانقطاعهم عن المسلمين ، فعدل عن ذلك بعد علمه بقوتهم ومنعتهم فيها . فليس لنا بعد معرفة موقف عمر هذا ، وسياسته الحربية المتمثلة في إيقاف الفتوح عند الحدود التي وصلت اليها مع المحافظة عليها . أن نقول بخروج السمع بتلك الحملة الكبرى لفتح بلاد الغال في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، أو دون علمه وأذنه .

وهذا بالتالى يدفعنا الى ترجيح قيام السمع بن مالك بحملته في بداية خلافة يزيد بن عبد الملك ، الذي اتسم عهده

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦ - مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٠-٣١ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨ .

(٣) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة - ابن القوطية : نفس المصدر والصفحة (قال : أنه كتب بذلك الى السمع ، فأخبره بقوة المسلمين وكثرة مدائنهم ، وشرف معاقلهم) - مجهول : نفس المصدر ، ص ٣٠ - المقرئ : نفح ، ١٤/٤ .

بالعودة الى سياسة التوسع وتجديد عملية الفتوح ، ولانستبعد أن يكون السمح قد بعث الى الخليفة الجديد ببيعة اهل الاندلس ، واستأذنه في استئناف الفتح في بلاد الغال ، فأذن له ، وكانت حملته الشهيرة التي استشهد على أثرها .

وعليه فمن المرجح أن يكون السمح قد قضى على حركة أخيلا بن غيطشة في طركونة<sup>(١)</sup> ، وهو في طريقه الى بلاد الغال ، أبان خلافة يزيد بن عبد الملك ، ويغلب أن يكون السمح قد قضى عليها بمن سار معه من قرطبة ، وقبل الوصول الى برشلونة ، التي اتخذها قاعدة تجمع ، اجتمع له فيها الجيش الاسلامي من نواحي الاندلس الاخرى ، إذ أن طركونة تقع في طريق برشلونة للقادم من قرطبة .

وبعد هذه المناقشة لتحديد بداية الحملة التي قام بها السمح بن مالك لفتح بلاد الغال ، نقوم بعرض لاهم أحداثها وماحققته من فتح ونتائج ، ولعل في ذلك تفسيراً أوضح لما ذهبنا اليه .

#### حملة السمح بن مالك على بلاد الغال :

مهد السمح بن مالك لغزوه ماوراء البرشات ، بتوجيه البعوث والمرايا الى بلاد الغال ، خلال انشغاله بالتنظيمات التي قام بها في الاندلس . ويبدو أنه أراد بذلك تبين أحوال<sup>(٢)</sup>

(١) من أجل قضاؤه على حركة أخيلا في طركونة ، (انظر ماكتبناه عن تلك الحركة قبل : الفصل الثاني ، المبحث الخامس ، ص ٢٦١-٢٦٢) .  
(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ١٣٥ .

تلك البلاد وقوة أهلها ، الى جانب احياء روح الجهاد في نفوس الجند وجعلها ميدانا لتدريبهم واكسابهم الخبرة .  
لقد كان السمع رجلا قوى الايمان جم النشاط ، من خيار اهل زمانه ثقة وعدالة ، توفرت فيه الحكمة والخبرة والعقل فاجتمع عليه الناس ورضوا به ، مما ساعده على القبض على زمام الامور بكل حزم ، فقمع الفتن وأصلح الامور المالية والادارية والعسكرية في ولايته .<sup>(١)</sup>

وكانت ولايته تجديدا للغزو واستئنافا للفتح فيما وراء البرتات ، فانه ماكاد يخلص من مهمة التنظيم والاصلاح ، حتى هب لتوطيد سلطان الخلافة في الولايات الشمالية ، وحرب الاعداء فيما وراء البرتات .<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>

لقد اتخذ السمع بن مالك من مدينة برشلونة قاعدة لتجمع الجيش الاسلامي ، المتوجه لفتح بلاد الغال ، وكان اختياره لها قاعدة لاعماله الحربية موقفا ، وذلك لموقعها البحري وصلاحيه مينائها لرسو السفن ، مما يسهل ارسال الامدادات العسكرية منها عن طريق البحر الى الساحل الجنوبي لبلاد الغال ، وبالاخص مدينة اربونة التي ستكون بعد فتحها

(١) المراكشي : المعجب ، ص ٢٤ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٢٤٦-٢٤٧ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤ - خالد الصوفي : تاريخ العرب في الاندلس ، ص ٢٠٩ .

(٢) محمد عنان : نفس المرجع ، ص ٧٥-٧٦ . (انظر جهوده في اخماد الحركات التمردية في الشمال ، قبل : الفصل الثاني ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٤-٢٥٥ ، والمبحث الخامس ، ص ٢٦١ .

(٣) حسين مؤنس : نفس المرجع والمفحة .

(٤) برشلونة : قال ياقوت "برشليانة" بلدة بالاندلس من اقاليم لبله (انظر : معجم البلدان ، ١/٣٨٤) . وهي مدينة على الساحل الشرقي للاندلس في الشمال منه بالقرب من جبال البرتات .

قاعدة اسلامية متقدمة فيما وراء البرتات ، كما أن قربها من ممرات جبال البرتات ، وخاصة ممر "باربينيان" الموصل بين برشلونة وأربونة ، والذي سارت منه جيوش الاسلام الفاتحة الى بلاد الغال ، يدل على حسن اختياره وبعد نظره .<sup>(١)</sup>

وفى اوائل خلافة يزيد بن عبد الملك زحف السمح بن مالك من برشلونة ، فى جيش كبير ضم جماعة من وجوه اهل الاندلس ، قادة وزعماء ، مخترقا جبال البرتات من الشرق ناحية روسيون وعبر ممر باربينيان ، حتى اشرف على سبتمانيا من بلاد الغال وظل يتقدم بجيشه حتى وصل الى مدينة أربونة ، فغرض عليها الحصار ، وتمكن من فتحها بعد ثمانية وعشرين يوما . ويبدو أن الاستيلاء عليها كان عنوه ، ان يقول شكيب ارسلان : فقتل - يعنى السمح - رجالها وسبى نساءها وأطفالها .<sup>(٢)</sup>

ونظرا لأهميتها المتمثلة فى استراتيجيتها موقعها

- (١) خليل السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ١٢٥ .
- (٢) سبتمانيا : اقرب ولايات غالة ناحية الاندلس ، وتشتمل على سبعة مدن هى : أربونة ، ونيمه ، وآجد ، وبيزييه ولوديف ، وقرقشونة ، ومجلون ، وأربونة عاصمتها ، وقد كانت تابعة للقوط الغربيين . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٣٧) .
- (٣) أرخ محمد عنان لزحف السمح على سبتمانيا ب (أواخر سنة ٧١٩م /أى أوائل سنة ١٠١هـ) . انظر : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ . وعن التاريخ لبداية هذه الحملة . (انظر : قبل ، ص ٣٨٧-٣٨٨) .
- (٤) عن مسير السمح بجيشه حتى وصوله أربونة ، (انظر : محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ - خليل السامرائى نفس المرجع والمفحة - شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٨٥ - محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٧-١٩٨) .
- (٥) لم نستطع الوصول الى تاريخ محدد لخروج الحملة ، أو وصولها أربونة . ولكننا رجحنا حدوث ذلك أوائل خلافة يزيد بن عبد الملك . (انظر مناقشتنا لذلك قبل : ص ٣٩٠) .
- (٦) نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٨ .

الجغرافى ومواقبتها للبحر ، مما يسهل وصول الامدادات اليها بحرا من موانئ الاندلس الشرقية ، الى جانب منعها الطبيعية من جهة البر وقربها من الديار الاسلامية فى الاندلس ، اتخذها السمع بن مالك قاعدة (مسلحة) للمسلمين فى بلاد الغال ،<sup>(١)</sup> فحصنها وشحنها بالميرة ، كما وضع حاميات اسلامية فى المدن المجاورة لها ، بعد فتحها . وتمشيا مع عادة المسلمين فى بناء الابراج والحصون على قمم الجبال ، لاستخدامها فى المراقبة والانذار ، حيث كانت المسلمين توقد بها النيران ليلا ، اعلاما بهجوم الأعداء ، ووقوع الحرب ، مما يترتب عليه جمع القوى وتوجيه الامدادات ، قام السمع بن مالك ببناء بعض الحصون والابراج على الساحل الجنوبى لبلاد الغال .<sup>(٣)</sup>

وهكذا أصبحت برشلونة قاعدة جنوبية داخلية لتجمع القوات الاسلامية الآتية من سائر الاقاليم الاندلسية ، ومنها تسير الى القاعدة الشمالية أربونة ، والتي أضحت بعد فتحها وتحصينها أقصى ثغور الاسلام ، والقاعدة الاسلامية المتقدمة التى تخرج منها جيوش الاسلام الفاتحة ، الى اقاليم بلاد الغال المختلفة .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) دلى شكيب أرسلان على منعة أربونة الاسلامية ، بصمودها بعد فتحها وصورتها شغرا اسلاميا ، أمام حصار شارل مارتل (سنة ٧٣٢م/١١٣-١١٤هـ) ، وحصار ببين القمير (سنة ٧٥٢م/١٣٤-١٣٥هـ) . حتى تمكن شارلمان منها (سنة ٧٥٩م/١٤١-١٤٢هـ) بعد أن ثار أهلها على الحامية الاسلامية لطول الحصار الذى استمر سبع سنوات . (انظر : غزوات العرب ، ص ٨٨) . وفى ذلك إشارة على ما صنع المسلمون فيها من تحصينات وترتيبات عسكرية .
- (٢) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٨ .
- (٣) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .
- (٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - خليل السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٢٥-١٢٦ .

وبعد أن حصن السمح أربونة وشحنها ، خرج بجندة فاتحا  
 لمدن وحصون اقليم سبتمانيا التابع للقوط الغربيين ،  
 فاستولى على قرقشونة <sup>(١)</sup> ، وماصادفه غيرها من مدن ذلك الاقليم  
 وحصونه ، مثل بيزى وماجلون ، وقد عرفت الاخيرة باسم "شفر  
 المسلمين" <sup>(٢)</sup> . فيبدو أن المسلمين اتخذوها قاعدة فحصنها  
 وجعلوا بها قوة عسكرية ، وقد تمكن السمح أثناء اجتياحه  
 لجنوب بلاد الغال ، من التغلب على كل القوى التى قاومته  
 وتمدت لزعفه حتى اتم فتح جميع نواحي سبتمانيا <sup>(٣)</sup> .  
 وقد ارخ محمد عنان لفتوح السمح فى سبتمانية ب (سنة  
 ١٠١هـ / ٧٢٠م) . ويشير حسين مؤنس الى قيام السمح بالزحف على  
<sup>(٤)</sup>  
<sup>(٥)</sup>  
<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) قرقشونة : مدينة فى غاله على نهر الاود . (شكيب ارسلان  
 غزوات العرب ، ص ٢٨-٢٩) . ويقول ياقوت : انها مدينة  
 غزاها موسى بن نصير ، حين افتتح الاندلس ، وفيها  
 الكنيسة العظيمة عندهم المسماة "شنت مارية" . (انظر:  
 معجم البلدان ، ٣٢٨/٤) .
- (٢) بيزى وماجلون : من المدن السبتمانية ، (انظر ذلك  
 قبل : هامش ص ٢٩٣) .
- (٣) يجعل بعض المؤرخين كابراهيم على طرخان فتح السمح  
 لهذه المدن وهو فى طريقه الى طولوشة ، وهذا يتنافى  
 مع منطق الاحداث ، إذ سترى السمح ينظم امور سبتمانية  
 الادارية والمالية ويجعل لها حكومة مقرها أربونة ،  
 قبل توجهه الى طولوشة عاصمة اكيثانية ، مما يعنى انه  
 فتح سبتمانيا أولا فنظم امورها ، ثم اتجه الى  
 اكيثانية . انظر : المسلمون فى أوروبا فى العصور  
 الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م ،  
 ص ١٠٢-١٠٣ .
- (٤) عن فتوح السمح فى سبتمانية ، (انظر : محمد عبد الله  
 عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ - حسين مؤنس : فجر  
 الاندلس ، ص ٢٤٦-٢٤٧، ٢٩٣-٢٩٤ - محمد زيتون : المسلمون  
 فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٧-١٩٨) .
- (٥) نفس المرجع والصفحات .
- (٦) نفس المرجع ، ص ٢٩٣-٢٩٤ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ  
 الاسلام ، ٣٢٠/١ .



(١)  
اقليم بروفانس ، وايغاله شرق الردانة ، بل ووصله شمالا  
الى مدينة ليون عاصمة اقليم برغنديا .  
(٢)

ويبدو ان هذا الزحف على بروفانس وبرغنديا كان مجرد  
اغارات سريعة ، هدفها التهديد ، لئلا يفكر أهلها فى الهجوم  
على المسلمين فى سبتمانيا ، أو التحالف مع أهل اكيثانية ،  
والتي كان السمع يعتزم فتحها ، وذلك انما لم نجد أشرا يدل  
على محاولة المسلمين تثبيت أقدامهم فى هذين الاقليمين ،  
سوى بعض الحصون الساحلية جنوب البروفانس ، مما يدل على أن  
السمع استهدف من هذا الزحف تأمين وجود المسلمين فى  
سبتمانيا من الناحية الشرقية ، باقامة هذه الحصون وارهاب  
من ورائها شرقا وشمالا .

ولاشك ان السمع قد فقد جزءا من جنده ابان تلك الحروب  
كما ترك بعضا منهم كحاميات اسلامية فى المدن والحصون التي  
افتتحها ، حفاظا عليها وبقاء للسيادة الاسلامية فيها . ومن  
الواضح ان السمع بعد ذلك الجهد العسكى الكبير ، قد عاد  
الى اربونة لأخذ قسط من الراحة ، واعداداً للجولة الثانية  
من فتوحه ، كما كان عليه تنظيم امر سبتمانية بعد أن أتم  
فتحها .

- 
- (١) بروفانس : اقليم يقع الى الشمال الشرقى من سبتمانيا  
على وادى ردونه (نهر الرون) ، وعاصمته مدينة  
"أبينيون" . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ  
المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٣٧) .  
(٢) برغنديا : اقليم يقع غربى نهر الرون ، وعاصمته مدينة  
لودون (ليون) . (السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع  
والصفحة) .  
(٣) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٧-  
١٩٨ .

### تنظيمات السمع فى سبتمانية :

عمل السمع بن مالك على تنظيم الأمور الادارية والمالية لاقليم سبتمانية ، فوزع الاراضى بين المسلمين وأهالى البلاد الاصليين ، وفرض الجزية على النصارى ، وترك لهم الحرية الدينية ، والاحتكام الى شرائعهم . كما اقام بها حكومة اسلامية ، تتولى شئونها وترعى مصالحها . وهذه الاجراءات ، تبين بلاشك عزم المسلمين على البقاء ، وأن فتوحهم لم تكن غارات خاطفة سرعان ما يعودون بعدها الى الاندلس ، بل فتح اسلامى منظم يستهدف فتح ديار الكفر وجعلها اسلامية ، تعلق بها كلمة الله ويطبق بها شرعه . فالسمع اراد بذلك تثبيت اقدام الفاتحين فى البلاد التى استولوا عليها ، واضفاء الميعة الاسلامية عليها ، الى جانب اتخاذها قاعدة عسكرية ومرتكزا يلجأ اليه بعد الله وقت الحاجة ، مما يبين حنكة السمع وخبرته .

### لغزو السمع اقليم اكيثانية :

ما أن فرغ السمع بن مالك من فتح اقليم سبتمانية وتنظيم أموره ، حتى اتجه بجيشه غربا نحو مجرى نهر الجارون

(١) تلك سياسة اتبعتها الخليفة عمر بن عبد العزيز فى الاندلس ، استهدفت تثبيت جذور المسلمين ، وتعريب الاقاليم المفتوحة ، وايجاد مصالح للمسلمين فيه . (نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٩٠) . ويتضح أن السمع الذى نفذها لعمر بن عبد العزيز فى الاندلس ، عمل على تطبيقها فى حالة فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك . (انظر : مناقشتنا لهذه السياسة فى شيء من التوسع ، بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى ، ص ٥٨٥ وما بعدها) .

(٢) محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ - عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٨٧ .

قامدا اقليم اكيثانية (أكوتين) ، وبالذات عاصمتها مدينة طولوشة . واتجاه السمع هذا يعنى ان غزوه موجه الى مملكة الفرنج ، وان كان الدوق "أودو" أمير اكيثانية قد استقل بها عند ضعف الملوك الميروفنجيين . وفى طريقه تمضى لزحفه سكان تلك الأثناء من البشكنس والغسقونيين ، ولقى منهم أشد المقاومة ، لكنه تمكن من تمزيق جموعهم والانتصار عليهم ، فقمى طولوشة ، وفى طريقه اليها فتح مدينة طرسكونة . ثم

- (١) طولوشة : (وتنطق تولوشة ، طولوزه ، تولوز) اخذت شكلها كمدينة فى عهد الرومان ، ثم صارت قاعدة مملكة التكتوارجيين ومركز علم وصناعة ، وبعد سقوط سلطنة روما صارت عاصمة لملوك القوط فى القرن الخامس الميلادى ، ثم أصبحت مركزا لدوقية اكيثانية فى القرن السابع والثامن ، ثم صارت كونتية مستقلة ، ولم تنضم الى مملكة فرنسا الا سنة ١٢٧١م . وقد كان غزو السمع لها لمضى احد عشر سنة على دخول العرب الأندلس . (شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٧-٢٨-٩٥) .
- لكن عبد الرحمن الحجى ، يجعل عاصمة اكيثانية مدينة برديل (بورديو) . (انظر : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٠٤-٢٠٥) . الا أن شكيب أرسلان يخالفه فى ذلك ، فيقول : أن مدينة بورديو التى يسميها العرب "بورديل" وهى مدينة غرب فرنسا ، هى قاعدة مقاطعة "الجيروند" التى كان العرب يقولون لها "جيوئده" . (انظر : نفس المرجع هامش ٣ ، ص ١١٧-١١٨) .
- (٢) كان "أودو" دوق اكيثانية ، وأحد أفراد الأسرة الميروفنجية ، أقوى أمراء الفرنج فى غاليا واشدهم بأسا ، استقل باكيثانية أثناء الاضطراب الذى ساد مملكة الفرنج ، وبسط حكمه على جميع بلاد الغال الجنوبية من اللوار الى البرتات ، والتف حوله الفرنج والبشكنس (النافاريون) وأخذ يعد نفسه لانتزاع ملك أسرته من شارل مارتل ، المتغلب عليه . لكن غزو المسلمين شغله عن مشروعه ، وانصرف لردهم عن أملاكه . (محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٠-٨١) .
- (٣) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢١٤ .
- (٤) طرسكونة : لم أعثر لها على تعريف . ومن قول حسين مؤنس : يتضح أنها على مقربة من طولوشة ، عند مصب نهر الرون . (انظر : فجر الأندلس ، هامش ص ٢٤٧) .

استمر في زحفه حتى نزل على طولوشة ف ضرب السمع عليها  
الحصار ، وجد في قتال أهلها ، مستخدما المنجنيق وسائر آلات  
الحصار ، حتى أوشك أهلها على التسليم . لكن الأمير أودو هب  
لإنقاذ المدينة ، ففك المسلمون عنها الحصار والتفتوا لقتال  
(١)  
(٢)  
أودو وجيشه .

#### معركة طولوشة :

روعت فتوحات السمع بن مالك في سبتمانيا ، الأمير أودو  
دوق اكيثانية ، الذي كان متجنباً مجابهة المسلمين مادامت  
غاراتهم بعيدة عن أمارته ، لكن الأمر بدا له مخيفاً ،  
فالقائد المسلم لم تكن فتوحاته غارات خاطفة تستهدف تهديد  
العدو واضعاف قوته ، أو لاهداف مادية ، بل أن أودو وجد  
نفسه أمام قائد يوطد للمسلمين مافتحه ، وينظم ما استولى  
عليه . ويحمي مكتسباته بما يكفل ديمومة السلطان الاسلامي  
فيها ، ويهيئها لتكون مرتكزا يلوذون به عند الحاجة ،  
وقاعدة ينطلقون منها الى ماوراءها . بل أن السمع اتبع  
سياسة توطين المسلمين في البلاد التي تم فتحها . فقد جاز

- 
- (١) ينفرد أحمد العبادي بالقول : أن المسلمين فتحوا  
مدينة طولوشة ، ثم توغلوا بقيادة السمع في إقليم  
اكيثانية . (انظر : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧) .  
(٢) من أجل زحف السمع على اكيثانية ، وفتح طرسكونة ،  
وحصاره طولوشة . (انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ،  
ص ٢٤٧ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٥-٧٦ ،  
٨١ - شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٥-٩٦ - ابراهيم  
طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص ١٠٣ - السيد عبد  
العزيز سالم : تاريخ المسلمين وشارهم في الاندلس ،  
ص ١٣٧-١٣٨ - خليل السامرائي : الشجر الأعلى ، ص ١٢٧ -  
محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ١٩٨-  
(١٩٩) .

بجندة جبال البرتات وقد احتملوا معهم نساءهم وأولادهم ،  
مما يؤكد عزمهم على الاستقرار وضم تلك البلاد الى دولة  
(١)  
الاسلام .

وهذا ما ولد الخشية فى نفس أودو الذى اظنه كان على  
يقين بأن السمح سيسعى لتأمين سبتمانيا ، بعد أن نظم  
شئونها ، وأقام بها حكومة اسلامية ، باعتبارها قد اصبحت  
جزءا من الممالك الاسلامية ، وهذا ما يستلزم تأمينه ، وذلك  
عن طريق التوسع فيما حوله . والمسلمون كما يقول هاشم  
الجامى : اهتموا منذ اللحظة الاولى بتأمين ممتلكاتهم ، وقد  
سعوا من أجل ذلك على قاعدة عامة تتمثل فى أن كل توسع  
اسلامى يستدعى تأمينه فتحا وتوسعا جديدا .  
(٢)

ونحن نأييدا لرايه نقول : ان كان موسى بن نصير قد  
جاز جبال البرتات على أمل فتح أوروبا من ناحية الغرب ،  
والوصول الى القسطنطينية وفتحها من ناحية البر الأوروبية ،  
فان السمح بن مالك قد خرج الى بلاد الغال فاتحا ليعلى كلمة  
الله ، وينشر دينه ما استطاع ، وليؤمن فتوحات المسلمين فى  
الاندلس ، بالتوسع فيما وراءها . وهذا مادفع الأمير أودو  
الى حشد الجند وتجهيز الجيش ، تحسبا لهجوم المسلمين  
(٣)  
(٤)

- 
- (١) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٨٥ .  
(٢) دراسات تاريخية عسكرية ، ص ٦٦ . (وقد عنى باللمظة  
الاولى ، فتوح المسلمين فى الشام وما استلزمه الحفاظ  
على سيادة المسلمين فيها من فتح لمصر و اقليم الجزيرة )  
(٣) انظر ذلك قبل : ص ٤٠ .  
(٤) ان لم يكتب النجاح لحملة السمح فى اجتياح غالة ،  
فانه قد وفق فى كسب ثغر اسلامى متقدم فيما وراء  
البرتات ألا وهى مدينة أربونة ، وبعض حصون سبتمانية  
الجنوبية . التى غدت قاعدة انطلاق للفتوحات اللاحقة ،  
ودراء للمسلمين فى الاندلس فى حالة الدفاع .

المرتقب ، واستعدادا لمدهم عن ممتلكاته .  
 الا أن الهجوم الاسلامى كان أسرع فيما يبدو مما توقع  
 أودو ، فما انتبه الا وجند الاسلام يطوق طولوشة (طولوزه)  
 بحصار محكم جاد ، وعاصمة امارته تثن من وقع ضربات  
 المسلمين وصدق قتالهم ، حتى كاد أهلها أن يسلموها . فهب  
 لانقاذ عاصمته ، وسار بجيشه حتى اقترب من طولوشة والمسلمون  
 محاصرين لها ، فلما علموا بمقدمه اضطروا لفك الحصار عن  
 المدينة والتفتوا اليه ، وكان جيشه من الكثرة ماجعل مؤرخو  
 العرب يقولون : " أن العثير المتطاير من زحف اقدامهم كان  
 يغطى عين الشمس من كثرتهم " . وقيل : أن عدده كان عشرة  
 اضعاف عدد الجيش الاسلامى . ومع ذلك فان المراجع لم تزودنا  
 بعدد محدد لكلا الجيشين . فالتقى الجيشان بالقرب من طولوشة  
 وقد أعد السمح جنده معنويا وبث فيهم روح الجهاد الصادق ،  
 وقرا عليهم بعض آيات النصر ، ونشب القتال فى معركة عنيفة  
 غير متكافئة ، صدق فيها المسلمون القتال ، وبلغت من الهول  
 ما لا يتصوره العقل ، حتى خيل عند تلاقى الجمعين ، أن الجبال

(١) لم تشر المصادر أين كان أودو عن عاصمته ، ومن أين  
 قدم على المسلمين بجيشه . والمتوقع أنه خرج يستنهض  
 الناس لحرب المسلمين ومدهم عن بلاده ، وقد يكون اتخذ  
 منطقة لتجمع الجند ، أو عسكر فى موقع ظن أن المسلمين  
 سيأتونه ، ففوجئ بهم وقد حاصروا عاصمته ، فاتجه  
 اليهم .

(٢) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٩٥-٩٦ .  
 (٣) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ، ص ١٩٨-١٩٩  
 (٤) يشير حسين مؤنس أن بعض المراجع تذكر أن حدوث هذه  
 المعركة كان عند طرسونة . وقال : أن الأصح أن يقال  
 انها عند طرسونة على مقربة من طولوشة عند مصب الرون  
 (انظر : فجر الاندلس ، ص ٢٤٧) . والصحيح أن طرسونة  
 مدينة بالاندلس ، من أعمال تطيلة . (ياقوت : معجم ،  
 ٢٩/٤) . وهذا يسند قول حسين مؤنس ويقويه .

تلاطمت . وظل القتال سجالا بين الغريقين ، وقد أبدى المسلمون فيه ضروب الشجاعة ، وهم يقتدون بقائدهم ، الذى كان يشدهم بقوله وفعله ، ويجدون له فى كل مكان ، يحمل على الأعداء فلا يقف فى وجهه شيء . غير أن القائد المسلم أصيب برمح فى رقبته خر على أثره صريعا ، ومات شهيدا . فلما رأى المسلمون ما أصاب أميرهم ، فت ذلك فى أعضادهم وأثر فى نفوسهم ، فاختل نظام الجيش ، وحينها ولوا عليهم أحد كبار الجند وهو عبد الرحمن الغافقى الذى تمكن من الانسحاب ببقية الجيش فى مهارة حرمت الفرنج من تعقب المسلمين ، واصابتهم فى حالة التقعر ، حتى وصل أربونة . وكان حدوث هذه المعركة واستشهاد السمح بن مالك الخولانى فى (٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ / ١٠ يونيو سنة ٧٢١م) . كما استشهد فيها (٢)

- (١) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٥ .
- (٢) يشذ عن هذا التاريخ المجمع عليه فى جل المصادر الإسلامية والأجنبية ، الطبى فى كتابه : بغية الملتمس ، ص ٣٠٣ ، والذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٧/٤ وكوندى المشار الى قوله فى كتاب محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ . حيث أرخ هؤلاء لها ب (سنة ١٠٣هـ) . كما خالفهم المقرئ نفع الطيب ، ١٤/٤ فى اسم المعركة التى استشهد بها السمح بن مالك ، فقال : قتل فى وقعة البلاط (يعنى بلاط الشهداء) . وهذا لبس منه بين استشهاد السمح وعبد الرحمن الغافقى الذى استشهد فى بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ . (انظر عن استشهاد الغافقى فى بلاط الشهداء : احمد العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٨) . وهذا مادفع حسين مؤنس الى اتهام المقرئ بعدم الدقة (انظر فجر الأندلس ، ص ٢٧٢) ، كما أرخ لها كل من شكيب أرسلان غزوات العرب ، ص ٩٦ - وسيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٣١-١٣٢ - ب (شهر مايو/أيار سنة ٧٢١م/أى ذو القعدة سنة ١٠٢هـ) والأصح ما قدمناه فى المتن . فشبّه الأجماع بالنسبة للمصادر الإسلامية على ٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ . وهذا يقابل ١٠ يونيو سنة ٧٢١م . (انظر للتأكد من هذه المقابلة : اللواء محمد باشا : التوفيقات الإلهامية ، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ١/١٣٤) .

عدد كبير من المسلمين ، حتى قيل مبالغة : انهم قتلوا عن  
(١)  
آخرهم .

ومن الواضح ان عبد الرحمن الغافقى ، ابقى جزءا من  
جيشه فى اربونة يحرس فتوح المسلمين فى سبتمانيا ويبقى على  
سيادة المسلمين هناك ، ثم انصرف عائدا الى قرطبة بما تبقى  
معه من الجند ، وظل يدير شئون المسلمين فى الأندلس حتى  
قدوم الوالى الجديد عنبة بن سحيم الكلبي . وقد استطاع  
(٢)  
ابان هذه الفترة الوجيزة ، ان يستبقى الجزية على اربونة  
وغيرها من قواعد سبتمانيا ، وان يخمد بوادر الخروج التى  
ظهرت فى الولايات الجبلية الشمالية . ويبدو ان خسارة  
(٣)  
المسلمين امام اودو وجيشه ، واستشهاد قائدهم السمح بن  
مالك الخولانى قد اطمع اهل المناطق التى تم فتحها فى  
المسلمين ، وحاولوا التمرد على سلطانهم ، والخروج على  
طاعتهم . ان يقول شكيب ارسلان : انه لما شاع خبر انكسار  
(٤)  
المسلمين فى الوقعة التى حدثت بينهم وبين اودو دوق  
أكيتانية بالقرب من طولوشة ، هب اهل اللانغدوق والبيرانة

- (١) عن معركة طولوشة . (انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ،  
ص ٢٤٦-٢٤٧، ١٤٠، ٢٧٢ - شكيب ارسلان : غزوات العرب ،  
ص ٩٥-٩٦ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ - محمد  
زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، ص ١٩٨-١٩٩ -  
خليل السامرائى : الشجر الأعلى ، ص ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨ -  
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى  
الأندلس ، ص ١٣٧-١٣٨ - سيد أمير على : مختصر تاريخ  
العرب ، ص ١٣١-١٣٢ - حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ،  
٣٢٠/١ .
- (٢) عن عودة عبد الرحمن الغافقى الى الأندلس بعد تراجعه  
الى اربونة ، (انظر : شكيب ارسلان : نفس المرجع  
والصفحة - حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢٤٧ - محمد  
زيتون : نفس المرجع ، ص ١٩٩ .
- (٣) محمد عنان : نفس المرجع ، ص ٨١-٨٢ .
- (٤) نفس المرجع ، ص ٩٦ .



لخلع طاعة المسلمين ، الا أن المسلمين كانوا متمكنين في أربونة ، وجاءتهم نجدات من الأندلس ، فشنوا الغارات على أهل تلك البلاد ، وأعادوهم الى الطاعة .

وعليه نرجح أن يكون عبد الرحمن الغافقى قد باشر بعد تراجعه الى أربونة ، أمر تثبيت أقدام المسلمين فيها واخماد هذا التمرد ، ثم انصرف الى الأندلس . ومن البديهي أنه قد استعمل على أربونة نائباً عنه ، ومن الأندلس قام بإرسال مدد للمرابطين في شفر أربونة يتقوون به على عدوهم فتولى عامله فيها استكمال فرض السيادة الإسلامية على إقليم سبتمانية ، وإعادة من تمرد الى الطاعة .

وبوقفة نتقصى فيها أسباب خسارة المسلمين في طولوشة والتي كانت أول خسارة يتعرض لها المسلمون في بلاد الغال نجد أن السبب المباشر منها هو تفوق جيش العدو عدداً واستعداداً ، ومقتل قائد المسلمين في أرض المعركة ، وهو أمر عظيم الأثر في نفوس المحاربين الأوائل ، وغالباً ما أدى الى هزيمة الجيش الذي يسقط قائده في ساعة القتال .<sup>(١)</sup>

وان كان حسين مؤنس اعتماداً على رواية أجنبية ، يشير

(١) من أمثلة ذلك في تاريخ الاسلام ، خسارة المسلمين في موقعة مؤتة أمام الروم وحلفائهم من العرب (سنة ٨هـ) عندما استشهد قادة المسلمين الذين حددتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة . فعاد بالجيش خالد بن الوليد الى المدينة ، وكذلك خسارة المسلمين في معركة (الجسر) سنة ١٣هـ ، وكانت ضد الفرس ، عندما استشهد قائدهم أبو عبيد الثقفى ومن أوصى به من القادة بعده وكانوا سبعة ، فتراجع المثنى بن حارثة ببقية الجيش الى الحيرة . (انظر عن ذلك : ابن الأثير : الكامل ، ١٥٨/٢ - ٣٠١، ٣٠٣) .

(١)

الى علاقة مصاهرة وتحالف تمت بين مونوسه وبين أودو دوق  
اكتانية ، فعمل على ايداء العرب . وهذا ماجعل حسين مؤنس  
يظن أن يكون هذا التحالف أحد أسباب هزيمة المسلمين عند  
طولوشة .<sup>(٢)</sup>

ونحن لانؤكد هذه الرواية ، إذ لم نجد لها ذكرا في  
المصادر الاسلامية ، وعلى ذلك لانستطيع موافقة حسين مؤنس في  
اتخاذ تلك العلاقة سببا لخسارة المسلمين امام أودو ، لأن  
ذلك مجرد فرض ليس له قرينة تقويه ، وقد اعتمد على رواية  
مطعون فيها . ونحن لانستبعد أن يكون من الأسباب المباشرة  
التي أدت الى خسارة المسلمين خروج أهل طولوشة بعد فك  
الحصار عنهم ، ومشاركتهم في المعركة ، فوقع المسلمون بين  
كماشتى جيش أودو من الامام ، وقوة المدينة من الخلف .  
ونؤيد حسين مؤنس فيما ذهب اليه ، من أن اعتماد القادة في  
فتوحاتهم فيما وراء البركات على البربر ، كان من عوامل  
الضعف في الجيش الاسلامي . إذ لم يشترك من العرب الا أعداد  
قليلة ، حيث أن من عبر منهم الى الأندلس ، كان بالكاد يكفي  
لفرض السيادة على الأندلس ، بعد استقرار العرب فيه ، فكان

(١) كان مونوسه على حد قوله : من الجنس البربري ، كان  
أميرا من قبل أمير الأندلس على المنطقة الشمالية في  
الأندلس ، وكان مركزه مدينة خيخون . (انظر : حسين  
مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣١٩، ٣٥١) . لكن خليل  
السامرائي يشكك في هذه الرواية من الأصل ، ويؤكد أن  
شخصية مونوسه منتحلة ، وأنها من كيد الملبية  
الغربية ، التي تستهدف الطعن في الاسلام وتاريخه .  
معتمدا في ذلك الى خلو المصادر الاسلامية من هذا الخبر  
وبعض الدراسات الحديثة حول هذه التهمة . (انظر :  
الشعر الأعلى ، ص ١٠٧-١٠٨) - وكذلك عبد الرحمن الحجى :  
التاريخ الأندلسي ، ص ١٩٢-١٩٣ .  
(٢) فجر الأندلس ، ص ٢٥١-٢٥٣ .

غيابهم عن الفتوح فى بلاد الغال وهم مادة الاسلام واهل الخبرة ، من اهم الاسباب التى أدت الى فشل الحملات الاسلامية هناك . كما أن بعد المسلمين فى الأندلس عن مركز الدولة ، حرمهم من توجيه الحكومة وامداداتها . كما ينفى حسين مؤنس (١) ايعاز ذلك الى الجشع فى الغنائم ، او قوة الدولة الفرنجية .

## (٢) فتوحات عنبسة بن سحيم الكلبي فى بلاد الغال :

(٢)  
استمر عبد الرحمن الفافى اميرا للأندلس بتقديم اهل الأندلس له منذ استشهاد اميرهم السمع بن مالك الخولانى تاسع ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) ، حتى قدوم عنبسة بن سحيم الكلبي اميرا للأندلس ، من قبل بشر بن مفوان عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على افريقية والمغرب ، وذلك فى (مفر سنة ١٠٣هـ) .  
ومن هنا يأتى دور القائد الامير عنبسة بن سحيم الكلبي فى متابعة عمليات الفتح الاسلامى فيما وراء البرتات ، ليصل براية التوحيد الى اقصى حد وصلته الفتوح الاسلامية فى وادى

(١) فجر الأندلس ، ص ٢٩٦-٢٩٧ ، وانظر مناقشتنا لما اتهم به الفاتحون المسلمون فى بلاد الغال والرد عليه ، بعد ص ٤١٩-٤٢٠ .  
(٢) انظر ماسنذكره عن ولاية عبد الرحمن الفافى الاولى أثناء حديثنا عن سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك الادارية فى : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٣٦-٥٣٨  
(٣) عن ولاية عنبسة بن سحيم على الأندلس ، (انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٧ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٤) (لكنه لم يؤرخ لها) - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ . وكذلك ماسنكتبه عنها خلال حديثنا عن سياسة الخليفة يزيد الادارية فى : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٣٨ ومابعده .

(١)

نهر الرون حتى ذلك الحين ، ألا وهي مدينة سانس .

اذ كان عنبسة من طراز السمع بن مالك ، رجلا ثقيا  
واداريا بارعا ، وعسكريا فذا . كان حريصا على الاسلام  
وامينا على دولته . فكان خير خلف لخير سلف . (٢)

لقد شغل الامير الجديد صدر ولايته بضبط الامور في  
الاندلس ، واخماد الفتن فيها ، ومن ذلك توجهه الى المنطقة  
الشمالية في الاندلس للقضاء على حركة بلای ، واخماد التمرد  
الذي قام به أخيلا بن غيطة في مدينة طركونة حتى  
استقام له امرها ، ثم أعد نفسه للجهاد وباشير الفتح فيما  
وراء البربات بنفسه . (٣)

لكننا نواجه هنا نفس المشكلة التي واجهناها أثناء  
دراستنا لحملة السمع بن مالك ، وهي بداية خروج عنبسة بن  
سحيم بحملته الى ما وراء البربات . فغير واضح متى بدأ  
جهاده في بلاد الغال ، وكم استغرق من الوقت ، وهل خرج  
للجهاد مرة واحدة ، أم سبق حملته التي استشهد فيها غزوات  
أخرى ، وهل قادها بنفسه أم ولاها غيره من القادة ، أو كانت  
بواسطة القوات الاسلامية المرابطة في شفر اربونة . (٤)

ونحن لانفتقد التاريخ لتلك الحملة ، ولكننا نجد

- 
- (١) سانس : قسبة مقاطعة فرنسية تسمى "يوند" . (انظر :  
شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٦ ، هامش (١) منها) .  
(٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩٠ .  
(٣) من أجل خروجه للقضاء على حركتى بلای ، وأخيلا ، (انظر  
ماكتبناه عن الحركتين قبل : الفصل الثانى ، المبحث  
الرابع ، ص ٢٥٢ ، المبحث الخامس ، ص ٢٦٠) .  
(٤) المقرئ : نفح ، ١٥/٤ - الناصرى : الاستقصاء لآخبار دول  
المغرب الأقصى ، تحقيق ولديه جعفر ومحمد الناصرى ،  
دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م ، ١٠٣/١ .  
(٥) عبد الرحمن الحجى : نفس المرجع والمفحة .

الاختلاف على تاريخ خروجها ، فمن المصادر والمراجع مايؤرخ لقيامها ب (سنة ١٠٥هـ) ، وأخرى تجعلها (سنة ١٠٧هـ) . وحيث<sup>(١)</sup> أنا لم نجد تاريخا لما قام به من أعمال داخلية خصوصا جهوده في اخمد فتنى بلای واخيلا ، لنقدر على ضوئها انساب تلك التسواريخ المشار اليها لخروجه ، فانا مجبرين على تقدير ذلك بالنظر ، الى نهاية الحملة واستشهاد قائدها عنبسة بن سحيم وماتم على أثرها من فتوح ، آخذين في الاعتبار ما قام به من أعمال قبل خروجه ، مستنيرين بما قدره السابقون لنا من المؤرخين .

فبالنظر الى ما قام به عنبسة من أعمال داخلية ، خصوصا جهوده في اخمد حركتى بلای واخيلا ، وتنظيماته المالية والادارية . نجد انها ولا بد قد أخذت منه وقتا ليس بالقصير .<sup>(٣)</sup> وأيضا نجد أن فتوحه التى تمت في هذه الحملة وما قام به اثناءها من تحصينات وتنظيمات ، كانت كفيلة باستغراق وقت

- 
- (١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧/٢ - محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ (وقد حدد خروجها في أواخر سنة ١٠٥هـ/أوائل سنة ٧٢٤م) - محمد زيثون : المسلمون في المغرب ، ص ١٩٩-٢٠٠ (نقلا عن : شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٥) - خليل السامرائى : الشفر ، ص ١٢٨ (نقلا عن رينو : غزوات ، ص ١١٢) .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٩٧/٤ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٨ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٣ .
- (٣) كان لعنبسة دور في تنظيم الخراج وقسمة الأرض والعشور فيبدو أن السمع قد دفعه حب الجهاد الى الخروج بحملته قبل أن يتم ما بدأه من تنظيمات مالية وإدارية ، فعمل على اتمام ذلك عنبسة بن سحيم ، كما طاف بمختلف المقاطعات الأندلسية ينظر في المظالم وينشر العدل بين الناس . (انظر في هذا الصدد ما أورده : محمد عبد الله عنان : نفس المرجع والمفحة - محمد زيثون : نفس المرجع والصفحات .

ليس بالقليل . وعلى هذا فنحن نرجح التاريخ الأول لخروج هذه الحملة وهو (سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣ - ٧٢٤م) . وهو ماأخذ به أكثر المؤرخين الذين تعرضوا لدراستها ، كابن عذارى ، الذى يعد من المصادر القديمة المعتمد عليها فى تاريخ المغرب . ونحن بذلك نستبعد قول من أرخ لخروج عنبة بحملته ب(سنة ١٠٧هـ) وان كان التاريخ الاخير قد ورد عند ابن الاثير . اذ ان استشهاد عنبة فى (شعبان سنة ١٠٧هـ) جعل من المشكوك فيه ان يكون قد خرج بحملته فى ذلك العام . وقد قام بكل تلك الفتوحات فى ماسبق شعبان من تلك السنة .

ونحن لانعرف على وجه التحديد الشهر الذى خرجت فيه حملة عنبة الى بلاد الغال من (سنة ١٠٥هـ) ، الا أن محمد عنان يقول بخروجها فى (اواخر سنة ١٠٥هـ/ اوائل سنة ٧٢٤م) . وهذا مايجعلنا نرجح خروجها فى اوائل خلافة هشام بن عبد الملك (شعبان سنة ١٠٥هـ/ربيع الثانى سنة ١٢٥هـ) ، ان لم يكن فى اواخر خلافة يزيد بن عبد الملك .

وعطفا على ماوصلنا اليه ، يكون الاعداد والتجهيز لهذه الحملة قد تم فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقد يكون خروجها قد تم فى اواخر زمنه أيضا . أما ماتم على يد عنبة من فتوحات فى بلاد الغال فان ذلك قد حدث فى خلافة هشام بن عبد الملك .

(١) البيان المغرب ، ٢/ ٢٧ .

(٢) الكامل ، ٤/ ١٩٧ .

(٣) دولة الاسلام ، ص ٨٢ .

(٤) ذهب لمثل هذا القول عماد الدين خليل فى بحثه : دراسة مقارنة ، ص ٣٠٣ .

ومن هنا سنعرض في شيء من الإيجاز لما تم على يد هذا القائد فيما وراء البرتات من فتوحات ، كونها خارج النطاق الزمني لبحثنا ، إلا أن من المهم ذكر ذلك لتوضيح بعض مآزينا إليه ، ولتمام الفائدة .

#### فتوحات عنبسة بن سحيم فيما وراء البرتات :

صرف عنبسة بن سحيم اهتمامه مدر ولايته الى تنظيم أمر الأندلس ، وإخماد الفتن . فلما تم له ذلك ، واستقرت الأحوال في ولايته ، وكان قد أعد نفسه وجهاز جيشه ، نهض للجهاد ، والاستمرار في الفتح فيما وراء البرتات ، سيرا منه على خطى سلفه السمح بن مالك ومن سبقهما من الأمراء المجاهدين .<sup>(١)</sup>

وقد اتخذ عنبسة مدينة برشلونة قاعدة تجمع للجيش الإسلامي من مقاطعات الأندلس المختلفة ، ثم توجه (سنة ١٠٥هـ) على رأس جيشه الى بلاد الغال ، مخترقا جبال البرتات عبر ممر باربينيان ، حتى وصل الى أربونة ، فاستقر فيها ، وعمل على دعم خط الدفاع الأمامي لها . ونحن هنا نلاحظ أن عنبسة اتبع نفس الخطوات التي سار عليها سلفه السمح بن مالك ، وسار في نفس الطريق ، وذلك أمر طبيعي ، باعتبار أن برشلونة بموقعها القريب من جبال البرتات ناحية ممر باربينيان ، جعلها قاعدة حربية داخلية ، يتجمع فيها الجيش

(١) الى مثل هذا القول ذهب حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٦ - خليل السامرائي : الشجر الأعلى ، ص ١٢٨ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٣٨ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢٧ - المقرئ : فتح ، ٤/١٥ - خليل السامرائي : نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

الاسلامى من مدن الاندلس المختلفة ، ثم يسير برا أو ينقل بحرا الى اربونة ، الشجر الاسلامى المتقدم وراء البركات .  
والتي عمل السمع على تحصينها ، وتحصين ماحولها من المدن  
السبتمانية ، لتكن تلك الحصون خطا دفاعيا يصد عن اربونة  
(١)  
ويحميها .

وبعد أن عزز عنبسة تحصينات اربونة وقوى الخط الامامى  
لها ، ابتدا سلسلة فتوحاته ، باعادة السيادة الاسلامية على  
سبتمانية ، فيبدو أن المسلمين قد خسروا بعض فتوحاتهم بعد  
استشهاد السمع ولم يتمكنوا من استعادتها ، حتى وصلها  
عنبسة . ومن تلك المدن قرقشونة ، لذا سارع عنبسة الى  
فتحها . فاستولى عليها عنوة . لكنه بعد ذلك لم يسر فى نفس  
(٢)  
الاتجاه الذى سلكه السمع ، وهو التوغل شمالا نحو اقليم  
اكيثانية ، بل سار نحو الشرق مع ساحل البحر . وفى طريقه  
اعاد فتح مدينة نيم ، دون مقاومة ، وأخذ من اهلها رهائن  
(٣)  
ارسلهم الى برشلونة . ويبدو انه اتخذ هذه الخطوة مع اهل  
(٤)  
نيم ليضمن ولائهم ، وعدم انتقامهم على المسلمين ، وان ذلك  
من شروط الصلح معهم . وبعد أن أتم فتح اقليم سبتمانية ،  
واصل زحفه شرقا نحو اقليم بروفانس ، حتى وصل الى نهر  
الرون ، ففتح بروفانس ، ثم اتجه شمالا مع نهر الرون حتى  
وصل مدينة ليون ، ففتحها ، وتوغل فى اقليم برغندية

- 
- (١) انظر ترتيبات السمع العسكرية فى اربونة وماحولها  
قبل : ص ٣٩٣-٣٩٤ .  
(٢) خليل السامرائى : الشجر الاعلى ، ص ١٢٨ - شكيب ارسلان :  
غزوات العرب ، ص ٩٨ . لكن من المؤرخين من قال أن  
فتحها تم صلحا . (انظر : ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤)  
خليل السامرائى : نفس المرجع والمفحة فى رواية اخرى  
(٣) انظر تعريفا لاقليم سبتمانية ومدنه قبل : ص ٣٩٣ .  
(٤) شكيب ارسلان : نفس المرجع والمفحة - خليل السامرائى :  
نفس المرجع والمفحة .



(برجانديا) فاستولى على مدينة ماسون وشالون ومنها وجه جيشه على قسمين ، الأول سار الى ديجون ولانكر ، والآخر سار حتى بلغ مدينة أوتون ، فى أعالي الرون . بل قيل : أن غنبة (١) (٢) بلغ مدينة سانس شمال أوتون ، والتي تولى أسقفها الدفاع عنها ، ساعده على ذلك وغورة المنطقة التى تحيط بها ، فأدرك غنبة أن طول البقاء أمام هذه المدينة قد يعرض جيشه للإبادة ، إذا ماتهيا للعدو فرمة الهجوم ، فقرر العودة ، وقد صدق ظنه ، إذ هاجمه الأعداء خلال عودته فأصيب بجروح (٤) حوفى على أثرها ، وذلك فى (شعبان سنة ١٠٧هـ / ديسمبر - يناير ٧٢٥ - ٧٢٦م) . ومن المؤرخين من يعزو عودة غنبة الى اضطراب الأحوال فى الأندلس . ومامن شك أن التمداد فى الأيغال

- 
- (١) أوتون : مدينة على مسافة (١٠٦ كم) الى الشمال الغربى من ماسون . (انظر : شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٤ وهامش (٥) فيها) .
- (٢) انظر عن فتوح غنبة فى بروفانس وبرجانديا حتى أوتون ، (أحمد العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٧ - خليل السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٢٨-١٣٠ - إبراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٠٨ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ١/٢٢٠) .
- (٣) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ١٩٠-١٩١ - شكيب أرسلان : نفس المرجع والصفحة - خليل السامرائى : نفس المرجع والصفحة .
- (٤) ليس هناك مكان محدد لهذه الموقعة ، التى استشهد فيها غنبة ، كما أن تاريخ استشهاده مختلف عليه . (انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الأول ، ص ٥٤٢-٥٤٣) .
- (٥) خليل السامرائى : نفس المرجع ، ص ١٢٩-١٣٠ (نقلا عن / على المياح : العوامل السوفية والتعبوية وأثرها على الفتوح فى فرنسه (بحث) ، ص ١١٦) - ابن الأثير : الكامل ، ٤/١٩٧ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٧ أحمد العبادى : نفس المرجع ، ص ٨٧ - عبد الرحمن الحجى : نفس المرجع والصفحة - حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع والجزء والصفحة - إبراهيم بيضون : نفس المرجع والصفحة (لكن عذى نهايته الغامضة لأسباب لا ترتبط بحملته العسكرية ، وإنما بظروف داخلية فى قرطبة) . وهو بذلك يشير الى أنه عاد الى قرطبة وهذا يخالف إجماع جمهور المؤرخين باستشهاده فى بلاد الغال .

دون التوطيد لسلطان المسلمين ، وتأمين ظهورهم ، فيما تم فتحه من مدن ، ساعد الاعداء على التجمع ، وقطع الطريق على المسلمين أثناء عودتهم ، ف خسروا بذلك جل ما فتح على أيديهم ، فولى الناس بعد استشهاد عنبسة عذرة بن عبد الله الفهرى ،<sup>(١)</sup> الذى تراجع بهم الى اربونة . فجاءه المدد من الاندلس ، وشن المسلمون غاراتهم من جديد فى كل جهة ، وبكل قوة ، حتى أعادوا هيبتهم ولم يجدوا لهم مقاوما .<sup>(٢)</sup> الا أن سلطان المسلمين فيما يبدو قد اقتصر على اقليم سبتمانيا وقاعدته مدينة اربونة .

ويرى بعض المؤرخين الغربيين أن فتوحات عنبسة ، كانت فتوحات حذق ومهارة لابطش وقوة .<sup>(٣)</sup> والحقيقة أن المسلمين فى فتوحاتهم لم يكونوا قط اهل بطش وقوة ، الا عندما يلقون من عدوهم المقاومة ، او نقض العهد . ولايتعدى لجوؤهم الى القوة ، ما أباحه الشرع لهم ، ممسكين عما لايناسب مبادئ دينهم السامية ، وخلقهم الرفيع .

وهذا القول بالنسبة لفتوحات عنبسة ، فيه اشارة الى أن غالبية فتوحه تمت ملحا ، يؤكد ذلك قول خليل السامرائى "وسار عنبسة من نيم متبعا مجرى نهر الرون حيث وجد الطريق<sup>(٤)</sup> امامه خالية من أية مقاومة" . وأنه استخدم الحنكة والحكمة فى تحقيق اهدافه ، قبل استخدام القوة العسكرية التى يقودها

- 
- (١) ابراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا ، ص ١٠٦ (نقلا عن حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٤٧-٢٤٨) .  
 (٢) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩١ - شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ٩٨ (أورد الاسم مفردا ومحرفا "حديرة") - ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ١٠٥-١٠٦ .  
 (٣) الزركلى : الاعلام ، ٩١/٥ .  
 (٤) الشفر الاعلى ، ص ١٢٩ .

(١)

شم توقف الفتح الاسلامى فى بلاد الغال مايقارب الاربع سنوات حتى تولى امر الاندلس عبد الرحمن الغافقى ، فى ولايته الثانية (١١٢ - ١١٤هـ) ، فكان على يديه تجديد الغزو ومواصلة الجهاد فيما وراء البرتات .<sup>(٢)</sup>

(٣) دراسة تحليلية لبعض النقاط الهامة فى هاتين الحملتين

ولاشك ان حملتى السمح وعنبسة من اهم الاعمال الحربية التى قامت فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وخاصة ، حملة السمح بن مالك التى تمت احداها فى زمنه ، واوجدت للمسلمين شغرا اسلاميا متقدما ، وهو مدينة اربونة الذى ظل اكثر من نصف قرن رمزا للوجود الاسلامى فى ارض الفرنج ، وقاعدة تنبعث منها جيوشهم الفاتحة فيما وراء البرتات . علاوة على ماحققته من فتوحات فى تلك البلاد .

وليس لدينا نص يدل على اشراف الخليفة وتوجيهه لهذه الحملات ، الا ان ليس لدينا مايشهد عكس ذلك . كما ان خروج عنبسة بحملته بعد استشهاد السمح وكثير من جيشه قرب طولوشة لايمكن ان يتم دون امر الخليفة او عامله على افريقية والمغرب ، بعد ان عادت الاندلس ، الى التبعية الادارية لافريقية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك . ونحن لانستبعد<sup>(٣)</sup>

- (١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٩١ - احمد العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٨٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ٢٢٠/١ .
- (٢) عن فتوحات عبد الرحمن الغافقى فى بلاد الغال ، (انظر احمد السيد دراج : عبد الرحمن الغافقى ، بحث ، رسالة المسجد ، العدد الرابع ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٨٠-٨٥ وغيره من المصادر والمراجع الاندلسية) .
- (٣) من اجل ذلك ، انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٥٣٨-٥٣٩ .

أن خروج عنبة بحملته والاعداد لها جاء بتوجيه من الخليفة يزيد انتقاما لمقتل السمح ، واحياء لهيبة الدولة ، واستمرارا فى الفتح والجهاد فى تلك البلاد . خصوصا اذا عدنا بالذاكرة الى ما حدث من الخليفة فى المواقف المشابهة كتوجيه الجراح الحكى على رأس جيش كبير الى أرمينية ، بعد الهزيمة التى تعرض لها أميرها من قبل الخزر . أو توجيه الحرشى لاعادة سلطان الدولة على ماوراء النهر ، بعد أن فشلت محاولات أميرها السابق .<sup>(١)</sup>

وإذا ما تساءلنا عن العوامل التى وقفت فى وجه نجاح الحملات الاسلامية فى بلاد الغال ، وفتح تلك البلاد ، فلنا أن نفيف أن من الاسباب الرئيسية فى فشل تلك الحملات ، كون تلك الحملات خرجت بقيادة ولاية الأندلس ومعتمدة على امكانيات الولاية وحدها ، الى جانب اتباعها أسلوب الهجوم السريع ، وعدم تثبيت اقدام الفاتحين فيما استولوا عليه . فقد كان استشهاد القيادة فى المعركة يؤدى الى ارتداد الجند حتى نقطة البداية ، وتوقف الفتح لسنوات . لأن تلك القيادة كانت تتمثل فى شخص الامير ، فعندما يقتل ، يتوقف الفتح حتى يأتى أمير جديد ، رافعا راية الجهاد ، وقادرا عليه . كما أن الاعتماد على امكانيات ولاية الأندلس فحسب ، جعل القوة الفاتحة محدودة القدرة مهما كبرت ، فالفتح وراء البرتات

(١) من أجل ذلك ، انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٣٢٧-٣٢٨ ، ص ٣٥٤ وما بعدها .

كان يعنى حرب عالم كبير ، واسع المساحة ، متعدد القوى ، قوى الشأن . ولم يكن فتحه ممكنا الا باشراف الدولة ودعمها وتوجيهه القوى الكافية وعلى أكثر من محور حتى يشغل كل بما يواجهه . فقد أدت قلة الجند بقيادة السمع الى خسارته أمام جيوش أودو الجرارة ، وساعد ايغال عنيزة فيما بعد ، الى قطع الطريق عليه ، كما أدى تحالف شارل وأودو الى كسر الجيش الذى قاده عبدالرحمن الغافقى بعد ذلك . أما أسلوب الهجوم السريع وعدم تأمين الفتح فقد وقع فيه أيضا عنيزة ومن بعده عبد الرحمن الغافقى ، فخسر المسلمون كل ما وصلوا اليه فى حملتيهما . ولولا اهتمام السمع بن مالك بتحسين أربونة وبعض المدن والحصون فى سبتمانيا ، مدركا ما كنا نقول ، لما بقى للمسلمين موطئ قدم فيما وراء البركات عند خسارتهم فى كل مرة ، وظلوا كما هم فى حدود الأندلس .

والحق أن حملة السمع بن مالك ، تمثل البداية الجديدة لحركة الفتوح الإسلامية فيما وراء البركات ، لا تسامها بالتنظيم والعمل على فتح ثابت لبلاد الغال ، يهدف الى نشر الاسلام وادخال تلك البلاد فى رحاب الدولة الإسلامية . يؤكد ذلك ما أشرنا اليه من أعمال السمع التنظيمية والعسكرية فى اقليم سبتمانية ، والتي استهدفت تثبيت أقدام الفاتحين فى ذلك الاقليم واعطاءه المصبغة الإسلامية وفرض سيادة المسلمين عليه . الى جانب توطيئ جماعات من المسلمين فى مدن

(١) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٠٧-٣٠٨

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٩٧ - شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٩٤ .

(٣) انظر قبل : ص ٣٩٣-٣٩٤-٣٩٧ .

(١)  
سبتمانية كانوا قد خرجوا بأسرهم كمرابطين في ذلك الثغر الجديد .

وهذا مايدعو الى القول أن فتوح المسلمين في بلاد  
الغال تعد من أمجد الجهود الاسلامية الحربية ، بل أن تضحيات  
قاداتها فاقت كثيرا مما عداها ، وعدت رجالاتها كالسمح  
وعنيسة والغافقى في طليعة قادة المسلمين العظام . وهذا (٢)  
ماجعل ذكرها باقيا في الالهام كأنه حديث عهد ، لما فيها  
من المجد والعظمة . بينما تلاشى تذكارات غزوات النورمانديين  
وغيرهم ممن غزا تلك البلاد من الالهام ولم يبق الا في بطون  
التواريخ . (٣)

(٤)  
ومع ذلك فإن استجابة أهل غاليا للاسلام كانت محدودة  
ولعل مرد ذلك للنكسات السريعة التي تعرض لها الفاتحون  
وعدم البقاء بينهم مدة طويلة ، حتى يتعرفوا على الاسلام  
ويلمسوا سموه وعظمة مبادئه ، فقد اتمف دخول أهل المناطق  
التي يدين أهلها بدين سماوى في الاسلام بالبطء ، لكننا  
نجدهم أخيرا يدخلون فيه أفواجا ، عندما يعلمون حقيقته  
ويرون عدالة أهله . (٥)

وكما عودنا مؤرخوا الغرب ، بالنيل من الاسلام وتشويه  
تاريخ المسلمين ، نجدهم هنا يحاولون تهوين شان جهود  
الفاتحين في غالة ، قائلين انها لم تسر وفق خطة مرسومة ،

- 
- (١) من أجل ذلك انظر قبل : ص ٣٩٩-٤٠٠ .  
(٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩٧ .  
(٣) شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٣٠٣ .  
(٤) شكيب أرسلان : نفس المرجع ، ص ١٠٦-١٠٧ .  
(٥) مثال ذلك : تاخر قبض مصر في الدخول في الاسلام ، وكذلك  
أهل الاندلس ، وأهل أرمينية .

(١)  
 وأنهم في البداية وجدوا مقاومة واهية . والحقيقة كما  
 أسلفنا في الصفحات السابقة أن المسلمين خرجوا من أجل فتح  
 منظم ، وكفيئنا للرد على ذلك ما أوجده السمح في سبتمانيا  
 من تنظيمات وتحصينات لمبغها بالمبغة الإسلامية ، واعتبارها  
 ثغرا اسلاميا وراء البركات . وإن كنا قد أشرنا الى أن تلك  
 الخطط العسكرية خصوما فيما عدا حملة السمح لم تكن كافية ،  
 وتفتقد الاعداد الكافي والقوة الكاملة المدعمة بعون الدولة  
 (٢)  
 وارشادها .

أما المقاومة فلم تكن واهية ، صحيح أن اقليم  
 سبتمانيا اعتمد في الدفاع عن نفسه على قوته الذاتية  
 لتبعيته للقوط الغربيين ، الذين زال ملكهم في الاندلس ،  
 أما بقية اقاليم بلاد الغال فقد أبدت من القوة وكان عندها  
 من العدة ما يفوق المسلمين وكان كفيلا بردهم ، وهذا  
 ما لمسناه في حملتي السمح وعنبة . أولم يخسر السمح عند  
 طولوشة عندما واجهه جيش يفاعفه عشر مرات . والواقع أن ضعف  
 الدولة الميروفنجية ، كان مناسبا في حالة توفر الامكانيات  
 الإسلامية الكافية ، إذ من المفيد استغلال انقسام بلاد الغال  
 الى اقاليم ، بفتح كل اقليم على حدة وفي آن واحد ، وذلك  
 عن طريق توجيه عدد من الجيوش ضمن خطة شاملة ، لاجتياح بلاد  
 الغال وفتح اقاليمها ، مما يفقدها امكانية تحالف قواها  
 ومواجهة المسلمين سواء .

ويلاحظ الدارس تحالف أودو وشارل مارتل من أجل إيقاف

(١) شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٢) انظر ذلك قبل : ص ٤١٥-٤١٦ .

الغافقى وصد جيشه ، عندما عجزت قوة اقليم اكيثانية من الوقوف فى وجهه .

ونسلم اتهامهم بالانغراض المادية على لسان <sup>(١)</sup> الذى يقول : ان غزوات العرب فى بلاد الغال كانت للاستيلاء على النفائس التى اشتهرت بها الاديرة والكنائس فى تلك المنطقة . ونكتفى بقول شكيب ارسلان فى الرد عليه اذ يقول : "ولما جاء المسلمون ودخلوا ارض فرنسه فاتحين لم يكن لهم مقصد سوى نشر دين الاسلام واخضاع فرنسه وكل اوربة لاحكام القرآن ، ولكن فيما بعد ذلك دخل فى تلك الغزوات مقاصد اخرى ، كحب الذهب او الاتخذ بالشار ، ومن هذا القبيل نزول العرب فى <sup>(٢)</sup> او اخر القرن التاسع فى ارض بروكسل " .

كما اتهموهم بتهديم بعض الاديرة فى بلاد الغال ، واذا ماصح ذلك ، فان الرهبان قد اعتصموا مع بعض الناس فى تلك الاديرة وقاوموا المسلمين منها ، حتى فتحوها عنوة ، فقاموا بهدمها حتى لايتخذوها معاقل للمقاومة وحرب المسلمين . فلم يكن المسلمون ليهدموها لو سلموا دون مقاومة ، وهذا مايعترف به رينو عندما يقول : "وكان هؤلاء (يعنى المسلمين) لايسيئون معاملة الذين يدخلون فى طاعتهم بدون مقاومة <sup>(٣)</sup> ويكفونهم القتال . وهذه الحقيقة هى مايناسب موقف الاسلام والمسلمين من الاديان وامحابها ، المتمثل فى اعطائهم الحرية الدينية ، والابقاء على دور عباداتهم .

(١) تاريخ سورية ، ٧٨/٢ .

(٢) غزوات العرب ، ص ٢٩٤ .

(٣) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاتدلس ، ص ١٩٨ .



(١)  
والثابت عنهم كما يقول حسين مؤنس أنهم لم يخربوا  
كنيسة أو يحرقوا ديرا ، وإذا ما قورنوا بالشعوب التي كانت  
تسود بلاد الغال في ذلك الحين ، من فرنجة وقوط غربيين  
وشرقيين وبرغنديين لتبيننا أن المسلمين كانوا أعظمهم حضارة  
وأبعدهم عن النهب والتخريب ، ومهما بحثنا في حويلات ذلك  
العصر قلن نجد بين من ظهروا على مسرح الحوادث في بلاد  
الغال خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي (أي من  
٨١هـ - ١٣٢هـ) رجالا نستطيع أن نقارنهم بالسبح بن مالك أو  
عنبسة بن سحيم أو عبد الرحمن الغافقي . الذين يعرفون عن  
المسيحية أكثر مما يعرفه أمراء الفرنج ، كما أنهم رجال  
دولة ذات نظم وقوانين مقررة ، في حين كانت نظم الدولة  
الفرنجية في طور التكوين ، وكانت تعتمد على قوانين  
الجرمان الأولى ، وهي شبيهة بقوانين العرب الجاهليين .  
فالحرب لم تكن بين الاسلام والنمرانية بقدر ما كانت صراعا  
بين حضارة وجاهلية ، وبين نظام وقوى . وهي صراع بين الحق  
والباطل ، والنور والظلام .

---

(١) فجر الاندلس ، ص ٢٥٨-٢٥٩-٣٠٤ .